سلسلة الرسائل الجامعية ١٠١

جهود علماء السلف

في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية

تأليف

الدكتور محمد بن أحمد بن علي الجوير

مكتبة الرشد
ناشرون

جهود علماء السلف
في القرن السادس الهجري
في الرد على الصوفية

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

سلسلة الرشد للرسائل الجامعية ١٠١

جهود علماء السلف

في القرن السادس الهجري
في الرد على الصوفية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة

تأليف
محمد بن أحمد بن علي الجوير

الجزء الأول

مكتبة الرشد
ناشرون

مكتبة الرشد ناشرون



* المملكة العربية السعودية . الرياض . طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١

Email: alrushd@alrushdryh.com

Website : www. rushd.com

- فرع طريق الملك فهد – الرياض – غرب وزارة البلدية والقروية هاتف ٢٠٥١٨٣٠
- فرع مكة المكرمة – هاتف ٥٥٨٥٤٠١ فاكس ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة – شارع ابي ذرالغفاري هاتف ٨٣٤٠٦٠٠ – ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة – ميدان الطائرة – هاتف ٦٧٧٦٣٣١
- فرع القصيم – بريدة طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع ابها – شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧
- فرع الدمـــام – شارع ابن خلدون هاتف ٨٢٨٢١٧٥

وكلاؤنا في الخارج

القاهرة : مكتبة الرشد / ت ٢٧٤٤٦٠٥

الكويت : مكتبة الرشد / ت ٢٦١٢٣٤٧

بيروت : دار ابن حزم هاتف ٧٠١٩٧٤

المغرب : الدار البيضاء / مكتبة العلم / ت ٣٠٣٦٠٩

تونس : دار الكتب المشرقية / ت ٨٩٠٨٨٩

اليمن – صنعاء : دار الآثار ٦٠٣٢٥٦

الاردن – دار الفكر هاتف ٤٦٥٤٧٦١

البحرين – مكتبة الغرباء هاتف – ٩٥٧٨٣٣ - ٩٤٥٧٣٣

الامارات – الشارقة – مكتبة الصحابة هاتف ٥٦٣٣٥٧٥

سوريا – دمشق – دار الفكر هاتف ٢٢١١١٦

قطر – مكتبة ابن القيم هاتف ٤٨٦٣٥٣٣

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾(٣).

أما بعد: فإن من أعظم نعم الله على عبده أن هداه إلى صراطه المستقيم، فأراه الحق حقاً ورزقه اتباعه ، وأراه الباطل باطلاً ورزقه اجتنابه، وحذّره من مغبة الوقوع في شراك أهل البدع والضلالات والخرافات، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢).
(٢) سورة النساء، آية (١).
(٣) سورة الأحزاب، آية (٧٠).
(٤) سورة الأنعام، آية (١٥٣).

وقـــال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1].

ومن نعم الله جل وعلا وكرمه على خلقه أن من الله عليهم بأن بعث إليهم محمداً ﷺ عـــلى حين فترة من الرسل. فهدى الله بهذا النبي الأمي الكريم الناس من الضلال الـــذي غشـــي أبصارهم وقلوبهم، وجمع شملهم بعد تفرقهم حتى أصبح الناس يتفيئون ظلال هذا الدين بنعمة صفاء العقيدة فلا يعبدون إلا إلهاً واحدا ولا يخشون إلا إياه، ولا يـــتحاكمون في شـــيء مـــن أمور دينهم ودنياهم إلى شيء من رأي وعقل سوى الله سبحانه ورسوله ﷺ .

ومعلوم من الدين بالضرورة أن التشريع من الله جل وعلا وحده لهذه الأمة يترل إلى النبي ﷺ عن طريق الوحيين(الكتاب والسنة) قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

و لم يقـــبض الله سبحانه روح النبي ﷺ إلا بعد أن كمل لـــه ولأمته هذا الدين، قـــال تعـــالى : ﴿ الْـــيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[3].

(١) سورة الأنعام، آية (١٥٩).
(٢) سورة النجم، آية (٣-٤)
(٣) سورة المائدة، آية (٣)

وقـــال ابن عبّاس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية العظيمة: "أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، رضيه فلا يسخطه أبدا"(١).

وقـــد كـــان الصحابة رضوان الله عليهم من أشد الناس المتمسكين بالشرع والوقـــوف عـــند النصوص لأنهم قد عرفوا أن الدين كمل لا يحتاج إلى زيادة وأن أمـــور الشـــريعة اســـتبانت ووضحت فلا تحتاج إلى بيان، وإنما الأمر في التسليم والانقياد لأمر الله جل وعلا، فكانوا مثلا يحتذى بالتمسك بالشريعة نصاً وروحا، ولقـــد وصـــفهم ابـــن مسعود رضي الله عنه بقوله: " خير هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا "(٢).

(١) تفسير ابن كثير. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٣/٢.

(٢) شـــرح الســـنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق وتعليق وتخريج أحاديث شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ط٢(بيروت : المكتب الإسلامي – ١٤٠٣هـ) ٢١٤/١.

وكـــان عصـــر النبوة الشريفة، عصر صحابة رسول الله ﷺ عصر الطهر والنقاء والصـــفاء عصر سلامة العقيدة وحسن العمل. وما زال الناس منقادين لهذا الأمر طيلة حياة النبي ﷺ وطيلة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، متبعين الكتاب والسنة لا مبتدعين ولا متكلفين ولا متعنتين، إلا ما كان من حالات فردية يقضى عليها في مهدها مـــن قبل النبي ﷺ وخلفائه، فما تلبث أن تنطفئ كقصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا أين نحن من النبي ﷺ فقـــد غفر الله لـــه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجـــاء الـــنبي ﷺ فقال: (أنتم قلتم كذا وكذا. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[(١)].

لكن الأمر لم يبق على هذه الحالة بعد هذا العصر، بل بدأ التغير التدريجي في حالة المســـلمين إثر اتساع المد الإسلامي في أصقاع المعمورة، وبدأ أصحاب الملل والديانات المـــنحرفة والأهواء والبدع هجوما شرسا على الأمة الإسلامية في عقيدتها وسلوكياتها بكل ما تحمله من أفكار ومعتقدات فاسدة ومنحرفة، ومن هذه الاتجاهات المنحرفة التي تأثـــر بها المسلمون "**الاتجاه الصوفي**" الذي بدأ في الأمة بشكل الزهد والورع، فتدرج

---

(١) صـــحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري (استانبول : المكتبة الإسلامية) كتاب النكاح ، بـــاب الترغيب في النكاح ٦/١١٦ ، وصحيح مسلم أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (استانبول : المكتبة الإسلامية)، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ٢/١٢٠، رقم الحديـــث (١٤٠١).

الأمر به إلى الاعتقاد الفاسد والقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

فخرج ببعض أهله إلى دائرة الكفر والإلحاد – والعياذ بالله – عبر مدارسه وطرقه المعروفة، لكن الله جل وعلا تكفل بدينه وقيض له رجالا مخلصين ينافحون عن العقيدة والسلوك والأخلاق ويجاهدون أعداء الدين بالقلم واللسان والسيف.

وعلماء السلف هم من حمل لواء هذا الجهاد منذ العصور الأولى، فما فتئوا يحملون هم حماية العقيدة عن الأفكار الوافدة عليها ويحذرون الأمة من الوقوع في حبائلها، فما من بدعة ظهرت إلا قيض الله لها من يردها، ويكشف عورها، وما من رأس من رؤوس الضلالة والبدعة والأهواء إلا قيض الله من أعلام السنة وأئمة الهدى من يتصدى له ويفضحه على رؤوس الخلائق حيّا أو ميتا، ويبين أمره ويرد عليه بدعته وينصر السنة ويقيم الحجة.

والقرن السادس الهجري ليس بدعا من القرون، فإنه يحتل البداية الفعلية لانتشار الصوفية وطرقها بشكل كبير، في سائر البلاد الإسلامية، واستحكمت بدعها، فقيض الله لدينه من ينافح عنه من علماء السلف في ذلك القرن، وطفق يجاهد بقلمه ولسانه حتى وقف سداً منيعاً وأصبح سهماً مسموماً في نحور هؤلاء المبتدعة في ذلك القرن ، ينكر عليهم بدعهم ويبيّن الحق على هدى من الكتاب والسنة .

وكانت أساليب هؤلاء الأعلام الأجلاء متنوّعة في إنكارهم على هؤلاء المبتدعة فمنها تأليف الكتب في الرد على الصوفية المنحرفين وأعلامهم، ومنها الحبس والضرب والهجر والتنفير والقتل وإتلاف مصادرهم المنحرفة، ونقد رموز التصوف والتصريح لهم



بالبغض والعداوة والكفر وإصدار الفتاوى الشرعية في هذا الشأن.

يقول البغوي(١) ناقلا إجماع السلف على معاداة أهل البدع وعلى رأسهم المتصوفة ومهاجـــرتهم: "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم"(٢).

وعلى العموم ، فإن ردود علماء السلف في القرن السادس ومن وافقهم في هذا المنهج في الـــرد على أهل الأهواء والبدع ومنهم الصوفية، كانت نابعة من تعاليم هذا الدين لا مجال فيهـــا للأهواء والرأي، بل اتسمت بالاعتدال والتوازن في الأقوال والأفعال مع الإخلاص في ذلـــك لله تعالى، وكان منهجهم في ذلك الاعتماد على الكتاب والسنة وهما الحكمان اللذان تـــوزن بهمـــا الأعمال فما وافقهما قبل وما خالفهما رد. فكان لتطبيقهم لذلك المنهج أثره الواضح في القرن السادس وعلى من بعده من القرون، فعظم مذهب أهل السنة وعلا وارتفع وقمع مذهب أهل الزيغ والضلال والانحراف وعلى رأسهم المتصوفة.

وإنـــه من خلال دراستي للسنة المنهجية لمرحلة الدكتوراه، وجدت لنفسي ميلا لجانب الفـــرق والمذاهب وأخذت مساحة كبيرة من تفكيري حتى رأيت نفسي توّاقة للتقدم لقسم العقيـــدة والمذاهـــب المعاصرة بكلية أصول الدين بموضوع بحثي لمرحلة الدكتوراه الذي هو بعـــنوان "**جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية**" وذلـــك لـــلوقوف على مواقفهم من هذه الفرقة الضالة المضلّة بناء على ما دلت

(١) من علماء السلف في القرن السادس، وستأتي ترجمته في الباب الرابع -إن شاء الله-.

(٢) شرح السنة ١/٢٢٧.

عليه النصوص التي هي عمدتهم في تقرير مذهبهم، وعلى الآثار المنقولة عنهم وما نقله العلماء المحققون من أهل السنة عنهم، وتم قبول هذا الموضوع ولله الحمد والمنة.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

وقد كان اختياري لهذا الموضوع المتعلق بهذه الفرقة الضالة مبنياً على أسباب منها:

١ – اختلاط المسلمين اليوم في كثير من البلاد الإسلامية بالمتصوفة، وكثرة التساؤلات عن أحكام التعامل معهم مما يجبر على بيان موقف علماء السلف منهم على ضوء النصوص الشرعية المأثورة عنهم.

٢ – سوء فهم كثير من الناس لما عليه المتصوفة من البدع حتى ضلّ بعضهم نتيجة سوء الفهم والهوى والجهل.

٣ – بيان أن ما عليه المتصوفة من ضلال وانحراف اليوم إنما هو امتداد لأسلافهم على ضوء النصوص الواردة في كتبهم وما نقل عنهم.

٤ – جدة هذا الموضوع حيث لم يخص بالبحث والدراسة –حسب علمي– وإنما اقتصر الأمر على كتابات منفردة عن التصوف والصوفية والكتابة في هذا الجانب يعد إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية.

٥ – النشاط المتزايد لتحقيق مصنفات رموز التصوف وامتلاء المكتبات العامة والخاصة من تراثهم القديم والمنحرف وكذلك النشاط المتزايد من المؤلفين المعاصرين المائلين للتصوف والمعجبين به.

٦ - بيان جهود علماء السلف في الذب عن العقيدة والإنكار على أهل البدع والأهواء عموما والصوفية على وجه الخصوص والرد عليهم فكرا وشخصا.

٧ - أهمية القرن السادس بالنسبة للتطور الصوفي المتمثل في انتشار طرقه ومدارسه وتأصيل فكره.

٨ - علماء السلف هم نقلة هذا الدين لنا عن التابعين، عن الصحابة رضوان الله عليهم عن الرسول ﷺ ومن هنا تكمن أهمية ذلك.

٩ - ميولي ورغبتي الشديدة للإطلاع على منهجهم في الدعوة إلى الله

١٠ - فيه ربط الناس بالسلف الصالح والوقوف على منهجهم في الدعوة إلى الله والإنكار على أهل البدع عامة والصوفية خاصة مما سيعكس هذا البحث إن شاء الله الفائدة المرجوة.

١١ - في هذا البحث إن شاء الله كشف وتعرية لانحرافات الفكر الصوفي وتحذير الأمة والأجيال القادمة من أفكار وخزعبلات المتصوفة، ومن مغبة الوقوع في شراكها.

١٢ - احتواء القرن السادس على كوكبة من علماء الإسلام حملوا راية الجهاد ضد أهل البدع والانحرافات فكانت العناية بهم والوقوف على مآثرهم في مسائل الاعتقاد تقريرا وردا من أسمى المطالب.

١٣ - إن هذا الموضوع في نظري من أهم الموضوعات التي ينبغي أن تعنى بها الدراسات الإسلامية في الجامعات الإسلامية لأن فيها إحياء لتراث أمتنا وأسلافنا الذين أفنوا أعمارهم في خدمة العقيدة وكشف فكر دخيل على الدين.

١٤ - فيه تذكير للمهتمين لإعادة مجد الأمة إلى طريق ربها بالفطنة إلى المنهج، ولزوم طريق السلف الصالح في ذلك ابتعادا عن جر الأمة إلى المضي على سبيل بعض الطوائف التي حادت عن القصد من صوفية وغيرهم، فكان هذا البحث من أجل التنوير والتبصير والتذكير، وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

١٥ - الإسهام بجهد المقل في المحافظة على عقيدتنا الإسلامية من الأفكار المنحرفة الدخيلة عليها. وإحياء تراث السلف الصالح وإبرازه ليكون في متناول كل راغب للإطلاع عليه.

١٦ - رغبتي الشديدة في معرفة حقيقة التصوف وتاريخه وأفكار أصحابه في المسائل الدينية.

---

(١) سورة الذاريات، آية (٥٥).

الدراسات السابقة:

حسب علمي واطلاعي المحدودين، لم أقف على دراسة شاملة أفردت هذا الموضوع بهذه الصفة والكيفية؛ ولكن ثمة دراسات معاصرة تناولت أجزاء يسيرة من مواقف بعض علماء السلف من الصوفية ومنها:

١- موقف الإمام ابن الجوزي من المتصوفة (من خلال كتابه تلبيس إبليس) رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، دراسة اقتصر فيها الباحث على كتاب (تلبيس إبليس)، و لم استفد منها الاستفادة المرجوة؛ لتوفر كتب ابن الجوزي التي تنتقد التصوف والصوفية.

٢- ابن الجوزي علمه ودعوته، بحث متواضع، مقدم تكملة لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يغلب عليه جانب النشاط الدعوي لابن الجوزي.

٣- كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (من أول الكتاب إلى نهاية فصل تليس إبليس على الصوفية في مطاعمهم ومشاربهم) وطبيعة الرسالة لم تمكنني من الاستفادة منها بالقدر المطلوب.

٤- القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أورد الباحث فيها جزءً يسيراً لنقد القاضي عياض للصوفية من خلال كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى).

٥- منهج أبي بكر بن العربي وآراؤه في الإلهيات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، أورد الباحث فيها جزءً يسيراً لموقف ابن

العربي من الصوفية لم يكن في نظري كافياً.

٦- منهج ابن قدامة في تقرير عقيدة السلف وموقفه من المخالفين لها. رسالة ماجستير/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أورد فيها الباحث جزءً يسيراً في نقد ابن قدامة للصوفية من خلال كتابه (ذم ما عليه مدعوا التصوف).

٧- كما اطلعت على رسالة دكتوراه بعنوان (جهود علماء السلف في القرن السادس في تقرير العقيدة والدفاع عنها) للباحث/ محمد بن مجدوع القرني، التي كانت طبيعتها تقرير العقيدة وثمة ردود على بعض الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة وغيرها عدا الصوفية، لذا لم أتمكن من الاستفادة منها بالقدر المطلوب.

٨- الرسائل والمسائل العقدية في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى رسالة ماجستير للباحث صالح بن عبدالعزيز التويجري/ كلية أصول الدين بالرياض.

منهجي في البحث:

إن المنهج الذي سرت عليه في كتابة هذا البحث، هو منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح في الاستدلال وتقرير المسائل، مراعياً في ذلك قواعد البحث العلمي، وهو منهج تاريخي وصفي واستقرائي قائم على تتبع النصوص، ويمكن إبراز هذا المنهج في النقاط التالية:

١ - لقد بذلت في البداية جهداً مضنياً في البحث والتقصي والاستقراء والاطلاع على الكتب المهتمة بالعقائد والمذاهب الفكرية، والكتب التي تعنى بالسير والتراجم العامة والخاصة، وجمع المؤلفات والمصنفات من داخل المملكة وخارجها، لمحاولة معرفة وحصر العلماء في القرن السادس الهجري الذين لهم جهود في العقيدة حتى تمكنت ولله الحمد من

استخراجهم، ومعرفة أقوالهم ومواقفهم من أهل الأهواء والبدع عموماً ومن الصوفية محل البحث من خلال ما دون في مصنفاتهم الموجودة أو ما نقل عنهم في حالة فقدها.

٢ - قمت بالاطلاع على كتب التراجم التاريخية الصوفية ومصنفاتهم القديمة والحديثة ما أمكن .

٣ - قمت بتقرير المسائل الصوفية من مؤلفاتهم وأقوال أعلامهم أولاً، ثم الرد عليهم من أقوال السلف.

٤ - قمت بالإطلاع على المخطوطات والرسائل الجامعية التي تناولت علماء السلف في القرن السادس وأعلام التصوف والتي تتحدث عن التصوف بشكل عام وذلك في جامعات المملكة ما أمكن لي ذلك .

٥ - قمت بتوثيق ما أنقله من كلام العلماء؛ وذلك بعزوه إلى مواضعه في مصنفاتهم إن وجدت، أو من الكتب المعتمدة التي تهتم بنقل آثارهم في الاعتقاد.

٦ - حاولت جادا توفير جميع الكتب الصوفية غير المتوفرة في المملكة وذلك بشرائها من الخارج ما أمكن.

٧ - لا أغفل عن استشارة أصحاب الفضيلة المشايخ وأساتذة الجامعات المتخصصين في العقيدة والمذاهب المعاصرة وممن لهم صلة قريبة في هذا الفكر

الصوفي المنحرف وذلك للاستئناس بآرائهم وتوجيهاتهم ما أمكن ذلك.

٨ - حاولت -قدر الإمكان- أن أجعل صدر كل باب أو فصل أو مبحث تمهيداً موجزاً على حسب الحاجة المقتضية لذلك.

٩ - نهجت فيما أنقله بالنص أن أجعله بين علامتي تنصيص، وأذكر المرجع في الهامش؛ أما المنقول بالمعنى: فلا يكون بين علامتي تنصيص، وأحيل إلى مرجعه أو مراجعه في الهامش بلفظ (انظر).

١٠- إذا تكرر المرجع أو المصدر فلا أذكره وإنما أرمز إليه بـ (ن.م).

١١- أعقب -في الغالب- ردود العلماء ببعض الآيات والأحاديث والتي تعضد هذه الردود مما له علاقة في الموضوع نفسه.

١٢- ردود علماء السلف التي أنقلها؛ إما أن تكون صريحة في الرد على الصوفية؛ أو عامة على أهل الأهواء والبدع؛ أو خاصة على فرقة؛ تشترك الصوفية مع هؤلاء جميعاً في بدعهم المردود عليها.

١٣- قمت في نهاية بيان جهود علماء السلف في كل مسألة بالإشارة في الهامش إلى علماء آخرين ليسوا على منهج السلف باطراد قد ردوا على الصوفية؛ تتميماً للفائدة.

١٤- عزوت الآيات القرآنية في البحث إلى مواضعها من القرآن بذكر اسم السورة ورقم الآية.

١٥- خرّجت الأحاديث النبوية من مظانها في كتب السنة وما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به غالباً وما لم يكن فيهما عزوته إلى مظانه ما أمكنني ذلك.

١٦ - أذكر معلومات المرجع كاملة عند ورود اسمه لأول مرة فقط.

١٧ - اجتهدت في بيان بعض الكلمات والألفاظ الغامضة.

١٨ - عرّفت الفرق والطوائف الواردة في البحث.

١٩ - ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا البحث ترجمة موجزة ما أمكن ذلك، عدا الصحابة رضوان الله عليهم إلا ما ندر، وتتم الترجمة عند ذكر المترجم له للمرة الأولى، وعندما يتكرر ذكره لا أشير إلى سبق الترجمة تفادياً لكثرة الحواشي ولوجود الأسماء في فهرس التراجم .

٢٠- ترجمت لعلماء السلف في القرن السادس الذين ردُّوا على الصوفية - في الباب الرابع حسب الخطة؛ إلا ما ندر، فإني أترجم له في الحاشية عند ذكر اسمه لأول مرة؛ لقلّة ردوده، أو عدم مباشرتها.

٢١ - عرفت بالأماكن والبلدان الواردة في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٢٢ - نظّمت عددا من الفهارس التي رأيت الحاجة إليها ماسّة تسهيلا على القارئ وهي:

أ - فهرس الآيات القرآنية مرتباً حسب ترتيب سور القرآن.

ب - فهرس الأحاديث النبوية مرتباً حسب الحروف الهجائية في طرف الحديث.

ج - فهرس الأعلام المترجم لهم مرتباً حسب الحروف الهجائية.

د - فهرس الفرق والطوائف مرتباً حسب الحروف الهجائية.

هـ - فهرس البلدان والأماكن مرتباً حسب الحروف الهجائية.

و - فهرس الأشعار مرتباً حسب الحروف الهجائية.

ز - ثبت المصادر والمراجع مرتباً حسب الحروف الهجائية لاسم الكتاب.

ح - فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة، فالمقدمة تتضمن ما يلي:

أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة لَه، ومنهج البحث وخطته:

وأمّا التمهيد فقد اشتمل على التعريف بالسلف والصوفية والقرن. وبيان حالة الأمة في هذا القرن من النواحي السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية، مع مقارنة هذا القرن بالذي قبله من خلال هذه النواحي، ثم ختمت التمهيد ببيان نشأة التصوف وتطوّره عبر الزمن.

أما الباب الأول:

موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج التلقي والاستدلال عند الصوفية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: موقفهم من منهج التلقي عند الصوفية.

الفصل الثاني: موقفهم من منهج الاستدلال عند الصوفية.

والباب الثاني:

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع الاعتقادية عند الصوفية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الحلول ووحدة الوجود والاتحاد عند الصوفية.

الفصل الثاني: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الفناء عند الصوفية.

الفصل الثالث: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في العبادات عند الصوفية .

الفصل الرابع: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية .

والباب الثالث:

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في السلوك والأحوال، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في السلوك والأحوال والمقامات عند الصوفية.

الفصل الثاني: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه السماع عند الصوفية.

الفصل الثالث: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه اللباس والشعائر عند الصوفية.

الفصل الرابع: جهـــود عـــلماء الســـلف في القرن السادس تجاه الرموز والغموض عند الصوفية.

الباب الرابع:

عـــلماء الســـلف في القرن السادس وأساليبهم في الرد على الصوفية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: علماء السلف في القرن السادس الهجري ومواقفهم العملية والقولية في الرد على الصوفية.

الفصل الثاني: عمـــوم أساليب علماء السلف في القرن السادس ووسائلهم في الرد على الصوفية.

وأنهيت البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج والتوصيات.

وفي الختام فإنّي أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لي لإتمام هذا العمل، كمـــا أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصـــول الدين – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – وجميع المسؤولين والعلماء والمشايخ فيهاعلى مـــا يقدّمونـــه من خدمة ورعاية للعلم وأهله وطلبته وإحياء تراث سلفنا الصالح فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أشكر فضيلة الدكتور عبدالله سمك الذي أسند إليه الإشراف على هذه الرسالة ابتداءً. فسعدت بتوجيهاته خلال فترة إشرافه التي انقطعت بعودته إلى مصر بسبب انتهاء فترة تعاقده، والشكر الجزيل والدعاء الخالص موصول لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالله السمهري الذي استقر إليه الإشراف على هذه الرسالة فأشكره على ما أولاني به من رعاية ومودّة سابغة، وقد أخذت من توجيهاته الكريمة وملاحظاته النافعة، واستدراكاته القيّمة، الأمر الذي كان له أكبر الأثر على هذا العمل فالشكر له موصول غير مقطوع، والتقدير له ممدود غير مجذوذ.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدني في هذا العمل بإشارة أو عبارة أو مقابلة أو توفير كتاب، فجزى الله الجميع كل خير وأجزل لهم الأجر والمثوبة.

هذا فما كان في هذا العمل من صواب وتسديد فهو من توفيق الله وفضله ومنته عليَّ، وإن كان سوى ذلك فمن نفسي وأستعفيه من الخطأ والزلل إنه ولي العصمة والتوفيق وبيده الهداية والتسديد.

وصلّى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله الموفق

التمهيـــد

ويشتمل على :

أولا : التعريف بالسلف والتعريف بالقرن والتعريف بالصوفية .

ثانيا: حالة الأمة من الناحية السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية في القرن السادس الهجري

ثالثا : مقارنة القرن السادس الهجري بما قبله .

رابعا : نشأة التصوف وتطوره .

أولا : التعريف بالسلف والتعريف بالقرن والتعريف بالصوفية.

التعريف بالسلف

أولاً: تعريف السلف لغة:

- السلف: "السين واللام والفاء أصلٌ يدل على تقدّم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا. والقوم السّلاف: المتقدمون"[1].

و"سـلف القوم : تقدموا سُلوفاً ، وهم سَلَفٌ لمن وراءهم ... وكان ذلك في الأمم السالفة والقرون السوالف"[2] .

- و"سَـلَفُ يَسْلُفُ سلفاً وسُلُوفاً: أي تقدّم. والسلف من تقدمك من آبائك وذوي قرابـتك الذين هم في السن والفضل، وقيل: سَلَفُ الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح[3] .

- مّما سبق: أفادت الكلمة في لغة العرب معنى (التقدّم والسبق).

---

(١) معجـم مقـاييس الـلغة. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون، ط٢ (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – ١٣٩٠هـ) ٩٥/٣.

(٢) أسـاس الـبلاغة. جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية – ١٣٤١هـ) ٤٥٤/١ .

(٣) انظـر : لسـان العـرب محمد بن منظور (بيروت : دار صادر) ١٥٨/٩ ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (بيروت : دار العلم للملايين ١٣٨٦هـ)١٣٧٦/٤ .

ثانيا: تعريف السلف في القرآن الكريم :

- ورد ذكر لفظة "السلف" في القرآن الكريم ثمان مرّات باختلاف الاشتقاقات(1).

- قال الراغب الأصفهاني(2) في المفردات السلف: المتقدّم، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾(3). أي معتبرا متقدّماً. وقال تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾(4). أي تجافي عمّا تقدّم من ذنبه. وقال تعالى: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾(5). أي ما تقدّم من فعلكم فذلك يتجافى عنه، ويقال لفلان سلف كريم أي آباء متقدّمون(6).

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ص ٣٥٥.

(2) هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الاصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب من الحكماء والعلماء من أهل أصبهان توفي سنة ٥٠٢هـ. (انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي ط١ (لبنان: دار العلم للملايين ١٩٩٢م) ٢/٢٥٥ .

(3) سورة الزخرف آية ٥٦.

(4) سورة البقرة آية ٢٧٥.

(5) سورة النساء آية ٢٣.

(6) انظر: المفردات في غريب القرآن. أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. تحقيق محمد سيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة) ص ٢٣٩.

- وقال القرطبي[1] في قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ مَا قَدْ سَلَــفَ** ﴾[2]: "أي تقدّم ومضى، والسلف من تقدم من آبائك وذوي قرابتك"[3].

- وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا** ...﴾[4] والسلف المتقدّمون، يقال سَلَفَ يسلفُ سلفاً مثل طلب طلباً أي تقدم ومضى وسلف له عمل صالح أي تقــدّم والقــوم السُّــلاف المتقدّمون ، وسلفُ الرجل آبائه المتقدّمون والجمع أسلاف وسُلاّف[5].

- وبعــد الاستقصاء للآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة (السلف) يتّضح أنها جــاءت في معنى واحد وهو السبقُ والتقدّم بالزمن حسب ما يظهر من أقوال أهل العلم من المفسّرين، وهذا المعنى موافق لما جاء في اللغة.

---

(١) هــو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبدالله القرطبي، من كبار المفسّرين، توفي سنة ٦٧١هـ (انظر: شذرات الذهب ٣٣٥/٥، والأعلام ٣٢٢/٥).

(٢) سورة النساء آية ٢٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن. محمد أحمد القرطبي (بيروت: دار إحياء التراث العربي)١٠٤/٥.

(٤) سورة الزخرف آية ٥٦.

(٥) انظــر: الجــامع لأحكــام القرآن ١٠٢/٦، وتفسير البغوي "معالم التنزيل" أبي محمد الحسين بن مســعود البغوي ، تخريج وتحقيق : محمد عبدالله النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش . ط٢ (الرياض: دار طيبة –١٤١٤هـ) ٢١٨/٧.

ثالثاً : تعريف السلف في السنة النبوية :

- ورد ذكر لفظة (السلف) في السنة النبوية الشريفة مرّات عديدة باختلاف الاشتقاقات[1].

- يطلق السلف في السنة النبوية ويراد به المعاني التالية:

١ – القرض: الذي لا منفعة فيه للمقرض غير الأجر والشكر وعلى المقترض ردّه. ومنه الحديث (أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بكراً ...)[2].

٢ – السَلَم: وهو أن يعطي مالاً في سلعة إلى أجل معلوم زيادة في السعر الموجود عند السلف، وذلك منفعة للمسْلف. ومنه الحديث (من اسلف في شيء ففي كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم)[3].

٣ – سلف الإنسان: من تقدّمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمّي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح، ومنه حديث فاطمة رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال لها : (..ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وأنك أول أهلي

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. د. ونسنك ومنسنج (استانبول: دار الدعوة – ١٩٨٦م) ٢/٥٠٥.

(٢) صحيح مسلم: ، كتاب المساقاة، باب من استسلف شيئاً، فقضى خيرًا منه ٣/١٢٢٤، رقم الحديث ١٦٠٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب السلم، باب السلم في وزن معلوم، ٣/٤٤.

لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك)[1].

٤ – السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه.

ومـــنه قول الرسول ﷺ: (..فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي..)[2].

٥ – السلْف -بسكون اللام- من التمر: الجراب الضّخم[3].

وقـــال النووي[4] في معنى السلف: "السلف : المتقدّم"[5]. وقال ابن حجر[6]: أي

(١) صـــحيح مســـلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام ١٩٠٥/٤، رقم الحديث ٢٤٥٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ١٧٩/٣.

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر. أبي السعادات المبارك بن محمد الجلاري ابن الأثير. تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي (المكتبة الإسلامية) ٣٩٠/٢.

(٤) هو يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، علاّمة بالفقه والحديث، ولـــد في نوابسوريه سنة ٦٣١هـــ له مصنّفات كثيرة ومشهورة منها "شرح صحيح مسلم" توفي سنة ٦٧٦هـــ (انظر: الأعلام ١٤٩/٨).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها. ٧/١٦.

(٦) هـــو أحمـــد بـــن علي بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، اصله من عسقلان بفلسطين، ولد سنة ٧٧٣هـــ وتوفي سنة ٨٥٢. (انظر: الأعلام ١٧٨/١).

الصحابة فمن بعدهم"[١].

وأنسب هذه الإطلاقات لما نحن بصدده هو الثالث الذي: بمعنى التقدّم.

رابعاً : السلف في اصطلاح العلماء :

- لقد اختلفت آراء وأقوال العلماء في تحديد مفهوم السلف إلى عدة أقوال ومن أشهرها:

١ - من رأى أنهم الصحابة فقط. وممّن ذهب إلى ذلك القلشاني[٢] في شرح رسالة أبي زيد القيرواني[٣].

٢ - ومن رأى أنهم الصحابة والتابعون. وممّن ذهب إلى ذلك الغزالي[٤] في قوله:

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١(القاهرة: دار الرياض للتراث – ١٤٠٧هـ)، كتاب الجهاد والسير، باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة. ٦/٧٨.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبدالله أبو العبّاس القلشاني، قاضي تونسي، من فضلاء المالكية، توفي سنة ٨٦٣هـ. (انظر : الأعلام: ١/٢٢٩).

(٣) انظر : تحرير المقالة من شرح الرسالة: أحمد بن محمد القلشاني ق٣٦ (مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة برقم ٦٠٤) .

(٤) هو أبو حامد محمد بن محمد أحمد الطوسي، الغزّالي ولد سنة ٤٠٥هـ فيلسوف ، متصوف من أشهر مصنّفاته إحياء علوم الدين، توفي سنة ٥٠٥ بطابران (انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢ ، وترتيب الأعلام على الأعوام ، زهير ظاظا (بيروت : دار الأرقم –١٩٩٠م) ص٣٥٢).

"اعـــلم أن الحـــق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين"[١].

٣ - ومـــن رأى أنهم أصحاب القرون الثلاثة. وممّن ذهب إلى ذلك ابن رجب[٢] بقولـــه: ".. وفي زمانـــنا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشـــافعي وأحمـــد، وإسحاق، وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة"[٣].

٤ - ومـــن رأى أنهم: "ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممّن شهد له بالأمانة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية

---

(١) الجـــام العـــوام عن علم الكلام: أبو حامد محمد الغزالي. تحقيق محمد المعتصم بن البغدادي ط١ (بيروت الكتاب العربي –١٤٠٦) ص٥٣.

(٢) هـــو الحـــافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفتوح عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن رجـــب الـــبغدادي الحنبلي اشتهر بابن رجب. ولد سنة ٧٣٦هـ في بغداد من مصنّفاته جامع العلوم والحكم وذيل طبقات الحنابلة، توفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ.
(انظـــر ترجمـــته: في الأعلام ٣/٢٩٥، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحاله ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة –١٤١٤هـ) ٢/٧٤-٧٥).

(٣) فضـــل عـــلم السلف على علم الخلف. عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب. تحقيق يحيى مختار غزاوي. ط١ (دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣هـ) ص٦٠.

والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء." وهذا قول الإمام السفاريني رحمه الله[1][2].

وإزاء هـذا التباين والاختلاف بين هذه الآراء فإنه يلزمنا القيام بالتحليل والمناقشة حتى يتبين القول الراجح في تحديد من الذي يصدق عليه إطلاق وصف "السلف".

المناقشة والتحليل:

أولاً: عندما يقال إن السلف هم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين أي أصحاب القرون المفضلة، وهو ما ذهب إليه أصحاب الأقوال الثلاثة الأول، هؤلاء يستدلون، ويستأنسون بقوله ﷺ: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم....) الحديث[3].

عندئذ يحق لنا أن نتساءل: هل كان المجتمع الإسلامي آنذاك مقصوراً على هؤلاء فقط دون غيرهم؟

كلاّ!.

(١) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد سنة ١١١٤هـ وتوفي بنابلس سنة ١١٨٨هـ (انظر ترجمته: الأعلام ٦/١٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية. محمد أحمد السفاريني. ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي. الرياض: دار الخاني – ١٤١١هـ) ١/٢٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٤/١٨٩).

إنـــنا نجـــد طوائف، وفرقاً نشأت في هذه الفترة الزمنية، كالخوارج، والشيعة، والقدريـــة، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة وغيرهم، جلبت على الأمة الإسلامية الشقاق والفرقة، واختلاف الكلمة فهل يشمل وصف "السلف" هؤلاء أيضاً؟

الجواب: قطعا بالنفي. إذن يلزمنا تقييد هذا الاسم، وعدم قصره على فترة زمنية بعينها.

فالسبق الزمني ليس وحده كافياً في تعيين السلفي، غير أنه لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف والرجوع إلى أقوال رجال هذه الفترة الزمنية، وإلى فهمهم عند الاخـــتلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم، ولا يعني هذا حصر مذهب السلف في هـــؤلاء، لأن كل من قال بقولهم فهو على مذهب السلف وإن تأخّر ما لم يرم ببدعة[1].

ثانيا: أمّـــا القـــول الرابع، قول الإمام السفاريني رحمه الله ، فقد رسم للسلفية خطاً واضـــح المعالم؛ لأنه احترز وقيّد من شُهد له بالإمامة، ولم يرم ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي. وهذا القول هو الراجح والله أعلم.

ونستطيع من خلال ما سبق أن نحدّد مفهوماً دقيقاً للسلف بحيث يشمل:-

١ - الـــتحديد الزمني، ليشمل الصحابة، والتابعين، والتابعين لهم بإحسان. وهذا

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبدالرحمن بن صالح المحمود ط١ (الرياض مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – ١٤١٥هـ)١/٤٠.

البيان المنطلق والبداية لمذهب السلف(١).

وهو ما يطلق عليه "السلفية الزمانية"(٢).

٢ - أن الحجة في الفهم والمنطلق على ما كان موافقاً للكتاب والسنة وأجمع عليه الصحابة، والتابعون، وتابعوهم إلى يوم الدين، يقول اللالكائي(٣): "ما كان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ ثم صحابته الأخيار المتقين ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون"(٤)، وهو ما يطلق عليه "السلفية المنهجية"(٥).

---

(١) انظر: ن . م ١/٤٠.

(٢) انظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر. (البحرين. مكتب التربية العربي لدول الخليج – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ص ٢٢٧.

(٣) هبة الله بن الحسن بن منصور البري الرازي. أبو القاسم اللالكائي.
حافظ للحديث. من فقهاء الشافعية، من أهل طبرستان استوطن بغداد ومات في الدينور سنة ٤١٨هـ (انظر في ترجمته: الأعلام ٨/٧١).

(٤) شرح أصول اعتقادات أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي.
تحقيق أحمد بن سعد الغامدي. ط٣ (الرياض: دار طيبة –١٤١٥هـ) ١/٧.

(٥) انظر: ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ص ٢٢٨.

والخلاصة: أن السلف هم أهل القرون الثلاثة مع إقرار أن لا يكون صاحب بدعة وأمـــا مـــن جاء بعد القرون الثلاثة فإنه إذا كان على مذهب السلف فإنه ينسب إليهم فيقال "سلفي".

" التعريف بالقرن "

أولاً: تعريف القرن لغة :

- القـــرن: "القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر ينشأ بقوة وشدة... والقرن: الأمة من الناس"[١].

وقيـــل: "القرن أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي يقترن فيـــه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم... والقرن من الناس: أهل زمان واحد، والقرن الوقت من الزمان، وقيل: هو مطلق من الزمان"[٢].

ويقال: "قرنه في السن. وهو قرني أي على سني، والقرن: زمن معيّن"[٣].

ثانياً: تعريف القرن في القرآن الكريم:

ورد ذكـــر كـــلمة "قرن" بالقرآن الكريم ثلاث وثلاثين مرّة باختلاف اشتقاقات الكلمة[٤].

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/٧٦.
(٢) لسان العرب ١٣/٣٣٣، ٣٣٤.
(٣) أساس البلاغة ص ٥٠٤، ٥٠٥، وتاج العروس: محمد الزبيدي (بيروت: مكتبة الحياة) ٩/٣٠٥.
(٤) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: محمد إسماعيل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي) ص ٤٢٣.

والقـــرن: القـــوم المجتمعون في زمن واحد، والقرن أمة بعد أمة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [3][4].

والقـــرن: الأمـــة من الناس وجمعه قرون، فالقرن كل عالم في عصره وهو مدة من الزمن، ويطلق على الزمان نفسه، وعلى أهل العصر مهما طال زمانه[5].

مما سبق فإن القرن بهذه المعاني موافق لما جاء في اللغة.

---

(١) سورة يونس آية ١٣.

(٢) سورة مريم آية ٩٨.

(٣) سورة الفرقان آية ٣٨.

(٤) انظـــر: المفـــردات في غريب القرآن ص ٤٠١، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي.
تحقيق محمد علي النجّار (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي – ١٣٨٩هـــ) ٤/٢٦٠.

(٥) انظـــر: الجـــامع لأحكـــام القرآن ٦/٣٩١، وتفسير المنار: محمد رشيد رضا، ط٢(بيروت: دار المعرفة –١٣٩٣هـــ) ٧/٣٠٦، والمصحف الميسّر: عبدالجليل عيسى ط٥(القاهرة: دار الفكر – ١٣٩١هـــ) ص ١٦٣.

ثالثا: تعريف القرن في السنة النبوية:

ورد ذكر كلمة "القرن" في السنة النبوية عدة مرّات باختلاف الاشتقاقات[1].

منها حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (خير أمتي قرني ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم ....)[2] الحديث.

قـال ابـن حجر في الفتح، القرن: "أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمـور المقصورة. ويقال إن ذلك مخصوص إذا اجتمعت في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل، ويطلق القرن على مدة من الزمن" [3].

وقال أيضا: " إن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان"[4].

وقال ابن الأثير[5]: "القرون جمع قرن وهو الأمة في عصر من الأعصار كلما انقضى

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٥/٣٧٢.

(٢) سبق تخريجه: انظر ص٢٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/٧.

(٤) ن. م ٨/٧.

(٥) ابـن الأثـير : أبوالسـعادات ، المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد مجدالدين الشيباني الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير ، ولد سنة ٥٤٤هـ . من مشاهير العلماء في علم الأصول والنحو والحديث واللغة ، ذا دين متين ولزم طريقة مستقيمة ، كان من محاسن الزمان ، فقيهاً، محدثاً ، ورعاً ، ذا بر وإحسان .

عصر سمي أهله قرنا سواء طال أو قصر"[1].

وقـــال أيضاً في النهاية. القرن: "أهل كل زمان وهو مقدار التوسّط في أعمار كل زمـــان مأخوذ من الاقتران وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم"[2].

= مـــن مصنفاته : النهاية في غريب الحديث ، وجامع الأصول في أحاديث الرسول وغيرها كثير ، توفي رحمه الله سنة ٦٠٦هــ بالموصل .

انظر في ترجمته : (البداية والنهاية ٥٤/١٣ ، ومعجم المؤلفين ١٣/٣ ، شذرات الذهب ٢٢/٥ ، وفيـــات الأعيـــان ١٤٢/٤، ١٤١ ، الكامل في التاريخ ٣٠٢/٩ ، ومرآة الجنان ١٢/٤) . وسير أعـــلام النـــبلاء ، محمـــد بـــن أحمد الذهبي ، ط٩ (بيروت : مؤسسة الرسالة – ١٤١٣هــ) ٤٨٨/٢١، ٤٩١.

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول. المبارك بن محمد بن الأثير. تحقيق عبدالقادر الأرناؤط (مكتبة دار البيان – ١٣٩٢هــ) ٥٣٥/٨، ٥٤٧، ٥٤٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥١/٤.

تحديد القرن زمنياً :

تعــدّدت أقــوال أهل العلم في تحديد مدة القرن إلى عدة أقوال متباينة في الطول والقصر من أشهرها:

إن القــرن مدتــه عشر سنوات، وقيل عشرون، وقيل ثلاثون وقيل خمسون، وقيل ستون، وقيل سبعون، وقيل ثمانون، وقيل مائة، وقيل مائة وعشرون[(١)].

والذي عليه أكثر أهل العلم، والمشهور، أن القرن مائة سنة[(٢)].

أمّا تحديده زمنياً بالنسبة لما نحن بصدد الحديث عنه في هذا البحث ويكون الالتزام به إن شاء الله، فهو على النحو التالي:

أولا: مــن عــاش، ومات في القرن السادس: أي من سنة خمسمائة وواحدة إلى ستمائة للهجرة.

ثانياً: من كانت وفاته في تلك المدة المحدودة، وأن ولد قبلها.

ثالثاً: من قضى معظم حياته في تلك المدة، ويتجاوز عن سنوات قليلة بعد ستمائة.

---

(١) انظــر: تــاج العروس ٣٠٥/٩. والصحاح ٦/ ٢١٨٠. ولسان العرب ٣٣٣/١٣ وفتح الباري ٦٠٥/٧. والــنهاية في غريب الحديث ٥١/٤. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. عبدالحق ابن عطية ط١١(الدوحة: دار العلوم – ١٤٠٣هــ) ١٢٩/٥.

(٢) انظــر: تاج العروس ٣٠٥/٩. ولسان العرب ٣٣٣/١٣. وترتيب القاموس المحيط. الطاهر أحمد الزاوي ط٢(عيسى حلبي) ٦٠٦/٣، وجامع الأصول ٥٣٤،٥٣٥/٨ ، والمحرر الوجيز ١٢٩/٥. والجامع لأحكام القرآن ٣٩١/٦.

" تعريف الصوفية "

أولاً : في اللغة :

- قيل: "الصوف للشاة، والصوفة أخص منه... وصوفة: أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن أدِّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم.

- قال الشاعر:

ولا يريمون في التعريف[1] موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

- "وكبش صاف، أي كثير الصوف.. وصاف السهم عن الهدف يَصُوفُ ويصيفُ أي عدل عنه، ومنه قولهم: صاف عنّي شرّ فلان، وأصاف الله عنّي شرّه"[2].

ومن هذا النص يتبين أن كلمة الصوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما أنها تأتي بمعنى عدل ومال.

---

(١) أي عرفات: (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٣٨٩/٤).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٣٨٨/٤، ١٣٨٩.
وانظر لسان العرب: ٢٠٠/٩، والقاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر – بدون طبعة وتاريخ) ١٦٩/٣.

وقيـــل: "الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوفٌ وصائفٌ وصافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصـــوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته... وأمّا قوله: صاف عن الشرّ، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال"[1].

(١) مقاييس اللغة ٣/٣٢٢.

الأقوال حول نسبة الصوفية:

تعـــددت الأقـــوال حـــول نسبة الصوفية، واختلف الباحثون حولها. كما اختلف الصوفية أنفسهم في ذلك، فمن هذه الأقوال:

أ - النسبة إلى الصفة(١):

وممّن نقل هذا السهروردي(٢)(٣)، والهجويري(٤)(٥).

(١) أهل الصفة: كانوا فقراء يقدمون على رسول الله، ﷺ وليس لهم أهل ومال، فبنيت لهم صفّة في شمالي مسجد رسول الله ﷺ، يترل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب يترلون عندهم، وهم معروفون بالعبادة.
انظـــر: تلبيس إبليس عبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق د. السيد الجميلي. ط٦(بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٣هـ) ص ٢٠١، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧هـ) ص ١٢.

(٢) هـــو عمـــر بـــن محمد بن عبدالله بن محمد شهاب الدين أبو حفص السهروردي، شيخ الصوفية بـــبغداد، صاحب كتاب "عوارف المعارف" توفي سنة ٦٣٠هـ (انظر: البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر) بدون طبعة وسنة نشره) ١٣/١٣٨.

(٣) انظـــر عـــوارف المعارف. عمر بن محمد السهروردي (القاهرة: مكتبة القاهرة - ١٣٩٣هـ) ص ٦٢، رقم الطبعة بدون.

(٤) هـــو أبـــو الحسن علي بن عثمان بن علي الغزنوي الجلابي الهجويري، صاحب كتاب "كشف المحجـــوب، تـــوفي بـــين سنتي ٤٦٥هـ و ٤٦٩هـ في لاهور. (انظر: الموسوعة الصوفية. د. عبدالمنعم الحنفي ط١ (القاهرة: دار الرشاد - ١٤١٢هـ) ص ٤٠١.

(٥) انظر: كشف المحجوب. علي بن عثمان الهجويري. دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديـــل =

والكلاباذي[(١)][(٢)].

وقد رُدّت لغويا من الهجويري[(٣)]، والسهروردي[(٤)]، والقشيري[(٥)][(٦)] ، و ابن الجوزي[(٧)]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[(٨)].

= مراجعة د. أمين عبد المجيد بدوي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر – ١٩٨٠) ص٢٢٧.

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الحنفي الكلاباذي، من علماء الصوفية، من أشهر مؤلفاته "التعرف لمذهب أهل التصوف" توفي سنة ٣٨٠هـ (انظر: الموسوعة الصوفية ص ٣٣٨).

(٢) انظر التعرّف لمذهب أهل التصوّف. أبي بكر محمد الكلاباذي ط٣(المكتبة الأزهرية للتراث – ١٤١٢هـ) ص ٢٢٧.

(٣) انظر: كشف المحجوب ص ٢٢٧، ٢٣٠.

(٤) انظر: عوارف المعارف ص ٦٢.

(٥) هو عبدالكريم بن هوزان القشيري الصوفي، صاحب كتاب "الرسالة القشيرية" ولد سنة ٣٧٥هـ، من شيوخ الصوفية، مات سنة ٤٦٥هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٧/١٨).

(٦) انظر: الرسالة القشيرية في علم التصوّف. عبدالكريم بن هوزان القشيري. تحقيق ودراسة هاني الحاج (المكتبة التوفيقية) ص ٣٨٥.

(٧) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٠١، وانظر ترمة ابن الجوزي ص٤٦ هامش (٣).

(٨) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العبّاس، محدث، حافظ، مفسّر، فقيه، مجتهد، مشارك في شتّى أنواع العلوم، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ، من مصنّفاته المشهورة "الفتاوي" و"منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية" وغيرها كثير جداً. (انظر: معجم المؤلفين ١٦٣/١.

وابـــن خلدون[١] في مقدمته[٢]، واللفظ لابن تيمية: " .. وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل صفّي"[٣] .

ومـــن الواضـــح أن ادعاء المتصوفة، ومن ذهب معهم اشتقاق (تصوّف) من صفّة المســـجد) يســـتهدف به ارتباط التصوّف في نشأته الأولى بعصور تاريخية متقدمة، بل يستهدف ارتباطه بعصر النبوّة، والزعم في نفس الوقت بأن الرسول ﷺ قد أقرّ منهجهم في الافـــتقار والاعـــتزال والـــتجرّد والتواكل المزعوم، وهذا زعم باطل لا يقبله عقل سليم[٤].

ويكفـــي في دحض هذا الرأي ورفضه أنه لا يوجد بين صحابة رسول الله ﷺ من يعتـــبر منهم –رضوان الله عليهم– أساساً في سلوكه لهذه الدعوة الصوفية. التي قسمت

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي الفيلسوف، المـــؤرخ العـــالم الاجـــتماعي، البحّاثه، ولد سنة ٧٣٢هـــ بتونس ، صاحب المقدّمة المشهورة "مقدمة ابن خلدون" توفي سنة ٨٠٨هــ بالقاهرة (انظر: الأعلام ٣/٣٣٠، والموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الإنجليزية ، فؤاد كامل ، وطلال العشري وعبدالرشيد الصادق ، وراجعها د. زكي نجيب محمود (بيروت : دار القلم) ص١٤.

(٢) انظـــر : مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون ، ط٦ (بيروت : دار القلم – ١٤٠٦هــ) ص٤٦٧.

(٣) انظر : الصوفية والفقراء. شيخ الإسلام ابن تيمية. تقديم د. محمد جميل غازي. (جدة: مكتبة المدني ومطبعتها) ص ١١.

(٤) انظر دراسات في الفرق. د. صابر طعيمة ط٢(الرياض: مكتبة المعارف – ١٤٠٤هــ) ص ٩٩.

أصحاب رسول الله ﷺ هذا التقسيم الذي جعل بعض أصحابه: متصوّفة وبعضهم غير متصوّف ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم[1].

كمـــا أن الثابت تاريخيا أن أهل الصفّة "هم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صـــفّة مســـجد رســـول الله ﷺ ؛ مثل أبي هريرة الدوسي، وأبي ذر الغفاري وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي –رضي الله عنهم–"[2].

ب – النسبة إلى الصفاء[3]:

قـــال الكلابـــاذي: قـــالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها"[4].

---

(١) انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا د. صابر طعيمة ط٢ (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع – ١٤٠٦هـ) ص٢٣.

(٢) شـــفاء السائل لتهذيب المسائل. عبدالرحمن بن أبي بكر محمد بن خلدون تعليق وتقديم. محمد بن تاويت الطبخي ص ١٧،١٦.

(٣) الصفاء: نقيض الكدر، وهو صفاء القلوب، وانشراح الصدور، ومصافاة المودة والإخاء. (انظـــر: المعجـــم الصـــافي في اللغة العربية. صالح أبي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد ط١ (١٤٠٩هـ) ص ٣٣٩ حرف الصاد.

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٦.

وقال بشر بن الحارث[١]: "الصوفي من صفا قلبه لله"[٢].

وقال أبو نعيم: [٣] "اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبادات من الصفاء والوفاء"[٤].

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "من قال: نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقّه أن يقال صفائية ولو كان مقصورا لقيل صفوية"[٥].

وقد ردّها أيضاً ابن خلدون لأن قياس اللغة يأباه[٦].

---

(١) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال المروزي، الزاهد الجليل توفي سنة ٢٢٧هـ.
(انظر: تقريب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تقديم محمد عوامه. ط٤ (سوريا: دار الرشيد – ١٤١٢هـ) ص ١٢٢.

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ٢٦.

(٣) هو أبو نعيم احمد بن عبدالله الأصفهاني، صاحب الحلية، ولد سنة ٣٣٦هـ، وتوفي بأصفهان سنة ٤٣٠هـ.
(انظر ترجمته في الطبقات الكبرى. عبد الوهاب بن أحمد المعروف بالشعراني ط١ (بيروت: دار الجيل – ١٤٠٨هـ) ٦٥/١.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني. (بيروت: دار الفكر ١٤١٦هـ) ١٧/١.

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ،طبعة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين). ٣٦٩/١.

(٦) انظر: مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

جـ - النسبة إلى الصفّ[1]:

قيـــل: "إنّمـــا سمّوا صوفية، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع همهم إليه، ووقوفهم بسرائرهـم بين يديه"[2].

قـــلت: وفي هذا تزكية للنفس وقد نهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿**فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُـــوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[3]، وقد اعترض القشيري على هذه التسمية بقوله: ".. ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[4].

كمـــا ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النسبة بقوله: ".. وهو أيضا غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفّي"[5].

---

(١) يقصـــد الصـــوفية بهـــذه النســـبة أنهم في الصف الأوّل المقدم بين يدي الله تعالى في عباداتهم، وسلوكهم، وأحوالهم.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٦-٢٧.

(٣) سورة النجم آية ٣٢.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٣٨٥.

(٥) الصوفية والفقراء ص ١١.

د – النسبة إلى صوفه[1]:

قال صاحب اللسان: "الصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت الحرام وهم الصوفانة"[2].

وبمـثل ذلـك قال ابن الجوزي[3]: ".... أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال لـه صوفه.

---

(١) صـوفه بن بشر: هو صوفه أبو يحيى من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم، كانوا يجاورون مكة من الزمن القديم وهم قبيلة من العرب.

(انظر:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء١/١٧، ولسان العرب لابن منظور٩/٢٠٠مادة "صوف").

(٢) لسان العرب ٩/٢٠٠.

(٣) ابـن الجـوزي: هو عبدالرحمن بن علي بن محمد، الجوزي القرشي البغدادي، أبوالفرج، الإمام الواعظ المفسر، ولد ببغداد سنة ٥٠٨هـ، نسبته إلى مشرعة الجوز، وهي محلة ببغداد، كان رأساً في الوعظ، إماماً في التفسير، علاّمة في السير والتاريخ، لـه آراء شاذة في الصفات، يميل فيها إلى رأي المعطـلة، لـه مؤلفات كثيرة، منها: زاد المسير في علم التفسير، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وتلبيس إبليس وغيرها كثير جداً، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ.

انظـر: الذيـل على طـبقات الحنابـلة لابن رجب، تخريج أحاديث أبوحازم أسامة بن حسن، وأبوالزهـراء عـلي بهجت ط١(بيروت": دار الكتب التعلمية-١٤٠٧هـ)٣/٣٣٦، وشذرات الذهـب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ط٢ (بيروت:دار المسيرة،١٣٩٩هـ)٤/٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٧٤، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيـق: د. إحسـان عباس (بيروت:دار صادر، ١٩٦٩م) ٣/١٤٠، والبداية والنهاية ١٣/٢٨، ومـرآة الجنان تأليف عبدالله اليافعي ط٢(القاهرة:دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ)٣/٤٨٩، والأعلام خير الدين الزركلي ط١٠ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)٣/٣١٦. وعن غزارة عـلمه -رحمـه الله- انظـر: قراءة في مؤلفات ابن الجوزي، د: ناجية عبدالله إبراهيم (بغداد: منشـورات وتوزيع المكتبة العالمية-١٩٨٧م)، ومؤلفات ابن الجوزي، عبدالحميد العلوجي ط١ (الكويت، مركز المخطوطات-١٤١٢هـ).

فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية"[1].

وقـــد ردّ هـــذه التسمية شيخ الإسلام بن تيمية بقوله ".. فإنه ضعيف أيضا، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النسّاك، ولأنه لو نسب النسّاك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلّم باسم الصـــوف لا يعـــرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية، ولا وجود لها في الإسلام"[2].

هـ - النسبة إلى الصوف:

وممّن نقل هذا عن الصوفية السراج الطوسي[3][4]، والكلاباذي[5]، والهجويري[6].

ويؤيد هذه النسبة السهروردي بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"[7].

---

(١) تلبيس إبليس ، ص ١٩٩.

(٢) الصوفية والفقراء ص ١٢.

(٣) هـــو عبدالله بن علي الطوسي، أبو نصر السراج: زاهد، كان شيخ الصوفية، له كتاب "اللمع في التصوّف"، توفي سنة ٣٧٨هـ (انظر: الأعلام ٤/١٠٤).

(٤) انظر: اللمع في التصوّف. أبي نصر عبدالله السراج الطوسي. تحقيق عبدالحليم محمود. (مصر: دار الكتب الحديثة - ١٣٨٠هـ) ص ٤٠-٤١.

(٥) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٧، ٢٨.

(٦) انظر كشف المحجوب ص ٦٠.

(٧) عوارف المعارف ص ٦٠.

ثم يذكر أن هذا الاختيار ملائم من حيث الاشتقاق اللغوي، لأنه يقال "تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص"[٢].

وممّن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"[٣].

كما اختار هذا القول ابن خلدون بقوله : قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصّون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"[٤].

و – النسبة إلى سوفيا اليونانية[٥] :

ممّن مال إلى ذلك البيروني[٦] بقوله: "أنهم منسوبون إلى "السوفية" الحكماء القائلون

---

(١) عوارف المعارف ص ٦٠.

(٢) ن. م ص ٦١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٦٩/١٠.

(٤) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٥) سوفيا: معناها باليونانية: الحكمة.

(٦) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ فيلسوف رياضي، مؤرّخ من أهل خوارزم، توفي سنة ٤٤٠هـ (انظر ترجمته في الأعلام ٢٠٥/٦).

بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسمّوا باسمهم"[1].

كمـا حـاول جـرجي زيدان[2] أن يربط بين الكلمة العربية "الصوفية" والكلمة اليونانية "سوفيا فيقول: "وعندنا أنها مشتقة من لفظة يونانية الأصل هي صوفيا" ومعناها الحكمة... فيكون الصوفية قد لقّبوا بذلك نسبة إلى الحكمة، لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونـه أو يكتبونه بحثا فلسفيا ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد ترجمة كتب اليونان ودخول لفظة الفلسفة منها"[3].

لكـن هـذه المحاولة استبعدها البعض لأسباب لغوية ذلك أن حرف (س) اليونانية نقلـت إلى العربـية مكانها (س) لا (ص) كما أنه لا يوجد في اللغة الآرامية كلمة تعد واسطة لانتقال سوفيا إلى صوفي[4].

ومن خلال ما سبق فالراجح هو النسبة إلى الصوف لأسباب منها:

---

(١) تحقـيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – ١٣٧٧هـ) ص ٢٤، ٢٥.

(٢) هو جرجي بن حبيب زيدان، ولد في بيروت سنة ١٢٧٨هـ، وتوفي في القاهرة سنة ١٣٣٢هـ وهو كاتب نصراني. (انظر ترجمته في الأعلام ٢/١١٧).

(٣) تاريخ آداب اللغة العربيّة ط١ (بيروت: دار الفكر – ١٤١٦هـ) ٢/٣٦٤

(٤) انظـر تاريخ التصوّف في الإسلام د. قاسم غني، ترجمة : صادق نشأت ، مراجعة د. أحمد ناجي القيسـي ود. محمد مصطفى حلمي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية – ١٩٧٠م) ص ٦٧-٦٨ بدون رقم الطبعة.

١ - لأن في ذلك علامة على الزهد، لما فيه من الخشونة المعروفة.

٢ - موافقته للغة.

٣ - ولأن هذا القول قد رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

والله أعلم

ثانياً: الصوفية في القرآن والسنة:

مهما كان الرأي حول أصل كلمة الصوفية ومدلولاتها، فإنه لا يوجد لها أثر في الكتاب والسنة، و لم يتكلّم بها أحد من الصحابة أو التابعين.

ولكن وردت كلمة "أصوافها" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**﴾[١].

وهذه الكلمة بهذا الاشتقاق بعيدة عن موضوع بحثنا هذا.

كما أنها وردت في السنة النبوية باشتقاقين هما "صوف"، و"صوفه"[٢].

ولهذا ذكر بعض الصوفية وغيرهم أن الكلمة مدار البحث مشتقة منهما[٣].

---

(١) سورة النحل آية ٨٠.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٣/٤٤٣، ٤٤٤.

(٣) راجع النسبة إلى "صوفة" ص٤٦، والنسبة إلى "الصوف" ص٤٧.

ثالثاً: تعريف التصوّف اصطلاحاً:

- تعـــدّدت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم واختلاف الصوفية حول هذا المعنى، لا يقلّ عن اختلافهم الكبير حول أصله في اللغة، إذ احتشدت به كتبهم حتى تجاوز تعريفه المائة عند بعضهم[١] -حسب زعمه-، وزادت تعاريفه عن الألف عند البعض[٢]، بل قال بعضهم[٣] أنها زهاء الألفين.

وهنا عدّة أقوال تناولت هذا التعريف:

القول الأول: عند الصوفية:

يقـــول معـــروف الكـــرخي[٤]: "التصوّف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي

(١) انظر: اللمع ص ٤٧.

(٢) انظر: عوارف المعارف ص ٥٨.

(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوّف ص ٩.

(٤) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، ويقال معروف الفيرزان يلقب بالزاهد، معروف بالورع، تـــوفي ســـنة ٢٠٠هــــ، وقـــبره ظاهر في بغداد. (انظر ترجمته في صفة الصفوة لأبي الفرج بن الجـــوزي، تحقـــيق محمود فاخوري. تخريج أحاديثه د. محمد رواس قلعجي. ط٢ (بيروت : دار المعـــرفة - ١٣٩٩هـــ) ص ٣/٣١٨، وطبقات الصوفية. أبي عبدالرحمن السلمي. ترتيب أحمد الشرباصي (مطابع الشعب - ١٣٨٠هـ) ص ٢١.

الخلائق"[١].

ويقول الجنيد[٢] وقد سئل عن التصوّف: "أن تكون مع الله بلا علاقة"[٣].

ويقول أيضا هو: "أن يمتك الحق عنك ويحييك به"[٤].

وقد عرفه سمنون[٥] بقوله: "التصوف هو أن لا تملك شيئا ولايملكك شيء"[٦].

وللتصوف تعاريف عند ذي النون[٧][٨]، وأبو عمرو الدمشقي[٩][١٠]،

(١) عوارف المعارف ص ٥٤.

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، توفي سنة ٢٦٧هـ (انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٤/٦٦).

(٣) عوارف المعارف ص ٥٤.

(٤) ن .م ص ٥٧.

(٥) أبو الحسن سمنون بن حمزة، ويقال سمنون بن عبدالله بن الخواص، من كبار مشايخ العراق، توفي بعد الجنيد (انظر ترجمته: في طبقات الصوفية ص ٤٥).

(٦) اللمع ص ١٥.

(٧) أبو الفيض ذو النون المصري. اسمه ثوبان بن إبراهيم، توفي سنة ٢٤٥هـ (انظر ترجمته: في طبقات الصوفية ص ١٠، والطبقات الكبرى. ١/٧٠.

(٨) انظر طبقات الصوفية ص ١٠ ، عوارف المعارف ص ٥٧.

(٩) أبو عمرو الدمشقي، من مشايخ الشام الصوفية، توفي سنة ٣٢٠هـ (انظر طبقات الصوفية ص ٦٥).

(١٠) انظر طبقات الصوفية ص ٦٦، والطبقات الكبرى ص ١٠١.

والشبلي[1][2]. والحصري[3][4]والغزالي[5].

وقد عرّفه البعض بأنه كله اضطراب[6].

ومـــن وجهة نظري فإن الاختلاف الملحوظ بين هذه التعاريف الصوفية مرده، أن الصـــوفية لما كانوا أصحاب وجد وذوق، تكلّم به وعرّفه كل واحد منهم بما يروق له. وكمـــا هـــوا واضح أيضاً فإن هذه التعريفات يكتنفها الفوضى، وتطغى عليها الرمزية والإشارات العامة غير المفهومة.

والملاحظ أن تعريف التصوف عند الصوفية يختلف من عصر إلى آخر، نتيجة لعدم استطاعة القوم، تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، حتى أخذ ينحو منحى خطيراً كلما تقدّم به الزمن.

---

(١) أبـــو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ويقال اسمه جعفر بن يونس، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشـــأ، تـــوفي ســـنة ٣٣٤هـــــ، ودفن في مقبره الخيزران (انظر: طبقات الصوفية ص ٨٢، والطبقات الكبرى ١/١٠٣).

(٢) انظر: طبقات الصوفية ص ٨٢.

(٣) أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري، بصري الأصل، سكن بغداد شيخ الطرق ولسانها، توفي في بغداد سنة ٣٧١هــ. (انظر: طبقات الصوفية ص ١٢٠).

(٤) انظر طبقات الصوفية ص ١٢٠.

(٥) انظـــر: المـــنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال. أبي حامد الغزالي تحقيق ودراسة. د. سميح دغيم (بيروت: دار الفكر) ص ٥٧.

(٦) انظر: عوارف المعارف ص ٥٩.

يقول الواسطي[1]: "كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات"[2].

القول الثاني: تعريف التصوّف عند غير الصوفية:

وكما لاحظنا فيما سبق، الاختلاف في تعريف التصوّف عند رموز الصوفية، فإن هذا الاختلاف في مدلول التصوّف نجده أيضا عند بعض علماء السلف وبعض المتكلّمين والفلاسفة والباحثين، ولا يسعنا هنا إلا أن نعرض بعضاً من أقوال هؤلاء:

١ - عند ابن الجوزي: التصوف هو : "طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"[3].

٢ - عند ابن خلدون: يقول: " وأصلها - أي طريقة التصوّف - العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد

(١) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أصله من فرغانه، من أصحاب الجنيد والنوري، من علماء مشايخ الصوفية، توفي بمرو بعد العشرين وثلاثمائة من الهجرة. انظر طبقات الصوفية ص ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى ١/١٠٠.

(٣) تلبيس إبليس ص ١٩.

فـــيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة. وكـــان ذلـــك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القـــرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوّفة"(١).

٣ - عـــند ابن سينا(٢): في معرض تفريقه بين الزاهد والعابد والصوفي يقول ابن سيناء أن الصوفي الذي يُطْلَقُ عليه العارف – هو المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق بأسره(٣).

٤ - عـــند عمر فروخ: يقول: "الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا، ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم استقرّت اتجاها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة"(٤).

---

(١) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سيناء، شرف الملك: الفيلسوف، الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات، والإلهيات، أصله من بلخ، إحدى قرى بخارى نشأ وتعلّم فيها، مولـــده ســـنة ٣٧٠هـــــ، تـــوفي سنة ٤٢٨هـــ بهمذان (انظر : ترجمته في الأعلام ٢٤١/٢، والموسوعة الصوفية ص٢٢٣، والموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٦) .

(٣) انظر: الإشارات والتنبيهات لأبي على بن سينا، تحقيق د. سليمان دنيا، ط٢ (مصر: دار المعارف – ١٩٨٦م) ٥٧/٤، ٥٨. والعارف : تعبير صوفي اختص به الصوفية دون غيرهم .

(٤) تاريخ الفكر العربي د. عمر فرّوخ (بيروت: دار العلم للملايين – ١٣٩٢هــ) ص ٤٧٠.



٥ - ولابن تيمية رأي حول ذلك فهو يقول: "أن الناس تنازعوا في طريقتهم – أي الصوفية- فطائفة ذمت التصوف والصوفية وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فيهم وادّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ويرى ابن تيمية رحمه الله أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، ومنهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ويرى ابن تيمية أن من المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة[1].

ويتضّح من هذا النص أن ابن تيمية رحمه الله لم يتجنّ على الصوفية وإنما حكم بأنهم مجتهدون في طاعة الله والمجتهد عرضة للخطأ، وذلك لابتداعهم وخروجهم عن اتباع السنة، كما أنه رحمه الله أوضح صراحة أنه قد انتسب إلى هؤلاء طوائف من أهل البدع والخرافات والزندقة وهؤلاء هم المعنيون في هذا البحث، والذين نحن بصدد بيان جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على ضلالاتهم وانحرافاتهم العقدية والسلوكية.

(١) انظر: الفتاوي ١١/١٨،١٧.

ثانيا : حالة الأمة السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية في القرن السادس الهجري

" الحالة السياسية"

اضطربت الأوضاع السياسية في القرن السادس نتيجة ضعف بعض الخلفاء وانقسام الخلافة إلى دويلات هنا وهناك، وكثرة الطامعين في السلطة من الأعداء لاسيما الباطنية والصليبيين هذا ما سأتناوله:

أولا: حالة الدولة العبّاسية:

من المعلوم تاريخيا أن الدولة العباسية قامت على أنقاض الدولة الأموية[1] عام ١٣٢هـ، واستمرت في الخلافة أكثر من أربعة قرون، ثم سقطت بسقوط بغداد عام ٦٥٦هـ على يد التتار[2]، وذلك في عهد الخليفة المستعصم[3] آخر خلفاء الدولة العبّاسية في بغداد.

(١) الدولة الأموية: مؤسسها معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- الذي يرجع نسبه إلى أميّة بن عبد شمس بن عبدمناف بن قصي. ظلّت الخلافة الأمويّة من سنة ٤١هـ وحتّى سقوطها عام ١٣٢هـ.

(انظر: تاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم حسن ط٧ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م) ١/٢٧٦.

(٢) التتار: شعب بدوي يعيش على أطراف صحراء "غوبي" خرجوا من أطراف بلاد الصين، وهم سكّان براري، ومشهورون بالشر والغدر، حياتهم رعونة، نظامهم قبلي. يعبدون الكواكب، ويسجدون للشمس أثناء شروقها. يأكلون لحوم الحيوانات، يحبون الحرب والسلب، وتنتشر عندهم الإباحية، وهم أصل القبائل المتفرّعة عنهم جميعا من مغول وترك وسلاجقة ، من طغاتهم المشهورين جنكيز خان وهولاكو . (انظر : تاريخ الخلفاء جلال السيوطي ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية) ص٣٧٦ ، والتاريخ الإسلامي محمود شاكر ط١ (بيروت : المكتب الإسلامي -١٤٠٥هـ) ٢/٣٤٦ .

(٣) المستعصم: هو أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله ابن المستنصر ابن الظاهر ابن الناصر ابن المستضيئ آخر الخلفاء العباسيين، ولد سنة ٦٠٩هـ، بويع له بالخلافة بعد وفاة والده =

وكـــان العصر العبّاسي الثاني، والذي بدأ من عام ٢٣٢هـــ وحتى ٦٥٦هـــ عصر ضـــعف وانحـــلال، كـــان فـــيه العباسيون تحت سيطرة الأتراك[١] ، وبني بويه[٢] ، ثم

= ســـنة ٦٤٠هـــ، ولم يزل خليفة إلى أن قتل بين يدي هولاكو سنة ٦٥٦هـــ وبقتله انتهت الخلافة العبّاسية، كان متديّنا، خيّراً متمسكاً بالسنة؛ إلا أنه لم يكن يقظا ولا حازماً.

انظـــر: تـــاريخ الخلفـــاء ص٣٧١، وتاريخ الأمم الإسلامية: محمد الخضري بك (مصر: المكتبة التجارية الكبرى – ١٩٧٠هـــ) ص ٤٨٠.

(١) الأتـــراك: اشـــتراهم الخلـــيفة العبّاسي المعتصم سنة ٢٢٠هـــ، من سمرقند وفرغانة، وبذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب، وأمعن في شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية آلاف مملوك، وقيل ثمانية عشر ألفا، وهو الأشهر.

(انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : يوسف بن تغري بردي الأتابكي ١٣٨٣هـــ- ٣٣٣/٢) .

(٢) بـــني بويه: ينتسب بنو بويه إلى بهرام بن يزدجرد، من ملوك آل ساسان وكان أبوهم أبو شاجع بويه فقيرا، معدما، من أهالي بلاد الديلم وكان بنو بويه من الشيعة المغالين، ولذا كانوا لا يعترفون بحـــق الخليفة العبّاسي في السيادة على جميع العالم الإسلامي، وقد عمل سلاطين بني بويه على أن يكونـــوا مطلقـــي التصـــرّف في العامة، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاص الخلفاء العباسيين، وانـــتقاص حقوقهـــم. كانت فترة حكمهم من سنة ٣٣٤هـــ- ٤٤٧هـــ، وأوّل سلاطينهم معز الدولة أبو الحسين أحمد، وآخرهم الملك الرحيم أبو نصر الذي قضى عليه طغر لبك السلجوقي.

(انظـــر : الـــتاريخ الإســـلامي العـــام ، عـــلي إبراهيم حسن (مصر : مكتبة النهضة المصرية) ص٤٥٠، ٤٥٢) ، وتاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم ٦٣/٣) .

السلاجقة[1]. وكان الخلفاء العباسيون كالريشة في مهب الريح، يتوقف بقاء كل منهم على العــرش حسب رغبة المسيطرين عليهم من الأتراك وسلاطين البويهين، والسلاجقة حتى كثر تسلّط الغلمان والنساء على شئون الخلافة، وفقدت السلطة الفعلية في القرن الخامس الهجري، حيث كان الاضطراب شديدا، للتصرفات التي كانت تصدر من الأمراء أصحاب الدويلات من العرب ومن غير العرب المسالمين للخلافة والمعادين لها، وكأنهم أصحاب الرأي غير ملقين إلى الخلــيفة بالا، إلا في الاحترام الظاهر، وأعظم ما اضطربت الأحوال في الدولة العباسية في القرن الخامس الهجري، ما قامت به الباطنية[2] من اغتيالات للقادة والزعماء والفقهاء في الدولة العباســية، أضـــف إلى ذلـــك ظهـــور كثير من بدع الملاحدة والزنادقة كالراونديـــة[3]،

(١) السلاجقة: سوف يتم التعريف بهم عند الحديث عنهم لاحقا إن شاء الله.

(٢) الباطنـــية: لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معـــان باطنة لها، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة، مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية. وهم يسمون الإسماعيلية والقرامطة والخرمـــية، والبابكـــية، والسبعية، والتعليمية، ويقول الشهرستاني: "إن أشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً.

(انظـــر: الملـــل والنحل محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. تحقيق محمد سيّد كيلاني (بيروت: دار المعـــرفة – ١٤٠٢هـــ) ١٩٢/١، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين د. محمد أحمد جلي ط٢ (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – ١٤٠٨هـــ) ص ٢٦٥ "الهامش").

(٣) الراوندية: فرقة من فرق الروافض، وهم الذين زعموا أن النبي ﷺ نص على إمامة "العبّاس بن عبد المطّلـــب" ثم نـــصّ العبّاس على إمامة ابنه "عبد الله" ونصّ عبد الله على إمامة ابنه "علي" ثم ساقوا الإمامـــة إلى أن انتهوا بها إلى "أبي جعفر المنصور" وهؤلاء هم الراوندية، أتباع ابن الراوندي، نسبة إلى مدينة راوند "بفتح الواو" القريبة من أصفهان، والتي كانت مهد دعوتهم.

=

والخرمـــية[1] ، و أصـــحاب المقـــالات وطوائف المتكلمين كالمعتزلة[2] ، وظهور غلاة الصـــوفية، مما أدى ذلك إلى انقسام المسلمين شيعاً وطوائف يناهض بعضها بعضا، بل يحـــاول بعضها القضاء على الدولة نفسها، واستمرت الحال في القرن السادس الهجري بين مد وجزر حتى سقطت الدولة العباسية.

وسيتّضـــح ذلك الاضطراب والضعف من خلال عرض حياة الخلفاء العباسيين في

= (انظـــر: مقالات الإسلاميين. أبي الحسن علي الأشعري، تصحيح هلمون ريتر ط٣(بيروت: دار إحـــياء الـــتراث العربي) ص ٢١، وحول ذلك: التبصير في الدين. أبي المظفّر الأسفراييني، تحقيق كمـــال يوسف الحوت ط١(بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣هـــ) ص ٣٢، والفَرْق بين الفِرَق، عبد القاهر البغدادي تحقيق محمد فتحي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة) ص ٦٦).

(١) الخرمـــية: من فرق البدع التي تنتسب إلى الإسلام وهم صنفان: صنف كانوا قبل الإسلام، وهم المزدكية، كانوا يستحلون المحرّمات ويقولون أن الناس شركة في الأموال والنساء، وهؤلاء قتلهم أنو شروان في زمانه. وصنف ظهر في الإسلام كالبابكية نسبة إلى بابك الخرمي المجوسي الأصل، المازبارية نسبة إلى مازبار الفارسي الأصل. (انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٦٦، والتبصير في الدين ص ١٣٥).

(٢) المعتزلة: فرقة كلامية تعلي من شأن العقل وتقدّمه على النقل، وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعـــتزل مجلـــس الحسن البصري، وقرّر أن الفاسق في مترلة بين مترلتين: لا هو مؤمن ولا كافر. والمعـــتزلة تنفي صفات الله، ويقولون: أن القرآن مخلوق، وهم يلقبون بالقدرية لقولهم: إن الله – تعالى عن قولهم- ليس خالقاً لأفعال العباد و لم يقدرها.

(انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية – ١٣٩٨هـــ) ص ٢٧،٢٨، والتبصير في الدين ص ٦٧، ٦٨).

القرن السادس الهجري وهم على النحو الآتي:

١ - المستظهر بالله[١]: كانت خلافته من سنة ٤٨٧ - ٥١٢هـ وقد وقعت في أول عهده فتنة عظيمة بين السنة والروافض وظهرت أحداث عظيمة في البلاد الإسلامية، فالباطنية في الشرق، والصليبيون في الغرب. وبالجملة كانت أيامه مضطربة وكثيرة الحروب.

٢ - المسترشد بالله[٢]: تولى الخلافة سنة ٥١٣هـ واستمر خليفة حتى قتلته الباطنية سنة ٥٢٩هـ.

---

(١) المستظهر بالله: أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، ولد سنة سبعين وأربعمائة وبويع بالخلافة وهو ابن ست عشرة سنة، كان لين الجانب، كريم الأخلاق، يفعل الخير، ويسارع إلى البر، سخيا، جوادا، محبا للعلماء والصلحاء، ولم تصف له الخلافة، بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب. توفي سنة ٥١٢هـ وعمره إحدى وأربعين سنة، وخلافته أربعا وعشرين سنة.

انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (بيروت : دار صادر ودار بيروت -١٣٨٦هـ) ١٠/٥٣٤، ٥٣٥، تاريخ الخلفاء ص ٣٤٠، والنجوم الزاهرة ٥/٢١٦.

(٢) المسترشد بالله: المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدي بأمر الله، ولد سنة ٤٨٥هـ، كان شهما، شجاعا، ذا همة ومعرفة وعقل، وكان مشتغلا بالعبادة، قرأ القرآن وسمع الحديث مات سنة ٥٢٩هـ مقتولا، قتلته الباطنية عمره خمس وأربعون سنة، وخلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام.

(انظر: النجوم الزاهرة ٥/٢٥٧،٢٥٦، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨هـ) ص ٣٥٥، والبداية والنهاية ١٢/٢٠٨).

٣ - الراشد بالله[١]: بويع بالخلافة سنة ٥٢٩هـ، وصدرت فتوى بخلعه من الخلافة سنة ٥٣٠هـ، وفي عهده نشطت الرافضة.

٤ - المقتفي لأمر الله[٢]: تم اختياره من قبل السلطان مسعود السلجوقي[٣] بعد خلع الخليفة الراشد سنة ٥٣٠هـ، واستمر في الخلافة حتى سنة ٥٥٥هـ.

---

(١) الراشد بالله: أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله، ولد عام ٥٠٢هـ وخلع من الخلافة سنة ٥٣٠هـ، ومات مقتولا سنة ٥٣٠هـ ودفن بأصفهان . (انظر: الكامل ٦٢/١١) .

(٢) المقتفي لأمر الله: أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، ولد سنة ٤٨٩هـ، كانت خلافته ٢٤ سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوما، كان حليما كريما عادلا، حسن السيرة، من الرجال ذوي الرأي والعقل السديد، كان شجاعا، مقداما، مباشرا للحروب بنفسه، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شيء، وكان لايجري شيء في دولته إلا بتوقيعه، محباً للحديث والعلم، مكرما لأهله، توفي سنة خمس وخمسين وخمس مئة من الهجرة.

(انظر ترجمته في الكامل ٢٥٦/١١، وسير أعلام النبلاء ٣٩٩/٢٠، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي: دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطاء ومصطفى عبد القادر عطاء، مراجعة وتصحيح نعيم زرزور (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٤٤/١٨).

(٣) مسعود السلجوقي: السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، ولد سنة ٥٠٢هـ، كان رحمه الله حسن الأخلاق، كثير المزاح والانبساط مع الناس، كريما، عفيفا عن الأموال التي للرعايا، حسن السيرة فيهم، من أصلح السلاطين سيرة وألينهم أريكة، أراق الخمور من مساكن أصحاب السلطان، ملكا، جليلا، شجاعا، توفي بهمذان مصابا بالحمى سنة ٥٤٧هـ وعاش خمسا وأربعين سنة.

(انظر: الكامل ١٦٠،١٦١/١١)، النجوم الزاهرة ٣٠٣/٥، شذرات الذهب١٤٥/٤.

٥ - المستنجد بالله[١]: بويع بالخلافة سنة ٥٥٥-٥٥٦هـ، وفي عهده أذن للوعاظ بالوعظ، بعد أن كانوا قد منعوا فترة، وفي عهده أيضا أزال المكوس والمظالم وكان شديداً على أهل العبث والفساد والوشاية بين الناس.

٦ - المستضيئ بالله[٢]. بويع بالخلافة سنة ٥٦٦هـ، كان من خيار الخلفاء، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، مزيلا عن الناس المكوس (الضرائب)، محاربا البدع، وفي خلافته ضعف الرفض ببغداد، وانقرضت الدولة العبيدية بمصر على يد القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي[٣] الذي قطع

(١) المستنجد بالله: أبو المظفر يوسف ابن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله، ولد سنة ٥١٠هـ، كانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهرا وستة أيام، كان أسمر، تام القامة، طويل اللحية، كان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية، عادلا فيهم، كثير الرفق بهم. ذكيا، فصيحاً، فطناً توفي سنة ٥٦٦هـ.

(انظر الكامل ١١/٣٦٠، والنجوم الزاهرة ٥/٣٨٦).

(٢) المستضيئ بالله: أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله، ولد سنة ٥٣٦هـ كان عادلا، حسن السيرة في الرعية، كثير البذل للأموال، كان الناس في عهده في أمن وأمان وطمأنينة، لم يروا مثله، وكان حليماً، قليل المعاقبة على الذنوب، محبا للعفو والصفح عن المذنبين، وعاش حميداً، ومات سعيدا في بغداد ٥٧٥هـ، وكانت مدة خلافته تسع سنين، وعمره ست وثلاثون سنة.

(انظر: الكامل ١١/٤٥٩، والنجوم الزاهرة ٦/٨٥).

(٣) صلاح الدين: أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ولد في تكريت سنة ٥٣٢هـ المؤسس الحقيقي =

الخطبة للخليفة الفاطمي وأقامها للمستضيئ.

٧ - الناصـــر لدين الله[1]: بويع بالخلافة سنة ٥٧٥هـــ، ولم يزل خليفة حتى توفي سنة ٦٢٢هـــ، وفي عهده حاول الروافض إعادة الـــدولة العبيدية الشيعية[2].

= لـــلدولة الأيوبيـــة، هزم الصليبين في موقعة حطّين سنة ٥٨٣هـــ كان ملكا، شجاعا، مجاهدا عظيما، حلـــيما، كـــريما، حسن الأخلاق، متواضعا، صبورا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، كـــان مهاباً حازما، ورعا، زاهدا، ذا همة كبيرة في إقامة الجهاد حتى فتح الله عليه ونصر به دينه وقمع به أعداءه، توفي سنة ٥٨٩هـــ، وعمره سبع وخمسون سنة.

(انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٨/١٢، وتاريخ مختصر الدول ص ٣٨٨ ، وشذرات الذهب ٢٩٨/٤) .

(١) الناصـــر لدين الله: أحمد أبو العباس بن المستضيئ بأمر الله، ولد سنة ٥٥٣هـــ لم يل الخلافة أحد أطـــول مدة منه، فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة، قمع الأعداء، شديد الاهتمام بمصالح الملك، كان شهما، شجاعا، ذا فكرة صائبة، وعقل رصين، ومكر ودهـــاء؛ ولـــه

أصـــحاب أخبـــار في العراق وسائر الأطراف، يطالعونه بجزئيات الأمور. قيل أنه سيئ السيرة في الرعية، مائلاً إلى الظلم والعسف، توفي سنة ٦٢٢هـــ.

(انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩٢/٢٢) وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٨).

(٢) انظـــر ما سبق: المنتظـــم ١٩١/١٨، والبداية والنهاية ١٤٧/١٢، ٢٠٩، ٣٣١، وتاريخ الخلفاء ص ٣٤٠-٣٦٦، وتـــاريخ الأمـــم الإسلامية محمد الخضري بك ص ٤٣٠ - ٤٥٠، ٤٦٤- ٤٦٦).

هكـــذا بدت لنا حالة الخلفاء العباسين في هذه الفترة الزمنية. خليفة تنتهي خلافته بالقتل، وآخر بالخلع!.

وإنـــه عـــند التتبع والاستقراء لأحداث هذه الدولة في عصرها الثاني، يلاحظ أنها عاشـــت عصرا مليئاً بالاضطرابات والانقسامات السياسية؛ انعكس سلبا على وضعها الداخـــلي فَسُلِبَتْ إرادة الخليفة، وجُرِّد من الصلاحيات، وتم السيطرة عليه، حتى أصبح مجرّد اسم ولقب لا يملك من الأمر شيئاً.

ويذكـــر ابن كثير في حوادث سنة ٥٣٠هـــ: أنه وقع خلاف بين الخليفة الراشد والســـلطان مسعود السلجوقي، ودخل مسعود بغداد في غيبة الخليفة يوم الاثنين رابع شوّال، فاستحوذ على دار الخليفة واستخلص من نساء الخليفة وحظاياه والحلي والمصاغ والـــثياب التي للزينة، وجمع القضاة والفقهاء وأبرز لهم خط الراشد، وأنه متى خرج من بغـــداد لقتال السلطان، فقد خلع نفسه من الخلافة، فأفتى من أفتى من الفقهاء[1] بخلعه، فخلع يوم الاثنين ١٦/١١/٥٣٦هـــ بحكم السلطان وفتوى الفقهاء، واستدعي المقتفي ابن المستظهر، فبويع بالخلافة عوضاً عن ابن أخيه الراشد بالله[2].

وهذا فيه دلالة على ضعف الخليفة العبّاسي!.

---

(١) صاحب الفتوى: هو: القاضي محمد بن أحمد بن محمد، أبو طاهر الكوفي (ت ٥٥٦هـــ).
(انظر: المنتظم ١٨/ ١٥١).

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٢/٢١٠، والنجوم الزاهرة ٥/٢٥٨.

ثانيا: حالة دولة السلاجقة [1]:

يشـــكل السلاجقة حقبة مهمة في تاريخ الإسلام، وقد قامت دولتهم على أنقاض دولـــة البويهـــيين الشيعة في بغداد، وكانت الخلافة العبّاسية وقتئذ آيلة للزوال، بسبب الاضطرابات والضعف الذي أصاب خلفاؤها. والسلاجقة سنيوا المذهب، فعندما دخل طغرلبك[2] بغداد سنة ٤٤٧هـ أوضح سياسة دولته، والمتمثلة بالحرص والتأكيد على

(١) السلاجقة: طائفة من الأتراك "الغز" نزحت من تركستان وحطت رحالها في مناطق تقع بين بلاد مـــا وراء الـــنهر والبلاد التي كانت تسكنها طائفة "الخرلخ" التركية المسلمة، وباتت بذلك تجاور الدولـــة الإســـلامية التي استقلت في غيران "الساسانية والغزنوية والخانية" وتنسب السلاجقة إلى ســـلجوق بـــن دقاق أو "تقاق" أو "تاقاق" أحد رؤساء الأتراك الذي تولى قيادتها ووحّد كلمة أبنائها، والسلاجقة كثيروا العدد والعدة. يخشى خطرهم متمسكّون بالإسلام وتعاليمه، ويتقرّبون إلى أئمة المسلمين.

(انظر: السلاجقة في التاريخ والحضارة، د. أحمد كمال الدين حلمي ط١(الكويـــت: دار الـــبحوث العلمية – ١٣٩٥هـــ) ص ٢١، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة د. أحمد السعيد سليمان: (مصر: دار المعارف – ١٣٩٨هـــ) ١/٣١٤-٣١٨، والعالم الإسلامي في العصر العبّاسي د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم الشريف ط٥(بيروت: دار الفكر العربي) ص ٥٣٦).

(٢) طغرلـــبك: محمد بن ميكائيل بن سلجوق أبو طالب السلجوقي، الملقب ركن الدين طغرل بك أصـــل الســـلجوقية من برّ بخاري، ولد سنة ٣٨٥هـــ، لم يرزق ولدا وعاش سبعين عاما، كان حلـــيما، عـــاقلا، من أشد الناس احتمالا، متعبّدا متهجدا، محافظا على الصلوات، وصيام الاثنين والخميس، كريما، حليما، ضابطا، أزال ملك بني بويه وتوفي بالري سنة ٤٥٥هـــ.

=

جهاد الكفّار، وأهل المذاهب والملل المنحرفة، والولاء للخلافة العباسية، فهو يقول: إنه قصد الحضرة الشريفة للانتماء إليها وخدمتها، والمسير بعد ذلك إلى الحج، وإصلاح طريق مكة، وعمارة طريقه، والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصَر العلوي صاحبها، وإقامة الدعوة على منابرها لبني العبّاس(١).

لقد أثار السلاجقة الحمية التي فقدها المسلمون، فردوا البيزنطيين الغاصبين على أعقابهم، وأنشأوا جيلا قوي الإيمان ماض العزم هزم الصليبين(٢).

لهذا فقد اكتسب السلاجقة أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي، وظلّت دولتهم زهاء ثلاثة قرون في خراسان، وكرمان، والشام، والعراق، والأناضول(٣).

بعد وفاة طغرلبك، خلفه ألب أرسلان(٤) سنة ٤٥٥هـ، واشتهر وزيره المعروف نظام

= (انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ١٨/١٠٧، والكامل ١٠/٢٨، والنجوم الزاهرة ٥/٧٣، والأعلام ٧/١٢٠).

(١) انظر: الكامل ٩/٦٠٩، والمنتظم ١٥/٣٤٨.

(٢) في موقعة ملا ذكرد سنة ٤٦٣هـ ، والتي تعتبر نقطة تحول في التاريخ الإسلامي بصفة عامة (انظر : العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٥٨٨) . وهي بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم وتسمى أيضاً منازجرد . (انظر : معجم البلدان (٥/٢٠٢) .

(٣) انظر: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ١/٣١٤-٣١٨.

(٤) ألب أرسلان: السلطان الكبير، الملك العادل عضد الدولة، أبو شجاع، ألب أرسلان محمد بن السلطان بن جغريبك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق. من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم، =

الملـــك[1] بحنكـــته السياسية والعسكرية والفكرية، فلما توفي ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـــ، خلفـــه ملكشـــاه[2]، الذي استمر حكمه حتى سنة ٤٨٥هـــ واستمر معه الوزير نظام

= اسمـــه بالعربـــية محمد وبالتركي ألب أرسلان. أول من لقب بالسلطان من بني سلجوق، كان ملكا، مطاعا، شجاعا، عادلا، توفي سنة ٤٦٥هـــ وعمره أربعون سنة.

(انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ٤١٤/١٨، والنجوم الزاهرة ٩٢/٥).

(١) نظـــام الملـــك: أبـــو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العبّاس الملقّب نظام الملك، قوام الدين الطوسي، ولد بنوقان إحدى مدينتي طوس سنة ٤٠٨هـــ كان من أولاد الدهاقين بناحية "بيهق" مـــن نواحـــي نيسابور خدم السلطان ألب أرسلان ومن بعده ابنه السلطان ملكشاه، كان عالما جوادا، عادلا، حليما، مجلسه عامر بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين، قام ببنـــاء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، أسقط المكوس والضرائب، يقرب الفقراء إليه ويدنيهم. مات بالقرب من نهاوند مقتولا سنة ٥٨٥هـــ. قتله صبي ديلمي من الباطنية في زي الصوفية، جاءه على صورة مستغيث وضربه بسكّين كانت معه يخفيها، عمره سبع وسبعون سنة.

(انظر ترجمته: الكامل ٢٠٩/١٠، ٢٠٨، وفيات الأعيان ١٢٨/٢، ١٣١، وشـــذرات الذهـــب ٣٧٣/٣-٣٧٥، والـــنجوم الزاهرة ١٣٦/٥، وتاريخ مختصر الدول لابن العبـــري ص ٣٣٥، ٣٣٦، وتاريخ دولة آل سلجوق، عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني. اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري (بيروت: دار الآفاق الجديدة) ص ٥٨-٦٠.

(٢) ملكشاه: جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان بن محمد ابن جغريبك السلجوقي ولـــد ســـنة ٤٤٧هـــ كان حسن السيرة، حفر الأنهار، وشيد القناطر والأسوار، وعمر ببغداد جامعا كـــبيرا، أسقط المكوس، شاع الأمن في دولته ورخصت الأسعار، توفي سنة ٤٨٥هـــ. (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٤/١٩)

الملك خلال هذه المدة. وبموت ملكشاه انتهى العصر السلجوقي الأول، الذي أطلق عليه المؤرخون "العصر الذهبي للدولة السلجوقية"[1].

وفي حقيقة الأمر، فإن وفاة السلطان ملكشاة، ووزيره نظام الملك في سنة ٤٨٥هـ، قد أدى إلى خلق فراغ سياسي في صفوف المسلمين بالشام والعراق كان سببا في تفكك وحدة السلاجقة لا في الشام والعراق فحسب؛ بل وحتى في آسيا الصغرى وبلاد فارس[2].

وبعد هذا العصر الذهبي بدأ عصر سنجر[3]، وإخوته في بلاد فارس والمشرق وما وراء النهر، وهي الفترة مابين (٤٨٥-٥٥٢هـ) والتي تميّزت بالاضطرابات بين أبناء البيت السلجوقي الواحد.

---

(١) تاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم حسن ط١ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية-١٩٦٧م) ٣٣/٤ والعالم الإسلامي في العصر العبّاسي ص ٦٠١.

(٢) انظر : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. أبي المظفر يوسف ابن الجوزي. تحقيق ودراسة د. مسفر سالم الغامدي (مكة المكرّمة: جامعة أم القرى – ١٤٠٧هـ) ٦٣/١.

(٣) سنجر: سنجرشاه ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلطان أبو الحارث وقيل اسمه أحمد، وسمي سنجر، لأنه ولد بسنجار سنة ٤٧٩هـ ونشأ ببلاد الخوز "خوزستان" واستوطن مدينة مرو، كان وقورا صيتا، كريما، سخيا، مشفقا، ناصحا لرعيته، كثير الصفح. توفي سنة ٥٥٢هـ. انظر ترجمته في الكامل ٢٢٢/١١، وسير أعلام النبلاء ٣٦٢/٢٠، والنجوم الزاهرة ٣٢٦/٥.

ومن سلاطين هذا العصر:

١ – محمد بن ملكشاه[1]: تولى السلطة من (٤٩٨-٥١١هـ)، كان له جهود عظيمة في جهاد الكفار، ومحاربة أهل البدع ومنها الباطنية التي ظهرت في هذه الفترة[2].

ولما توفي محمد بن ملكشاه في عام ٥١١هـ، تجدد النزاع على العرش بين أفراد البيت السلجوقي؛ بين محمود بن محمد بن ملكشاه[3]، وسنجر، حاكم سلاجقة خراسان وما وراء النهر، وأصبح في هذه الفترة سلطانان للسلاجقة:

– سلاجقة الشرق أو سلاجقة خراسان، وسلطانهم سنجر بن ملكشاه.

---

(١) محمد بن ملكشاه: السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، ولد سنة ٤٧٤هـ، كان عادلا، حسن السيرة، مهيبا، كريما، شجاعا، أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد، ولم يعرف منه فعل قبيح، وسيرته حميدة لم يستطع أحد من الأمراء في عهده أن يقدم على الظلم، توفي سنة ٥١١هـ مريضا وعمره سبع وثلاثون سنة.

انظر: الكامل ١٠/٥٢٦،٥٢٧، والنجوم الزاهرة ٥/٢١٤.

(٢) انظر: الكامل ١٠/٤٣٠ وما بعدها.

(٣) محمود بن ملكشاه: السلطان محمود بن محمد شاه بن ملكشاه بن ألب أرسلان، كان ملكاً شجاعا، حليماً، كريماً، قليل الطمع في أموال الرعايا، عفيفاً عنها، كافا لأصحابه عن التطرّق إلى شيء منها. مرض وتوفي سنة ٥٢٥هـ، وكان عمره سبع وعشرين سنة.

(انظر: الكامل ١٠/٦٦٩،٦٧٠، وتاريخ مختصر الدول ص ٣٥٣) .

- سلاجقة الغرب أو سلاجقة العراق، وسلطانهم محمود بن محمد بن ملكشاه.

وتحارب المعسكران في عام ٥١٣هـ، وانتصر سنجر، وفرّ محمود لاجئاً إلى أصفهان، واعترف الخليفة العبّاسي بسنجر سلطانا على السلاجقة، ووضع اسمه مكان اسم محمود في الخطبة، وذلك سنة ٥١٣هـ، وكان سنجر يحكم قبل ذلك في خراسان مدة السنوات الأربع والعشرين السابقة على هذا التاريخ، ويعتبر سنجر آخر الخلفاء السلاجقة العظام نظرا لأنه استطاع أن يعيد إلى الدولة السلجوقية هيبتها، ووحدها، وأن يجعل كل أجزائها خاضعة لإمرة سلطان واحد، وأعاد بذلك عصر السلاجقة العظام أمثال طغرلبك، وألب أرسلان، وملكشاه، واستطاع سنجر، أن يخمد الفتن والثورات التي قامت في عهده سنة ٥٢٤هـ، وسنة ٥٣٣هـ[١].

٢ - مسعود بن محمد بن ملكشاه[٢]: تولى السلطة من (٥٢٧-٥٤٧هـ) يقول ابن الأثير: "وبموته مات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعده راية ولا

(١) انظر: السلاجقة في التاريخ والحضارة ص ٥٣-٥٦.

(٢) مسعود بن ملكشاه: السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، ولد سنة ٥٠٢هـ، وتوفي بهمذان سنة ٥٤٧هـ مصابا بالحمى، كان حسن الأخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس كريما، عفيفا عن الأموال التي للرعية، حسن السيرة فيهم، من اصلح السلاطين سيرة وألينهم أريكة، أراق الخمور من مساكن أصحاب السلطان، ملكا، جليلا، شجاعا، عاش خمسا وأربعين سنة.

(انظر: الكامل ١١/١٦١،١٦٠)، شذرات الذهب ٤/١٤٥. النجوم الزاهرة ٥/٣٠٣).

يلتفت إليها"[1]، ووفاته أحيت في نفوس العباسيين الأمل في إعادة مجد الخلافة العبّاسية، ونفوذ الخليفة الذي فقدوه.

وبالجملة فإن الخلافة العبّاسية خضعت تحت سلطة السلطنة السلجوقية منذ سنة ٤٢٩هـ، وخاصة في عهد السلاطين العظام أمثال طغرلبك، وألب أرسلان، وملكشاه، وسنجر الذي يُعدّ من عظماء السلاطين، واستولى هؤلاء على جميع ممتلكات وأراضي دولة بني العباس وأصبحت في أيديهم إدارة البلاد سياسيا، وإداريا وعسكريا، وجرّدوا الخلفاء العباسيين من حقوقهم في أداء واجباهم كقادة للمسلمين سوى الاحترام والتعظيم، وإزاء ذلك وجد العباسيون أنفسهم قد فقدوا نفوذهم وسلطاهم على أراضيهم وأصبحوا في معزل عن الحياة داخل أسوار قصورهم لا يعرفون عن مجريات الأمور شيئا، حتى ضعف سلاطين السلاجقة ولاحت لهم -العبّاسيين- الفرصة لإحياء نفوذهم من جديد[2].

ثالثا: حالة الدولة العبيدية:

اختلف المؤرخون والباحثون حول مرجعية نسب الدولة العبيدية "الفاطمية" بين

---

(١) الكامل ١١/١٦٠.

(٢) انظر: أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي د. سعد بن محمد الغامدي ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة – ١٤٠١هـ) ص ٤٩.

مؤيد نسبتها إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ وبين منكر لذلك.

ففريق رأى صحّة تسلسل نسب هذه الدولة من فاطمة بنت الرسول ﷺ، ومن هؤلاء: ابن الأثير(١)، وابن خلدون(٢)، والمقريزي(٣)(٤) وبعض المستشرقين (٥).

وفـــريق آخر شكك في صحة هذا النسب، بل أنكره، ومن هؤلاء ابن خلكـــان(٦)(٧)

---

(١) انظر: الكامل ٢٤/٨.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (بيروت : مؤسسة جمال للطباعة – ١٣٩٩هــ) ٣١/٤.

(٣) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبّاس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ أصـــله مـــن بعلـــبك، ولد سنة ٧٦٦هــ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٥هــ من مصنفاته: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف بخطط المقريزي".
(انظر: الأعلام ١٧٨/١).

(٤) انظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء: أحمد المقريزي تحقيق د. جمال الدين الشيال. (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي – ١٣٨٧هــ) ص ٢٣.

(٥) أمثال ايوانوف : انظر الإسماعيلية تاريخ وعقائد ، إحسان إلهي ظهير ط١ (لاهور : إدارة ترجمان السنة –١٤٠٦هــ) ص٢٤٦ .

(٦) ابـــن خـــلّكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلّكان البرمكي أبو العبّاس: المؤرخ الحجة، الأديب، ولد سنة ٦٠٨هــ، تولى قضاء الشام من أشهر كتبه "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" توفي سنة ٦٨١هــ.
(انظر: الأعلام ٢٢٠/١).

(٧) انظر: وفيات الأعيان ١١٧/٣-١١٨.

والسباقلاني[(1)(2)]، وأبو شامة[(3)(4)] الذي قال فيهم: "يدّعون الشرف ونسبتهم إلى مجوسي[(5)] أو يهودي، حتى اشتهر لهم ذلك، وقيل: الدولة العلوية والدولة الفاطمية، إنما هي الدولة اليهودية أو المجوسية الملحدة الباطنية"[(6)]. وابن تغري بردي[(7)(8)] وبعض

---

(١) السباقلاني: الإمام العلامة أوحد المتكلمين القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني، ثقة إماما بارعا، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية توفي سنة ٤٠٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٢١٣

(٣) أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، شهاب الدين، أبو شامة مؤرخ، محدث باحث، من أشهر كتبه "الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية" ولد سنة ٥٩٩هـ وتوفي سنة ٦٦٥هـ.
انظر: الأعلام ٣/٢٩٩.

(٤) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين. عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، أبو شامة (بيروت: دار الجيل) ١/٢٠٠-٢٠١.

(٥) المجوس: هم عبدة النار ويقولون: إن للعالم أصلين، النور والظلمة، وهم أقدم الطوائف، نشأت المجوسية في بلاد فارس.
(انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٣٤، هامش (١)).

(٦) ن. م ١/٢٠١.

(٧) ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاس جمال الدين الأتابكي، مؤرخ، بحاثة ، من أهل القاهرة مولده ووفاته، ولد سنة ٨١٣هـ من مؤلفاته "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" توفي سنة ٨٧٤هـ.
انظر الأعلام ٨/٢٢٢.

(٨) انظر: النجوم الزاهرة ٤/٧٧.

المستشرقين[١] .

وهؤلاء قد أرجعوا نسبهم إلى عبيدالله القدّاح[٢].

والأظهـــر هو القول الثاني، وأن نسبتهم إلى فاطمة –رضي الله عنها– ادعاء وزعم باطل، تنفر منه العقول البشرية السوية، فضلا عن العقول المستنيرة بنور الهدى، ففاطمة رضي الله عنها، وبيت النبوة الشريفة يبرؤون من هؤلاء القوم وافتراءاتهم، لكنهم أرادوا

(١) أمثال نيكلسون، ودوزي، وماسنيون، وغيرهم، انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٢٤٩، ٢٥٠.

وحول قضية الاختلاف في نسبهم، انظر أيضا: كشف أسرار الباطنية، محمد بن مالك الحمادي. تحقيق محمد عثمان الخشب (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ص ٣٥ هامش (١٢)،) ومآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلقشندي. تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط١(بيروت: عالم الكتب – ١٩٦٤م)، ٢٥٦/٢، ٢٥٨، والمختصـــر في أخبار البشر عماد الدين إسماعيل أبي الفدا (بيروت: دار المعرفة للطـــباعة والنشـــر)، ٦٤/٢، وتاريخ الدولة الفاطمية حسن إبراهيم حسن ط٣(القاهرة: مكتبة النهضـــة المصرية ١٩٦٤م) ص ٥٩-٧٩، والإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ١٨٦، ٢٤٦، ٢٤٩، وموســـوعة التاريخ الإسلامي د. أحمد شلبي ط٤(مصر: مكتبة النهضة ١٩٧٥م) ٢٨٦/٤، وما بعدهـــا، وانظـــر قضـــية نسب الفاطميين أمام منهاج النقد التاريخي د. عبد الحليم عويس ط١ (البحرين: مكتبة ابن تيمية ١٤٠٦هـــ).

(٢) عبد الله القداح: عبد الله بن ميمون بن داود المخزومي بالولاء، المعروف بابن القداح امامي، من أهل مكة، واهي الحديث، من الثقات عند الشيعة، ضعيف ولا يجوز الاحتجاج به عند أهل السنة والجماعة.

انظر: الأعلام ١٤١/٤.

من زعمهم هذا إضفاء الصبغة الدينية على دولتهم، لتجد القبول عند العامة والغوغائيين وقد وجدت ذلك - وللأسف الشديد - سعيا للإطاحة بمنافسهم على الساحة السياسية وقتئذ وأعني بذلك الدولة العباسية السنية المذهب.

يقول إحسان الهي ظهير: أن نسب المهدي[1]، إلى بني فاطمة ليس بصحيح، بل إنه ينتمي إلى البيت القداحي بدون أدنى شك وارتياب.. وإن ذكر البيت العلوي، ونسبتهم إلى بني فاطمة لم يكن إلا لكسب عواطف الناس أيام المهدي، لنجاح ثورته... ولإقناع الشعوب المسلمة بأن الإمامة والخلافة حق متوارث لهم لكونهم من ذرية النبي ﷺ وعلي"[2].

وإلى حوالي القرن السادس الهجري كانت الدولة العبيدية مستحوذة على مقاليد الأمور في مصر. وتختلف هذه الدولة عن سواها من الدول والدويلات التي نشأت أيام الخلافة العباسية، لقد نشأت دولة تزاحم الخلافة العباسية سياسيا ودينيا، وقد استولت على أفريقيا ومصر وسوريا، والحجاز، ثم أخذت بالانحدار، ومازالت كذلك حتى استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر، فلما مرض العاضد آخر خلفائها، قطع صلاح

---

(١) المهدي: عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم، الفاطمي، العلوي، مؤسس دولة العلويين في المغرب، وجد العبيديين أصحاب مصر، كان ظهوره بسجلماسة في سنة ٢٩٦هـ، اختط مدينة المهدية بالمغرب سنة ٣٠٣هـ وأخذها قاعدة لملكه، ومات بها سنة ٣٢٢هـ.

(انظر: الأعلام ١٩٧/٤).

(٢) الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص ٢٥١.

الديـن الخطـبة للفاطميين، ودعا للخليفة العباسي المستضيئ سنة ٥٦٧هـ، كما أمر بالدعـاء لـه أيضا على منابر بلاد اليمن والشام وفلسطين التي كانت تابعة للدولة العبيدية، وتم هذا التغيير دون أن يلقى أدنى مقاومة[١].

وفي ذلك يقول ابن الأثير: "فلم ينتطح فيها عتران"[٢].

وقد كان عدد الخلفاء العبيديين الذين تعاقبوا على الدولة العبيدية أربعة عشر خليفة منهم خمسة خلفاء خلال القرن السادس الهجري – محل البحث، وهم على التوالي:

١ – الآمر بأحكام الله[٣] (٤٩٥-٥٢٤هـ).

٢ – الحافظ لدين الله[٤] (٥٢٤-٥٤٤هـ).

---

(١) وقد صنف ابن الجوزي في هذه المناسبة كتابا سماه "النصر على مصر". (انظر المنتظم ١٨/١٩٦).

(٢) الكـامل ١١/٣٦٩، وهذه الجملة اللطيفة لابن الأثير رحمه الله تعني: إنه لم تحصل مقاومة تذكر مـن الخليفة العبيدي أمام قوة إيمان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وشجاعته الباسلة، والذي أعاد للخلافة العباسية قوتها وهيبتها.

(٣) الآمـر بأحكام الله: اسمه منصور، وكنيته أبو علي، ولقبه الآمر بأحكام الله ابن المستعلي بالله أبي القاسـم أحمـد بن المستنصر بالله ولد سنة ٤٠٩هـ، واستخلف وله خمس سنين، كان رافضيا كآبائـه، فاسـقا، ظالما، جائرا، مستهزئا لعّابا. متظاهراً باللهو والمنكر، ذا كبر وجبروت مات مقتولا سنة ٥٢٤هـ عاش خمسا وثلاثين سنة.

انظـر: تاريخ الإسلام. محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي-١٤١٥هـ) حوادث سنة ٥٢٤هـ ص ١٢٣، والنجوم الزاهرة ٥/١٧٠.

(٤) الحافظ لدين الله: عبد المجيد أبو الميمون بن محمد بن المستنصر بالله العبيدي، ولد بعسقلان سنـة =

٣ — الظافر بالله(١) (٥٤٤-٥٤٩هـ).

٤ — الفائز بنصر الله(٢) (٥٤٩-٥٥٥هـ).

٥ — العاضد لدين الله(٣) (٥٥٥-٥٦٧هـ).

تمّ خلعه، وأقيمت الدعوة العباسية بمصر، وانقرضت الدولة العبيدية في عهده.

= ٤٦٧هـ، كلما أقام وزيرا حكم عليه بالقتل فلما رأى الحافظ ذلك سقاه سمّا فمات سنة ٥٤٤ هـ، وكانت خلافته عشرين سنة إلا خمسة اشهر وعمره نحو سبع وسبعين سنة.

(انظر: الكامل ١١/١٤١، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٥٤٤هـ، ص ١٩٣).

(١) الظافر بالله: أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوي العبيدي. ولد في القاهرة سنة ٥٢٧هـ، بقي في الخلافة خمس سنين، كان شابا، صبيا لعّابا، له همه في الجواري والأغاني، مات مقتولا سنة ٥٤٩هـ.

(انظر: الكامل ١١/١٩١، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٥٤٩هـ ص ٣٥٦.

(٢) الفائز بنصر الله: عيسى بن الظاهر إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد العبيدي ولد سنة ٥٤٤هـ وبويع له بالخلافة يوم قتل والده وله خمس سنين بقي في الخلافة ست سنين ونحو شهرين.

انظر: الكامل ١١/٢٥٥. وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٥٥٥هـ ص ١٦٥.

(٣) العاضد لدين الله: عبد الله أبو محمد بن يوسف بن الحافظ لدين الله العبيدي الرافضي ولد سنة ٥٤٦هـ، كان رافضيا، سبّاباً، خبيثاً، لو أمكنه، لقتل كل من قدر عليه من أهل السنة، مات مريضا سنة ٥٦٧هـ وعاش إحدى وعشرين سنة.

(انظر: تاريخ الإسلام حوادث سنة ٥٦٧هـ ص ٢٧٣، والبداية والنهاية ١٢/٢٦٤).

قال الذهبي: "... وكانوا أربعة عشر متخلّفاً، لا خليفة"[١].

وقـال ابـن الأثير: "وقد كانت مدة ملك العبيديين مائتين وثمانين سنة، وكسراً، فصـاروا كـأمس الذاهب كـأن لم يغنوا فيها.. وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكـثر أهـل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد وكثر بأرض الشام النصرانيـة والدرزيـة[٢]، والحشيشيـة[٣]، وتغلـب الفرنـج علـى سواحـل

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١٢/١٥.

(٢) الدرزية: طائفة من غلاة الإسماعيلية الباطنية، ألهوا الحاكم بأمر الله قامت في أوائل القرن الخامس الهجـري، مـن أعظم دعاتها: حمزة بن علي الزوزني المؤسس الحقيقي للمذهب الدرزي ، وهي تنسـب إلى محمد بن إسماعيل الدرزي وهو داع فارسي من دعاة الباطنية ، وكان أول من جهر بـتقديس الحاكم بأمر الله معتقداً أن الله - سبحانه وتعالى عما يقول - تجسد في صورة الحاكم (انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د. أحمد شلبي ١٢٩/٥-١٣٠) .

(٣) الحشّاشون: طائفة إسماعيلية فاطمية، نزارية مشرقية، انشقت عن الفاطميين لتدعو إلى إمامة نزار بـن المستنصـر بـالله، أسّسـها الحسـن بن الصباح، وقد تميّزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيالات.

(انظر: الموسـوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (إشراف وتخطيط ومراجعة د. مـانع بن حماد الجهني ، ط٣ (نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٨هـ) ٤٠٦/١، وأخبار القرامطة د. سهيل زكار (الرياض: دار الكوثر - ١٤١٠هـ) ص ١٠٤).

الشـــام بكماله" [1].

(١) البداية والنهاية ١٢/٢٦٧.

رابعاً : حالة بلاد اليمن :

بــلاد الــيمن في القرن السادس الهجري عاشت اضطرابات وحروباً بين دويلات كثيرة تنافست على احتلال البلاد إبان الخلافة العباسية، ومن أهم هذه الدويلات:

١ – دولة بني نجاح[1]:

قــامت هذه الدولة على أنقاض دولة بني زياد، واستولت على أكثر بلاد تهامة من بلاد اليمن، واستمرّ حكمها من سنة ٤٠٣هـ إلى سنة ٥٥٥هــ، وأوّل أمرائها نجاح وآخرهم فاتك ابن محمد بن فاتك.

٢ – دولة الصليحيين:

قــامت هذه الدولة في عدن، وكانت مرتبطة أشد الارتباط بالدولة العبيدية في أيام المستنصــر العبيدي، وكان ظهورها في وقت كانت معظم بلاد اليمن مسرحا للفوضى والاضــطرابات السياسية، والمنازعات القبلية، وكانت دولة الصليحيين شديدة الولاء، عظــيمة الإعجــاب بدولة العبيدين في مصر. وكان لهذا أثره الكبير في تمكين الدعوة

(١) نجــاح: رأس دولــة "آل نجاح" في زبيد في اليمن، داهية شجاع، كان عبدا من موالي آل زياد، اشتدت الحروب في أيامه وخرج منها ظافرا متمكّنا، واستمر إلى أن قتله علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٢هــ بسمّ دسّه له على يد جارية. (انظر: الأعلام ٨/٩).

الإسماعيـــلية، وانتشار دعاتها في شتى أنحاء اليمن، وقد حكمت دولة الصليحين من سنة ٤٣٩هـــ إلى ســـنة ٥٣٢هـــ، وأوّل أمرائها مؤسسها علي بن محمد الصليحي[١]، وآخرهم أروى بنت أحمد الصليحي[٢].

٣ – دولة بني حاتم[٣]:

قامت هذه الدولة في صنعاء وما جاورها بعد أن انتزعوها من الصليحيين، واستمر حكـــم بني حاتم فيها من سنة ٤٩٢هـــ وحتى ٥٦٩هـــ، وكان أوّل أمرائهم حاتم بن علي الهمداني، وآخرهم علي بن حاتم بن أحمد.

---

(١) عـــلي الصليحي: علي بن محمد بن علي الصليحي الشعبي أبو الحسن رأس الدولة الصليحية، وأحد من ملكوا اليمن عنوة بالجرم والعنوة، ولد سنة ٤٠٣هـــ في مدينة "قتر" من أعمال حراز باليمن صحب أحد العبيديين، فمال إلى مذهبهم، وصار إماماً فيه، مات سنة ٤٧٣هـــ مقتولاً. (انظر: الأعلام ٣٢٨/٤).

(٢) أروى الصليحية: أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي، السيّدة الحرّة، وتنعت بالحرّة الكامـــلة، وبلقب الصغرى، ملكة حازمة مدبرة، يمانية، ولدت سنة ٤٤٤هـــ في حراز باليمن، ونشـــأت في حجر أسماء بنت شهاب "أم المكرم الصليحي أحمد بن علي" وتزوّجها المكرم وفلج، ففوضـــت إليـــه الأمور، وقامت بتدبير أمور المملكة والحروب، ترفع إليها البقاع ويجتمع عندها الـــوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن. تعدّ من زعماء الإسماعيلية الباطنية، توفيت سنة ٥٣٢هـــ وهي من أواخر ملوك الصليحيين.
(انظر: الأعلام ٢٨٩/١).

(٣) حـــاتم: بـــن أحمـــد بن عمران بن المفضل اليامي الهمداني –مؤسس دولة بني حاتم– سلطان من الباطنية الإسماعيلية، كان له في اليمن شأن، زعيما لقبائل همدان، كان فارسا، شاعرا، توفي سنة ٥٥٦هـــ.
(انظر: الأعلام ١٥١/٢).

٤ – دولة بني مهدي[١]:

قامت هذه الدولة في زبيد "من بلاد اليمن" وتنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها علي بن مهـــدي بن محمد بن علي بن داود الحميري. قامت بينهم وبين بني نجاح حروبا طاحنة إلى أن تمّ فـــتح "زبيـــد" سنة ٥٤٦هـــ ، وكان حكم بني مهدي من سنة ٥٥٣هـــ إلى سنة ٥٦٩هـــ، وأوّل أمرائهم علي بن مهدي، مؤسس الدولة، وآخرهم عبد النبي، وعبد الله أبناء علي بن مهدي.

٥ – دولة بني زريع[٢]:

---

(١) علي بن مهدي: علي بن مهدي بن محمد الحميري، القائم باليمن، مؤسس دولة بني مهدي كان في بداية أمره من رجال الصلاح والإرشاد والوعظ من أهل قرية تدعى "العنبرة" وكان يحج كل ســنة، بايعـــه أهل اليمن بالإمامة وقوي أمره وأخذ يغير على قرى تهامة، استولى على زبيد قبل وفاته، ينهج منهج الخوارج، مات سنة ٥٥٤هـــ .

(انظر: الأعلام ٥/٢٥).

(٢) زريـــع: زريـــع بن العبّاس بن المكرم اليامي الهمداني من دعاة الباطنية الإسماعيلية، في عدن وما حولهـــا، كـــانت لأبيه العباس سابقة حسنة مع علي الصليحي في القيام بدعوة العبيديين، وقدم خدمة لهم، وهو رأس الأسرة "الزريعية" التي امتدت إمارتها من عدن بين والد ملوه وكفرال نقيل صـــيد، وعاشت إلى أن داهمها توران شاه أخو السلطان صلاح الدين الأيّوبي، وقبض على بقايا أمرائها سنة ٥٦٩هـــ، توفي زريع سنة ٤٨٤هـــ.

(انظر: الأعلام ٣/٤٤).

كانت عدن وما حولها من المقاطعات التي انتزعها علي بن محمد الصليحي من عمال بني يعفر عند قيامه بالدعوة، وقد ولّى عليها من قبله أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي، والد السيدة أروى الصليحية، وبقي بها حتى مات. وكان على عدن محمد بن جعفر الذي خرج عن الطاعة، وأعلن نفسه سلطانا مستقلا على عدن.

وفي سنة ٤٧٠هـ غزا المكرم بن علي الصليحي بني معن، وطردهم من عدن وولّى عليها العبّاس والمسعود بني المكرم اليامي الهمداني المعروفين بابني الزريع ودولة بني زريع تعد من أهم دول اليمن بعد الصليحيين، وظلّت قائمة حتى الفتح الأيوبي من ٤٧٠هـ إلى ٥٦٩هـ.

٦ - دولة بني أيّوب:

كانت بداية هذه الدولة أيّام الخليفة العاضد العبيدي، عندما استنجد به أعيان اليمن للقضاء على ابن مهدي الذي شن غاراته على زبيد فما كان العاضد إلا أن أمر وزيره صلاح الدين الأيوبي بنجدته ونصرته، فبعث صلاح الدين أخاه توران شاه[1] إلى اليمن، ومعه قومه، وسار بهم إلى عدن حين قضى على دولة بني زريع، وباقي الدويلات

(١) توران شاه: تورانشاه بن شادي، شمس الدولة، فخر الدين: أمير، من الأيوبيين، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لأبيه، نشأ في دمشق وسيره صلاح الدين إلى اليمن فأخضع عصاتها فاستخلفه صلاح الدين فيها، فأقام مدة وانتقل إلى مصر سنة ٥٧٤هـ فمات فيها ودفن في دمشق كان شجاعا كريما، حازما.

(انظر: الأعلام ٢/٩٠).

الأخـــرى بالـــيمن، حتى آل الأمر إلى الأيوبيين. وكانت فترة حكم بني أيوب من سنة ٥٦٩هـــــ إلى سنة ٦٢٦هــــ، وأوّل أمرائهم السلطان توران شاه بن أيوب، وأخرهم المسعود بن الكامل[١] .

خامساً : حالة بلاد الأندلس:

عـــندما سقطت الدولة الأموية بالأندلس سنة ٤٢٢هــــ، آلت الحالة السياسية إلى الفوضـــى والاضطرابات، بالنسبة للمسلمين، منذرة بسقوط بلاد الأندلس في أحضان النصـــارى الحاقدين، فشاعت الفوضى وانتشرت الفتن، مما أدى إلى انقسام البلاد إلى دويلات صغيرة يحكمها طوائف يتسع نفوذ بعضها على حساب البعض الآخر، بل ربما اســـتنجد الـــبعض بالنصـــارى ضد إخوانهم المسلمين مما ساهم في سرعة انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس.

ومن أشهر ممالك هذه الطوائف:

بنو حمّود في مالقه، وبنو عبّاد في إشبيلية

وبنو زيري في غرناطة، وبنو الأفطس في بطليموس.

---

(١) انظـــر: ماسبق عن هذه الدويلات: اليمن عبر التاريخ. أحمد حسين شرف الدين ط٣ (١٤٠٠هـــ) ص ١٩٣-٢٢٤، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ص ١٩٩-٢٠٥.

وبنو جهور في قرطبة، وبنو عامر في بالنسية.

وبنو الأحمر في غرناطة وغيرهم[١].

وكـــان مـــلوك هذه الطوائف، ملوكا ضعافا في وطنيتهم، ضعافا في دينهم، غلبت عـــليهم الأثـــرة والأهواء الشخصية، ونسوا في غمارها وطنهم ودينهم، بل نسوا حتى اعتـــبارات الكـــرامة الشخصـــية، واستساغوا لأنفسهم أن تراموا تحت أقدام ملوك النصارى[٢].

١- دولة المرابطين [٣]:

وأمـــام هذا الوضع السياسي المتردي برز على الساحة السياسية في منتصف القرن الخـــامس الهجري دولة المرابطين في المغرب؛ هذه الدولة كان يغلب عليها طابع الجهاد الديـــني، وإنقاذ الأندلس من هجمات النصارى، وكانت دولة مبنية على أسس شرعية

---

(١) انظر: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ١/٢٩-٣٥.

(٢) انظر: دول الطوائف، محمد عبد الله عنان ط٢(القاهرة: مكتبة الخانجي – ١٣٨٩هـ) ص ٤١٩.

(٣) المـــرابطون: سموا المرابطين، لأنهم تتلمذوا على عبد الله بن ياسين في الرباط الذي أنشأه للدرس والعـــبادة في صحراء المغرب، ويسمون بالملثّمين، لأنهم كانوا يضعون على وجوههم لثاما يقيهم حر الصحراء وبردها.

(انظر: تاريخ الإسلام ٤/١١٥ هامش (٢،٣)).

ولذلك اهتمت بالعلماء والفقهاء [1].

وما أن يذكر المرابطون حتى يتبادر للذهن على الفور ذلك القائد المجاهد يوسف ابن تاشـــفين[2]، الـــذي ارتبط اسمه بهذه الدولة ارتباطاً وثيقاً، لما كان يتمتع به من سياسة حكيمة، وشجاعة فائقة حتى استطاع أن يقضّ مضاجع النصارى.

فـــبعد سقوط طليطلة سنة (٤٧٨هـــ) في أيدي النصارى، لم يتردد ملوك الطوائف في الاستعانة بالمرابطين في شمال أفريقية.

لقـــد استجاب يوسف بن تاشفين لدعوة إخوانه ملوك الطوائف وخاصة دعوة بني عـــباد ملوك إشبيلية لإنقاذ بلاد الأندلس من النصارى وصد هجماتهم البربرية، فجمع جيشـــه وعبر البحر واستطاع أن يهزم جيش قشتالة بزعامة الفونس السادس في سهل الـــزلاقة بالقرب من بطليموس سنة ٤٧٩هـــ وألحق بالأعداء هزيمة نكراء، وأنقذ دولة

(١) انظر مشاهير علماء دولة المرابطين في: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين د. علي محمد الصلّابي، ط١ (الإمارات: مكتبة الصحابة، والقاهرة: مكتبة التابعين — ١٤٢٢هـــ) ص٢٠٨ وما بعدها.

(٢) يوســـف بـــن تاشـــفين: يوســـف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميدي أبويعقـــوب أمـــير المسلمين وملك الملثمين، يعرف بأمير المرابطين بني مراكش واتخذها عاصمة لمملكته، كثير العفو، مقربا العلماء، سائساً حازما، توفي بمراكش سنة ٥٠٠هـــ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٩، والأعلام ٢٢٢/٨، شذرات الذهب ٤١٢/٣.

الإسلام في الأندلس في تلك الفترة من الزمن[1].

ولإحساســه بخطــر النصارى على المسلمين من جهة، واتساع الخلاف الدائر بين ملــوك الطوائف من جهة أخرى، وضع يوسف بن تاشفين في اعتباره إخضاع ممالك الطوائف في بلاد الأندلس وضمها لمملكته، وتحقق له ما يصبوا إليه ما عدا طليطلة التي كانت في قبضة النصارى، ومن أشهر هذه الممالك التي ضمها إلى مملكته، مملكة إشبيلية التي يحكمها بنو عباد والتي سقطت في يده سنة ٤٨٥هـ[2].

وبهذا أصبحت دولة المرابطين دولة قوية واسعة الأطراف.

ولما توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ خلفه ابنه "علي"[3]، الذي واصل جهاد والده واستطاع أن يوقع في النصارى في أقليش هزيمة مريرة سنة ٥٠٢هـ وتعتبر هذه المعركة من أكبر المعارك بعد موقعة الزلاقة[4].

---

(١) انظر: شذرات الذهب ٣٦٢/٣، والحركة الصليبية سعيد عبد الفتاح عاشور ط٢(القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٧١م) ٧٤/١، ودولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ط٣(القاهرة: مؤسسة الخانجي – ١٣٨٠هـ) ص ٢٦٣.

(٢) علي بن تاشفين: علي يوسف بن تاشفين اللمتوني أبو الحسن أمير المسلمين بمراكش وثاني ملوك دولــة المــرابطين ولــد سنة ٤٧٧هـ بسبتة ، سلك طريق والده بجميع أموره، حليما، صالحا، وقورا،، عادلا، توفي في مراكش سنة ٥٣٧هـ .
(انظر: الأعلام ٣٣/٥).

(٣) انظر: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٥٠/١، والحركة الصليبية ٧٤/١.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام ١٢٧/٤.

واستطاع المرابطون في أواخر عهدهم أن يحافظوا على الأندلس من هجمات النصارى، حتى سقطت عاصمتهم مراكش في يد الموحدين سنة ٥٤١هـ، وكان آخر حكّام الدولة المرابطية إسحاق بن علي بن تاشفين الذي قتل في موقعة مراكش سنة ٥٤١هـ ودام ملكهم من سنة ٤٤٨هـ إلى ٥٤١هـ[(١)].

٢- دولة الموحدين:

قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، ذلك أنه لما توفي أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، عهد بالأمر إلى ابنه "علي" كما أسلفنا، والذي كان قوياً، وقد سار على نهج والده، غير أنه لم يستطع مجاراته في كثير من الأمور.

ففي سنة ٥١٥هـ ظهر محمد بن تومرت[(٢)] الذي زعم أنه المهدي، وكان يظهر التعبّد والزهد والورع، وكان يتنقّل من بلد إلى آخر وجهز جيشا عليه أبو عبد الله التومرتي، وعبدالمؤمن علي لمحاصرة مراكش عاصمة دولة المرابطين، فخرج عليهم أهلها، ودارت بين الجانبين معركة "البحيرة" وكان الجيش الموحدي بقيادة أبي محمد البشير

(١) انظر: تاريخ الدول الإسلامية ١/٥٠، وعصر المرابطين والموحدين: محمد عبد الله عنان ط١ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٣٨٣هـ) ١/٢٧.

(٢) ابن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت المحمودي البربري، أبو عبد الله الذي ادعى أنه المهدي، صاحب دعوة الموحدين، ولد سنة ٤٨٥هـ، لم يتمكن من فتح شيء من البلاد، توفي سنة ٥٢٤هـ. (انظر ترجمته: في الأعلام ٦/٢٢٨).

الونشريشـــي وقـــاد الجيـــش المرابطي علي بن تاشفين، وانتهت هذه الموقعة بقتل قائد الموحديـــن وهزيمة جيوشهم، وكانت هذه الهزيمة صدمة عنيفة لابن تومرت الذي انتابه المرض ومات سنة ٥٢٤هـ[١].

ثم خلفه عبد المؤمن بن علي الذي بدا سلسلة طويلة من الحروب حتى ملك جزيرة الأندلس[٢].

وبـــدد فيها جيش المرابطين سنة ٥٣٨هـ، وأجهز عليهم واستولى على عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١هـ.

ولقـــد أتـــاحت هذه الحروب بين الموحدين والمرابطين الفرصة أمام النصارى لشن هجمـــاتهم عـــلى الثغور الإسلامية في الأندلس والاستيلاء عليها ثغرا ثغراً. وكانت من العوامل التي أدت إلى سقوط البلاد بأكملها بأيدي النصارى.

ولمـــا تـــوفي عبد المؤمن بن علي سنة ٥٥٨هـ خلفه ابنه "يوسف الذي خلفه ابنه "يعقوب" والذي بلغت دولة الموحدين في عهده ذروة مجدها، حيث حارب النصارى، وأوقـــع فيهم هزيمة ساحقة في موقعة "الأرك" قرب بطليموس سنة (٥٩١هـ)، وكان من شـــدة وقـــع هذه الهزيمة على قائد النصارى الفونس أن حلق رأسه، ونكس صليبه

---

(١) انظر: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٥٣/١.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٢٢١/١٢.

وركب حمارا، واقسم ألا يركب ولا بغلا ولا ينام على فراش حتى تنتصر النصرانية[1].

والـــتقى الطـــرفان مرة أخرى سنة ٥٩٢هـــ وحلت الهزيمة بالنصارى وتعتبر هذه الموقعة آخر المعارك التي انتصر فيها المسلمون على نصارى الأندلس[2].

ثم بعـــد وفـــاة يعقوب بن يوسف، تولى الخلافة ابنه محمد، الناصر لدين الله، وفي عهـــده وقعـــت موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـــ بين النصارى والمسلمين وحلت الهزيمة بالمسلمين، و لم تقم لدولة الموحدين بعدها قائمة[3].

ومـــن المؤسف أن يكون من العوامل التي ساعدت على زوال دولتهم في الأندلس تفـــرّقهم إلى طوائـــف فضاعت وحدهم، وبدأ كل حاكم منهم يفقد ثقته في غيره من الحكّـــام و لم يتورع بعض هؤلاء الحكام عن خيانة إخوانه العرب جريا وراء مصلحته الشخصية ومن أمثلة ذلك أن سقوط مدينة طليطلة في يد الملك الأسباني الفونس تحقق بمســـاعدة ابـــن عباد ملك إشبيلية، وبلغ الأمر بأحد هؤلاء الحكام أن صد جيش أخيه

---

(١) انظر: الكامل ١٢/١١٥.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ٤/٢٢٧.

(٣) انظر: ن . م ٤/٢٣٢، وانظر أسباب سقوط دولة الموحدين: إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، د. علي محمد الصلابي ط١ (الإمارات/ مكتبة الصحابة، القاهرة: مكتبة التابعين- ١٤٢٢هـــ) ص١٨١.

الزاحف لقتال الأسبان فلما انتصر الأسبان قضوا عليه وعلى أخيه معاً![1].

(١) انظـــر: فصـــول من تاريخ الحضارة الإسلامية د. طه ندا (الإسكندرية: دار الجامعات المصرية) ص ٢٤٧.

الحالة الدينية والفكرية

الحالة الدينية والفكرية

لم تبتعد حالة الأمة الإسلامية الدينية في القرن السادس الهجري عن حالتها السياسية في ذلك القرن، من حيث الاضطرابات، واشتعال الفتن، حيث مهدت هذه الاضطرابات والفتن إلى نشوء اضطرابات أخرى ذات صلة بالدين والعقيدة، وكانت تكأة استغلها أعداء الإسلام من الصليبين للانقضاض على مقدسات وخيرات الأمة الإسلامية، كما أستغلها أهل الديانات الأخرى والملل المنحرفة وأهل البدع لتحقيق غاياتهم وأهدافهم الفاسدة.

ولعل ما يلفت الانتباه في تلك الحقبة من الزمن، ذلك الزحف الصليبي الحاقد على بلاد المسلمين، وهو ما عرف في التاريخ بالحروب الصليبية، وما قامت به الشيعة الباطنية التي قويت شوكتهم في ظل دولة بني بويه العلوية، والدولة العبيدية من نشاط ملموس في هذا القرن في محاولة لها للقضاء على الإسلام وأهله، إضافة إلى ممالأة بعض أهل الفرق والمذاهب الأخرى كالدروز والنصيرية للصليبين، واستغلال اليهود والنصارى والصابئة ذلك الضعف الذي دب في بعض الخلفاء العباسيين مما جعل أولئك يتعمقون في مناصب الدولة، وكذلك المتصوفة الذين كان دورهم تثبيط عزم المسلمين في الجهاد ضد الصليبين وظهورهم بشكل فاعل في هذا القرن، حتى شكّل تياراً فكرياً آخر، إضافة إلى المعتزلة والأشاعرة، هذا ما سنتناوله باختصار شديد.

١- الحروب الصليبية:

لقد اتخذت الحروب الصليبية تسميتها تلك من الصليب دلالة على أن الدين كان هو أهم أسبابها ودوافعها، وفي الواقع لم يكن هو السبب الوحيد، فهناك أسباب تاريخية وتجارية واقتصادية وغيرها(١). ولقد انبعثت تلك الحروب من الغرب الأوروبي النصراني الكافر في العصور الوسطى واتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين، وبخاصة الشرق الأدنى بقصد امتلاكها، واتخذت من استعانة النصارى في الشرق ضد المسلمين ستارا دينيا للتعبير عن نفسها تعبيرا عمليا واسع النطاق(٢).

لقد كان استيلاء النصارى الحاقدين على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس سنة ٤٧٨هـ، ثم جزيرة صقلية سنة ٤٨٤هـ، الانطلاقة والمدخل للحروب الصليبية المعروفة تاريخيا.

فلقد شنّ الصليبيون على بلاد المسلمين عددا من الحروب الهوجاء، بلغت ذروتها في القرن السادس الهجري، وكان من أهمها الحرب الصليبية الأولى سنة ٤٨٩هـ، والتي من أهم نتائجها استيلائهم على بيت المقدس ثم تلتها الحرب الصليبية الثانية سنة ٥٤٢هـ والتي فشلت فشلا ذريعا وانهزم فيها الصليبيون، ثم الحرب الصليبية الثالثة سنة ٥٨٨هـ، والتي انتهت بعقد صلح الرملة بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد وأصبحت

---

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي د. أحمد شلبي ط٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية – ١٩٧٩م) ٥٧٣/٥.

(٢) انظر: الحركة الصليبية/ سعيد عبد الفتاح عاشور ٢٥/١.

فلسطين أرضا إسلامية. ثم كانت الحرب الصليبية الرابعة سنة ٥٩٩هـ والتي كان هدفها تجاريا ثم تلتها حروب صليبية أخرى[١].

وعندما قام الصليبيون بالهجوم البربري على العالم الإسلامي، وجد له يداً حاقدة من داخل العالم الإسلامي؛ طعنت المسلمين من الخلف لقد وجد الصليبيون الشيعة الباطنية الذين سارعوا للتحالف مع الصليبيين بهجوم على نور الدين زنكي[٢] سنة(٥٤٢هـ) بالقرب من أنطاكية، ومحاولتهم اغتياله، ولا أدل على ذلك من رغبة زعيمهم راشد الدين سنان[٣] للتحول للنصرانية، وتعاونه مع الصليبيين سنة ٥٦٩هـ في بيت

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/٥٩٢-٦٤٣، وتاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ٤/٢٤٥ – ٢٥٢.

(٢) نور الدين زنكي: نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، ولد سنة ٥١١هـ بحلب ونشأ بكفالة والده، وتعلم القرآن والفروسية والرمي كان شهما، شجاعا ذا همة عالية، سيرته محمودة مع رعيته، كان مجاهدا في النصارى، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، محبا للعلماء والفقراء والصالحين مبغضا للظلم، صحيح الاعتقاد، قامعا للمنكر وأهله، رافعا العلم الشرعي، محبا للتيسير على المسلمين، بارا بالعلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل. توفي سنة ٥٦٩هـ.

(انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٨٦،٢٧٧) .

(٣) راشد الدين سنان: راشد الدين أبو الحسن سنان بن سلمان مقدم الإسماعيلية وصاحب الدعوة بقلاع الشام، اصله من البصرة، وكان في حصن "آلموت" صارت له مع صلاح الدين وقائع وقصص، توفي سنة ٥٨٨هـ.

(انظر: شذرات الذهب ٤/٢٩٤، والنجوم الزاهرة ٦/١١٧).

المقدس[1].

كما نرى الصليبين يرحبون ويقدرون كل ما يقوم به الباطنيون من نشاط ضد المسلمين، مما جعلهم يقدمون على التحالف معهم، ومن صور ذلك: عندما زحف المسلمون على الصليبين حتى بلغوا طبرية[2] في فلسطين بقيادة مودود[3] وطغتكين[4]

(١) انظر تاريخ الحروب الصليبية/ استيفن رينسيمان، نقل إلى العربية د. السيد الباز العريني ط٢ (بيروت: دار الثقافة – ١٩٨٢م) ٢/٦٤١، والحركة الصليبية سعيد عاشور ٢/٧٠٨.

(٢) طبريه: بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن، كثيرة الأسماك، والنسبة إليها طبراني.

(انظر: معجم البلدان ، أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي - ١٣٩٩هـ)٤/١٧، ١٨ .

(٣) مودود: صاحب الموصل، من خيار الملوك دينا وشجاعة وخيراً كان يدخل كل جمعة جامع دمشق يصلي فيه، قتله أحد الباطنية سنة ٥٠٧هـ وهو صائم ودفن في دمشق ثم حمل بعد ذلك إلى بغداد ثم حمل إلى أصبهان.

انظر: النجوم الزاهرة ٥/٢٠٧، والكامل ١٠/٤٩٧.

(٤) طغتكين: أبو منصور طغتكين بن عبد الله الأتامل، صاحب الشام، كان شهما شجاعا، مهيبا، مجاهدا في الفرنج مؤثرا للعدل، يلقب ظهير الدين، كان سيفا مسلولا على الفرنج عاقلاً، خبيرًا حسن السيرة في رعيته، توفي سنة ٥٢٢هـ .

انظر: الكامل ١٠/٦٥٢، سير أعلام النبلاء ١٩/٥١٩، النجوم الزاهرة ٥/٢٣٤.

سنة ٥٠٧هـ، ففرح الصليبيون بذلك الفعل مما خلّصهم من عدو لدود لهم[١].

ويتجلى ذلك الحقد الصليبي على المسلمين، بما ارتكبه هؤلاء الحقدة لأبشع الجرائم من فتك وسلب ونهب. يصوّر لنا ذلك ابن كثير رحمه الله بقوله: "ثم دخلت سنة ٥٠٣هـ وفيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال وسبوا الحريم والأطفال وغنموا الأمتعة والأموال ثم أخذوا مدينة جبلة[٢] بعدها بعشرة ليال، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي المتعالي"[٣].

ويقول أيضاً: "في سنة ٥٠٤هـ تجهز جماعة من الفقهاء وغيرهم للخروج إلى الشام لأجل الجهاد وقتال الفرنج وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ... ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج"[٤].

ومقابل حدّة الهجوم الصليبي على بلاد المسلمين، نجد أن الجهاد في سبيل الله لم يتوقف في تلك الفترة من الزمن؛ بل قيّض الله لدينه من ينافح عنه، ففي سنة ٥٠٧هـ كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والنصارى في أرض طبرية، هزم فيها النصارى شر

(١) انظر: تاريخ الحروب الصليبية ٢/٢٠٦.

(٢) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام ، من أعمال حلب قرب اللاذقية . (انظر : معجم البلدان ٢/١٠٥) .

(٣) البداية والنهاية ١٢/١٧١.

(٤) ن . م ١٢/١٧٢.

هـــزيمة وقـــتل المســـلمون منهم خلقا كثيرا، وغنموا منهم أموالا جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها، كما يذكر ذلك ابن كثير(١).

ولقـــد أبـــلى ذلك المجاهد الكبير عماد الدين زنكي(٢) بلاءً حسنا في جهاده ضد الصليبين فلم يحصر اهتمامه برد هجماتهم فقط، بل قاتلهم على البلاد التي استولوا عليها واضـــطرهم إلى الجلاء عنها بعد أن الحق بهم هزائم فادحة، كسرت شوكتهم، وأذلهم وحطـــم غطرســـتهم، ومن أعظم انتصاراته، فتح مدينة الرها(٣)، يصف ابن كثير ذلك بقوله:

"وفي ســـنة ٥٣٩هـــ أنقذ عماد الدين زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج... وقتل منهم خلقا كثيرا، وسبى نساءً كثيرة، وغنم أموالا جزيلة، وأزال عن المسلمين كربا شديدة"(٤).

---

(١) انظر ن . م ١٢/١٧٦.

(٢) عمـــاد الدين زنكي بن آقسنقر بن عبد الله التركي، صاحب حلب، كان بطلا شجاعا، مجاهدا، عمر البلاد، قتل غيلة سنة ٥٤١هـــ.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠/١٨٩.

(٣) الـــرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرها بن البلندي بن مالك بن دعر والنسبة إليها رهاوي، واسمها بالرومية أذاسا.

انظر معجم البلدان ٣/١٠٦.

(٤) البداية والنهاية ١٢/٢١٩.

كمـــا سار على نهجه ابنه من بعده نور الدين ، الذي طارد النصارى حتى انتصر عليهم في معارك كثيرة، واستعاد أغلب المدن والحصون من أيديهم، وقد اسر بنفسه في بعض الغزوات بعض ملوك النصارى الطغاة[١].

وهـــذا المجـــاهد الكبير صلاح الدين الأيوبي ، الذي هزم الصليبيين هزيمة منكرة في موقعـــة حطّين سنة ٥٧٥هـــ، وأخذ يطارد ملوكهم، حتى استولى على حصن طبرية، وطردهم من بيت المقدس سنة ٥٨٣هـــ.

ومـــع أن هذه الحروب الصليبية أثبتت فشلها في الاستيلاء على مقدسات وخيرات العـــالم الإســـلامي كما يرى ذلك المؤرخون والباحثون، إلا أنها أعطت نتائج إيجابية لـــلغرب نفســـه وذلك بما اكتسبه من المسلمين من ألوان الثقافات الدينية والاجتماعية والأدبية التي ساهمت بشكل أو بآخر في تقدم أوروبا، وانتقالها من عهد إلى عهد، كما أنها شكلت نواة الاستشراق بدراسة أصول المسلمين لتوجيه الإرساليات التنصيرية للعالم الإسلامي بعد اقتناعهم بفشل الوسائل العسكرية[٢].

٢- الشيعة الباطنية :

الباطنية كما هو معلوم من غلاة الشيعة، لعبت دورا خطيرا في تاريخ الشرق الأدنى

(١) انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٧٨، ٢٨٠.

(٢) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/٦٥٢-٦٥٨.

في القـــرن الســـادس الهجـــري، وأثرت عن طريق مباشر أو غير مباشر في مجريات أحداث الحروب الصليبية، عندما تحالفت مع الصليبين لمناهضة الخلفاء العباسيين والسلاجقة السنيين[1].

وقـــد رفعـــوا شعار العداء لأهل السنة في تلك الحقبة من الزمن، فوقفوا في وجه الـــوزراء الســـنيين الذين تحمسوا للجهاد ضد الصليبين ومن هؤلاء الوزير رضوان بن الولخشي[2]، الذي ما أن علم بالمؤامرة المدبرة ضده من الشيعة الباطنية حتى فرّ هاربا إلى عماد الدين زنكي وانضم معه في سلك الجهاد، وكان الولخشي قد استنكر قيام الخليفة العبيدي الحافظ سرا لتمكين الأرمن من استعادة نفوذهم في الدولة[3].

وكـــان من مبادئ الباطنية الأساسية التي وضعتها لنفسها وتوارثها جيلا بعد جيل، مقاومـــة المذهـــب السني، والعمل على الفتك بزعمائه السياسيين والفقهاء ورأت أن الطـــريق المـــؤدي إلى ذلك هو عملية الاغتيال، فذلك هو السلاح الذي استغله هؤلاء

---

(١) انظر: تاريخ الحروب الصليبية/ ستيفن رنسيمان ٢/٣٣.

(٢) رضـــوان الولخشي: رضوان الولخشي، وقيل الريحيني، وزير الخليفة العبيدي "الحافظ" لقب بالملك الأفضـــل وهو أول وزير بمصر لقب بالملك، رأى مهادنة العبيدين للنصارى وتقريبهم، ففرّ بنفسه وديـــنه إلى الشـــام، ثم عـــاد إلى مصر وطفق يجاهد العبيديين ويقاتلهم فأبدى في ذلك شجاعة وحماسة، حتى استماله الحافظ ثم قتله سنة ٥٤٣هـــ، وقطع رأسه وأرسله لزوجته.

انظر: الكامل ١١/٤٩،٤٨، وتاريخ الإسلام حوادث سنة ٥٣١هـــ، والبداية والنهاية ١٢/٢١٢.

(٣) انظـــر: شخصية الدولة الفاطمية سعيد عاشور، بحث في المجلة التاريخية المصرية (القاهرة: مطبعة عين شمس – ١٩٦٩م) مجلد ١٦ ص ٤١.

القــوم في تحقيــق مآربهم وأغراضهم الدنيئة في التخلص من خصومهم، وخاصة أهل السنة، والتاريخ شاهد على أفعالهم القبيحة.

لقــد اقدموا على قتل الملك مودود صاحب الموصل* سنة ٥٠٧هـ[١]، وكانوا قد قتلوا الوزير فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك سنة ٥٠٠هـ[٢]، وقتلوا أيضا الخليفة العباسي المسترشد سنة ٥٢٩هـ[٣].

وجرحــوا بوري بن طغتكين[٤].

وفي ســنة ٥٥٢هـ أغارت الباطنية على حجاج خراسان وقتلوهم جميعا[٥]، ولم يبقوا منهم أحدا لا زاهدا، ولا عالما[٦].

(١) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٧٦.

(٢) انظر: المنتظم ١٧/١١٧، والبداية والنهاية ١٢/١٦٧.

(٣) انظــر: تاريخ مختصر الدول/ غريغوري الملطي المعروف بابن العبري (بيروت: المطبعة الكاثوليكية – ١٨٩٠) ص ٣٥٥.

(٤) بــوري طغتكين: تاج الملوك، صاحب دمشق، بوري بن الأتابك طغتكين، ولد سنة ٤٧٨هـ، كان ذا همة في الجهاد، لا يفتر من غزو الفرنج، شجاعا، جوادا، حليما، شهما. توفي سنة ٥٢٦هـ.
(انظر: شذرات الذهب ٤/٧٨، والنجوم الزاهرة ٥/٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/٥٧٣).

(٥) انظر: المختصر في أخبار البشر ٣/٥.

(٦) انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٣٦.

وحوادث الاغتيال التي قاموا بها للزعماء والعلماء والفقهاء كثيرة[1].

وهكذا ظلت الباطنية خنجرا مسموما في جسد الأمة الإسلامية، ساهمت في تمزيقه، ونشر الرعب بين أبنائه.

وهذه الفرقة التي تدعي الإسلام، وترفع شعاره، هي التي وقفت مع أعداء الإسلام من الصليبين الحاقدين، ويتمثل ذلك في موقفهم السلبي تجاه الدفاع عن مقدسات المسلمين ضد الهجمات الصليبية؛ إذ لم يشاركوا القوى الإسلامية التي نهضت للدفاع عن الثغور الإسلامية، بل كان التقاعس والتخاذل عن الجهاد هو حالهم، يقول ابن تغري بردي: "…. ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع مقدرته على المال والرجال"[2].

كما أنهم ساهموا بشكل أو بآخر مساهمة فعالة في استيلاء النصارى الصليبين على

---

(١) انظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد ط١ (الأردن: دار الألمعي – ١٤١٩هـ) ص ٣٠١-٣٠٥، للوقوف على أسماء الزعماء السياسيين والفقهاء الذين اغتالتهم الباطنية في القرن السادس الهجري، ومنهم عبيدالله بن علي الخطيب، قاضي أصبهان قتل سنة ٥٠٢هـ، وأبوالمحاسن، عبدالواحد بن إسماعيل الطبري شيخ الشافعية، قتل سنة ٥٠٢هـ، وأبوالعلاء ضاعد بن محمد البخاري قاضي نيسابور قتل سنة ٥٠٢هـ أيضاً.

انظر: المنتظم ١١٣/١٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤٧/٥.

مدينـــة صُور[1] سنة ٥١٨هــ، عندما تخاذلوا في تلبية نداء والي صور طغتكين للدفاع عنها[2].

والـــتاريخ أيضـــا شاهد على مساهمتهم في التعاون مع الصليبين لتسليمهم دمشق وبانياس[3].

فقـــد حدث في سنة ٥٢٣هــ أن ازداد خطر الباطنية في دمشق وخصوصا بعد أن راســـلوا الفرنج يدعوهم للحضور لتسليم دمشق وكان زعيمهم في ذلك الوقت رجل يدعى المزدقاني، الذي اكتشف أمره تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة، ونادى في البلد بقتل الباطنية، ولما علم إسماعيل والي بانياس بما جرى للباطنية في دمشق خاف على نفسه فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس إليهم والانتقال إليهم، فأجابوه فسلم القَلعة إليهم، وانتقل هو ومن معه من أصحابه إلى بلادهم[4].

---

(١) صُور : مدينة مشهورة مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر ، سكنها خلق من الزهاد والعلماء، افتتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . (انظر : معجم البلدان ٣/٤٣٣) .

(٢) انظر: الكامل ١٠/٦٢١.

(٣) بانياس: مدينة قريبة من دمشق، كانت بيد الفرنج فاسترجعها نور الدين زنكي رحمه الله.
(انظـــر: الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عبّاس (بيروت: مكتبة لبنان ١٩٧٥م) ص ٧٤).

(٤) انظر: الكامل ١٠/٦٥٦، ٦٥٧.

ولم تقتصر محاربتهم للإسلام على هذا النمط، بل نجدهم يقدمون الولاء التام لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وذلك عندما قلدوهم أرقى المناصب وأعلاها في عهد العبيديين، بل قلدوهم الوزارة أيضا، وتمتع هؤلاء بقسط وافر من سياسة التسامح الديني، وهو أمر تحقق في بناء عدد من الكنائس، وقيام الخلفاء العبيديين كالحافظ بزيارة أديرة النصارى، وما يقدمه الآمر من هبات وعطايا للرهبان والقساوسة، وعلى هذا الأساس فقد زادت موارد الكنائس المصرية زيادة عظيمة في عهد العبيديين، وما حظي به الرهبان أيضا من رعاية ومعونة وتسهيلات وتحقيق الأمن لهم من قبل الخليفة الفائز مما ساهم ذلك في تقوية نفوذ هؤلاء وتسلّطهم على المسلمين[1].

ونجد بالمقابل اليهود يقدمون للباطنية لونا من ألوان المساعدة، ويقفون معهم في خروجهم على المسلمين، يتجلى ذلك من خلال الرسالة الباطنية الموجهة إلى ملك بيت المقدس النصراني بشان الاتفاق معه للزحف على مصر، وقيام الباطنية في الداخل بثورة ضد صلاح الدين الأيوبي وقتله، وأخذ مصر منه، وإعادة الدولة الشيعية من جديد، وكان كاتب هذه الرسالة يهودي[2].

ونحن لا نتعجب من أفعال هؤلاء إذا ما علمنا أنهم جميعا أعداءٌ للإسلام وأهله بما تفيض به ألسنتهم من لعن لأهل السنة على منابرهم في أرجاء مصر إبان الدولة العبيدية. لقد كان للعاضد آخر العبيدين ولع خاص بسب الصحابة رضوان الله عليهم، حتى بلغ

(١) انظر: تاريخ الدولة الفاطمية، ص٢١٦.

(٢) انظر: الكامل ١١/٣٤٦.

به الأمر بعدم التردد في قتل أي سني تقع عليه عيناه[١]، وهو في الواقع يمثل غلاة الشيعة، وهــذا الفعــل دأب دأبت عليه الشيعة عموما عبر التاريخ. وخاصة في القرن السادس الهجري الذي كانوا يشكلون فيه أكثرية في الشام ومصر حتى قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي وأصابهم الذل والصغار وعدم المقدرة على الظهور[٢].

وللباطــنية اهتمام بتنظيم فكرهم الشيعي، ونشره على أوسع نطاق ذلك الاهتمام الــذي كــرّس بتأليف الكتب والرسائل في عقيدة المذهب الشيعي وفقهه، ومطالبتهم بــتحويل الجــامع الأزهر إلى جامعة شيعية تدرس فيها مبادئ التشيع. لقد استحدثوا وظيفــة داعــي الدعاة وهي بمقام وزارة للإعلام والدعاية في العصر الحديث، كانت وظيفــتها الدعايــة لــلمذهب، يعيّن فيها الضالعون في الفكر الشيعي، وتقام المجالس والندوات والمحاضرات والمؤلفات تحت إشراف داعي الدعاة، كما شجع هؤلاء الشعراء لنشر قصائدهم الشيعية المذهب بين الناس[٣] ، ومن شدة تعصبهم لمذهبهم فقد فرضوا عــلى الناس حفظ كتاب دعائم الإسلام[٤] بالقوة ونشر مذهبهم بالسيف فمن قبله نجا

(١) انظر: وفيات الأعيان ٣/١١٠.

(٢) انظــر: الإســلام والحضارة الغربية، محمد كرد علي ط٣ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٩٨٦م) ٢/٨٦،٨٥.

(٣) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/١٥٦.

(٤) كــتاب دعــائم الإسلام للقاضي النعمان بن حيون (ت ٣٦٣هـــ)، وينبغي أن يلاحظ أن هذه الدعــائم موجهــة إلى العامة والجمهور، أمّا خاصة الباطنية فإن هذه الدعائم مؤولة لديهم، وقد وضع لهم صاحب الدعائم تأويلات لذلك في كتابه تأويل دعائم الإسلام.

وكان للصابئة دور مهم في الحركة العلمية التي عرفها العصر العباسي، حيث سبقوا في الطب والهندسة والرياضيات وغيرها، وبرزت طائفة منهم في الأدب والتاريخ، وقد استخدمهم الخلفاء والأمراء في قصورهم، وأشركوهم في تسيير شئون الدولة(١).

٥- الصوفية :

كمـــا أن للصوفية محل البحث في هذا القرن شأن آخر، لقد تخاذل هؤلاء القوم في الدفـــاع عـــن مقدســـات المسلمين وثغورهم، وقدموا خدمة للصليبيين وذلك بتثبيط معنويات المسلمين المجاهدين.

لقد عاصر بعض أئمتهم كثيرا من معارك المسلمين، ولم يفعلوا شيئا، وعندما سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢هـــ كان الغزالي الزعيم الصوفي على قيد الحياة، فـــلم يحـــرك فيه هذا الحادث الجلل شعورا واحدا، ولم يجر قلمه بشيء، لقد عاش بعد ذلـــك اثنتي عشرة سنة فما ذرفت عيناه دمعة واحدة، ولم يشر أدنى إشارة لهذا الحادث العظيم، ولم يستـــنهض المسلمين، ليذودوا عن قبلتهم الأولى(٢).

بـــل تراه خلال الحروب الصليبية مشغولا في خلوته تارة في مسجد دمشق يصعد منارة المسجد طوال النهار، ويغلق بابها على نفسه، وتارة في صخرة بيت المقدس يغلق

(١) انظر: الأدباء الصابئة في العصر العباسي ص ١٥.

(٢) انظر: التصوف في الإسلام/ عمر فروخ (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠١هـــ) ص ٩.

بابها عليه[1].

وصـــورة أخـــرى من صور تعطيل الجهاد عند الصوفية، ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف " أن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه: يا أخـــي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب عليّ مردود، فكتب إليه أخوه: لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين وغلب الكفار، فلابد من الغزو والجهـــاد، فكـــتب إليـــه: يـــا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجاداتهم: الله أكبر، انهدم سور القسطنطينية "[2].

ويقول الصوفية: إذا سلط الله على قوم ظالما فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها[3].

---

(١) انظـــر: المـــنقذ من الضلال / أبي حامد الغزالي، تحقيق عبد المنعم العاني ط١(دمشق: الحكمة – ١٤١٥هـــ) ص ٨٣.

(٢) عوارف المعارف ص ١٠٠-١٠١.

(٣) انظر: التصوّف في الإسلام ص ١١. وهذا كلام باطل بنص الكتاب والسنة ، فإن الله حث على الاســـتعداد لمقابـــلة العـــدو قال تعالى : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُم**﴾ . سورة الأنفال ، آية (٦٠) .

ومـــن الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه ما أخرجه البخاري في صحيحه عـــن عـــبدالله بـــن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" . (صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الجنة تحت بارقة السيوف ٣/٢٠٨).

ومن الأمور الجديدة التي ظهرت بين الصوفية في القرن السادس، أن عقائد الصوفية وآراءهم التي لم تكن تستند في بدايتها إلا على القرآن والحديث وشهود أولياء الصوفية وروايات المشايخ والأقطاب[1]؛ أخذت تتجه في هذا القرن رويدا إلى التعليلات الفلسفية والتحقيقات الكلامية[2].

لذا أخذ هذا الاتجاه الصوفي في البروز وبخاصة في بغداد، ولعل بروزه هذا نتيجة رد فعل لشيوع المذاهب الفلسفية والعقلية، ولكن رافقه بعض المشعوذين والدجالين حتى شاعت في صفوفهم دعاوى الخوارق والمنامات.

لقد أضفى الصوفية على معتقداتهم وسلوكياتهم طابع الدين خوفا من أهل السنة، حيث لجأوا في الاستشهاد على أقوالهم ومعتقداتهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وطبعوها بالطابع الديني لكي تتقبّله أذواق العامة من الناس.

---

(١) الأقطاب : جمع قطب ، وهو عند الصوفية : الواحد الذي هو موضع نظر الله – تعالى – من العالم في كل زمان ، وهو على قلب إسرافيل – عليه السلام – حسب زعمهم الباطل ، ويسمى غوثاً . انظر معجم اصطلاحات الصوفية عبدالرزاق الكاشاني ، تحقيق وتقديم وتعليق د. عبدالعال شاهين ط١ (القاهرة : دار المنار –١٤١٣هـ) ص١٦٢ ، واصطلاحات الصوفية ، محي الدين بن عربي ، راجعها وعلق عليها عبدالرحمن حسن محمود (القاهرة : مكتبة عالم الفكر) ص١٠ ، والتعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق وتقديم ووضع فهارسها إبراهيم الأبياري ط٣ (بيروت – دار الكتاب العربي – ١٤١٧هـ) ص٢٢٧ .

(٢) انظر: تاريخ التصوّف الإسلامي/ قاسم غني ص ٦٨٩.

ولم يرضَ بذلك علماء السلف، بل عقدت المحاكمات، وسفكت الدماء وأدرك أمثال ابن الجوزي ومن قبله شيخه ابن عقيل[1] وغيرهم كثير عظم المسؤولية، فحمل كل منهم لواء الحملة باسم الفقهاء على المتصوفة وألّفوا في الرد عليهم، وأبانوا للناس ضلالاتهم وزيغهم وبدعهم[2].

حتى اعتبر بعض الباحثين ذلك الخلاف بين الفقهاء والصوفية نكبة النكبات وأعظم المصائب[3].

ولقد تأثر الصوفية كثيرا بالباطنية في هذا القرن، بأفكارهم، وعقائدهم الفلسفية،

(١) ابن عقيل: هو أبوالوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي، ولد ببغداد سنة ٤٣١هـ، من علماء القرن السادس، شيخ الحنابلة، بارعاً في الفقه وأصوله، أحد الأعلام الأذكياء، خالف السلف ووافق المعتزلة في عدة بدع ولكنه عاد وأعلن توبته، كان غزير الإنتاج الفكري، فقد صنّف كتاب الفنون الذي يعد أكبر تصانيفه، توفي سنة ٥١٣هـ.
انظر ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة ١٨/٣، البداية والنهاية ١٨٤/١٢، المنتظم ١٧٩/١١، شذرات الذهب ٣٥/٤، النجوم الزاهرة ٢١٩/٥، سير أعلام النبلاء ٤٤٥/١٩، الكامل ٢٩١/٨، وفيات الأعيان ١٠٥/١، معجم المؤلفين ٢٧٧/٢، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي دار الفكر ١٤٦/٣.

(٢) انظر : أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية د. آمنة محمد ط ١(القاهرة: دار الشروق – ١٤٠٧هـ) ص ١٩٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٣/١.

(٣) انظر: ظهر الإسلام/ أحمد أمين ط ٥ (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣هـ) ٥٦/٢.

ويـــبدو ذلك واضحا عند عملية المطاردة لأتباع الفرق الباطنية، مما جعل الكثير منهم يختفون في حلقات الصوفية.

وهذا كان لـــه أثر خطير على أفكار الصوفية، فظهر منهم الغلاة المتأثرون بأفكار الإسماعيلية الباطنية وفلسفتها، الذين زعموا وحدة الوجود والإلحاد أمثال: السهروردي المقتول وغيره[١].

وانتشـــرت في هذا القرن الطرق الصوفية بشكلها المنظم في العالم الإسلامي، ولبس التصـــوف ثوبـــه الفلسفي وأخذ شكلا مغايرا لما هو عليه في القرون الأولى ، وظهرت أفكـــاره الفلسفية التي اشتهر بها وخاصة في بلاد الأندلس التي ظهر فيها في تلك الفترة حـــركة دينية خاصة اتخذت طابع التصوف، وأسفرت عن قيام طائفة المريدين في غرب الأندلـــس، وظهر على إثرها عدد من المتصوفة الذين حاولوا نشر أفكارهم، وقد وقف لهم بعض السلاطين والفقهاء بالمرصاد[٢].

وأخـــذ رموز هذا الاتجاه هنا وهناك بالدعوة إليه بالتأليف والمناظرات ومن هؤلاء عـــلى سبيل المثال الغزالي (ت ٥٠٥هـــ) ومحمد طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـــ) وابن العريف[٣] (ت ٥٣٦هـــ)، وأحمد الرفاعي ت (٥٧٨هـــ) وغيرهم.

---

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٤٣٨.

(٢) انظر: عصر المرابطين والموحدين، ص ٤٦٥-٤٦٨.

(٣) ابـــن العـــريف: أبو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي المريّي، المعروف بابن العريف، كان من كبار الصالحين والأولياء.

٦- المعتزلـــة:

أيضـاً كان المعتزلة يشكلون تياراً فكرياً متكاملاً لــه أسسه وقواعده وعلماؤه في القــرن السادس فاشتهروا بالغلو في تقديس العقل واعتباره المصدر الأول للاعتقاد ومن أشهر دعاهم في القرن السادس، الزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٧- الأشاعرة:

لقــد كان مذهب الأشاعرة -في القرن السادس خاصة- أكثر المذاهب والفرق وجوداً في المجتمع الإسلامي، وأوسعها انتشاراً، ومن أشهر علمائهم في القرن السادس، أبوحـامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، محمد بن تومرت (ت٥٢٤هـ)، والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) وغيرهم.

هذه أشهر المذاهب والفرق المخالفة في القرن السادس، مع العلم أنه يوجد غيرها من الفرق والمذاهب المنحرفة، لكنها أقل نفوذاً.

ولما كثرت مثل هذه الانحرافات العقدية في ذلك القرن، كان لا بد للعلماء من

= ولد سنة ٤٨١هـ بالمريّة – مدينة عظيمة بالأندلس- من الصوفية بالأندلس، من مؤلفاته "كتاب المجالس" بينه وبين القاضي عياض مراسلات ومجادلات فقهية، توفي سنة ٥٣٦هـ بمراكش.

(انظر ترجمته: في وفيات الأعيان ١/١٦٨).

أهـل السـنة والجماعـة ومن وافقهم من الوقوف في وجه أولئك المخالفين، فيظهروا العقيدة الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح نقية صافية لعامة المسلمين، ويؤصلوها بأدلتها الصحيحة الصريحة، وينقضوا كل قول مبتدع يخالفها.

وتلـك نعمـة مـن الله -عز وجل- على المسلمين، أن هيأ أولئك العلماء الأبرار الصـالحين المخلصـين ليحفظوا العقيدة الإسلامية صحيحة سليمة من شوائب البدع والأهواء الفاسدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأمـام هذه المذاهب والطوائف والاتجاهات الفكرية المنحرفة والمضللة، وأمام تلك الغارات الصليبية الحاقدة، وقف زعماء وعلماء وفقهاء المسلمين عبر القرون وخاصة في القرن السادس الهجري لجهادهم والرد عليهم باللسان والقلم والسيف.

إنـنا نجد العلماء والفقهاء في مقدمة الجيوش الإسلامية لمحاربة النصارى فعلى سبيل المثال لا الحصر: في سنة ٥٠٤هـ جهز جماعة من الفقهاء في بغداد للخروج إلى الشام لأجل الجهاد وقتال الصليبيين(١).

وفي سـنة (٥٤٣هـ) أبطل المجاهد نور الدين زنكي أذان "حي على خير العمل" والتظاهر بسب الصحابة – وهو ما كان يفعله الشيعة، فأنكر عليهم ذلك إنكارا شديدا ووقف معه جماعة من أهل السنة بحلب(٢).

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٧٢/٤.

(٢) انظـر: الروضـتين في أخبار الدولتين شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة نشر وتحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ١٩٥٦م) ١٤٧/١.

وفي سـنة (٥٦٦هـ) عزل صلاح الدين الأيوبي قضاة مصر الشيعة، وولّى بدلا منهم قضاة من أهل السنة، كما قطع الآذان بـ"حي على خير العمل" من ديار مصر كلها[١].

ومـن أشـهر العلماء في تلك الحقبة من الزمن الذين وقفوا في وجه أصحاب هذه المذاهب والاتجاهات الفكرية ومنها الصوفية بطبيعة الحال:

الحافظ ابن ناصر السلامي (ت٥٥٠هـ)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) والطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) وابن العربي (ت ٥٤٣هـ) والقاضي عياض (ت ٥٦٧هـ) وابن قدامه (ت٦٢٠هـ) وغيرهم كثير ولله الحمد الذين نذروا أنفسهم لإعلاء كلمة الله. وهو ما سنتناوله في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

وبالـرغم من جسامة الأحداث وعظم الاضطرابات، وكثرة القلاقل والفتن في القرن السادس الهجري، إلاّ أنـه شـهد نهضـة علمية وفكرية واسعة النطاق، فبالإضافة إلى التأليف في الرد على المخالف، نجد المـدارس الديـنية منتشـرة في ذلك الوقت منها مدرسة ابن هبيرة[٢] التي أنشأها سنة (٥٥٧هـ)[٣]،

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٢٦٣/١٢.

(٢) ابن هبيرة: من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.

(٣) انظر: المنتظم ١٥٣/١٨.

والمدرسة التي أنشأها عبد القادر الجيلاني[1][2].

والمدرسة التي أنشأها أبو المظفر فخر الدولة سنة ٥٧٨هـ[3]، كما أنشأ القائد المجاهد نور الدين زنكي العديد من المدارس في حلب ودمشق وحماة، وانشأ صلاح الدين الأيوبي مدارس في مصر لتدريس المذاهب الأربعة ونشر المذهب السني في وجه المذاهب الأخرى كالشيعة والمعتزلة وغيرها[4].

وكان ذلك العصر يحوي عددا من المذاهب الفقهية، والتي كان شأنها يرتفع حينا ويقل حينا، إذ كان من العوامل الأساسية التي تساهم في ذلك ما يتصف به منسوبوها

---

(١) الجيلاني: هو الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي الحنبلي، وفي مقدمة الغنية في ترجمته (ص١) عبدالقادر بن موسى وكذا في الأعلام ٤٧/٤.، ولد الشيخ عبدالقادر سنة ٤٧٠هـ، قال عنه الذهبي: "وفي الجملة: الشيخ عبدالقادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه" وسماه في بداية ترجمته: شيخ الإسلام وعلم الأولياء من مصنفاته الغنية لطالبي طريق الحق، توفي سنة ٥٦١هـ.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤٣٩/٢٠-٤٥١، المنتظم ١٧٣/١٨، الذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٤/٣، الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني، المكتبة الشعبية ٣/١، الأعلام ٤٧/٤.

(٢) انظر: ن . م ١٤٣/١١.

(٣) انظر: الكامل ٤٩٢/١١.

(٤) انظر: الداعي إلى الإسلام: أبي البركات عبد الرحمن الأنباري. دراسة وتحقيق: سعيد حسين باعجوان ط١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية — ١٤٠٩هـ) ص ٢٤.

من القوة والنشاط، وانتساب الخليفة لأحدها، وكان من بين المذاهب المنتشرة في ذلك العصـــر المذاهـــب الأربعة: (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الشيعي والمذهب الظاهري.

الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية

غالباً ما ترتبط الحالة الاجتماعية في أي مجتمع كان بأحواله السياسية السائدة، فيعمّ الأمـن والاسـتقرار في البلاد، ويكون التكامل بين أفراد مجتمعه في حالة قوة السلطة وهيمنـتها عـلى أنحـاء البلاد وبسط العدل فيها؛ بينما تكون الفوضى والفتن وفساد الأخلاق في حالة الاضطراب والانقسام، وتغليب الأطماع الشخصية على مصالح البلاد والعباد.

والسابر لأغوار حالة الأمة الإسلامية في القرن السادس الهجري، يجد تلك الفتن التي عمّـت وطمّت العالم الإسلامي، وجد الفوضى والنهب والسلب والانحلال الخلقي بين أفـراد مجتمعه في ظل غياب خلافة إسلامية موحدة قوية الجانب، وفي ظل تواجد دول ودويلات، وسلاطين صرفوا اهتماماتهم لإشباع رغباتهم وشهواتهم، غير عابئين بالشعب ومتطلباته الحياتية، تاركينه يئن في غياهب المجاعات والفساد والانحلال بين أفراد أسرته، فانقسم على إثر ذلك المجتمع الإسلامي في كافة أنحائه إلى طبقات عدة متفاوتة، مما هيأ الظروف للأعداء ولضعفاء النفوس لبث الرعب والخوف والفساد في المجتمع.

ولم يكن ذلك الوضع الاجتماعي السيئ ليكتب لـه الوجود؛ لو لا أن ثمة عوامل مكنت له الفرصة لنشوئه ومن أهمها من وجهة نظري:

أولا : ضعف الخلافة العباسية :

ذلـك الضعف المطّرد الذي رأيناه في الخلافة العباسية، وضعف مركزها، وعجزها

عن تصريف أمور الدولة، وسيطرة أمراء وسلاطين غير قادرين على إثبات إرادهم فضلاً عـــن تحقيق تطلعات وآمال شعوبهم مع تلك الخصومات والمنازعات التي كانت تدور بيـــنهم، فالســـلاجقة هنا، والعبيديون هناك، والدويلات المتناحرة في اليمن من جهة، ومـــلوك الطوائف في الأندلس من جهة أخرى، والخلافة العباسية ليس لها سوى الاسم فقـــط، كل ذلك ساهم في تمزيق جسد الأمة وتشتيت وحدة كيانها، وساهم في تصعيد حـــدة الخلافـــات في البيت الإسلامي الواحد، فاختل الأمن وانبعثت روائح الفوضى، وأضحى السلب والنهب والفساد الخلقي بين أفراد المجتمع واستولى الرعب على أرواح الـــناس، ممـــا جعلهم لا يبيتون ليلة واحدة، وهم آمنون مطمئنون، فذاق الناس مرارة العبث، وعدم الأمن والاستقرار.

ثانيا: الشيعة الباطنية:

لقـــد أحدثت هذه الطائفة انهيارا اجتماعيا لا مثيل له في هذا القرن، بما زرعته من خـــوف ورعـــب استولى على أفراد المجتمع، وهو أمر تحقق من خلال ما قامت به من اغـــتيالات لـــلزعماء والعلماء حتى أصبحت مصدرا للخوف والقلق بين جميع طبقات المجـــتمع، وســـاهمت في تمزيق وحدة الأسرة الواحدة، فانعدمت الثقة بين الأخ وأخيه، وبـــين الأب وأبنائه، ولم يكد يعرف السلطان أو الخليفة المخلص من أتباعه وحراسه، نتـــيجة خوفه من أن يكون واحدا منهم ممن استهوته الباطنية، وسلبت عقله بأفكارها

المرعبة والبراقة[1].

ثالثا: الحروب الصليبية:

لقد أدت هذه الحروب المتسلطة على العالم الإسلامي، بالإضافة إلى الخصومات والمنازعات الداخلية في كثير من البلدان الإسلامية إلى متاعب جمّة، وصارت البلاد الإسلامية هدفا للهجوم والقتل والسلب والنهب، فساهمت في ضعف مركز الخلافة الإسلامية، وتشكيل الحكومات المستقلة، والمنافسات والاشتباكات بين الدول والدويلات مما هيأ الظروف الملائمة للفساد والانحلال الخلقي الذي جلبته تلك الحروب للمجتمع الإسلامي.

إن المتبصر في أحوال الأمة الإسلامية في أنحاء البلاد في تلك الحقبة من الزمن يجد ثمة قاسما مشتركا بينها، هو ذلك الفساد الظاهر الذي طغى على بعض الخلفاء والسلاطين والوزراء لتلك الدول والدويلات، وذلك البذخ، وحب الأثرة والشهرة، وإشباع الرغبات على حساب حاجة الأمة وأفراد مجتمعها إلى أمن وارف، وعيشة هانئة، يسودها الأمن والاطمئنان، والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وإزاء ذلك شاع النهب والسلب والفساد والغلاء في الأسعار.

---

(١) للوقوف على أسماء الزعماء السياسين والفقهاء الذين اغتالتهم الباطنية في القرن السادس الهجري انظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين ص٣٠١-٣٠٥.

يقـــول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٤٣هـــ: " وفي رجب وقع الغلاء والقحط ودخل أهل القرى والرساتيق إلى بغداد لكونهم نهبوا فهلكوا عرياً وجوعاً"(١).

وعـــلى الرغم من الرخاء الذي كانت تعيشه مصر والشام، وذلك الثراء الواسع في عهد العبيدين؛ إلا أن هذه الثروة الهائلة تذهب إلى جيوب الخلفاء الظلمة لصرفها على قصـــورهم الفخمة، وعلى أبواب اللهو والفساد، ففشت المجاعات، وانتشرت الأوبئة، وظهرت المنكرات والبدع، وأصبحت البلاد في حالة اقتصادية سيئة.

يقـــول ابـــن كثير: كان الخلفاء العبيديون يتصفون بالغنى والظلم، إذ كانوا أنجس المـــلوك ســـيرة وأخبـــثهم ســـريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد"(٢).

وأدى ذلـــك إلى ارتفـــاع الأسعار، وهلاك كثير من الناس، مما اضطرهم إلى أكل الكلاب والميتات(٣).

---

(١) المنتظم: ١٨/٦٦ . والرساتيق : جمع رستاق ، وهو معرب ، ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقلـــيم . انظـــر : المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي (بيروت : مكتبة لبنان – ١٩٨٧م) ص٨٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢٦٤.

(٣) انظر: ن . م ١٣/٢٦.

ويقـــول المقريزي في حوادث سنة ٥٩٢هـــ: "كثرت الطرحى من الأموات على الطرقات وبقي من لم يوجد من يكفنه، ومات الناس جوعا، وغلا القمح والخبز، فهلك الضـــعفاء، وفشا الموت، وكثرت السرقات والضرب والنهب، وفشت الأمراض وغلت الأدوية"(١).

والحال كهذه في بلاد الأندلس، وفي ظل ملوك الطوائف، الذين نهج أغلبهم سياسة داخلـــية، كان بعضهم فيها طغاة، قساة، ظلمة على رعيتهم، يسومونهم سوء العذاب، أثقلوا كواهلهم بالضرائب لملء خزائنهم وتحقيق رغباتهم، حتى قاسى الشعب الأندلسي كـــثيرا مـــن ضروب الاضطهاد والظلم والفوضى الاجتماعية، وتوالي الفتن والحروب الداخلـــية، وقد ترتب على ذلك انهيار المعايير الأخلاقية، واختلط الحق بالباطل والحلال بالحرام، وأخذ الشعب يكتسب بأي وسيلة كانت(٢).

كمـــا ظهـــرت في بلاد الأندلس في ذلك القرن منكرات كثيرة، واستولى النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر الطوائف تشتمل على كل مفسد، وشرير، وقاطع سبيل، وصاحب خمر، كل ذلك في ظل إهمال أمور الرعية(٣).

---

(١) كتاب السلوك في معرفة دول الملوك/ أحمد بن علي المقريزي (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٣٤م) ١/ ١٣٠.

(٢) انظر: دول الطوائف ص ٤١٩.

(٣) انظـــر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب/ عبد الواحد المراكشي، ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي الحلبي ط ٧ (دار الكتاب: الدار البيضاء – ١٩٧٨م) ص ٢٦٠.

ويعــزو بعض الباحثين ذلك إلى أن حكّام الأندلس في تلك الفترة لم يكونوا على قــدر مــن الحــزم في قمع طغيان الجند والعبيد التابعين لهم، مما جعلهم يرتكبون ضد الشعب الآمن ضروبا مثيرة من التعدي والأذى[١].

فــانعكس: ذلك على البلاد وأمنها حتى اشتد نفوذ النصارى في الجيش وفي شئون الجــبايات، فأســاءوا معاملة المسلمين، واشتغلوا في تحصيل المغارم والفروض، وغلبت الفوضى على شئون الدولة المالية وغيرها[٢].

وجــراء ذلك عانى الشعب الأندلسي كثيرا من ضروب الظلم والإرهاق، ولا تكاد تفــيق هــذه الــبلاد من الحروب الأهلية التي يشهرها أولئك الأمراء كل على الآخر والغزوات المتتالية التي كان يشهرها النصارى وبث الخراب والجدب والدمار في البلاد، وتلــك الضــرائب والمغــارم الظالمة التي يفرضها بعض ملوك الطوائف على الشعب يصــرفونها على قصورهم الفاخرة، كل ذلك كان لــه سيئه على الشعب الأندلسي في تلك الفترة[٣].

والحالــة أسوأ من ذلك في اليمن، لقد كان اليمن في تلك الحقبة من الزمن مسرحا لــلحروب والفــتن، نتيجة لقيام دولة وسقوط أخرى، وظهور دعوة واختفاء دعوة،

---

(١) انظر: عصر المرابطين والموحدين ١/٤٣٣.

(٢) انظر: ن. م ١/٤٢١.

(٣) انظر: ن. م ١/٤٣٥، ٤٣٦.

فانعكس ذلك سلبا على الحياة الاجتماعية في تلك البلاد، وخلفت تلك الحروب والفتن عواقب وخيمة على البلاد والعباد، إذ تفرق الناس وتنقلوا وتشردوا باحثين عن لقمة العيش والأمن والاطمئنان، فأدى ذلك إلى تخلف البلاد وسوء أحوال العباد، وعمّ الخراب والظلام والفساد، لكثرة الخلاف والنزاع، وعدم اجتماع الكلمة(١).

وبالرغم من سوء هذه الأحوال في تلك الفترة الزمنية والتي يئن لها ضمير كل مسلم إلا أننا نجد بعضا من الخلفاء والسلاطين اهتموا بشئون رعاياهم، فاتجهوا إلى إعمار المدن، وإصلاح البلاد، وتشييد المساجد والمدارس، حتى ساد الأمن والنظام فترة من الزمن وانتعش على إثر ذلك المجتمع واتحد أفراده واتجهوا نحو هدف واحد هو الجهاد في سبيل الله(٢).

كما نجد في هذا العصر من يسعى بين الناس بالخير والإصلاح والعدل، وبعث الأمن والاستقرار بالبلاد:

فالمستنجد بالله، كان موصوفا بالعدل والرفق بالرعية، ورفع الضرائب والمكوس، إذ لم يدع بالعراق مكسا واحدا، فعاش الناس في عهده في رغد العيش(٣).

---

(١) انظر: اليمن عبر التاريخ ص ١٩٧.

(٢) انظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي/ د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف ص ٥٩٩.

(٣) انظر: شذرات الذهب ٣٨٦/٥، والبداية والنهاية ٢٦٢/١٢، والكامل ٣٦٢/١١.

وكان شديدا على المفسدين، سجن رجلا ذات مرة، كان يسعى بين الناس فحضر رجل وبذل فيه عشرة آلاف درهم، فقال أنا أعطيك عشرة آلاف دينار ودلني على آخر مثله لأحبسه وأكف الناس شره[١].

والمستضيئ كان يوصف بالجود والكرم والعدل مؤثرا للخير، كثير الصدقات، أبطل المكوس، ورد المظالم لأهلها[٢].

طبقات المجتمع في القرن السادس الهجري :

وعند استقراء أحوال الناس في تلك الفترة، يمكن تقسيمهم وبشكل عام إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى، طبقة الحكام:

وهم العباسيون في بغداد، والسلاجقة والعبيديون في مصر والشام، وملوك الطوائف في الأندلس، والوزراء. وكان غالب هؤلاء يعيش في غاية التمتع بالشهوات والاستغراق في الملذات، وتحصيل أكبر قدر ممكن من أسباب الرفاهية والعيشة التي قوامها

(١) انظر: البداية والنهاية ٢٦٢/١٢، والكامل ٣٦٢/١١.

(٢) انظر: المنتظم ١٩١/١٨.

الترف وحب الظهور والإسراف في المأكل والمشرب والمسكن والمركب(١).

الطبقة الثانية: طبقة العلماء والفقهاء:

وهؤلاء كان لهم دور بارز في تربية الأمة، فأفنوا حياتهم في الدعوة إلى الله، والذب عن دينه، والوقوف في وجه الأعداء في كافة أنحاء البلاد، وابتعدوا عن زخرف الدنيا وملذاتها، فكان لهم حضور ومكانة تليق بهم لدى بعض الخلفاء والسلاطين(٢).

الطبقة الثالثة: عامة الناس:

وهؤلاء عانوا كثيرا بسبب الحروب وسوء الأحوال المعيشية مما حملهم إلى الانصراف، والاهتمام بمتطلبات حياتهم الضرورية بالوسائل المشروعة وغير المشروعة، فأدى ذلك إلى انتشار النفاق وسقوط الأخلاق، وانهيار القيم، وهيأت تلك الظروف

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٢/٤٥١.

(٢) أمثال: الوزير ابن هبيرة (ت ٥٦٠هـ) الذي ألف الكتب ونشرها بين الناس، وقرّب العلماء والفقهاء وأنفق على الضعفاء والمساكين.

وأمثال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، والطرطوشي (ت ٥٢٠هـ)، وابن العربي (ت٥٤٣هـ)، والقاضي عياض (ت ٥٦٧هـ)، وابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) وغيرهم كثير، وهم الذين وقفوا في وجه أصحاب البدع والمنكرات من الصوفية وغيرها.

لانتشار النهب والسلب والفساد بين أفراد المجتمع، وأصبح المجتمع بيئة خصبة لاستفحال أمر البدع والمنكرات ومن بينها الصوفية.

هـذا ومـن بـين طبقات المجتمع الإسلامي في تلك الفترة أهل الذمة وهم اليهود والنصارى وغيرهم الذين تمتعوا بنصيب وافر من سياسة التسامح الديني في عهد الخلفاء العبـيديين[1]، والمتصوفة، الذين كانوا يتخذون من المساجد مساكن لهم، ويلجئون إلى سكنـى الألواح ، ويرون ذلك من الزهد والتقشف ، والإعراض عن الدنيا.

والرقيق الذين يشكلون طبقة كبيرة وهم من أسرى الحروب[2].

(١) انظر: تاريخ الإسلام ٤/٦٢٧.

(٢) انظر: ن . م ٤/٦٢٦.

ثالثا : مقارنة القرن السادس الهجري بما قبله

مقارنة القرن السادس الهجري بما قبله

بعد استقراء وتتبع أحداث القرن السادس الهجري السياسية والدينية والاجتماعية، وما اتسمت به من اضطرابات وفتن وسوء أحوال اجتماعية، إنما هو في الواقع من إفرازات أحداث القرن الخامس الهجري الذي شكل بيئة لنشوء تلك الأحداث والاضطرابات والفتن التي اصطلمت نارها في القرن السادس الهجري، وهو أمر تحقق من خلال النقاط التالية:

١ - كثرة الاضطرابات والفتن والقلاقل السياسية في القرنين، نتيجة الانقسام وتشتيت وحدة الكلمة، وضعف الخلافة العباسية، التي لم يعد لها سيطرة على مجريات الأمور.

٢ - الظروف السياسية في القرن الخامس مهدت لانطلاقة نشاط الباطنية[١]، وقيام الحروب الصليبية[٢]، واستفحال أحداثها في القرن السادس الهجري.

٣ - وجود التشيع في القرنين الخامس والسادس؛ إذ كان افتراق الناس في

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء ص ٣٤١، ٣٤٢، وتاريخ الفكر العربي/ عمر فروخ ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين – ١٩٨٣م) ص ٤٦٣-٤٦٥.

(٢) انظر: مآثر الأنافه في معالم الخلافة للقلقشندي ٢/١٥، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٢.

هذا القرن — القرن الخامس — كبيرا، حيث افترقوا إلى سنيين ويمثلهم الخليفة العباسي، وإلى شيعة ويمثّلهم البويهيون، والفاطميون في مصر والشام، وشمال أفريقيا، والإسماعيلية الباطنية في إيران، ومسيحيون ويمثلهم الصليبيون على أطراف العالم الإسلامي في الشام وفلسطين.

٤ - كثرة الفتن والمنازعات المذهبية بين أهل السنة والشيعة الرافضة وغيرها من الفرق والمذاهب على مدار القرنين، وما صحبهما من أحداث، تنشط حينا وتفتر حيناً، تبعاً للظروف السياسية[(١)]، وقد كان لهذه الفتن والمنازعات بين هذه الفرق تأثير بالغ على حياة الناس، فكانت حياقم النفسية قلقة، غير مستقرة مملوءة بالخوف والتشتت وبلبلة الأفكار، وكانت حياقم الدينية مضطربة مما آثر بعضهم الانعزال والانزواء.

٥ - ظهور التصوّف بثوبه الفلسفي بالقرن السادس.

٦ - سوء الأحوال الاجتماعية خلال القرنين من انتشار الرعب والخوف والنهب والسلب والغلاء والوباء، وتفشي الرذيلة[(٢)]، وذلك لانصراف بعض الخلفاء والسلاطين عن تصريف أمور شئون الدولة، والاهتمام

(١) انظر: المنتظم ١٥/١٢٠، ٣٢٩، ٣٤٠، والبداية والنهاية ١٢/٦٦،٦، وتاريخ الفكر العربي ص ٤٦٣، والنجوم الزاهرة ٤/٢٤١، ٢٧٢، ٢٦٠-٥/٤٧،٥٠.

(٢) انظر: الكامل ١٠/٩١، ٢٣١، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٢، والنجوم الزاهرة ٥/٤٣، ٥٩، ٧٩.

بمظاهرهم وإشباع رغباتهم[1]، ومع ذلك فقد وجد من الخلفاء والوزراء والعلماء والفقهاء في القرنين من أقام الدين وقمع المخالفين والمفسدين وكان شديداً على المبتدعين ومن بينهم الصوفية، وأنشأ المدارس وعطف على الفقراء والمساكين، وجاهد في الله حق جهاده[2].

(١) أمثال الأفضل بن بدر الجمّالي(ت :٥١٥هـ).

انظر: وفيات الأعيان ٤٥١/٢، والكامل ٥٨٩/١٠ وما بعدها.

(٢) أمثال: المستنجد بالله (ت٥٦٦هـ)، والمستضيئ (ت٥٧٥هـ) ويوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـ) ونظام الملك (ت ٤٨٥هـ) وابن هبيرة (ت ٥٦٠هـ)، ومبارك بن الحسن الباماوردي المعروف بابن القابلة (ت٥٧١هـ)، وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ). وغيرهم كثير..

رابعا : نشأة التصوف وتطوره

نشأة التصوف وتطوره

أولاً: النشأة:

كما اختلف العلماء والباحثون في أصل اشتقاق التصوّف وتعريفه؛ اختلفوا أيضا في تاريخ نشأته وظهوره. هل كان ظهوره قبل الإسلام أم لا؟

ويمكن حصر الآراء التي تناولت هذا الموضوع في رأيين يعدان من أشهرها، وهما:

الرأي الأول: ظهور التصوّف قبل الإسلام:

وهؤلاء يرون أن التصوف كان معروفا في الجاهلية قبل الإسلام، وممّن قال بذلك، أبو السراج الطوسي، من الصوفية، والطبري، وابن الجوزي، وهذه أقوالهم، ثمّ مناقشتها:

١ - ذهب أبو السراج الطوسي إلى أن نشأة التصوّف كانت في الجاهلية قبل الإسلام، عندما قال: "وروى عن سفيان الثوري[1]، رحمه الله أنه قال: لو لا

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، حافظ، فقيه عابد، إمام، حجة، توفي سنة ١٦١هـ، أدرك جماعة من كبار التابعين.

(انظر: تقريب التهذيب ص ٢٤٤، وصفة الصفوة ١٥١/٣).

أبـــو هاشم الصوفي[1] ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر في الكتاب الذي جمع منه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار[2] وعن غيره يذكر فيه حديثا: أنـــه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيـــت أحـــد، وكـــان يجـــيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصـــرف؛ فإن صح ذلك، فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم"[3].

المناقشة :

يمكن رد رواية الطوسي بالقول: أنه لم ين روايته تلك على اليقين وهذا واضح مـــن صيغة التمريض والشك في قوله: "فإن صح". وفيما يبدو والله أعلم أنها محاولة منه

(١) أبـــو هاشـــم الصـــوفي: هو أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي، أول من تسمى باسم الصوفي من أهل الكوفة، توفي سنة ١٥٠هـــ.

يقـــال أنه من شيوخ النفاق، جبريا في الظاهر، وباطنيا دهريا في الباطن، يقول بالحلول والاتحاد، كان فاسد العقيدة، يسعى بين المسلمين بإثارة الاضطرابات في الإسلام.

(انظر الموسوعة الصوفية د. عبد المنعم الحفني ص ٣٤٢.

(٢) هـــو محمـــد بن إسحاق بن يسار: أبو بكر المطّلبي، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، ولد سنة ٨٠هـــ، وتوفي سنة ١٥٠هـــ وقيل بعدها.

(انظر: تقريب التهذيب ص ٤٦٧، وسير أعلام النبلاء ٧/٣٣-٥٥).

(٣) اللمع ص ٤٢-٤٣.

لتبرئة الصوفية من انتحال اسم مبتدع لم يعرفه الصحابة ولا التابعون.

٢ – كما يذهب الإمام الطبري[١] إلى أن التصوّف كان معروفا في الجاهلية وهذا دليله: "وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيزهم إذا نفروا من منى" إذا كان يوم النحر أتوا لرمي الجمار وأرادوا النحر من منى أخذت صوفه بناحيتي العقبة فحبسوا الناس وقالوا: أجيزي صوفه فلم يجز أحد من الناس حتى ينفروا فإذا نفرت صوفه ومضت خُلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم... قد عرفت ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم من عهد جرهم[٢] وخزاعة[٣]

---

(١) هو محمد بن جرير بن زيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ، المفسر، الإمام، ولد سنة ٢٢٤هـ في آمد طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٠هـ. قال الخطيب: كان ابن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات. من مصنّفاته "تاريخ الطبري" و"جامع البيان في تفسير القرآن".

(انظر: لسان الميزان لابن حجر ط ٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠هـ) ١٠٠/٥، والأعلام ٦٩/٦.

(٢) قوم من اليمن نزلوا بمكة ، وتزوج منهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وهم أصهاره ، ثم ألحدوا في الحرم ، فأبادهم الله تعالى . (انظر : لسان العرب ٢٦٤/٢) .

(٣) قبيلة ، سميت بذلك لأنهم انقطعوا عن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن أيام سيل العرم ، وأقاموا بمكة ، وهم بنو عمرو بن لحي الذي رآه النبي ﷺ يجر قُصبه في النار ، وهو الذي غير دين إبراهيم ودعا العرب إلى عبادة الأصنام . انظر : اللباب في تهذيب الأنساب ، أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري . ضبطه وحقق أصوله ، عبداللطيف حسن عبدالرحمن . ط١(بيروت:
=

وولايتهم"[1].

٣ - وذهب ابن الجوزي إلى نفس الاتجاه ويؤيد الرواية التي تقول: "كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجلّ وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم "الصوفية"[2].

ويقول: وهم المعروفون بصوفة ولد "الغوث بن مر" وسمي الغوث بن مر "صوفة" لأنه لم يعش لأمه ولد، فنذرت إن عاش لها ولد لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيط الكعبة، فلما رزقت بذلك، فعلت. فقيل له صوفة ولولده من بعده[3].

= دار الكتب العلمية – ١٤٢٠هـ) ٢٩٧/١ ، وكتاب الأنساب ، عبدالكريم بن محمد السمعاني، قدم له محمد أحمد حلاق ط١ (بيروت : دار التراث العربي – ١٤١٩هـ) ١٥٤/٢ ، وقبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام ، عبدالقادر فياض حرفوش ط١(دمشق : دار البشائر-١٤١٧هـ) ص٣٩،٣٧ .

(١) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار سويدان) ٢٥٧/٢.

(٢) تلبيس إبليس ص٢٠٠.

(٣) انظر: ن .م ص ٢٠٠، كما ذهب إلى هذا الرأي أحمد الرفاعي الصوفي الذي تنسب إليه الطريقة الرفاعية.

انظر: البرهان المؤيد/ أحمد الرفاعي (القاهرة: الشعب – ١٣٩١هـ) ص ٢٤ بدون رقم الطبعة.

وفي روايـــة لــــه أيضا: أن أم هذا الرجل لا تلد إلا إناثا. فقالت لله علي إن ولـــدت غلاما لأعبِّدنّه للبيت. فولدت الغوث بن مر، فلما ربطته عند البيت أصابه الحـــر فمـــرت بـــه وقد سقط واستمرض، فقالت: ما صار ابني إلا صوفة، فسمي صوفة[1].

المناقشة :

يمكن رد رواية الطبري وابن الجوزي من خلال النقاط التالية:

١ — أن هذه القبيلة من العرب غير مشهورة، ولا معروفة عند أكثر النسّاك، كما قال بذلك شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله[2].

٢ — أن غالـــب مـــن تكلّم باسم "الصوف" لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام[3].

٣ — أن كـــلا الروايتين لابن الجوزي، إنما تثبتان إن صحتا، أن امرأة ما علّقت في رقـــبة طفـــلها علامـــة، وهي قطعة من الصوف، أو أن امرأة شبهت ابنها

(١) انظر: تلبيس إبليس، ص ٢٠٠ .

(٢) انظر الفتاوى ١١/٦.

(٣) انظر: الفتاوى ١١/٦.

بالصوف لما رأته منهوك القوى غير متماسك، كما هو حال الصوف، وأنه سمي لذلك "صوفة" وهذا لا يعني ظهور فئة في الإسلام تسمى "بالصوفية" إذ لم تدل على وجود كلمة "صوفية ولا كلمة "صوفي" بهذه الصيغة، ولا بهذا المعنى قبل الإسلام.

وما أورده ابن الجوزي من أنهم كانوا يقولون لهذه القبيلة "صوفة" و"صوفان" وأنهم كانوا يقولون عند دفع الناس "أجز صوفة" أي يطلبون من أحد أفراد هذه القبيلة أن يجيز هم في الدفع من عرفه تقديرا لهم باعتبارهم من سدنة البيت، فكل هذا لا يبرر تحول الكلمة من "صوفة" أو "صوفان" إلى كلمة "صوف" أو "صوفية"، ولا يدل على وجود هذه الكلمة بهذه الصيغة قبل الإسلام(١).

ولو صحّ ذلك لكان الانتساب للقبائل التي كانت تقوم بسدانة البيت الحرام، وسقاية الحاج أولى من الانتساب إلى رجل لا يعرف عنه إلا أن أمه قد ربطته عندما كان طفلاً بجوار الكعبة، ولم يكن له من الشهرة والمكانة ما لهذه القبائل(٢).

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية د. أحمد بن محمد بناني ط ٢(جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين – ١٤١٣هـ) ص ٨٢.

(٢) سدانة البيت الحرام، كانت لشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وسقاية الحاج، كانت للعباس بن عبد المطلب. انظر: تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر ، وتخريج أحاديث أحمد محمد شاكر ، ط٢ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٧٤هـ) ١٧١/١٤، وانظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية. تحقيق محمد رشاد سالم ط ١ (نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – ١٤٠٦هـ) ١٨/٥، ١٩.

٤ — ثم يقال: إن هذا الرجل المسمى "صوفة" والذي انتسبوا إليه لم يكن على دين صحيح، وإن سلك مسلك الزهد والتعبّد، حيث لا يستبعد أن يكون هذا مذهبا شخصيا لـه، أو أنه تلقاه من بعض النسّاك والرهبان، أو وصل إليه من بعض أصحاب الديانات الهندية، ويقال أيضا: أيّا كان هذا الرجل من الزهد، والعبادة، فإنه على فرض أنه كان مؤمنا بالله لم يكن مؤمنا بمحمد ﷺ، الأمر الذي لا يتحقق إيمان المسلم معه إلا بالإيمان برسول الله ﷺ وبالأنبياء والمرسلين قبله[1].

٥ — أن الإمام ابن الجوزي رحمه الله وفي رواية لـه أخرى ناقض نفسه عندما قال أن هذا الاسم ظهر قبل سنة مائتين من الهجرة[2].

الرأي الثاني:

الذين يرون أن هذا الاسم ظهر في عصر الإسلام، ولكن الاختلاف في فترة ظهوره في الإسلام. هل كان في القرن الأول؟ أم في القرن الثاني؟.

---

(١) انظر: التصوّف والصوفية في مواجهة الإسلام. عبد الكريم الخطيب. ط ١(بيروت: دار الفكر العربي — ١٩٨٠م) ص ٧٩.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٠١.

ويمكن هنا عرض قولين تناولا ذلك:

القول الأول:

زعم أبو السراج الطوسي من الصوفية في رواية له أن التصوّف ظهر في القرن الأول من الهجرة واستدل على قوله بروايتين:

الأولى: قوله : "وأما قول القائل: أنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال، لأنه في وقت الحسن البصري[1] رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة مـــن أصـــحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وقد روى عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطـــواف فأعطيـــته شيئا يعني من المال فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي"[2].

الثانية: قال: "روي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء"[3].

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه بيسار، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، توفي سنة ١١٠هـ وقد قارب التسعين (تقريب التهذيب ص ١٦٠).

والدوانيق : جمع دانق ، وهو سدس الدرهم . انظر : المعجم الوسيط (١/٢٩٨) .

(٢) اللمع ص ٤٢.

(٣) ن. م ص ٤٢.

المناقشة:

يمكـــن الرد على الرواية الأولى بأن يقال: أن الحسن البصري رحمه الله إن كان قد ولد سنة ٢٠هـــ، إلا أنه عاش حتى عام ١١٠هـــ أي أنه عاش حتى بداية القرن الثاني من الهجرة، فيحتمل أنه رأى هذا الرجل الصوفي في آخر حياته وليس في أوّلها.

أمّا الرواية الثانية لـــه فأقلّ ما يقال فيها: أن الطوسي نفسه لم يبيّن وجه الدلالة في هـــذه الرواية على أن التصوّف وجد في أول عهد الإسلام، بل هي على خلاف مراده، ذلـــك أن ســـفيان الثوري رحمه الله ولد سنة ٩٧هـــ وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الـــتقاءه بأبي هاشم الصوفي المذكور لا يمكن أن يكون في القرن الأول، ومن المحتمل إن صـــحّت الرواية أنه رآه في القرن الثاني لأن أبا هاشم الصوفي توفي سنة ١٥٠هـــ من الهجرة[١].

القول الثاني:

يـــرى أصحاب هذا القول أن التصوّف ظهر في عصر الإسلام وفي القرن الثاني من الهجرة واشتهر بعد ذلك، وممّن يرى ذلك:

١ - القشـــيري مـــن الصـــوفية بقوله: ".. فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوّف،

(١) انظر: موقف ابن تيمية من التصوّف والصوفية ص ٨٣.

واشتهر هذا الاسم -أي التصوف- لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[1].

٢ - ابن الجوزي رحمه الله في رواية له راجحة قال فيها: "وهذا الاسم -أي التصوّف- ظهر للقوم قبل سنة مائتين"[2].

٣ - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : "في أثناء المائة الثانية صاروا يعبّرون عن ذلك – أي الزهد – بلفظ "الصوف" لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد"[3].

ويقول رحمه الله عن بداية ظهوره: "أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية أصحاب عبدالواحد بن زيد[4]، وعبدا لواحد من أصحاب الحسن،

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٦٣. والطوارق : جمع طارق ، وهو الآتي ليلاً أو الحادث . انظر : المعجم الوسيط (٢/٥٥٦) .

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٠١.

(٣) الفتاوي ١١/٢٩.

(٤) عبدا لواحد بن زيد، الزاهد، القدوة، شيخ العبّاد، أبو عبيدة البصري، قال البخاري عنه: تركوه، وقال النسّائي: متروك الحديث، وقال ابن حبّان: كان ممّن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه، قال عنه الذهبي: عبدا لواحد من كبار العبّاد، توفي بعد سنة ١٥٠هـ.

(انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ٧/١٧٨).

وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية"[١].

وعن أشتهار هذا اللفظ، قال رحمه الله: "أما لفظ "الصوفية" فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلّم به بعد ذلك، وقد نقل عن غير واحد من الأئمة من الشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل[٢] وأبي سليمان الداراني[٣] وغيرهما، وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلّم به، وبعضهم يذكر عن الحسن البصري"[٤].

٤ – ابن خلدون بقوله: "... فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالفة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم

---

(١) الفتاوي ١١/٦-٧.

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المروزي، أبو عبد الله، ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد نزيل بغداد أحد الأئمة، حافظ، فقيه، حجة، إمام أهل السنة، امتحن في مسألة القول بخلق القرآن، من مصنّفاته "المسند" ، كثيرالأسفار ، توفي سنة ٢٤١هـ .

(انظر: تقريب التهذيب ص ٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١/١٧٧ ، والأعلام ١/٢٠٣) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عطية؛ ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وهو من أهل "داريا" قرية من قرى دمشق، من أئمة الصوفية، وأعلامهم، مات سنة ٢١٥هـ.

(انظر ترجمته: طبقات الصوفية ص ٢٠، والرسالة القشيرية ص ٧٩، والطبقات الكبرى ١/٧٩-٨٠).

(٤) الفتاوي ١١/٥.

الصوفية والمتصوّفة"[1].

٥ - المستشرقون ومنهم ماسنيون[2]، ونيكولسون[3]، اللذين أرجعا نشأة التصوّف إلى حركة الزهد التي ظهرت في القرن الثاني من الهجرة[4].

---

(١) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٢) لويس ماسنيون، مستشرف فرنسي، تعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية والإنجليزية، عني بالتصوّف عناية خاصة، من مؤلفاته فيه : رواية الحلاج، والطواسين للحلاج وغيرها، ولد سنة ١٢٩٢م وتوفي سنة ١٣٨٢م.

(انظر ترجمته: في الأعلام ٥/٢٤٧).

(٣) نيكلسون: هو رينولد ألين نيكولسون، مستشرق إنجليزي، ولد سنة ١٢٨٥م، وتوفي سنة ١٣٦٤ م، عالم بالتصوّف، تعلّم في كمبردج، ودرس العربية والفارسية، ودرّسها، من مؤلفاته: دراسات في التصوّف الإسلامي، وفي التصوّف الإسلامي وتاريخه).

(انظر ترجمته: في الأعلام ٣/٣٩).

(٤) انظر دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير : إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوي ود. عبدالحميد يونس (القاهرة :الشعب) ٩/٣٣٨ "مادة التصوّف" ، والتصوّف الإسلامي وتاريخه: رينولد ألين نيكولسون، ترجمة أبو العلاء عفيفي (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٦هـ) ص ٦٩. وماسنيون ونيكولسون بذلك يخالفان آراء بعض المستشرقين الذين ارجعوا التصوّف إلى أصل هندي أو فارسي أو يوناني.

(انظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفاء التفتازاني، (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر - ١٩٧٤م) ص ٣٠، ٣٥، ٣٨). والحق أن تلك عوامل مختلفة أحدثت أثرها في التصوّف.

ومـــن خـــلال ما سبق عرضه يتبيّن أن القول الثاني من الرأي الثاني والذي يذهب أصـــحابه إلى أن التصـــوّف ظهر في القرن الثاني من الهجرة هو أعدل الآراء والأقوال وأرجحها في نظري، لقوة استدلال أصحابه وقناعتي بذلك –والله أعلم.

أمّا الذين يحاولون من الصوفية إثبات وجود التصوّف في الجاهلية أو في القرن الأوّل من تاريخ الإسلام؛ إنما ينطلقون من وجهة نظري، من فكرة عامة لدى الصوفية، وهي محاولـــة ربـــط جميع أعمالهم وتصرفاتهم وأحوالهم بالدين ربطا وثيقا وهي بطبيعة الحال فكرة خاطئة تحاول صبغ الزهد والورع بالصبغ الصوفي مع الفرق الشاسع بينهما.

لقد فرّق ابن الجوزي بين الزهد والتصوّف، فهو يحترم الزهد، ويذمّ التصوّف. قال رحمـــه الله: "فالتصوّف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمّه أحد، وقد ذمّوا التصوّف"(١).

ثانيا: التطور:

كمـــا هو واضح من دراستنا لنشأة التصوّف، والذي كان ظهوره في القرن الثاني الهجري على أعدل الآراء، لكن عند التتبع والاستقراء لتاريخه الطويل، نجده مرّ بمراحل تطوّر خلالها من مرحلة إلى أخرى.

(١) تلـــبيس إبـــليس/ عبد الرحمن ابن الجوزي (بيروت: دار الكتب العلمية) بدون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر ص ١٦٥.

والتصـــوّف بهـــذا الاســـم والرسم لم يكن معروفا في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين؛ بل كما يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام، يقال مسلم ومؤمن"[1].

و لم يعـــرف ذلك العهد المبارك هذا الغلو في العبادة إلاّ بعض النزعات والتجاوزات الفـــردية، مثل التشديد على النفس كما هي الحال بالنسبة للرهط الثلاثة الذين شددوا على أنفسهم بالصوم وعدم النوم والإعراض عن الزواج.

عـــن أنـــس بـــن مالك -رضي الله عنه- عنه أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي ﷺ يســـألونه عـــن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالّوها[2]، فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ، إن الله قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فقال أحدهم: أمّا أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوّج أبدا.

فجـــاء رســـول الله ﷺ إلـــيهم فقـــال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله، وأتقاكم، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوّج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس منّي)[3].

---

(١) تلبيس إبليس ص ١٩٩.

(٢) تقالّوها: أي رأى كل منهم أنها قليلة (انظر فتح الباري ٩/٧) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح، ٦/١١٦).

وقولـــه ﷺ للحولاء بنت نويت[1]، التي طوقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليـــل كما في حديث عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، فقـــال من هذه؟، قالت فلانة تذكر من صلاتها قال مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملّوا، وكان أحبّ الدين إليه مادام عليه صاحبه)[2].

ولكـــن ومـــع مرور الزمن وكدأب أي انحراف يبدأ صغيرا، ثم ما يلبث أن يتسع، ازدادت الانحـــرافات في أمور العبادة، فكانت تمهيدا للانحراف في تيار الأهواء والبدع عـــند الصوفية، حيث بدأ تشكيل الطرق الصوفية ثم اختلط التصوّف بالفلسفة، وأخيراً آل به الأمر إلى الكفر والإلحاد، عندما قال بعضهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

ويمكن تقسيم تاريخ التصوّف إلى ثلاث مراحل:

---

(١) الحـــولاء بنت نويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية، الأسدية، هاجرت إلى المدينة، عابدة من المجتهدات في العبادة.

(انظـــر ترجمـــتها: في الإصـــابة في تمييز الصحابة لابن حجر. ط ١(دار إحياء التراث العربي — ١٣٢٨هـــ) ٢٧٨/٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير تحقيق وتعليق محمد البنا، محمد أحمـــد عاشـــور، محمود فايد (القاهرة: - الشعب — ١٣٩٠هـــ) ٧٥/٧، حلية الأولياء ٦٥/٢، أعلام النساء، عمر رضا كحالة ط١٠(بيروت: مؤسسة الرسالة —١٤١٢هـــ) ص ٣٠٦هـــ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أحبّ الدين إلى الله أدومه ١٦/١.

المرحلة الأولى :

وتشـــمل القرنين الأول والثاني من الهجرة: من المعلوم تاريخيا أن الصدر الأول من تـــاريخ الإســـلام شهد ثورات وفتناً وحروباً داخلية، كالفتنة التي أودت بحياة الخليفة الراشـــد عثمان بن عفّان رضي الله عنه(١)، وما تلاها من حروب واختلافات؛ انقسم المســـلمون عـــلى إثرها إلى فرق وأحزاب، كان الخلاف بينها، السمة البارزة في تلك الفـــترة. و لم يكن هذا الخلاف ليبتعد عن الدين، لأن كل فريق من المتنازعين يلجأ إلى نصـــوص الديـــن ليؤيد موقفه، إضافة إلى أن حياة المسلمين الاجتماعية في تلك الفترة تغيّرت عما كانت عليه من قبل، فقد فتح المسلمون بلدانا كثيرة، وغنموا مغانم كثيرة، فـــبدأ الـــثراء الفاحش يظهر في المجتمع الإسلامي مقترنا بحياة البذخ والترف، وظهرت الطبقات الغنية التي انطلقت وراء المتعة الرخيصة، وأسرفت في المجون. كل ذلك كان له أثـــره البارز في تنمية روح الورع والزهد عند البعض من الصحابة والتابعين الذين آثروا العـــزلة والابتعاد عن ذلك الجو المشحون بالخلافات والاضطرابات، فدفعهم ذلك إلى الانعزال السياسي، والرغبة عن الدنيا، والانقطاع عن زخرفها، والخلود إلى حياة النسك

(١) عـــندما حاصـــرت جماعـــة من البصرة والكوفة ومصر عثمان بن عفّان رضي الله عنه، يطالبونه بالتنحّي عن الخلافة وتسوّروا عليه الجدار وقتلوه يوم الجمعة وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة سنة ٣٥هـــ.

(انظر: أسد الغابة ٥٩٣، ٥٩٤).

والزهد والعبادة، واتخاذ أماكن منعزلة عن الناس(١).

ويمكـن القـول: أن هذه الفترة الزمنية شهدت ظهور عبّاد وزهّاد ونسّاك؛ السمة البـارزة فيهم، التمسّك بالمنهج الربّاني، والسير على نهج المصطفى ﷺ، ما عدا بعض المغـالاة والتشدد في أمور العبادة، والتي بدرت من البعض -والله أعلم- من غير قصد، ومن هؤلاء على سبيل المثال سعيد بن جبير(٢)، الذي بكى حتى عمشت عيناه(٣).

وعامـر بن عبدالله بن الزبير(٤)، الذي كان يواصل الصيام، ويكثر من العبادة حتى قال له والده: يا بني لقد رأيت أبا بكر وعمر ولم يكونا هكذا(٥).

---

(١) انظـر: مدخـل إلى التصـوّف الإسلامي د. أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ص٧٨-٨٢، ونشأة الفلسـفة الصوفية وتطوّرها د. عرفان عبد الحميد فتاح ط١ (بيروت: دار الجيل - ١٤١٣هـ) ص ٥٠،٤٩.

(٢) سـعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة، ثبت، فقيه، قتل بين يدي الحجّاج سنة ٩٥هـ، ولم يكمل الخمسين من عمره.

(انظر: تقريب التهذيب ص ٢٣٤).

(٣) انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي ٤٢/٣، والطبقات الكبرى للشعراني ٤٢/١.

(٤) عامـر بـن عـبد الله بـن الزبير بن العوام الأسدي، أبو الحارث المدني، ثقة، عابد، مات سنة ١٢١هـ.

(انظر: تقريب التهذيب ص ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢١٩/٥).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١٩/٥.

وطلْــق بــن حبيــب العنزي[١]، الذي قيل عنه أنه كان لا يركع إذا افتتح سورة "البقرة" حتى يبلغ "العنكبوت" وكان يقول: اشتهي أقوم حتى يشتكي صلبي[٢].

وظهر لهذا النوع من الزهد في تلك الحقبة من الزمن، مدارس في المدينة، والبصرة، والكوفة، لها مميزاتها وخصوصياتها وشخصياتها[٣].

وهكــذا لم ينــته القــرن الثاني حتى شهد نوعا آخر من الزهد، نادى به جمع من خــواص المســلمين في البصرة، والكوفة، ومصر، والشام، ونيسابور، عرف هؤلاء بين الــناس بالــزهّاد والعــبّاد، والنسّاك، والبكّاءين، والجوعة، والقرّاء، وهذا الزهد انتهى بأصــحابه إلى نــوع من العبادات فيها تشدد وإسراف وغلو وإفراط، وبرزت ظاهرة اجتماعية منظّمة في صوامع وربط لم يدع الإسلام إليها، ولم يرغّب فيها، وصار مقدمة اتجــاه فكــري نأى بجانبه عما كان عليه السلف الصالح، ومهّد بدوره إلى بذر بذور التصــوّف في تلــك الفترة والذي بدأت طلائعه المتمثلة في ظهور الرهبانية والتشدد في

---

(١) طلْــق، بســكون الــلام، بن حبيب العنزي، من العلماء العاملين، بصري، صدوق، عابد، رُمي بالإرجاء، مات قبل المائة.
انظر: تقريب التهذيب ص ٢٨٣، وسير أعلام النبلاء ٤/٦٠١).

(٢) انظر: حلية الأولياء ٣/٦٤. قلت: وفي هذا مبالغة لمخالفته ما ثبت عن السلف، ولأن القراءة في هذه الحالة غير مفهومة وغير متأنية.

(٣) انظــر: التصــوّف الــثورة الروحية في الإسلام. أبو العلاء عفيفي. ط ١(مصر: دار المعارف – ١٩٦٣م) ص ٨٦-٨٨، وانظــر: التصــوّف الإسلامي تاريخه، ومدارسه، وطبيعته وأثره، أحمد توفيق عباد (القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية-١٩٧٠م) ص ٢٤.

العبادة ومخالفة السنة في بعض الأمور[1] .

يقـــول ابن تيمية رحمه الله: "..... وظهر أحمد علي الهجيمي[2] في –البصرة– وبنى دويـــرة للصـــوفية؛ هـــي أول ما بني في الإسلام... ولهؤلاء من التعبّد المحدث طريق يتمسّـــكون بـــه مـــع تمسّكهم بغالب التعبّد الشرعي، وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى أن أحدهم يموت أو يغشى عليه"[3].

ويقـــول رحمه الله في موضع آخر: "فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول مـــن بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد، وعبدالواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك"[4].

ويمكـــن القول: أن هذا النوع من الرهبانية والتشدد يمثل مرحلة انتقالية تطوّر فيها

---

(١) انظر : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، ص٥٩ ، ومقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د. ناصر عبدالكريم العقل ، ط٢ (الرياض – دار الوطن – ١٤١٧هـ) ١/١٢٤-١٢٧) .

(٢) أحمد الهجيمي: كان تلميذ شيخ الصوفية في البصرة، عبدا لواحد بن زيد، وكان يتكلّم في القدر، وقـــف داراً بالبصرة للمتعبّدين والمريدين، قال الدار قطني: متروك الحديث، وقال الذهبي: ما كان يدري ما الحديث؛ ولكنه عبدٌ صالح وقع في القدر نعوذ بالله من ترهات الصوفية، توفي سنة ٢٠٠هـ.

(انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ٩/٤٠٨).

(٣) الفتاوي ١٠/٣٥٨-٣٥٩.

(٤) ن . م ١١/٦.

هـــذا النوع من السلوك من طور الزهد إلى طور التصوّف، وأصبحت صورته واضحة جلية عند أمثال:

داود الطائي(١) الذي قال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس فرارك من السبع"(٢).

وعبدا لواحد بن زيد (ت١٨٥هـــ) الذي صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة(٣).

ورابعة العدوية(٤) التي تعتبر أوّل من تغنى في رياض الصوفية بالحب والعشق الإلهي،

(١) أبـــو سليمان، داود بن نصير الطائي، الكوفي، أحد الأولياء ثقة، فقيه، زاهد، ولد بعد المائة بسنوات، من كبار أئمة الفقه والرأي، فصيح، عليم بالعربية، مات سنة ١٦٢هـــ وقيل سنة ١٦٥هـــ.

(انظر: تقريب التهذيب ص ٢٠٠، سير أعلام النبلاء ٤٢٢/٧، حلية الأولياء ٣٤٠/٧).

(٢) الرسالة القشيرية ص ٧٤.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ٤٦/١، وسير أعلام النبلاء ١٧٩/٧. قلت: ربما كان في ذلك مبالغة لأنه مخالفة للشرع لاستحالته.

(٤) رابعـــة بنت إسماعيل العدوية القيسية، أم الخير، مولاة آل عتيك، الصالحة، المشهورة، كانت من أعيان عصرها، زاهدة، عابدة، ناسكة، تغنت بالشعر ، وتكلم فيها أبوداود السجستاني ، واتهمها بالـــزندقة ، فلعلـــه بلغه عنها أمر ، توفيت سنة ١٣٥هـــ، وقيل سنة ١٨٥هـــ، وقبرها بظاهر القدس من شرقية على رأس جبل يسمّى الطور.

(انظـــر: وفـــيات الأعـــيان ٤٨/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٤١/٨، والأعلام: ١٠/٣) ، والبداية والنهاية (١٨٦/١٠ وما بعدها) .

و لم يكن ذلك اللون معروفاً من قبل، ومن أقوالها:

أحبك حبين حـــب الهوى وحـــــبا لأنك أهل لـــذاكا

فأما الذي هو حب الهـــوى فذكر شغلت به عمن سواكا

وأما الذي أنت أهـــــل له فكشفك للحجب حتى أراكا[1]

وممّـــا يلاحـــظ أن بعضا من الصوفية[2]، يحاول إطلاق اسم الصوفية على الزهّاد والعبّاد والمسلمين في العصر الأول من الإسلام، بل يطلق ذلك على الصحابة والتابعين، والحقـــيقة غـــير ذلـــك، فالتصوّف أمر زائد على الزهد، يظهر فيه الغلو والانحرافات، والخـــرافات الفكرية والسلوكية، وهو مذموم على لسان علماء السلف، يفهم ذلك من كـــلام ابن الجوزي رحمه الله في قوله: ".. فالتصوّف مذهب معروف يزيد على الزهد

---

(١) انظـــر: أصـــول التصوّف د. عبد الله حسن زروق ط ١ (القاهرة: مكتبة الزهراء-١٤١٨هـ) ص ٧١، ومدخل إلى التصوّف الإسلامي ص ١٠٣.

(٢) أمثال السلمي في طبقات الصوفية، والأصفهاني في حلية الأولياء والشعراني في الطبقات الكبرى، والأخير جمع في طبقاته أقوالا منكرة، و لم يستح أن بدأ بالخلفاء الراشدين، ثم نظّم في سلكهم من كان يعمل أعمالا منكرة.

(انظـــر: ترجمة من سماه بسيده: علي وحيش (ت٩١٧هـ) ص ١٤٩-١٥٠، كنموذج بلغ فيه الانحراف الخلقي مبلغه عند بعض الصوفية .

ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمّه أحد وقد ذمّوا التصوّف"(١).

كما أنكر ابن الجوزي رحمه الله على أبي نعيم الأصفهاني "إضافة التصوف إلى كبار السادات، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومالك والشافعي وأحمد وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوّف"(٢).

ثمّ قال رحمه الله تعالى: "فإن قال قائل: إنما عني به الزهد في الدنيا، وهؤلاء زهاد، قلنا: التصوّف مذهب معروف عند الصحابة، لا يقتصر فيه على الزهد، بل له صفات وأخلاق يعرفها أربابه، ولو لا أنه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين ذمّه"(٣).

بل أن أئمة الصوفية –أنفسهم– يرون أن التصوف أمر مغاير للزهد والعبادة، وفي هذا يقول السهروردي:" التصوّف غير الزهد، فالتصوّف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد، مع مزيد أوصاف وإضافات، لا يكون بدونها الرجل صوفياً، وإن كان زاهداً"(٤).

هذه هي المرحلة الأولى للتصوّف، والتي تعدّ بمثابة البذرة الأولى لظهوره، حيث بدأ زهدا وعبادة ونسكا، ثم بدأت المغالاة والتجاوزات والتشدد في أنماط العبادة والسلوك، مما

(١) تلبيس إبليس ص ٢٠٤.

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي ، ص ٢٥.

(٣) ن. م ص ٢٥.

(٤) عوارف المعارف ص ٥٥.

مهّد لتجاوزات وانحرافات أكثر فأكثر، وهي ما سيتم تناوله في المرحلة الثانية للتصوّف.

المرحلة الثانية:

وتشمل القرون الثالث والرابع والخامس من الهجرة.

لاشك أن هذه المرحلة هي امتداد لأفكار المرحلة الأولى، ولكنها تتميّز عنها بأنها أخذت منحىً آخر، عني فيه المتصوفة عناية شديدة، بالدراسة والبحث، حيث اتجهت أفكارهم إلى التعمّق في النفس بكشف أسرارها، والكلام عن معاني لم تكن معروفة من قبل، كالمقامات والأحوال، والعشق والشوق، والخوف والرجاء، والحب والوجد، والغيبة والحضور، والفناء والبقاء[1]، وعظمت الشطحات الصوفية، وأحوال البدعة مثل السماع، والتفريق بين الشريعة والحقيقة، ودعاوي العلم اللدنّي، والتلقي من غير الشرع، واختلط التصوّف بالفلسفة، واستعملت لغة الرموز والغموض، وظهرت مصطلحات تمهد لظهور الطرق مثل قول بعضهم علمنا، مذهبنا، طريقتنا، وأصولنا أو القوم.. إلخ[2] .

---

(١) سوف يتم التعريف بتلك المصطلحات في الفصول الخاصة بها إن شاء الله.

(٢) انظر: مدخل إلى التصوّف الإسلامي ص ١١١-١١٢، مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ١/١٢٦، وفي الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د. إبراهيم مدكور، (القاهرة: دار المعارف) ٢/٦٨، وكتاب الأربعين في شيوخ الصوفية. أحمد بن محمد الماليني، تقديم وتحقيق وتعليق د. عامر حسن صبري ط١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية – ١٤١٧هـ) ص ١٧.

يقول الجنيد (ت٢٩٧هـ): "علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ "[١].

ويقول أيضا: "مذهبنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة"[٢].

ويقول سهل التستري (ت٢٨٣هـ) أصولنا سبعة: التمسّك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسوله ﷺ وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق[٣].

وفي هــذه المرحلة أخذ المتصوّفة يصنفون الكتب في التصوّف محاذاة لكتب الفقهاء مــن أهلِ السنة، فصنّفت الكتب التي تحمل أخبار الزهد والزهّاد، ويتكلّم أصحابها عن الخطــرات والوساوس، وخلطت التصوّف بالحديث والكلام. ومن أشهر هذه الكتب "قــوت القــلوب" لأبي طــالب المكّــي (ت ٣٨٦هـ)، و"حلية الأولياء" لأبي نعيم الأصــفهاني (ت٤٣٠هـ)، وتكــلّم الحــارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) في الخواطر والوســاوس، وقــد أنكــر عليه الإمام أحمد بن حنبل ذلك إنكارا شديداً، ونهى عن الإطّــلاع عــلى كتبه، كما صنّف لهم عبدالرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) في التفسير والحديث والسنن والزهد[٤].

---

(١) كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية ، ص١٧ .

(٢) كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية ص ١٧.

(٣) طبقات الصوفية ص٤٩ .

(٤) انظــر: طــبقات الصوفية ص ٤، وظهر الإسلام. أحمد أمين ط ٣(بيروت: دار الكتاب العربي) ٢٢٧،٢٢٨/١، والصــوفية نشــأتها وتطوّرهــا. محمــد العبدة وطــــارق عبد الحليم ط٣ (بريطانيا: دار الأرقم –١٤١٤هـ) ص ٢٨. وكتاب الأربعين في شيوخ الصوفية ص١٧.

وكـــان لهذا الاتجاه الفكري الصوفي آثاره التي جعلته يعيش مرحلة انتقالية، حيث كان سابق عهده لا يبتعد كثيراً عن العبادة والزهد والسلوك، وتتلقى علومه من صدور الرجال؛ إلاّ أنه في هذه المرحلة أصبح علماً مدوّناً اكتملت له كل مقدّماته.

يقـــول ابـــن خلدون: "فلما كتبت العلوم ودوّنت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكـــلام والتفســـير وغـــير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة –التصوّف– في طريقتهم. فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس عن الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بيّن آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم، وصار علم التصوّف في الملة علما مدوّناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط"[(١)].

ويقـــول أبو العلاء عفيفي: "دخل التصوّف بعد ذلك –أي بعد أن كان زهداً– في دور جديـــد هـــو دور المواجد والكشف والأذواق، ويقع هذا الدور في القرنين الثالث والرابع اللذين يمثّلان العصر الذهبي للتصوّف الإسلامي[(٢)] في أرقى وأصفى مراتبه"[(٣)].

---

(١) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٩.

(٢) في الحقـــيقة ليس هناك تصوّف إسلامي، وإنما الدين عند الله الإسلام، قال تعالى: (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ**) سورة آل عمران آية رقم (١٩).

وقال تعالى: (**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين**) سورة آل عمران آية رقم(٨٥).

(٣) التصوّف، الثورة الروحية في الإسلام. أبو العلاء عفيفي ص ٩٢.

وشـــهدت هـــذه الفـــترة الزمـــنية بزوغ فجر الطرق الصوفية في صورها الأولى كالملامـــتية[١]، والطيفورية[٢]، والخرازية[٣]، والنورية[٤]، والحلاجية[٥][٦]، التي أصبحت نواة فيما بعد لظهور الطرق الأكثر فاعلية وتنظيما وانتشاراً، ويزعم أصحابها أنها تقدم مـــنهجاً إرشـــادياً للنفس والخلق من خلال تربية الشيخ لمريده . وهي في الحقيقة تقدم الضلالات والانحرافات ، يروى عن أبي علي الدقّاق[٧] قوله: "الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنه تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن لـــه أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفساً فهو عابد هواه لا يجد نفاذاً"[٨].

---

(١) الملامتية: نسبة إلى لوم النفس، ويطلق عليها القصارية نسبة إلى حمدون القصار (ت٢٧١هـــ).

(٢) الطيفورية: نسبة إلى أبي يزيد البسطامي (ت٢٦١هـــ).

(٣) الخرازية: نسبة إلى أبي سعيد الخراز (ت٢٧٧هـــ).

(٤) النورية: نسبة إلى أبي الحسين النوري (ت ٢٩٥هـــ).

(٥) الحلاجية: نسبة إلى الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـــ).

(٦) انظر ما سبق: مدخل إلى التصوّف الإسلامي ص ١٢٨، والتصوّف الإسلامي وتاريخه ص ٢٠.

(٧) الدقّاق: هو أبو علي الحسن بن علي الدقّاق النيسابوري، شيخ الصوفية، برع في الأصول والفقه والعربية، توفي سنة ٤٠٦هـــ.

(انظر ترجمته: في شذرات الذهب ٣/١٨٠-١٨١).

(٨) الرسالة القشيرية: ص ٥٧٢.

وفي هذه المرحلة، وفي نهاية القرن الثالث الهجري، وقع المتصوّفة بمشكلة المصطلحات الغامضة المبهمة، التي يستطيع كل متصوّف تفسيرها بما يروق له، وهي مصطلحات تعبّر عنها ألفاظ وكلمات وتراكيب، ولها معان خاصة غير ما يدلّ عليه ظاهرها، ومن هذه المصطلحات على سبيل المثال:

الغيبة والحضور[(١)]، والسكر والصحو[(٢)]، والجمع والفرق[(٣)]، والفناء والبقاء[(٤)].

هذا غيض من فيض، مما تناولته أقلام الصوفية، وانفردوا به دون غيرهم، يقول الكلاباذي:

"إن للقوم عبارات انفردوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم"[(٥)].

ويقول القشيري: اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفردوا بها عمّن سواهم، تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم بإطلاقها.

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ص ١٣٣.

(٢) انظر: اللمع ص ٤١٦، والتعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٣٨، والرسالة القشيرية ص ١٣٤.

(٣) انظر: معجم اصطلاحات الصوفية. عبد الرزّاق الكاشاني. ص ٤١، والرسالة القشيرية ص ١٢٦.

(٤) انظر: عوارف المعارف ص ٤٧٠، والرسالة القشيرية ص ١٢٨.

(٥) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١١١.

وهـــذه الطائفـــة -أي الصوفية- يستعملون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معـــانيهم لأنفســـهم والإجماع والستر على ما بينهم في طريقهم لتكون معاني ألفاظهم مشـــتبهة عـــلى الأجانب غيرة فيهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلّف أو مجلوبة بضرب تصرّف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم"[1].

وممّن تكلّم بهذه المصطلحات الرمزية الغامضة:

أبـــو يزيد البسطامي (ت٢٦١هـ)... وأبو سعـــيد الخـــراز[2] (ت٢٧٦هـ)، والنوري[3] (ت٢٩٥)، وأبو حمزة الصوفي[4] (ت٣٠٩هـ) وغيرهم[5].

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٧.

(٢) الخراز: هو أبو سعيد الخراز، واسمه أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد ومن أئمة الصوفية، توفي سنة ٢٧٩هـ.

(أنظر: طبقات الصوفية ص ٢٧٩، والطبقات الكبرى ١/٩٢).

(٣) الـــنوري: هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، ولد ونشأ ببغداد، وأصله من خراسان، ويعرف بابن البغوي نسبة إلى قرية "بغشور" وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ، وهو من أقران الجنيد، توفي سنة ٢٩٥هـ.

(انظر: طبقات الصوفية ٣٨-٣٩، والرسالة القشيرية ص ٨٨، والطبقات الكبرى ١/٨٧).

(٤) أبـــو حمزة الخراساني: أصله من نيسابور من محلة "ملقاباذ" صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، توفي سنة ٣٠٩هـ.

(انظر: الطبقات الكبرى ١/١٠٣).

(٥) لقد وقف الفقهاء في وجه هؤلاء، ورموهم بالزندقة، والحلولية.

(انظر: اللمع ص ٤٧٢، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٧ وما بعدها).

ولم تنته هذه الفترة الزمنية؛ إلاّ وكانت كلمة الصوفية عامّة في جميع الأصقاع الإسلامية.

ومن المؤكد قولا أن القرنين الثالث والرابع من الهجرة، يمثلان العصر الذهبي للتصوّف في أرقى وأصفى مراتبه، وهذا واضح من خلال ظهور الطرق، وكثرة التصانيف التي أصبح لها تأثير في أجيال التصوّف في القرون التالية، كما هي الحال بالنسبة للقرن الخامس الهجري، الذي يعتبر امتداداً لأفكار القرون السابقة عليه، والتي راجت من خلال مصنّفات أبو عبدالرحمن السلمي[1] (ت٤١٢هـ) والقشيري (ت ٤٦٥هـ)، حتى أخذ التصوّف مكانه عند من حسبوا على أهل السنّة أمثال الهروي[2] (ت٤٨١هـ)، والغزالي (ت٥٠٥هـ).

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي: هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، السلمي، النيسابوري، ولد سنة ٣٢٥هـ، قال الذهبي: ".. شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم، وطبقتهم، وتفسيرهم، قيل: كان يصنع الأحاديث للصوفية" توفي سنة ٤١٢هـ.

(انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ١٧/٢٤٧-٢٥٥، الأعلام ٦/٩٩).

(٢) الهروي: عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل، شيخ خراسان في عصره، ولد سنة ٣٩٦هـ من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيّوب الأنصاري، إمام، وقدوة، بارعاً في اللغة، حافظا للحديث، مظهراً للسنة، داعياً إليها، من مصنّفاته: " منازل السائرين" توفي سنة ٤٨١هـ.

(انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٣، والأعلام ٤/١٢٢).

ومن أشهر رموز التصوّف في هذه المرحلة الخطيرة :

الحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ)، وذو النون المصري (ت٢٤١هـ)، وأبو يزيد البسطامي (ت ٢٦٠هـ)، والجنيد (ت ٢٩٨هـ)، والحلاج (ت ٣٠٩هـ)، وأبو طالب المكّي (ت ٣٨٦هـ)، وعبدالرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) وأبو نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، وعلي الهجويري (ت ٤٧٠هـ) وغيرهم.

وكذلك الغزالي (ت٥٠٥هـ) الذي تزعّم مدرسة الكشف في هذه الحقبة من الزمن[1].

المرحلة الثالثة:

وتشمل القرنين السادس والسابع وما بعدهما:

سبق الإشارة إلى أن المرحلة الأولى كان يغلب عليها الزهد، ولم يخرج عن هذا المفهوم، إلا بعض التجاوزات، كما أن المرحلة الثانية أصبحت مرحلة تدوين وحفظ لمقوّمات التصوّف، ولكن في المرحلة الثالثة، نجد أن التصوّف نحى فيها منحاً خطيراً، وذلك عندما مزج أفكاره بالفكر الفلسفي، وعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية

---

(١) انظر: التصوّف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ص ٢٥،٢٧، كما كان للتصوّف في القرن الثالث مدارس في بغداد ومؤسسها أبو الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)، وفي مصر والشام ومؤسسها ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ)، وفي نيسابور ومؤسسها حمدون القصار (ت٢٧١).
(انظر: التصوّف الثورة الروحية في الإسلام أبو العلاء عفيفي ط١ (مصر: دار المعارف-١٩٦٣م) ص٩٤، ٩٨، ١٠١).

بأنظارهم العقلية، مستخدمين في التعبير عنها، مصطلحات فلسفية.

يقول ابن خلدون: "عني الصوفية أشد عناية بالأبحاث العقلية وبالمجاهدات وما يحصل عنها من الأذواق والمواجد والكشف والتصرّفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات والرموز والمصطلحات التي يكتنفها الغموض"[(١)].

وفي هذه المرحلة، وبالأخص في القرن السادس الهجري وصل التصوف إلى ذروة تطوره حتى "لقد ابتلي به كثيرون من المنتسبين للسنة"[(٢)]، وكانت البداية الفعلية للطرق الصوفية الأكثر تنظيما وانتشارا، حيث ظهرت الطريقة القادرية[(٣)]، والطريقة الرفاعية[(٤)]، والطريقة السهروردية[(٥)]، ثم تتابعت الطرق ونشطت في العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري نشاطا ملحوظا في الشرق والمغرب، ففي المغرب ظهرت الطريقة الشاذلية[(٦)]، والطريقة الأحمدية[(٧)]، والطريقة البرهامية[(٨)]، وظهرت في فارس الطريقة

(١) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٧٣-٤٧٤ "بتصرّف".

(٢) مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع د. ناصر العقل ١/١٣٦.

(٣) القادرية: نسبة لعبد القار الجيلاني (ت٥٦١هـ).

(٤) الرفاعية: نسبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسن الرفاعي (ت٥٤٠هـ).

(٥) السهروردية: نسبة إلى شهاب الدين أبو الفتح محي الدين السهروردي المقتول (ت ٥٨٧هـ).

(٦) الشاذلية: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ).

(٧) الأحمدية: أسّسها أحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ).

(٨) البرهامية: أسّسها إبراهيم الدسوقي (ت ٦٧٦هـ).

الكــبراوية[١]، وظهرت الطريقة الششتية[٢] في وسط آسيا والتي كان لها تأثير كبير في الهند، وظهرت في القرن الثامن الهجري الطريقة النقشبندية[٣]، والطريقة البكتاشية[٤]، ثم ظهــرت فــيما بعد الطريقة التجانية[٥] المشهورة، وتفرعت بعد ذلك بعض الطرق إلى طرق فرعية، سادت العالم الإسلامي، وانتشرت في أرجائه، وقد كانت هذه الطرق في بدايــتها متمسّــكة بظاهر الشرع ملتزمة لتعاليمه ولكن سرعان ما تسرّبت كثير من الأفكار الفلسفية، والنظريات الغنوصية[٩] إلى دوائر هذه الطرق، وأصبحــت تتردد في أشعارهم ومدائحهم، وأذكارهم كثير من البدع في العبادات والمنكرات في العقــائد.

واستغلّ بعض أتباع تلك الطرق ممارسات فيها نوع من الدجل والشعوذة، وسادت

---

(١) الكبراوية: نسبة إلى نجم الدين كبرى (ت ٦١٨هـــ).

(٢) الششتية: أسّسها معين الدين حسن ششتي (ت ٦٣٣هـــ).

(٣) النقشبندية: أسّسها بهاء الدين محمد بن محمد النجاري المعروف بشاه نقشبند (ت ٧٩١).

(٤) البكتاشية: أسّسها حاج بكتاش (ت ٧٣٨هـــ).

(٥) التجانية: نسبة إلى أحمد التجاني (ت ١٢٣٠هـــ).

(٩) الغنوصــية: غــنوص في أساســه معرفة أشياء دينية تسمو على مستوى عامة المؤمنين، ثم تحول الغــنوص إلى المعتقدات السرية والخفية، بل الملحدة أحياناً، والغنوصية: مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين، ويقوم على أساس فكرة الصدور، ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض.

انظر: المعجم الفلسفي/ إعداد مجمّع اللغة العربية (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية — ١٣٩٩هـــ) ص ١٣٣.

في أوساطهم كثير من الخرافات والأباطيل[(١)].

وكـــان لكثير من هذه الطرق الصوفية[(٢)] دورها الفعال في التأثير على مريديها بما تمـــثّله مـــن مجـــالس عهر وفجور أكثر منه مجالس ذكر وعبادة، فيها أطرب الأصوات وألطـــف الرقص، وأغرى الأشعار الغرامية، وهي بلا شك تمثّل خطراً على الأمة لهذه الممارســـات الـــتي تجري داخلها، والخارجة عن تعاليم الإسلام، لما تمثله من انحرافات وخـــرافات استغلها المستعمرون، فقاموا بتغذيتها ودعمها لتحقيق مآربهم التي ينشدونها من تمزيق وتفريق لوحدة المسلمين. ولطالما كان من بعض أهل هذه الطرق مطية لرجال السياسة يستخدمونهم في فتنة العامة، ليوطدوا لهم أسباب الملك والغلبة[(٣)].

ومـــن أبرز ملامح هذه المرحلة وخاصة في القرن السابع الهجري، تلك الانحرافات والكفـــريات الـــتي نادى بها أصحابها مثل: القول بوحدة الوجود، والاتحاد، والوحدة

---

(١) انظـــر: مدخل إلى التصوّف الإسلامي ص ٢٨٦-٢٩٨. وطائفة الختمية. أصولها التاريخية وأهم تعاليمها د. أحمد محمد جلي ط ١(بيروت: دار خضر للطباعة والنشر - ١٤١٢هـــ) ص ٩.

(٢) لفـــظ الطريقة الصوفية تطلق على مجموعة أفراد من الصوفية ينتسبون إلى أحد مشايخ الصوفية المشـــهورين الذي زعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف ويدعي لنفسه رتبة من مراتب الأولياء عـــند الصـــوفية ، ولهـــذه الطرق أذكار وأوراد خاصة بهم مبتدعة ، ويخضعون لنظام معين في السلوك .

(٣) انظـــر: الإســـلام والحضارة العربية: محمد كرد علي. ط٣(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٨م) ٢/ ٣٥

المطلقة، لذا فلا غرو أن اعتبر هذا القرن هو قمة الانحراف الصوفي، فقد برز منه رجال أشبه ما يكونون بالفلاسفة كالسهروردي المقتول صاحب حكمة الإشراق[(١)].

وابـــن عربي، الذي اكتملت على يده فكرة وحدة الوجود [(٢)] ... وابن سبعين[(٣)] صـــاحب فكرة الوحدة المطلقة[(٤)]، وتابعهم جماعة من شعراء الفرس أمثال: فريد الدين

---

(١) الإشـــراق الفلسفي الصوفي هو عين الإشراق الفلسفي عند فلاسفة اليونان أمثال: سقراط وأفلاطون وأفلوطين، وغيرهم من الهنود والفرس، والذي يصل فيه المرء بعد مرحلة التجرد والرياضة والعبادة إلى مرحـــلة الكشـــف والإخبار عن المغيبات -هكذا يزعمون باطلا- والإشراقية مذهب حركي عقلي، وهذا المذهب يمكن أن يعد استمرارا لنظرية العقول العشرة "نظرية الفيض".

انظـــر: أضواء على التصوّف د. طلعت غنام (القاهرة: عالم الكتب) ص ٣٠، وأصول الفلسفة الإشـــراقية عـــند شهاب الدين السهروردي. د. محمد علي أبو ريان (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية) ص ٢٠٠.

(٢) وحـــدة الوجـــود أصبحت مدرسة من مدراس التصوّف في هذه الفترة الزمنية. (انظر: التصوّف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ص ٢٧، ٢٩).

(٣) ابـــن ســـبعين: هـــو أبو محمد عبدا لحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد الإشبيلي المرسي الرقوطي الأصل، الصوفي المشهور، ولد سنة ٦١٣هـــ بالأندلس وتوفي سنة ٦٦٧هـــ بمكة وقيل ٦٦٩هـــ منتحرا بقطع شرايين يده، وهو من فلاسفة الصوفية وملاحدتهم.

(انظر ترجمته: في طبقات الشعراني ٢٠٣/١، وشذرات الذهب ٣٢٩/٥).

(٤) الوحدة المطلقة : تعني عند الصوفية أن جميع مخلوقاته هي عينه ، فهو عين ما ظهر ، وعين ما بطن .

(انظـــر : مصرع التصوف ، برهان الدين البقاعي ، تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل ، طبع على نفقة أحد المحسنين، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء — الرياض — ١٤١٥هـــ ، ص٦٤).

العطّـــار[1]، وجلال الدين الرومي[2]، وابن الفارض[3] الذي يحلو للبعض أن يطلق عليه "ســـلطان العاشقين والكل من هؤلاء يرمي إلى أن يقيم التصوف على دعائم فلسفية،

(١) فـــريد الدين العطار: أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم، فريد الدين العطّار، ولد سنة ٥١٣هـــ في "كادكـــر" إحـــدى قـــرى نيسابور، وكان أبوه عطّارا، فاشتغل بصناعة والده، مات العطّار مذبوحـــا على يد المغول سنة ٦٢٧هـــ وقيل سنة ٦٠٦هـــ وقيل سنة ٦١٧هـــ، من مصنّفاته : "تذكرة الأولياء" و"منطق الطير".

(انظـــر: الموســـوعة الصوفية د. عبد المنعم الحفني ص ٢٩٧، والصوفية في الإسلام. نيكلسون. ترجمة وتعليق نور الدين شريبة (مصر: مكتبة الخانجي – ١٣٧١هـــ) ص ٣٥ هامش (٣).

(٢) جـــلال الديـــن الرومي: هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي جلال الدين، إليه تنسب الطريقة المولوية، ولد في بلخ من بلاد فارس سنة ٦٠٤هـــ وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة مـــن عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية، له رحلات حتى استقرّ به المقام في قونـــية ســـنة ٦٢٣هـــــ، تصوّف سنة ٦٤٢هـــ فشغل في الرياضة وسماع الموسيقى، ونظم الأشعار، توفي سنة ٦٧٢هـــ.

(انظر ترجمته: في الأعلام ٧/ ٣٠).

(٣) ابن الفارض: هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار ولوفاة، المعـــروف بابن الفارض، ولد سنة ٥٧٦هـــ، وهو أشعر المتصوّفين، ويلقّب بسلطان العاشقين، ذهـــب إلى مكـــة، واعتزل بواد فيها، وعاد إلى مصر بعد ١٥عاما، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس للزيارة، توفي سنة ٦٣٢هـــ بالقاهرة.

(انظـــر ترجمـــته: وفيات الأعيان ٣/١٢٦-١٢٧، وشذرات الذهب ٥/١٤٩-١٥٣، والأعلام ٥/٥٥-٥٦).

فاختلط التصوّف بالفلسفة اختلاطا كبيراً(١).

لذا اعتبرت هذه المرحلة من أخطر مراحل التصوّف.

أمّا القرون التالية، فما هي إلا تفريعات، وشروح لكتب أشهر رموز التصوّف.

ففـــي القرن الثامن مثلا نرى الكاشاني يشرح كتاب "فصوص الحكم" لابن عربي وكتاب "الغاية الكبرى" لابن الفارض دون أن يأتي بجديد.

كمـــا ازداد الاهتمام في تراجم أعلام التصوّف، ومن أشهرها "الطبقات الكبرى" للشـــعراني (ت ٩٧٣هـــ)، ثم اختلط الأمر على الصوفية فيما بعد، وانتشرت الفوضى بيـــنهم، وبـــدأت مرحلة الدراويش(٢)، وظهرت ألقاب شيخ السجادة، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والخليفة، وعمّت الفوضى بين الشيوخ والمريدين، واستحال التصوّف في بعض مظاهره شيئا من الشعوذة والدجل(٣)، وخير وصف للتصوّف في هذه الفترة ما قاله أحمد أمين: "انقلبت بعد ذلك الصوفية إلى دروشة، وانحط التصوّف كثيرا حتى قال بعضهم: "كان التصوّف حالاً فصار مالاً، وكان احتسابا فصار اكتساباً، وكان استتاراً

---

(١) انظـــر: الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ٦٩/٢، والصوفية نشأتها وتطوّرها محمد العبدة وطارق عبد الحليم ص ٢٤.

(٢) الدراويـــش: جمع درويش، وهو بالفارسية الفقير والمسكين، وعند الصوفية الزاهد، الجوال. انظر: المعجم الوسيط (٢٨٠/١).

(٣) انظـــر: الموســـوعة الميسّـــرة في الأديـــان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٢٦٤/١. والتصوّف الإسلامي: مفهومه وتطوّره، ومكانته من الدين والحياة د. حسن عاصي. ط١ (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ١٤١٤هـــ) ص ٧٣.

هــذه هي المراحل التي مرّ بها التصوّف عبر تاريخه، والصورة تكون أكثر وضوحاً فــيما أفرده ابن الجوزي رحمه الله عن تاريخ التصوّف من حيث بدأ حتى اكتمل، وبلغ ذروة الانحــراف، مما كان يمثّله من رسوم وإشارات وبدع وضلالات وخرافات. يقول ابــن الجوزي: "والتصوّف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهّد، ومال إليهم طلاّب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب".

ثم قــال رحمــه الله: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلّموا فيه وعبروا عن صفته بعبارة كبيرة وحاصلها أن التصوّف عندهم رياضة النفس ومجــاهدة الطــبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة الحسنة التي تكســب المدائــح في الدنيا والثواب في الآخرة، .. وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم، إلى أن تمكّن من المتأخّرين غاية التمكّن.

وكــان أصــل تلبيسه عليهم أنه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفــأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات.. ثم جاء أقوام فتكلّموا لهم في الجوع

= وتعتــبر التجانــية مــن أكفر الطرق الصوفية؛ لما تعتقده من اعتقادات فاسدة، كتفضيل وردهم المســمى "صــلاة الفــاتح لما أغلق" على القرآن ستة آلاف مرة، واعتقادهم أن الولاية ختمت بشيخهم أحمد التجاني. (انظر: ترجمته في الأعلام ١/٢٤٥، والتجانية. علي بن محمد الدخيل الله (الرياض: دار طيبة) ص ١١٦، ٤٠، ١٩٩).

والفقـــر والوساوس والخطرات وصنّفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوّف، وأفردوه بصفات ميّزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجـــد والـــرقص والتصفيق، وتميّزوا بزيادة النظافة والطهارة... ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق... ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، فمن هـــؤلاء مـــن قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد.... وجاء أبو عبدالرحمن السلمي وصـــنّف لهـــم كتاب "السنن" وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن... وصنّف لهم أبو نصر السراج كتابا سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول... وصنّف لهم أبو طالب المكي "قوت القلوب" فذكر فيـــه الأحاديث الباطلة ومالا يستند فيه إلى أصل... وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنّف لهـــم كـــتاب "الحـــلية" وذكر في حدود التصوّف أشياء منكرة قبيحة... وصنّف لهم عـــبدالكريم بـــن هوزان القشيري كتاب "الرسالة" فذكر فيها العجائب عن الكلام في الغناء والبقاء... وجاء محمد طاهر المقدسي[1] فصنّف لهم "صفوة التصوّف" فذكر فيه أشـــياء يســـتحي العـــاقل مـــن ذكرها... وجاء أبو حامد الغزالي فصنّف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلّم في

(١) محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، أبو الفضل ابن القيسراني الظاهري، الصوفي: ولد ببيت المقدس سنة ٤٤٨هـــ وتوفي سنة ٥٠٧هـــ ببغداد من مصنّفاته "صفوة التصوّف".

(انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ١٩/٣٦١، والأعلام ٦/١٧١).

علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه..."[1].

وخلاصة ماسبق يتبيّن أن التصوّف ظهر في القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة، وأنــه تطوّر خلال مراحل، حيث سادت روح الزهد والتقشّف المرحلة الأولى؛ مما هيّأ الظــروف المناســبة لبذر بذور التصوّف، وبلغ التصوّف مرحلة النضج والازدهار في المرحــلة الثانية، حتى شهدت ظهور الطرق الصوفية، والمصطلحات والرموز الغامضة، وامتزج التصوّف بالفلسفة في المرحلة الثالثة، وانتشرت الطرق الصوفية في العالم العربي والإســلامي، وفي نهايــة هذه المرحلة شهد ضعفاً، حيث سادت روح التبعية والتقليد للأفكار السابقة.

وبالجملة فإن التصوّف يمثّل شريحة من المجتمع الإسلامي تدعو إلى البدعة والركون، وأفكاره تنافي مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

ومما لا يدع مجالاً للشك أن نبتة التصوّف لم تكن إسلامية، بل هي نتيجة مؤثّرات خارجيــة جــرّاء احــتكاك المســلمين مع الثقافات الأجنبية الأخرى إبّان الفتوحات الإسلامية، وترجمة كتب اليونان الفلسفية، وجلبها للديار الإسلامية.

ومن أهمّ مصادر هذه المؤثرات:

المصدر اليهودي.

---

(١) تلبيس إبليس ص ٢٠١-٢٠٥.

المصدر النصراني.

المصدر الهندي.

المصدر اليوناني.

والمصدر الفارسي(١).

---

(١) وفي تحقيق لمجلة الهلال المصرية " فإن التصوّف في حقيقته خرج من أفكار ومعتقدات مجوسية، وبوذية، ومسيحية، ويهودية، ويونانية وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوّف الإسلامي، فهذا "فون كريمر" يقول: إن في التصوّف عنصرين مختلفين أولهما مسيحي رهباني والثاني هندي بوذي.

ويذهب المستشرق "ثولك" إلى أن التصوّف مأخوذ من أصل مجوسي، كما أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسي، وكذلك يقول المستشرق الهولاندي "دوزي": أن التصوّف جاء إلى الصوفية من فارس، ، حيث كان موجودا قبل البعثة المحمّدية. أمّا المستشرق "جولدزيهر" فقد فرّق بين تيارين مختلفين في التصوّف أولهما الزهد، وهذا في نظره قريب من روح الإسلام، وإن كان متأثّرا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية. والثاني التصوّف بمعناه الحقيقي وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والأذواق، وهو متأثّر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة، ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية".

(مجلّة الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ) ص ١٠٦.

ويقول أحمد أمين: "ثم إن التصوّف لما كان مختلطاً مع الفقه في العصر الأوّل كان إسلاميا بحتاً، وكان الزهد طوعاً للأوامر الإسلامية، وظلّ كذلك طول العهد الأيوبي... فلمّا دخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات الأخرى كالنصارى، واليهود، والفرس، والهنود، =

= وانتشـــرت الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة استمد التصوّف من كل هذه المنابع، فلوّن عند بعـــض الناس بالزرادشتية الفارسية، وبالمذاهب الهندية، ولوّن عند بعض الناس بالنصرانية، وعند بعضـــهم بالأفلاطونيـــة الحديثة، ثم اختلطت هذه العناصر كلّها بعضها ببعض، وكانت نزعات مختلفة، وطرق مختلفة على مدى العصور"

(ظهر الإسلام/ أحمد أمين ٢/٥٨).

ولمـــزيد مـــن الإطّلاع على هذه المؤثرات في القضايا العقدية والسلوكية للتصوّف، انظر: نظرية الإتصـــال عند الصوفية/ د. سارة آل جلوي ط١(جدة: دار المنارة – ١٤١١هـــ، ص ٣١٩-٣٥٠، والمصـــادر العامّة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق ط١(الرياض: مكتبة الرشد – ١٤١٥هـــ) ص ٦٣-٩٣).

وســـوف أقوم بإذن الله تعالى، ومن خلال فصول ومباحث الرسالة ببيان بعض تلك المؤثرات ما أمكن ذلك وباختصار شديد.

الباب الأوّل

موقف علماء السلف في القرن السادس الهجري من منهج الصوفية في التلقّي والاستدلال.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: موقفهم من منهج الصوفية في التلقي .

الفصل الثاني: موقفهم من منهج الصوفية في الاستدلال .

الفصل الأول

موقف علماء السلف في القرن السادس الهجري من منهج الصوفية في التلقي

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

التمهيد: ويشتمل على تعريف "المنهج" و"التلقي" لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: منهج الصوفية في الكشف.

المبحث الثاني : موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في "الكشف"

التمهيد

ويشتمل على : تعريف "المنهج" و"التلقي" لغة واصطلاحا

تعريف المنهج لغة:

قال ابن فارس: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأوّل في النهج، الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه.

- والآخر: الانقطاع. وأتانا فلان بنهج، إذا أتى مبهوراً، منقطع النفس. وضربت فلاناً حتى أنهج، أي سقط"[1].

والأوّل هو المقصود في هذا الموضوع.

- والمنهاج: الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه.
- والنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجا واضحا بيّناً، ونهج الطريق نهجا، ونهوجا: وضح واستبان[2].
- ويقال: طريق نهج، وطريق نهجة، ونهجت الطريق: بيّنته وانتهجته: استبنته[3].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٦١/٥ مادة نهج.

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله (بيروت: مؤسسة الرسالة –١٤١٤هـ) ص ٦٨١ مادة نهج دون ذكر رقم الطبعة، ولسان العرب لابن منظور ط٢(بيروت: دار إحياء التراث العربي – ١٤١٨هـ) ٣٠٠/١٤، مادة نهج، والمعجم الوسيط إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجّار مجمع اللغة العربية بمصر (استانبول: دار الدعوة ١٣٨٠هـ) ٩٥٧/٢ بدون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري ص ٤٧٢.

تعريف المنهج اصطلاحاً:

- هو "الطريق المؤدي إلى التعرّف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العلمية، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة"(١).

- وعرّفه البعض بأنه "الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب، خلال المصاعب والعقبات"(٢).

- وجاء في القرآن الكريم مرة واحدة(٣) في قوله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾(٤).

---

(١) العلم والبحث العلمي، حسين عبد الحميد رشوان (الإسكندرية: المكتب الجامعي) ص ١٤٣-١٤٥، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ومناهج البحث العلمي عند العرب، جلال محمد عبد الحميد موسى، ط١(بيروت: دار الكتاب اللبناني – ١٩٧٢م) ص ٢٧٣.

(٢) مناهج البحث العلمي أسس وأساليب. د. عمار لوحوشي ود. محمد الذنيبات ط١(الأردن: مكتبة النمار – ١٤١٠هـ) ص ٩٢، ومنهاج البحث العلمي د. عبد الرحمن بدوي ١٩٧٧م، ص ٣.

(٣) انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص ٥٤٣.

(٤) سورة المائدة أية رقم(٤٨).

- قال البغوي رحمه الله: قال ابن عبّاس والحسن ومجاهد: أي سبيلا وسنة[1].
- كما ذكر الزمخشري في تفسيره، أن معنى "منهاجا" أي طريقاً واضحاً[2].

التلقّي لغة واصطلاحاً :

التلقي لغة:

- قال ابن منظور: "والتلقي هو الاستقبال؛ ومنه قوله تعالى **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** [3].
- قيل: فلان يتلقّي فلانًا أي يستقبله[4].
- وهو الاستقبال بمواجهة"[5].

(١) انظر: تفسير البغوي / ٣/٦٦، والمفردات في غريب القرآن ص ٢٥٨.

(٢) انظر: الكشّاف للزمخشري: (بيروت: دار المعرفة)١/٣٤٢، بدون رقم الطبعة وسنة النشر.

(٣) سورة فصّلت آية رقم(٣٥).

(٤) انظر لسان العرب ١٢/٣١٩.

(٥) معجم لغة الفقهاء ص ١٢٤.

- ويقال: تلقّى فلاناً: أخذ منه كما يقال تلقّى العلم من فلان[1].

التلقّي اصطلاحاً:

- التلقّي في اصطلاح الفقهاء "تلقّي العلم: استقباله وأخذه بحرص"[2].
- ولكنه باصطلاح الصوفية هو: "أخذك ما يرد من الحق عليك"[3].

(١) انظر المعجم الوسيط ٢/٨٣٦.

(٢) معجم لغة الفقهاء وضعه أ.د محمد رواس قلعة جي ط١ (بيروت: دار النفائس – ١٤١٦هـ) ص ١٢٤.

(٣) اصطلاحات الصوفية لمحي الدين بن عربي ص٢٢ .

المبحث الأول

منهج الصوفية في الكشف

التمهيد

تعريف الكشف لغة واصطلاحا :

الكشف لغة :

- قال ابن منظور: الكشف "رفعك الشيء، عما يواريه ويغطيه" و"كشف الأمر يكشف كشفاً: أظهره"(١).
- وقال بذلك المعنى الفيروز آبادي(٢).
- وعرّفه الجرجاني برفع الحجاب(٣).
- وقال ابن فارس: "الكاف والشين والفاء، أصل صحيح، يدل على سرو الشيء عن الشيء، كالثوب يسري عن البدن. يقال كشفت الثوب، وغيره اكشفه"(٤).

---

(١) لسان العرب ١٠٢/١٢ مادة كشف.

(٢) انظر القاموس المحيط ١٩٦/٣.

(٣) انظر التعريفات ص ٢٣٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٨١/٥-١٨٢.

الكشف اصطلاحاً:

- عــرّفه الجــرجاني بأنــه "الإطــلاع على ما وراء الحجاب، من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشعوراً"[(١)].

- ومعــنى الحجــاب في هــذا الــتعريف، هو كل مايستر مطلوبك، وهو عند الصوفية -انطباع الصور الكونية، في القلب، المانعة لقبول تجلي الحق[(٢)].

- وقــال أبــو الســراج الطوسي: الكشف "بيان ما يستند على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين"[(٣)].

- ممــا ســبق يتبــيّن أن مــادة كشف، ومشتقاها تدور حول الإظهار، وعدم الستر بمفهوم الصوفية .

---

(١) التعريفات ، للجرجاني ، ص ٢٣٧.

(٢) ن.م ص ١١١.

(٣) اللمع/ لأبي السراج الطوسي، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية) ص ٤٢٢، دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

منهج الصوفية في الكشف

لقد نهج الصوفية في تلقّي علومهم منهجاً خاصاً، خالفوا فيه ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية المتبعة للكتاب والسنّة، وقد اعتبرت الصوفية منهج الكشف عندها من أرقى مناهج المعرفة، وطريقاً موصلاً إلى اليقين -بزعمهم-، لذلك أهمل غلاة الصوفية الاهتمام بالعلوم الشرعية، وزهدوا فيها، ورغبوا الناس عنها، وذلك لاعتمادهم على العلوم اللدنّية، الإلهامية، دون الاعتماد على النقل والعقل.

وحثّوا أتباعهم باتخاذ منهج الكشف وما يوصل إليه من الذوق والخطرات، والإلهام، وغيرها من مناهج التلقّي عندهم(١)، والشواهد على ذلك كثيرة.

وسأحاول كشف ذلك من مصنّفاتهم ومصادرهم المعتبرة، وبيان مناهجهم في ذلك.

---

(١) كالإسراء والمعراج والرؤى والهواتف والزعم برؤية الله ورؤية الرسول ﷺ يقظة ورؤية الخضر -عليه السلام-.

انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم ط١ (الرياض: مكتبة الرشد ١٤١٥هـ) ص٢٢٣-٣١٢).

وممّا يؤكد اهتمام الصوفية بالكشف وأهميته عندهم، أن أكثر مؤلفاتهم تحمل أسماء من قبيل "الكشف" و"الفتوحات" و"النفحات" و"مكاشفة القلوب" ونحو ذلك.

ولا ريب أن هذا الاهتمام الزائد بالكشف والفتح قد جعل منه هدفا مستقلاً يطلب لذاته، فركّز القوم جهودهم على التنظير له، وبيان مزاياه.

قال القشيري: " قد درج أشياخ الطريق كلهم، على أن أحداً منهم لم يتصوّر قط الطريق، إلا بعد تبحّره في علوم الشريعة، ووصوله إلى مقام الكشف، الذي يستغني به عن الاستدلال... فإن حجج القوم أظهر من حجج غيرهم لتأييدها بالكشف"(١).

ويقول الغزالي: "... الكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء الله تعالى"(٢).

ويعزو الغزالي حقيقة المعرفة إلى الكشف حيث يعتبر المعرفة الحقّة هي ما كانت ذوقية كشفية، يتوصّل إليها عن طريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات الذميمة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وإذا انكشف

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهّاب الشعراني، تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور ومحمد عيد الشافعي (بيروت: مكتبة المعارف)١/٦٣، دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

(٢) إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي (بيروت، دار المعرفة) ٣/١٢.

له سر الملكوت، وانفتح عن وجه القلب حجاب العزّة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، تجلّت فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها[1].

ويقول الكلاباذي: أن طريقة الكشف لدى الصوفية لا يمكن الاستدلال عليها بالعقل والحس، وإنما هي عن طريق المواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات[2].

وبلغ الشطح بالصوفية، حتى قال الخواص: "لا يبلغ أحد مقام الإخلاص في الأعمال حتى يصير يعرف ما وراء الجدار، وينظر ما يفعله الناس في قعور بيوتهم في بلاد آخر، فهناك يعرف يقينا هذا الكشف"[3].

وعن طريق منهج الصوفية في الكشف، نجدهم يعرضون القرآن الكريم والسنة المطهرة عليه، فإن خالفها أخذوا به، وأعرضوا عنهما، يقول الغزالي:

"هم الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هم عليه؛ نظروا إلى السمع[4]، والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين؛ قرروه، وما خالف؛ أولوه، فأما من

---

(١) انظر: ن.م ٣/١٩.

(٢) انظر: التعرّف لمذهب أهل التصوّف للكلاباذي ص ١٠٠.

(٣) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١/١٥٩.

(٤) أي القرآن والسنة مصدرا التشريع عند أهل السنة والجماعة .

يـأخذ معـرفة هـذه الأمور من السمع المجرد، فلا تستقر لـه فيها قدم، ولا يتيقن لـه موقف"[1].

وعلّـلوا مـنهجهم هـذا، بما رزقوا من إلهام — حسب زعمهم — فقالوا: "فإذا عـرفت هـذا، فاعـلم أن ميـل أهـل التصوّف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنّفه المصنّفون"[2].

ويعـتقد الصـوفية أن الكشـف لا يحصـل إلا عـن طريق الرياضة، ومقصود الرياضة عندهم؛ تفريغ القلب بتحصيل الكشف المزعوم.

يقـول الغـزالي: "وليـس يـتم ذلـك إلا بالخلوة في بيت مظلم، وأن لم يكن لـه مكـان مظـلم، فليـلقي رأسـه في جيبه، أو يتدثر بكساء، وإزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلال الربوبية"[3].

والكشـف - المـزعوم - عـند الصـوفية لـه وسائل، ذكر ذلك السهروردي بقوله:

"وقـد يـتجرد الحقـائق مـن غير لبسه المثال، فيكون ذلك كشفا، وإخبارا من

(١) إحياء علوم الدين ١/١٠٤.

(٢) ن.م ٣/١٩.

(٣) الإحياء ٣/٧٦.

الله تعالى إياه، ويكون ذلك تارة بالرؤية، وتارة بالسماع، وقد يسمع في باطنه، وقد يطرق ذلك من الهواء لا من باطنه، كالهواتف"[1].

ومن المهم بيان بعض الوسائل المعينة للكشف عند الصوفية، والتي لاقت ردودا من علماء السلف في القرن السادس الهجري منها:

(١) عوارف المعارف ص ٢٠٠.

ـ الرؤية:

ويقصد بها الصوفية، الرؤية البصرية، التي من لوازمها المقابلة والتكلّم.

فالرؤية لغة:

- قال ابن منظور: "الرؤية بالعين، تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين، والرؤية: النظر بالعين، والقلب"(١).
- وقال الزمخشري: "رأيته بعيني رؤية، ورأيته في المنام رؤيا، ورأيته رأي العين"(٢).

الرؤية اصطلاحاً:

- قال الجرجاني: هي "المشاهدة بالبصر حيث كان؛ أي في الدنيا والآخرة"(٣).

الرؤية عند الصوفية:

تعد الرؤية من أرقى مناهج التلقي عند الصوفية، إذ اشتملت على دعاوي رؤية الأنبياء وخاصة نبينا محمد ﷺ يقظة ومجالسته ومصافحته.

---

(١) لسان العرب ٥/٨٤، مادة رأي.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ص ١٤٦.

(٣) التعريفات ص ١٥١.

- رؤية الرسول ﷺ يقظة:

للصوفية اعتقاد خاص، ومنهج مميّز في التلقي عن النبي ﷺ يقظة بعد موته، ويعتبرون هذا المنهج في التلقي من أوثق المناهج التي يستقون منها علومهم، ومعارفهم ومصنّفات شيوخ الصوفية تطفح بذكر الروايات والحكايات المزعومة بمقابلته ﷺ، ومشافهته بل وأخذهم عنه ﷺ التوجيهات. وقد نقل تلك الروايات والحكايات أكثر من علم من أعلام الصوفية ممّن كان لهم قصب السبق في علوم القوم، واعتبروا هذه الرؤية مصدرا وثيقاً من مصادر التلقي عندهم؛ وإليك بعضاً منها:

يقول الغزالي: "ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات، والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد"(١).

ويزعم أحد الصوفية مصافحته لرسول الله ﷺ ، فيقول أبو العبّاس المرسي عن شيخه الشاذلي "والله ما صافحت بهذه اليد إلا رسول الله ﷺ"(٢).

---

(١) المنقذ من الضلال/ الغزالي، تحقيق عبد المنعم العاني (دار الحكمة) ص ٨٤ دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

(٢) لطائف المنن لابن عطاء السكندري، ط٢ (القاهرة: مكتبة عالم الفكر – ١٤١٣هـ) ص ٩٥.

وزعـــم أحمد الغزالي[1] هو الآخر أنه يرى رسول الله ﷺ يقظة، وأنه يسأله عن كل ما يشكل عليه، فيدلّه على الصواب[2].

وعـــلى أســـاس هـــذه الدعـــاوي، جعلت الصوفية رؤية الرسول ﷺ من مناهج التلقي المعتبرة عندهم.

(١) أحمـــد الغـــزالي أبو الفتوح، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الغزالي، شهاب الدين، صوفي فقيـــه، واعـــظ، مـــن تصانيفه مختصر الإحياء لأخيه أبي حامد الغزالي، توفي بقزوين سنة ٥٢٠هـــ. ووصف بأنه آية في الكذب.
(انظر: معجم المؤلفين ١/٩٠ ، والمنتظم ١٧/٢٣٨) .

(٢) انظـــر: المنتظم ١٧/٢٣٩، ولم أعثر على هذا الكلام في مرجع صوفي من المراجع المتوفّرة لديّ ، وهو بلاشك من افتراءات الصوفية .

الإلهام والذوق والخواطر:

أ – الإلهام:

الإلهام لغة:

- التلقين: تقول ألهمه الله الخير، أي لقّنه إياه[1]، وألهمه الله الخير: ألقاه في روعه[2].

- قال ابن منظور: "مايلقي في الروع" أو "أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل، أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخصّ الله به من يشاء من عباده"[3].

- وجاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[4]، قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: الإلهام: "إلقاء الشيء في الروع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله –تعالى– وجهة الملأ الأعلى"[5].

---

(١) انظر: القاموس المحيط ٤/٨٠ (فصل اللام، باب الميم).

(٢) انظر: أساس البلاغة ص ٤١٤ مادة (لهم).

(٣) لسان العرب ١٢/٣٤٦ مادة (لهم).

(٤) سورة الشمس آية (٨).

(٥) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٥٥.

- **الإلهام اصطلاحاً:**

- يطلق على الإلهام "العلم اللدنّي"، كما بيّن ذلك ابن القيّم رحمه الله بقوله: "... والعــلم اللدنّي: هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاما، بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سمي لدنّياً"[١].
- وعــرّفه الجــرجاني بقوله :"ما يلقى في الروع، بطريق الفيض" أو "ما وقع في القلب، من علم يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجّة"[٢].

الإلهام عند الصوفية:

يعتقد بعض الصوفية أنه لا فرق بين وحي الأنبياء، وإلهام الأولياء، إلا أن النبي يرى الملك الذي يحمل الوحي، ومن هؤلاء الغزالي الذي قال:

"ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة"[٣].

والإلهام حجة قوية عند الصوفية، فهو من المناهج المعتبرة للتلقّي عندهم.

---

(١) مــدارج السالكين لابن القيم/ تحقيق محمد حامد فقي (بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٩٢هـ) ٤٣١/٣، بدون رقم الطبعة وسنة النشر.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٥١.

(٣) إحياء علوم الدين ٢١/٣.

يقـــول أبو يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الـــذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين فلان؟ قالوا مات. عن فلان. أين هو؟ قالوا مات"(١).

ويقول أبوالحسن الشاذلي: "علوم النظر أوهام إذا قرنت بعلوم الإلهام"(٢).

ونقل عنه أيضاً في قصة طويلة يقول فيها: "علمي من الله إلهاماً من عنده" مستدلا بإلهام الله تعالى لأم موسى، والخضر في قصة السفينة وغيرها(٣).

وحكى الشعراني عن بعضهم أنه من أنكر قول القائل: حدثني قلبي عن ربي بقوله: "لا إنكار؛ لأن المراد. أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء"(٤).

وروي أن رجـــلا دخل على الحلاج، فرآه يكتب شيئاً فقال لـــه ما هذا؟ فقال: كلام نزل على قلبي من الله تعالى(٥).

---

(١) الفـــتوحات المكية لابن عربي تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي ط١ (بدون: مكتبة التحقيق لدار إحساء التراث الإسلامي – ١٤١٨هـــ) ١/٣٦٥.

(٢) اليواقيت والجواهر ١/٢٨.

(٣) انظـــر: الـــنور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ضمن كتاب شطحات الصوفية د. عبدالرحمن بدوي ط٢ (الكويت: وكالة المطبوعات – ١٩٧٦م)، ص ١١٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٦٨.

(٥) انظـــر: روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، أحمد الوتري، ترتيب وتبويب وتحقيق وتعليق د. منير محمود الوتري، ط١(بغداد: مطبعة المعارف – ١٩٧٦م) ص ٣٤.

والوصـــول إلى هذا النوع من المناهج للتلقّي عند الصوفية يتم عن طريق الرياضة، وتفـــريغ القـــلب، وهذا لا يتأتّى – بزعمهم – إلا بخلوة في مكان مظلم، فيلف المريد رأسه في جيبه، أو يتدثّر بكساء أو إزار، ففي هذه الحالة – كما يزعم الغزالي – يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الربوبية(١).

(١) انظر: الإحياء ٧٦/٣.

الـذوق :

الذوق لغة:

- "ذاقـه ذواقـاً ومذاقـاً، ومذاقة: اختبر طعمه، وتذوّقه: ذاقه مرّة بعد مرّة، وتذاوقوا الرماح: تناولوها"(١).
- قـال ابن فارس: "الذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تطعّم"(٢).
- وقـال الزمخشري: "ذقت الطعام، وتذوّقته، شيئا بعد شيء، وهو من المذاق، والمذاق: طعم الشيء"(٣).

الذوق اصطلاحاً:

- قـال الحفني: هو "نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بـين الحـق والـباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره، .. وأوّل

---

(١) القاموس المحيط ٣/٢٤٢، مادة (ذوق).

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/٣٦٤.

(٣) انظر: أساس البلاغة ص ١٤٣، والمعجم الوسيط ص ٣١٨.

التجليّات الذوق"[1].

- كما قال بذلك التعريف الجرجاني[2].
- وقال ابن عربي: "اعلم أن الذوق عند القوم، أول مبادئ التجلّي وهو حال يفجأ العبد في قلبه"[3].

ومن خلال هذه التعاريف للذوق عند الصوفية، يتبيّن أن الذوق حال يفجأ العبد في قلبه، وهو نور يحصل في قلوب الأولياء بسبب تجلّي الله فيها – حسب زعمهم –، وهو أوّل مبادئ التجلّي وليس لبصر العين، وسمع الأذن فيه نصيب.

وأيضا من خلال هذا المفهوم للذوق عند القوم، فباستطاعة الصوفي التفرقة بين الحق والباطل بعيداً عن النظر في الكتاب والسنّة.

الذوق عند الصوفية:

ومراد الصوفية بالذوق هو الذي يقتصر على نتائج التجليات الإلهية، وهو الذي

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص ١٠٤.

(٢) انظر: التعريفات ص ١٤٤.

(٣) الفتوحات المكية، لابن عربي (القاهرة: دار الكتب العربية الكبرى – ١٣٢٩هـ) ٥٤٨/٢، وانظر: اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص١٣.

يســتدلون به على تصحيح كثير من الاحوال عندهم، لما يجدونه –بزعمهم– من آثار ولــذّة، كمــن يســتدل على حل السماع الصوفي، لما يذوّقه من أثره على نفسه من تصحيح لحال أو تهيّج لشوق إليه ونحو ذلك[١].

لــذا قــالوا: "وأمّا الذوق، فهو كالمشاهدة، والأخذ باليد، ولا يوجد إلا في طريق الصوفية"[٢].

وأيضــاً هذا الذوق الصوفي، هو الذي جعلوه حاكما لا محكوماً عليه في كثير من الأمور، وقدموه على الشرع في حال وجود تعارض بينهما، فقد قالوا: "الموفّقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسمع –يريد الأدلّة الشرعية– فما وافق ماشاهدوه بنور اليقــين قرّروه، وما خالف أوّلوه" وقال عن الأدلة الشرعية: "فأمّا من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرّد فلا يستقر لــه قدم ولا يتعيّن لــه موقف"[٣].

والصــورة أوضح فيما قاله جعفر الخلدي[٤]: "لو تركني الصوفية لجئتكم بأسانيد

(١) انظر: عوارف المعارف ص١٧٣ والإحياء ٢/٢٧٩.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي تحقيق عبدالمنعم الغاني: دار الحكمة، ص٩٢. وطريق الصوفية بعيد عن الكتاب والسنة .

(٣) إحياء علوم الدين ١/١٠٤. والموفقون بمراد الصوفية هم أئمة الصوفية ومشايخهم ومن سار على نهجهم ، أما مرادهم بمن يأخذ المعرفة من السمع المجرد فهم أهل السنة والجماعة، كذا زعموا!!.

(٤) جعفــر الخــلدي: جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، أبو محمد الخواص، صحب الجنيد والنوري ورويماً، توفي سنة ٣٤٨هـ، (انظر حلية الأولياء ١٠/٣٨١).

الدنيا، لقد مضيت إلى عبّاس الدوري[1]، وأنا حدث، فكتبت عنه مجلسا واحدا، وخرجت من عنده، فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية، فقال: "إيش هذا معك؟ فأريته إياه، فقال: "ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق، فدخل كلامه في قلبي، فلم أعد إلى عبّاس"[2].

الخواطر:

الخواطر في اللغة:

- جمع خاطر وهو: ما يخطر بالقلب من تدبير أو أمر أو رأي أو معنى، وهو الهاجس[3].

---

(١) عبّاس الدوري: عبّاس بن محمد بن حاتم الدوري، أبو الفضل البغدادي، خوارزمي الأصل، ثقة حافظ، توفي سنة ٢٩١هـ، (انظر: تقريب التهذيب ص ٢٩٤).

(٢) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، عبد الرؤوف المناوي ط١(القاهرة: مطبعة الزاوية التجانية) ٢/٢٤، وتاريخ بغداد ٧/٢٢٧.

وعلم الخرق : علوم الصوفية ، وعلم الورق : علوم أهل السنة والجماعة ، وذلك بمفهوم الصوفية !! .

(٣) انظر: لسان العرب ٤/١٣٦، والمعجم الوسيط ص ٢٤٣، وأساس البلاغة ص ١١٢، ومعجم لغة الفقهاء ص ١٧٠.

الخاطر اصطلاحاً:

- هــو: "ما يرد على العقل من الأفكار عفواً من غير تعمّد لإحضارها ولايكون لــه استقرار في النفس"[1].

الخواطر عند الصوفية:

هي: "ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانيا كان أو ملكيا أو نفسيا أو شيطانياً"[2].

- وإلى هــذا المفهوم ذهب القشيري بقوله عن الخواطر أنها: "خطابات ترد على الضمائر، فقد يكون الخطاب بإلقاء ملك، أو إلقاء شيطان، أو أحاديث نفس، أو من الحق سبحانه، فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس قيــل لــه الهواجس، وإذا كان من الشيطان فهو الوسواس وإذا كان من الله سبحانه، وكان لقاؤه في القلب فهو الخاطر"[3].

---

(١) معجم لغة الفقهاء ص ١٧٠.

(٢) التعريفـــات ص ١٢٩، ومعجم اصطلاحات الصوفية ص ١٧٧، واصطلاحـــات الصوفية لابن عربي ص ١٤-١٥.

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٥٦.

- وفي عــبارة واضحة وصريحة بيّن أحد أئمتهم ماهية تلك الواردات والخواطر بقولــه: "ما يتلقى الأنبياء والأولياء وغيرهم من المغيبات فإنها قد ترد عليهم في أسطر مكتوبة وقد ترد بسماع صوت، قد يكون لذيذا، وقد يكون هائلا، وقد يشــاهدون صــور الكــائن وقد يرون صورا حسنة إنسانية تخاطبهم في غاية الحسن، فتناجيهم بالغيب"(١).

وجمــلة القول: إن الخواطر وما في معناها عند الصوفية كلها تدور حول الإطّلاع على الغيب واتخاذها منهجاً من مناهج التلقّي عندهم.

ومما سبق اتضح كيف جعل الصوفية هذه الوسائل من رؤية الرسول ﷺ يقظة ومن الإلهــام والذوق والخواطر طريقاً موصلاً إلى الكشف المزعوم؛ الذي اعتبروه من أرقى منهاج التلقي عندهم.

---

(١) حكمــة الإشراق/ شهاب الدين يحيى سهروردي (نشر المعهد الفرنسي في إيران بعناية المستشرق هــنري كــربين ، طهران- ١٩٥٣م) ص ٢٤٠-٢٤١. ومما ينبغي الإشارة إليه أن هناك مصادر أخــرى للتــلقي عــند الصــوفية كالزعم برؤية الله سبحانه ورؤية الخضر -عليه السلام- والرؤى المنامية والهواتف والإسراء والمعراج.

انظر عن ذلك: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ص٢٢٣-٣١٢.

المبحث الثاني

موقف علماء السلف في القرن السادس الهجري

من منهج الصوفية في الكشف

لقد تحدث علماء السلف في القرن السادس عن منهج الصوفية في الكشف بمختلف وسائله التي برزت في ذلك العصر، باعتباره منهجا من مناهج التلقي الهامة عند الصوفية، وقد كان رد هؤلاء السلف رحمهم الله مستمداً من الكتاب والسنة، لذا فقد بيّنوا ما يخالف ذلك من المناهج الدخيلة، ومن ذلك منهج الصوفية في الكشف.

لقد بيّن سلفنا الصالح أن الكشف، وقع للرسول ﷺ، وحكم بمقتضاه ففي صحيح مسلم: (صلّى بنا رسول الله ﷺ يوما ثم انصرف فقال: "يا فلان: لا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلّى، كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه إني والله لأبصر من ورائي، كما أبصر من بين يدي)[1].

كما وقع الكشف للصحابة رضي الله عنهم فعملوا بمقتضاه، كما حدث لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مع ابنته عائشة[2] رضي الله عنها.

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ١/٣١٩.

(٢) عن عائشة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: "إن أبا بكر الصديق كان نحلها جادّ عشرين وسقا من ماله =

ومع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في ندائه سارية وهو على المنبر(١).

ولكــن عــندما ادعى الصوفية كشفا يصادم الشرع، قيّض الله لدينه من يذب عنه على منهج صحيح قوامه الكتاب والسنة. وقام هؤلاء العلماء الأجلاّء بدحض مفتريات ومزاعم الصوفية في هذا المجال.

فــزعم الصوفية رؤية الرسول ﷺ يقظة لا مناماً، لا تتأتى لأحد، وهو مذهب أهل السنة والجماعة(٢)، ومن رأى ما يوهم ذلك فإنه من تلبيس إبليس.

ومعــلوم، مــا قــد حدث من حوادث في عهد الصحابة، كانت الحاجة فيها إلى

= بالغابــة، فلما حضرته الوفاة، قال: والله يابنيّه، ما من الناس أحد أحبّ إلي غنى بعدي منك، ولا أعــز عليّ فقرا بعدي منك، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا، فلو كنت حددتيه واحتزيته كان لك، وإنما هو اليوم مال وإرث، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشــة: فقلت يا ابت والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى،؟ فقال أبو بكر ذو بطن بنت خارجة، أراها جارية".

(موطــأ الإمــام مــالك، إعداد أحمد راتب عرموش، ط٦(بيروت: دار النفائس — ١٤٠٢هــ) كتاب الأقضية، مالايجوز من النحل، ص ٥٣٣، رقم الحديث ١٤٣٤) بدون رقم الطبعة.

(١) انظــر: الموافقــات للشــاطبي (بيروت: دار الفكر) ٤/٤٤، دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر. والإحياء ٣/٢٤-٢٥.

(٢) انظــر: مجموع الفتاوى ٢٧/٣٩٣، فتح الباري ١٢/٤٠٠-٤٠١، وشرح المواهب اللدنية/ محمد عبدالباقي الزرقاني ط١ (مصر: المطبعة الأزهرية —١٣٢٥هــ) ٥/٢٩٩.

ظهـــوره ﷺ شـــديدة، وعلى سبيل المثال: اختلاف المهاجرين والأنصار على الخلافة، واستمرار هذا الخلاف عدة أيّام، فلو ظهرﷺ لهم وأخبرهم بأن الخليفة أبا بكر الصديق رضـــي الله عـــنه؛ لانقطع النزاع، فكيف لا يظهر في اليقظة لأفضل الناس من بعده في أمرهم ويظهر لجهلة الصوفية؟!

ففـــي مثل هذه الحوادث لم يرد أن النبي ﷺ ظهر لأصحابه يقظة ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه، فكيف يظهر لمن هو دونهم مترلة وتقوى؟!

وقد أنكر علماء السلف في القرن السادس على الصوفية تلك الدعوى الزائفة؛ فقد فضـــح الحافظ ابن ناصر[1] -رحمه الله- كذب وافتراءات أحمد الغزالي وزعمه الباطل رؤيته للنبي ﷺ في اليقظة؛ وذلك بما رواه عن محمد بن طاهر المقدسي بقوله: "كان أحمد الغـــزالي آيـــة من آيات الله -تعالى- في الكذب، توصل إلى الدنيا بالوعظ، سمعته يوماً بهمذان يقول: رأيت إبليس في وسط هذا الرباط يسجد لي، فقال لـــه: ويحك، إنه الله عـــز وجل أمره بالسجود لآدم، فأبى، فقال: والله لقد سجد لي أكثر من سبعين مرة، فعلمت أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد، قال: وكان يزعم أنه يرى رسول الله ﷺ عياناً في يقظـــته لا في نومه، وكان يذكر على المنبر أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله ﷺ ، فسأله عن ذلك المشكل فدله على الصواب.

قـــال: وسمعـــته يومـــاً يحكي عن بعض المشايخ، فلما نزل سألته عنها، فقال: أنا وضعتها في الوقت.

(١) ابن ناصر: انظر ترجمته ص٢٤٧ هامش (٢).

قال ولـــه من هذه الجهالات والحماقات ما لا يحصى"[1].

ومما سبق تبقى دعوى رؤية الرسول يقظة باطلة لا أساس لها من الشرع.

وعـــندما اعتمد الصوفية في تشريعهم لا على المنقول ولا على المعقول، واعتمدوا عـــلى مـــا يســـمونه "العلم اللدنّي" أو الإلهام، وعلى أذواقهم، وما يعرض عليهم من هواجـــس وخواطر متكئين على بعض الآيات والأحاديث في هذا المجال، بعد أن لووا أعـــناقها؛ أنكـــر عليهم ذلك علماء السلف في القرن السادس، وردّوا عليهم افتراءاتهم الباطلة.

والإلهـــام الحقـــيقي لا يمكـــن أن يناقض تعاليم الشريعة الإسلامية، ويخرج على حدودها، ومن ثم ينبغي إخضاع كل ما كان من هذا النوع لقواعد وأحكام الشريعة، ونصوصها ويعرض عليها، ويوزن بميزانها؛ فإن كان مأموراً به أو مباحا قُبل، وإلاّ ردّ.

أمّـــا ما يزعمه غلاة الصوفية، فلا يعدو كونه أوهاماً ووساوس شيطانية وخيالات فاسدة استولت على عقولهم.

ومنهج الصوفية في الذوق، يعتمد هو الآخر على ترك الأخذ من الكتاب والسنة إذ يعتـــبر داخـــلا في دائـــرة الإلهام، فنجد غلاتهم يعتمدون عليه ويحكمونه في كل أمر، والكـــتاب والسنة لا يشكلان شيئا في ميزان الإلهام والذوق معتقدين الاستغناء عنهما،

---

(١) المنتظم ١٧/٢٣٨-٢٣٩.

وهم يزعمون أنه يثبت لديهم بصريح الذوق ما يخالف صريح النقل، حتى أصبح ذلك منهجا قامت عليه عقيدة الصوفية، واختلفت أفكارهم لاختلاف أذواقهم.

ومّما يحسن الاستدلال به لبطلان أذواق الصوفية التي يبنون عليها أحوالهم ومعتقداهم وسلوكياهم الفاسدة؛ الذوق الشرعي الذي يستلهمه المرء من القرآن الكريم، ومن أحاديث المصطفى الأمين ﷺ.

ذلك أن القلب إذا وجد حلاوة الإيمان بإخلاص العبودية لله وحده، و لم يكن شيء أحب إليه من ذلك، صرف الله عنه السوء والفحشاء، ولقد أخبر الله في كتابه من ذلك بقوله جل شأنه: ﴿... **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾(١).

فإخلاص العبودية لله تعالى من شأنه تذوق حلاوة الإيمان ولذّته.

والذي اشرأبّ حب الإيمان بقلبه، ووجد حلاوته ولذة المذاق في هذا الإخلاص، ينعكس كل ذلك على وجدانه فيصبح الخوف والرجاء كجناحي الطائر عنده. قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾(٢).

وأخبر المصطفى الكريم ﷺ عن الأمور التي يسببها تذوّق المرء طعم وحلاوة الإيمان

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤.

(٢) سورة الإسراء ٥٧.

بقوله: (ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً)[1].

فأخبر ﷺ أن للإيمان طعماً وأن القلب يذوّقه، كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب.

فأخبر ﷺ أن لإدراك حقيقة الإيمان حلاوة يتذوّقها قلب المسلم بقوله : (ثلاث من كنّ فيه، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لايحبّه إلا لله،، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[2].

فهذا هو الذوق الحقيقي الذي أمر به الشرع؛ لا ذوق الصوفية المعتمد على الآراء والهواجس الشيطانية.

ومنهجهم في تلقي علومهم عن طريق الخطرات والوساوس، واجه نقدا من علماء السلف في القرن السادس، الذين بيّنوا خطر ذلك على عقيدة المسلم.

ففي رسالة بعثها أبوالوليد الطرطوشي[3] إلى ابن مظفر؛ بيّن فيها ما في كتاب إحياء علوم الدين وحال مصنفه الغزالي، الذي انصرف عن طريق العلماء وهجر العلوم وأهلها وخاض في علم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، وطعنه للفقهاء وخلط

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على رض بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن ٦٢/١، والحديث عن العبّاس بن عبدالمطّلب.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ٩/١-١٠.

(٣) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.

علومه برموز الحلاج وتكلمه في علم الأحوال ومرامز الصوفية، وشحن كتابه بالأحاديث الموضوعة والمصنوعة، وهذه نص رسالته: "فأما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيت الرجل، وكلمته، فرأيته رجلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع منه العقل، والفهم وممارسة العلوم، طول زمانه، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد ينسلخ من الدين، فلما عمل "الإحياء" عمد يتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات"(١).

ويقول أبو القاسم التيمي(٢) في معرض ذمة لأولئك المبتدعة الذين يُعْرضون عن الكتاب والسنة، ويقدمون عليهما إلهاماتهم وأذواقهم وخواطرهم: "فإذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيارهم، فإن استقام قبلوه، وإلا حرّفوه بالتأويلات والإشارات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم".

ثم قال رحمه الله مبيّناً منهج أهل الحق في ذلك: "وأمّا أهل الحق، فجعلوا الكتاب

(١) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق مصطفى عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية- ١٤٢٠هـ) ٣/٤٤٥.

(٢) من علماء السلف في القرن السادس، وستأتي ترجمته في الباب الرابع -إن شاء الله-.

والسنة أمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك، ووفّقهم عليه، وإن وجدوه مخالفا لهم، تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلاّ إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدثتني نفسي في شيء، إلا طلبت منها شاهداً من الكتاب والسنة، فإن أتى بهما، وإلاّ رددت في نحره أو كلام هذا معناه"[١].

ونقل القاضي أبوالحسين بن الفراء[٢] من علماء السلف في القرن السادس عن أبي محمد التميمي[٣] إنكاره على الصوفية "بمنع الكلام في الخطرات والوساوس والإشارات

(١) الحجة في بيان المحجة ، أبوالقاسم الأصبهاني التيمي ، تحقيق ودراسة محمد بن محمود أبورحيم ، ط١ (الرياض : دار الراية ١٤١١هـ) ٢/٢٢٤.

(٢) أبوالحسين بن الفراء هو: محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء، أبوالحسين أبي يعلى، ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة من الهجرة، من علماء السلف في القرن السادس، متمسكاً بالسنة، له تصانيف منها طبقات الحنابلة، إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة، وغيرها. توفي مقتولاً سنة ٥٢٦هـ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/٧٩، والبداية والنهاية ١٢/٢٠٤، والمنتظم ١٧/٢٧٤، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٤٧.

(٣) التميمي: رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز، أبومحمد التميمي، الشيخ، الإمام، رئيس الحنابلة، ولد سنة أربع مئة وقيل سنة إحدى وأربع مئة، أثنى عليه جمع من العلماء، توفي سنة ثمان وثمانين وأربع مئة. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/٦٠٩، شذرات الذهب ٣/٣٨٤، البداية والنهاية ١٢/١٥٠.

ويقول: الكتاب والسنة هو المأمور به"[1].

وقال أبومحمد اليمني[2] رحمه الله في معرض ذمة للفرق المخالفة ومنهم الإلهامية الذي صار وصفاً ملازماً للمتصوفة لاعتقادهم تلقي علومهم عن طريق الإلهام: "وهذه فرقة الإلهامية، و لم يقع إلي اسم شيخهم فأذكره[3] لكنهم قالوا: إن الأحكام إنما تعلم إلهاماً يلهمها الله المجتهد، وأنه ليس لله -تعالى- حكم في الحادثة، بل ما ألهمه المجتهد فهو الحق...، لأنهم يقولون الأشياء على التوهم والحساب إنما يدرك الناس منها على قدر عقولهم وإلهامهم، ولا حق للحقيقة"[4].

كذلك رد أبوالخير العمراني[5] -رحمه الله- على الصوفية الذين جعلوا الإلهام منهجاً لهم في التلقي وكفّرهم على ذلك قائلاً: "فمن قال: إن الخلق يستغنون عن الرسل، وأن معرفة الله لا يصح الأمر بها فقد خالف الكتاب وأبطله، ومن قال إن معرفة الله بالإلهام

(١) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، خرج أحاديثه ووضع حواشيه أبوحازم أسامة بن حسن وأبوالزهراء حازم علي بهجت ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٤١٧هـ) ٢/٢٤٠.

(٢) انظر: ترجمته ص٢٩٨.

(٣) يقول السكسكي: "وأما الإلهامية، منسوبون إلى اعتقادهم وهم القائلون أن الأحكام تعلم إلهاماً من غير دليل من كتاب ولا سنة ولا قياس وأنه ليس لله -تعالى- حكم منصوص عليه بل ما ألهم المجتهد في الحادثة من توحيد وغيره فهو الحق".
البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس السكسكي ط١ (الأردن: مكتبة المنار ١٤٠٨هـ) ص٣٩-٤٠.

(٤) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة محمد بن عبدالله الغامدي ط١ (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤١٤هـ). ٢٨٢/١٠).

(٥) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.

أو بالطباع أو بغير كسب المأمور يلزمه أن يقول إن الكفار الذين عاندوا الرسول ﷺ في زمانه وقتلهم أنهم مخلدون في الجنة إذا لم يكن لهم طباع أو إلهام و لم يفطروا على المعرفة...، ومن كان هذا مقتضى قوله فلا شك في كفره لمخالفته نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة"(١).

هـذا ما استطعت العثور عليه من جهود علماء السلف في القرن السادس في ردهم افتراءات الصوفية حول منهجهم في الكشف وما تضمنته من وسائل وأساليب(*).

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للشيخ يحيى بن أبي الخير العمراني، دراسة وتحقيق د. سعود الخلف، ط١ (الرياض: مكتبة أضواء السلف-١٤١٩هـ) ٨١٤/٣.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في الزعم بالكشف والوسائل الموصلة إليه: ابن الجوزي في (تلبيس إبليس ص١٦٤، ١٦٦، ٣٥٥، والموضوعات ٣١٧/١، والقصاص والمذكرين لابن الجوزي تحقيق د. قاسم السامرائي، ط١ الرياض: دار أمية — ١٤٠٣هـ) ص١٥٦.
وابن العربي المالكي في العواصم من القواصم لابن العربي تحقيق عمار الطالبي ط١ (الدوحة: دار الثقافة — ١٤١٣هـ) ص١٨.
وقانون التأويل لابن العربي دراسة وتحقيق محمد السليماني ط١ (دار القبلة للثقافة الإسلامية: جدة، مؤسسة علوم القرآن: بيروت — ١٤٠٦هـ) ص٥٥٥، ٥٥٨.
وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ط١ (مصر: المطبعة الأزهرية — ١٣٢٥هـ) ٢٢٩/٥.
والمازري، انظر فتح الباري ٣٦٩/١٢-٣٧٠.
والقاضي عياض في (إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض؛ تحقيق د. يحيى إسماعيل ط١ المنصورة: دار الوفاء — ١٤١٩هـ) ٢٢٠/٧، والشفا ١٠٦٧/٢، ١٠٧١).
والفخر الرازي في (التفسير الكبير للفخر الرازي ط٢ (طهران: دار الكتب العلمية) ١٤٨/٢١-١٤٩).
وابن عقيل في (الآداب الشرعية لابن مفلح تحقيق وضبط وتخريج أحاديث وتقديم شعيب الأرناؤوط د. عمر الغنام ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ) ٢٢٨/١.

الفصل الثاني

موقف علماء السلف في القرن السادس الهجري من منهج الصوفية في الاستدلال

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث :

التمهيد: ويشتمل على تعريف الاستدلال لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة.

المبحث الثالث: موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال مشايخ الصوفية، ومصنفاتهم.

التمهيد

ويشتمل على تعريف الاستدلال لغة واصطلاحاً:

تعريف الاستدلال لغةً:

- هو: "من دلّ على الشيء إذا أرشد إليه"(١)، "والدليل ما يستدل به"(٢)، و"هو المرشد والكاشف"(٣).
- و"دلّ" عليه وإليه: أرشد، يقال: دلّه على الطريق ونحوه، و"استدل" عليه طلبه أن يُدل عليه، وبالشيء اتخذه دليلا عليه(٤).

تعريف الاستدلال اصطلاحاً:

- هو "إقامة الدليل على صحة الدعوى"(٥).
- وقال الجرجاني: "تقرير الدليل لإثبات المدلول"(٦).

---

(١) معجم لغة الفقهاء ص ٤٠.

(٢) مختار الصحاح ص ٢٠٩، مادة "دلل" ولسان العرب ٤/٣٩٤، مادة "دلل".

(٣) المصباح المنير ، ص ٧٦ مادة "دلل".

(٤) انظر المعجم الوسيط ص ٢٩٤، مادة "دل"، وأساس البلاغة ص ٣١، مادة "دلل".

(٥) معجم لغة الفقهاء ص٤٠ .

(٦) انظر: التعريفات للجرجاني ص٣٤ .

المبحث الأول

موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن.

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن.

المطلب الأول

منهج الصوفية بالاستدلال بالقرآن

من الأسس والركائز الهامة التي بنى عليها الصوفية منهجهم في الاستدلال على مسائلهم العقائدية والتعبدية والسلوكية؛ اتباع طريق التأويل، أو ما يسمى عندهم بالتفسير الإشاري[1] ، الذي يعتمد على المزاج القلبي، ذلك المنهج المعتمد على صرف النصوص الشرعية عن مرادها الشرعي إلى مراد بعيد الاحتمال، اعتمادا على الخواطر والوساوس والرؤى الخالية من الضوابط، حتى طوعوا الآيات القرآنية وفق ما تمليه رغباتهم وشهواتهم؛ زاعمين أن للقرآن ظاهراً وباطناً، والظاهر عندهم للعوام، وهم أهل الشريعة، والباطن للخواص وهم أهل الحقيقة والعارفين، حتى ظهر ما يسمى عندهم بمصطلح "الحقيقة والشريعة" حيث فرّقوا بينهما، حتى أصبح تكأة للتأويل والتفسير الإشاري عندهم، وذلك للتخلص من أحكام الشريعة.

---

(١) التفسير الإشاري : يختص بعلوم الخاطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهو ما تفردت به الصوفية ، وهذه العلوم لا تعلم إلا بالمنازلات والمواجيد (انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٠٠) ، وقد فسروا آي الذكر الحكيم على هذا الأساس بزعمهم .

الحقيقة والشريعة عند الصوفية[1]:

الحقيقة من أعظم غايات الصوفية، وقد عرّفوها، بأنها "سلب آثار أو صافك عنك بأوصافه، -يعني الله جلّ وعلا- بأنه الفاعل منك: لا أنت"[2].

وهي عندهم تعني مشاهدة الربوبية[3].

أمّا الشريعة: فهي أمر التزام العبودية مما ورد به التكليف من الأمر والنهي، والإباحة والحظر[4].

وعند الصوفية الشريعة بواسطة الرسل، والحقيقة تقريب بلا واسطة[5]، وربما يشار بالشريعة إلى الواجبات والأمر والزجر، وبالحقيقة إلى المكاشفات والمشاهدات؛ فالشريعة وجود الأفعال، والحقيقة شهود الأفعال؛ والشريعة أن تعبد الله، والحقيقة أن تشهده[6].

---

(١) يـزعم الصـوفية على وجه التقليل أن الشريعة هي ما أوحاه الله إلى رسوله، وأما الحقيقة فهي عـندهم المعـرفة العقلية التي وصلوا إليها بذوقهم وصارت من الدين بغض النظر عن موافقتها للشـريعة أو مخالفتها، ويجب التنبية إلى أن من وسائل المعرفة عند الصوفية الذوق، ولهذا اختلفت أفكارهم لاختلاف أذواقهم.

(٢) اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص ١٤.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية ص ١٥٥، ومعجم مصطلحات الصوفية للحفني ص ٧٩.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص ١٥٥، والتعريفات ص ١٦٧.

(٥) يعني عن طريق الكشف والإلهام .

(٦) انظـر: جـامع الأصول في الأولياء/ أحمد الكمشخانوي النقشبندي (مصر: دار الكتب العربية الكبرى – ١٣٣١هـ) ص ٤٢، بدون رقم الطبعة.

وللحقيقة والشريعة أركان عند الصوفية، يقول الهجويري:

"ولعلم الحقيقة أركان ثلاثة:

الأوّل: العلم بذات الله.

الثاني: العلم بصفات الله وأحكامها.

الثالث: العلم بأفعال الله.

ولعلم الشريعة أركان ثلاثة:

الأوّل الكتاب، الثاني: السنة، والثالث: الإجماع"(١).

ومن مزاعم بعض الصوفية في التفريق بين الحقيقة والشريعة، ما قاله الشبلي عندما سئل عن الفرق بين لسان العلم، ولسان الحقيقة، قال: لسان العلم ما تأدى إلينا بواسطة، ولسان الحقيقة ما تأدى إلينا بلا واسطة، فقيل له: ولسان الحق ما هو؟ قال ما ليس للخلق عليه طريق، ويقصد بهذا القول: أي بيان علمه والكشف عنه بالعبارة(٢).

ومّما يثبت هذه التفرقة بين الشريعة والحقيقة عند الصوفية إنكار الهجويري عليهم،

(١) كشف المحجوب ص ١٨.

(٢) اللمع ص ٤٣٠. ولسان العلم عنده وقومه هي علوم أهل السنة والجماعة ، أما لسان الحقيقة ، فهي علوم الصوفية المزعومة .

ووصف من يقول بذلك بالنفاق والزندقة، يقول: "إن ظاهر الحقيقة بلا باطن نفاق وباطن الحقيقة بلا ظاهر زندقة"(١).

وقالوا: إن للإسلام وشرائعه وللقرآن والحديث ظاهر وباطن يقول الطوسي: "إن العلم ظاهر وباطن... ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله عزّ وجلّ: **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾** (٢). فالمستنبط هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوّف، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك، فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن"(٣).

ولما كان الصوفية يزعمون أنهم أهل الحقيقة ، وخُصُّوا بذلك ، فلا غرو أن نجد منهم مَنْ يُعلي مِنْ قدر علومهم ، ويحطُّ من قدر علم وعلماء الشريعة .

يقول أبو يزيد البسطامي، وهو يخاطب علماء الرسوم – علماء الشريعة: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حدثني فلان، وأين هو قالوا: مات، عن فلان، وأين هو

(١) كشف المحجوب ص ١٨.

(٢) سورة النساء آية ٨٣.

(٣) انظر: اللمع ص ٤٣،٤٤.

قالوا: مات"[١].

وقال بعض الصوفية: "لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة، ولو كان حقا في نفسه"[٢].

كما يقول الجنيد بهذا الشأن: "المريد الصادق غني عن العلم والعلماء[٣]، وإذا أراد الله بالمريد خيراً أوقفه إلى الصوفية، ومنعه صحبة القرّاء"[٤].

ومن صور تقليلهم من شأن علماء الشريعة، يقول الترمذي الملقّب عندهم بالحكيم: "أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة"[٥].

وهذا السراج الطوسي يهاجم الفقهاء؛ لأن علمهم –بزعمه– أقرب إلى حظوظ النفس، وأن علومهم قد يحتاج إليها في العمر مرّة، وعلوم الصوفية يحتاج إليها دائما[٦].

---

(١) الفتوحات المكيّة لابن عربي ٢٨٠/١. وعلماء الرسوم هم أهل التصوف بزعمه !! .

(٢) الطبقات الكبرى ١٧٥/٢. وهذا فيه دلالة قاطعة على عدم اعتمادهم على االكتاب والسنة في تلقي علومهم .

(٣) أي علم الشريعة وعلمائها .

(٤) ن. م ٨٥/١. والقراء بمفهوم الصوفية هم أهل السنة والجماعة .

(٥) ختم الأولياء محمد بن علي الترمذي، تحقيق عثمان إسماعيل يحي، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية – ١٩٦٥م) ص ٢٣٧. والعامة هم أهل السنة والجماعة بمفهوم الصوفية .

(٦) انظر: اللمع ص ٣٦.

ويبرر الغزالي بعده عن علوم الشريعة، وميله والمتصوّفة إلى علوم الحقيقة بقوله: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلّموا و لم يحرصوا عـــلى دراسة العلم، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات والإقبال على الله، ويقطع الإنسان همـــه من المال والولد، ويقتصر على الفرائض والرواتب، ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا يكتب حديثا"[١].

وبلـــغ بهم حد الغلو أن جعلوا علم الباطن –الحقيقة- حاكما على علم الظاهر –الشريعة–، يقول أبو طالب المكيّ:

"أهـــل الظاهـــر هـــم: أهـــل الخير واللسان، وعلماء الباطن: هم أرباب القلوب والعـــيان.... وعـــلمُ الظاهر حكم، وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف حتى يأتي الحاكم بحكم فيه"[٢].

وقـــد ترتب على أقوالهم ودعاويهم في التفريق بين الحقيقة والشريعة[٣]، وزعمهم

---

(١) الإحياء ٢١/٣.

(٢) قوت القلوب ١٥٨/١.

(٣) ولو نظرنا إلى المصدر الحقيقي لهذه البدعة – أعني بها التفرقة بين الحقيقة والشريعة، نجد أنها بدأت عند الشيعة، الذين قالوا أن لكل شيء ظاهراً وباطناً، وأن للقرآن ظاهراً وباطناً، فكل آية بل كل كلمة منه لها ظاهر وباطن، وهذا الباطن لا ينكشف إلا للخواص، ويعنون بهم أنفسهم، لذا نرى من أخذ بهذه البدعة من الصوفية قد تتبعوا طريقة التأويل، واستعملوا بها أساليب ومصطلحات الشيعة، وزادوها غموضاً.

بتـــلقي عـــلومهم بدون واسطة؛ أن فسروا القرآن تفسيرا إشارياً، نهجوا فيه إلى تأويل الآيـــات القرآنية عن معناها الحقيقي الذي جاءت به الشريعة، حتى أصبح ذلك منهجا خاصا عندهم للاستدلال على صحة عقائدهم وأفكارهم ومستنداً لها.

وقـــد طفحت كتب الصوفية بهذا النوع من التأويل الفاسد للقرآن من خلال هذا المنهج الذي ارتضوه في الاستدلال.

وسأســـوق هنا بعض النماذج من الآيات القرآنية التي شطحوا في تفسيرها تفسيرا إشـــاريا، وقام علماء السلف في القرن السادس الهجري بتفنيدها والرد على أصحابها، فمن هذه الآيات:

في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾ [١].

سئل الجنيد وهو من ساداتهم عن معناها فقال: لا تنس العمل به. وعندما سئل عن قولـــه تعالى: ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ [٢]، قال: تركوا العمل به، فقال السائل: لا يفضض الله فاك [٣]!.

---

(١) سورة الأعلى آية ٦.

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٩ .

(٣) انظر: حقائق التفسير للسلمي ورقة ١٩٨، ٨٢ : مخطوط بالمكتبة المركزية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم٣٧٨٧/ف و٩٩٠٢، وحلية الأولياء ١٠/٢٧٠.

وقـــالوا في قـولــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (١). قال أبو سعيد الخـــرّاز، معـــنى "المتوسم" هو الذي يعرف الوسم وهو العارف بما في سويداء القلوب بالاستدلال والعلامات التي يبديها على الفريقين من أوليائه وأعدائه(٢).

وهذا القول فيه دلالة واضحة على الزعم بمعرفة ما في الغيب!.

وقـــال أبـــو حامد الغزالي في قوله تعالى: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (٣). قـــال: إنما عني إبراهيم عليه السلام بالذهب والفضّة، إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة، وإنما عني بعبادته حبه والاغترار به(٤).

وقـــال السلمي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُم أُسَارَى ﴾ (٥). قال أبو عثمان: غرقى في الذنـــوب، وقال الواسطي، غرقى في رؤية أفعالهم، وقال الجنيد: أسارى في أسباب الدنيا إلى قطع العلائق(٦).

---

(١) سورة الحجر آية ٧٥.

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ص ٣٢٣، والموسوعة الصوفية للحفني ص ١٣٨.

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٥.

(٤) انظـــر الإحياء ٣/٢٣٥، وميزان العمل للغزالي ، كتب هوامشه أحمد شمس الدين (بيروت : دار الكتب العلمية -١٤٠٩هـــ) ص ١٥٤.

(٥) سورة البقرة آية ٨٥.

(٦) انظر: حقائق التفسير ورقة ١٥ رقم المخطوط ٩٩٠٢.

ومن صور تفسيرهم للقرآن على غير مراده، استدلالهم بعدم التشاغل في المال بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[1].

روى الطوسي عن أبي عمر بن علوان قال: حمل أبو الحسين النوري ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له، وجلس على قنطرة، وجعل يرمي واحدا منها إلى الماء، ويقول جئتيني تريدي أن تخدعيني فيك بمثل هذا، قال السراج: فقال بعض الناس: لو أنفقها في سبيل الله كان خيرا له فقلت: إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين: كان الواجب أن يرميها في الماء دفعة واحدة، حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنتها؛ كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[2].

وقال الطوسي: استدل الصوفية بها على جواز إضاعة المال حتى لا يكون سببا للتشاغل عن الله[3].

كما استدل الشبلي بها على جواز إحراق الثياب والخبز والأطعمة، وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم[4].

ومن صور تأويلاتهم للقرآن، ما ذكره السلمي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ

(١) سورة ص آية ٣٣.

(٢) سورة ص آية ٣٣.

(٣) انظر: اللمع ص ٤٨٤.

(٤) انظر: حلية الأولياء ١٠/٣٧٤.

آمِناً﴾[١] قال: أي من هواجس نفسه، ووساوس الشيطان[٢].

وسئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣]، قال: لمن كان الله قلبه[٤]!!.

وقد أضاف السلمي الضر إلى المس، والخير إلى الإرادة، في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ...﴾[٥].

وقال السلمي أيضا في فاتحة الكتاب: إن الصوفية قالوا: إنما سميت فاتحة الكتاب؛ لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا، فإن تأدبت، وإلا حُرمت لطائف ما بعد.

وقال في قول الإنسان "آمين" أي: قاصدون نحوك[٦].

ونجد لسورة الفاتحة تأويلاً آخر عند الغزالي حيث يقول: "إن هذه السورة فاتحة

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٢) انظر حقائق التفسير ورقة ٣٣ رقم المخطوط ٩٩٠٢.

(٣) سورة ق آية ٣٧.

(٤) انظر: اللمع ص ١٢٨، وحلية الأولياء ٣٧٢/١٠. وتفسيراتهم هذه لآي القرآن خاطئة على غير مرادها عند أهل السنة والجماعة أهل الحق. وسيأتي بيان ذلك في المطلب التالي.

(٥) سورة يونس آية ١٠٧.

(٦) انظر: حقائق التفسير ورقة ١٦ رقم المخطوط ٩٩٠٢.

الكـتاب، ومفـتاح الجنة، وإنما كانت مفتاحا؛ لأن أبواب الجنة ثمانية، ومعاني الفاتحة ترجع إلى ثمانية.." (١).

وقال السلمي في قوله تعالى: ﴿ فلله المَكْرُ جَمِيعاً ﴾ (٢) قال الحسين – الحلاج-: لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده، حيث أوهمهم أن لهم سبيلا إليه بحال(٣).

وقالوا في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (٤): أي ما نذهب من ولي لله، إلا ونأت بخير منه أو مثله(٥).

ويمضـي الصوفية في غلوهم وتعسّفهم في تفسير وتأويل آيات القرآن، فقد قالوا في معنى "البقرة" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (٦).

---

(١) جواهر القرآن/ للغزالي، تحقيق د. محمد رشيد رضا قباني، ط٣(بيروت: دار إحياء العلوم ١٤١١هـ) ص٧١.

(٢) سورة الرعد آية ٤٢.

(٣) انظر: حقائق التفسير ورقة ١٣٥ رقم المخطوط ٩٩٠٢.

(٤) سورة البقرة آية ١٠٦.

(٥) انظر لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري ص ٢٢.

(٦) سورة البقرة آية ٦٧.

قالوا: إن بقرة الإنسان: نفسه[1].

مما سبق يتبيّن كيف استدل الصوفية في الآيات القرآنية؛ ذلك الاستدلال القائم على التأويل والتفسير الإشاري، الذي ارتضوه منهجا خاصاً لهم أضفوا عليه هالة من التقديس، حتى آل بهم الأمر إلى عقد أبواب كاملة في مصنّفاتهم، كما فعل صاحب كتاب "لطائف المنن" بل صنّفوا كتبا بكاملها لأجل هذا النوع من التفسير كما هو الحال بالنسبة للسلمي في كتابه "حقائق التفسير" وغيره كثير، إلى أن بلغ بغلاتهم أن جعلوا كل كلام في الوجود هو كلام الله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-، يقول أحد غلاتهم:

وكل كلام في الوجود كلامه　　سواء علينا نثره ونظامه[2]

---

(١) انظر لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري ص ١٦٣.

(٢) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ٤/١٤١، وهو قائل هذا البيت.

المطلب الثاني

موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن.

استنكر علماء السلف في القرن السادس، ما أقدم عليه الصوفية من تعسّف وتخبط في تأويل آيات القرآن الكريم، تأويلا أخرجها عن مقصودها الشرعي، التي جاءت به الشريعة، وبيّنوا فساد منهج استدلال الصوفية في القرآن الكريم عن طريق هذا التأويل الفاسد أو ما أسموه بالتفسير الإشاري.

وقد قال المصطفى ﷺ (من قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار) (١).

والتأويل الفاسد للقرآن لازمه اتهام الشارع بكتمان الحق وعدم نصح الخلق. ومن أخطر المخاطر على عقيدة المرء ودينه، أن يعتقد وجوب تأويل النصوص الشرعية من غير برهان من الله.

يقول ابن قدامة المقدسي(٢): ".. لأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلا في

(١) انظر : سنن الترمذي للحافظ محمد بن عيسى محمد الترمذي، ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، نشر محمد عبدالمحسن الكتبي ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ٢٦٨/٤. وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) من علماء السلف في القرن السادس، وستأتي ترجمته في الباب الرابع -إن شاء الله-.

عقد الدين بحيث لا يكمل إلاّ به، أو ليس داخلا، فمن ادّعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلاّ به، فيسأل: هل كان الله صادقا في قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(1) قبل هذا التأويل؟ أو أنت الصادق في أنه كان ناقصا حتى أكملته؟؛ لأنه إن كان داخلا في عقد الدين و لم يبينه النبي ﷺ ولا أصحابه وجب أن يكونوا قد رحلوا من الدنيا، ودينهم ناقص، ودين هذا المتأوّل كامل؛ ولا يقول هذا مسلم ، ولأنه إن كان داخلا في عقد الدين و لم يبلغه النبي ﷺ أمته، فقد خانهم وكتم عنهم دينهم – وحاشاه – و لم يقبل أمر ربه في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾(2)، وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(3)، فيكون النبيﷺ، ومن شهد له بالبلاغ غير صادقين، واعتقاد هذا كفر بالله تعالى وبرسولهﷺ"(4).

وبيّن أبو القاسم التيمي ضلال المبتدعة في مسألة التأوّيل فهو يشير رحمه الله إلى أن الصوفية ومن في حكمهم من الفرق المتفرقة، والأحزاب المنحرفة، اتخذت من التأويل الفاسد متكأً لتبرير الأصول التي أصلتها واعتقدها، واخترعوا لأجل ذلك قوانين بشرية، جعلوها الحكم في فهم الدين، والفيصل في معرفة الحق من الباطل، فمتى ظهرت مسألة

(1) سورة المائدة آية ٣.

(2) سورة المائدة آية ٦٧.

(3) سورة الحجر آية ٩٤.

(4) ذم التأويل/ موفق الدين ابن قدامة، تحقيق وتخريج. بدر عبد الله البدر ط١(الكويت: الدار السلفية –١٤٠٦هـ) ص ٤١.

رجعـــوا إلى معقولاتهم، وخواطرهم، وآرائهم، وطلبوا الدين من قبلها، فإذا سمعوا شيئا مـــن الكتاب والسنة عرضوه على معيارهم، فإن استقام قبلوه، وإلا حرّفوه بالتأويلات والإشـــارات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم[1].

وعندما فسّر الصوفية معنى المتوسّم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[2] بالعـــارف والعالم بما في الغيب، ردّ هذا التفسير البغوي، وذلك عندما بيّن معناه الشرعي، و أبـــان معنى الوسم وهو العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها، أو أن المتوسم هو الناظر والمتفرّس والمعتبر والمتفكّر وهي أقوال متقاربة المعنى[3].

وتفســـير الصوفية للمتوسّم ادعاء للغيب لا ريب، وأمور الغيب لا يعلمها إلاّ الله ســـبحانه، أنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[4] والآيات الكـــريمة التي تنفي علم الغيب لأحد سوى الله كثيرة، ومضمونها رد صارم على جميع المبتدعة من صوفية وغيرهم، فهل يعي هؤلاء القوم ذلك؟.

(١) انظـــر: الحجـــة في بيان المحجة ، لأبي القاسم إسماعيل التيمي، تحقيق ودراسة محمد أبورحيم ط١ (الرياض: دار الراية – ١٤١١هـــ) ٢/٢٢٤.

(٢) سورة الحجر آية ٧٥.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٤/٣٨٨.

(٤) سورة الأنعام آية ٥٩.

كما فنّد البغوي تفسير الصوفية لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[1] عندما قالت الصوفية: "أن المقصود في "الآية" هو الولي. فذهب خلاف ما ذهبت إليه الصوفية، قال: أن المراد بالنسخ إما رفع اللفظ، أو الحكم أو تبديل الآية بغيرها أو رفع الحكم مع بقاء اللفظ.

وإن المقصود بالآية هي الآية القرآنية من كلام الله، والمقصود بخير منها أي بألين منها وأيسر على الناس، وأنفع وأكثر للأجر، أو مثلها: أي في الثواب والمنفعة[2].

وبهذا يبطل تفسير الصوفية للآية.

وعندما فسّر الصوفية قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3] بأن المراد: أي لمن كان الله قلبه.

رد البغوي هذا التفسير وقال أن المراد بالقلب هو العقل[4].

وفي تفسير الصوفية للآية اعتقاد واضح بالحلول.

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٦

(٢) انظر: تفسير البغوي ١/١٣٤،١٣٣، وانظر سبب نزول الآية الكريمة في تفسير البغوي ١/١٣٣.

(٣) سورة ق آية ٣٧.

(٤) انظر: تفسير البغوي ٧/٣٦٤.

ورد البغوي تفسير الصوفية معنى البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [1] وقال أن المراد بالبقرة هي من جنس الحيوان[2]، وليست نفس الإنسان كما قالت بذلك الصوفية[3].

كما رد البغوي مزاعم الصوفية في قوله تعالى: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾[4] عندما استدلوا بها على جواز إضاعة المال وتقطيع الثياب وإحراقها، وجميع ما ينتفع به الناس.

وعدَّ شرف الإسلام الشيرازي[5] المبتدعة الذين يؤلون القرآن ليوافق أهواءهم -من الضّلاّل، ولا شك أن غلاة الصوفية من أولئك بل على رأسهم، فهو يقول: "لعمري أن من أضله الله وختم على قلبه وسمعه حمل الأشياء على غير مقتضاها، ونقل الألفاظ عن معناها ...، إلى أن قال: فانظر يا أخي -وفقك الله لطاعته- كيف قصد أعداء الدين التمويه على العوام لهذا الإلحاد من الكلام رداً عن تعظيمه وتبجيله، وحملاً لهم على

(١) سورة البقرة آية ٦٧.

(٢) انظر قصة البقرة وأمر بني إسرائيل بذبحها في زاد المسير ٩٦/١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٣٩/١-٣٤٠.

(٣) انظر: تفسير البغوي ١٠٧/١، وزاد المسير ٩٦/١، والمحرر الوجيز ٣٤٠/١.

(٤) سورة ص آية ٣٣.

(٥) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.

إهانته وتدوينه، وإكذاباً لله في خبره، وللرسول فيما جاء به..."[1].

كما أنكر –رحمه الله– على المبتدعة الذين ضلوا في كلام الله ومنهم الحلولية –غلاة الصوفية– وكفّرهم وعدّهم زنادقة بقوله: "ومنهم من يقول: القرآن يختلط في بني آدم في لحومهم ودمائهم وغير ذلك".

ثم قال –رحمه الله–: فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية، وهم كفار زنادقة وحلاّل القتل، ومن لم يكفر هؤلاء الأصناف كلها، فهو كافر زنديق حلال القتل"[2].

هذه مواقف علماء السلف في القرن السادس التي استطعت العثور عليها تجاه منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن الذي اعتمدوا فيه على التأويل والتفسير الإشاري فرده هؤلاء العلماء الأجلاّء وكان منهجهم في ذلك الاعتماد على الكتاب والسنة المطهّرة بعيداً عن الغلو والتعسّف.

ويلزم الصوفية أن يزنوا خواطرهم، وأعمالهم، وأقوالهم بميزان الشريعة، وقد قامت الحجة عليهم بأقوال ساداتهم، وقد قال أبو سليمان الداراني: "ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة"[3].

---

(١) الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، شرف الإسلام الشيرازي، دراسة وتحقيق وتعليق علي الشبل ط١ (الرياض: مجموعة التحف النفائس الدولية – ١٤٢٠هـ) ٢/٤٦٧-٤٦٩.

(٢) ن. م ٢/٧٠٨-٧٠٩.

(٣) طبقات الصوفية ص ٢٠، والرسالة القشيرية ص ٧٩.

وقال الجنيد: "مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة"[1].

وقال أيضا: "علمنا هذا مستمد بحديث رسول الله ﷺ"[2].

ولا أدري إلى أي كتاب، وإلى أي سنة، يستدل غلاة الصوفية في أفعالهم وأقوالهم وتأويلاتهم وتفسيراتهم للقرآن؟! ولكن لبَّس الشيطان عليهم لقلة علمهم"[3] [*].

(١) الرسالة القشيرية ص ٨٦.

(٢) ن. م ص ٨٦.

(٣) ولقد تأثر الصوفية في تأويلاتهم لآي القرآن بالشيعة عندما جعلوا لكل آية ظاهراً وباطناً، يقول المستشرق نيكلسون: "استطاع الصوفية – متبعين في ذلك الشيعة- أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يلائم أغراضهم، على أن كل آية، بل كل كلمة في القرآن تخفي وراءها معنى باطنا لا يكشفه إلا الله للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات وجدهم، ومن هنا نستطيع أن نتصوّر كيف سهل على الصوفية بعد أن سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلا من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أيًا كانت".

(في التصوّف الإسلامي/ نيكلسون ص ٧٦).

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم: ابن عقيل انظر الأداب الشرعية ٢٢٨/١، وتلبيس إبليس ص٢٧٥.

ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ط١ (جامعة الإمام – ١٤٠١ هـ) ٦٥/٨-٦٨.

والقاضي عياض، انظر الشفا ١١٠١/٢، والآداب الشرعية ٢٧٥/٢.

وابن العربي المالكي في العواصم من القواصم ص١٩٣/١٩٨، ١٩٩.

المبحث الثاني

موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة.

المطلب الثاني: موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة.

المطلب الأول

منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم، ومكانتها في الإسلام، مكانة عالية رفيعة، فهي الشارحة والموضحة لآيات الأحكام في القرآن وغيرها.

وقد أدخل على السنة، أحاديث موضوعة مكذوبة على الرسول ﷺ. وفيها الأحاديث الضعيفة التي لا يستدل بها، ولا تقوم بها حجّة.

وللصوفية منهج خاص بالاستدلال بها، ذلك أنهم اتخذوا الأحاديث الضعيفة، وما وضعوه منها؛ منهجا خاصّا للاستدلال على صحة أقوالهم وأفعالهم، وبلغ الأمر بهم أن ردوا الأحاديث الصحيحة؛ زعما منهم بأنها لا تفيد اليقين، وإنما تفيد الظن، واتخذوا ذلك ركنا وأساساً متيناً لقاعدتهم الاستدلالية.

فعقائدهم، وأخلاقهم، وآدابهم، وسلوكياتهم، وعباداتهم، بنوها على ذلك المنهج في الاستدلال.

فمثلا، نجدهم يستدلون على جواز التواجد، والحركة، والرقص أثناء السماع، بما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ، إذ نزل جبريل، فقال: يا رسول الله، إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام،

ففـــرح رســـول الله ﷺ فقال: هل فيكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد الأعرابي:

قد لسعت حيّة الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذي به شغفـــت فعنده رقيتي وترياقـــي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه، حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا. أوى كل واحد منهم إلى مكانه. قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية ليس لكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ على من حضر أربعمائة قطعة"[١].

واستدلوا أيضا بجواز السماع بما ثبت أن جاريتين كانتا تضربان بالدف وتغنيان، وعائشة معهـــن، وكان ذلك بحضرة رسول الله ﷺ فلم ينكر شيئا من ذلك، ولّما أنكر أبو بكر رضي الله عنه عليهن، قال دعهما، فأخذوا عن ذلك إباحة ضرب الدفوف أثناء السماع[٢].

---

(١) صـــفوة التصـــوّف، محمد بن طاهر المقدسي، مراجعة وتدقيق أحمد الشرباصي (مصر: مطبعة دار التألـــيف) ص ١١٢، بـــدون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر، وقد ردّ السهروردي من أئمة الصوفية الذيـــن عاشـــوا معظم حياهم في القرن السادس حديث أنس في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعـــرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي.... الخ، بقوله: "فهذا الحديث أوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلّم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صـــحّ –والله أعلم- ويخالج سري أنه غير صحيح، و لم أجـــد فـــيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه، على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك". (عوارف المعارف ص ١٨٩).

(٢) انظـــر: الرسالة القشيرية ص ٤٦٦، وعوارف المعارف ص ١٦١، وإحياء علوم الدين ٢٧٨/٢. وانظر الحديث في صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار باب مقدم النبيﷺ وأصحابه المدينة ٢٦٦/٤، وانظر رد هذا الاحتجاج بهذا الحديث ص٥٢٧.

ومـــن أشهر الأحاديث الموضوعة التي استدلوا بها -وفق منهجهم- في القول بحياة الخضر عليه السلام.

فـــرووا حديثا مكذوبا فيه "يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله وماشاء الله، لايسوق الخير إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(١).

وكذلك حديث "إن الخضر في البحر، واليسع في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الـــذي بناه ذو القرنين بين الناس، وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل"(٢).

وعلى هذا الاستدلال جعلوا الخضر حجة لهم في صحة أقوالهم -كما يزعمون-(٣).

ومـــن مـــنهجهم في ذلك محاربة الدين بالكف عن الاستدلال بالحديث وكذلك الاستهزاء بعلماء الأمة.

فقد روى عن أبي سليمان الداراني أنه قال: "إذا طلب الرجل الحديث، أو تزوج أو

---

(١) ذكره ابن حجر في الزهر النضر في حال الخضر ص ٧٥.

(وانظر: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، ص ٥١٤ ، والإحياء ٣١٦/١.

(٢) ذكره ابن حجر في الزهر النضر في حال الخضر ص ٧٥.

(٣) وهذه الأحاديث باطلة. انظر الموضوعات لابن الجوزي ٣١٣/١.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الخضر نبي من الأنبياء قد توفاه الله و لم يقل أحد من السلف بحياته كما تزعم المتوصفة!!.

سافر في طلب المعاش، فقد ركن إلى الدنيا"[1].

وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري:

"نعم الرجل أنت لو لا رغبتك في الدنيا، قال: وفي ماذا رغبت؟! قالت: في الحديث"[2].

وقد قالوا: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"[3].

وقال ابن عربي: "علماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم"[4].

وقال ابن فاضلا[5]: "لا تقنع قط بسمعت ورويت، بل شهدت ورأيت"[6].

ومن الأحاديث التي فهمها بعض الصوفية على خلاف مرادها في الشرع؛

---

(١) الإحياء ١/٦١، ٢/٢٤.

(٢) الإحياء ٢/٢٣٧.

(٣) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية/ للمناوي، ط١(مصر: مطبعة وورشة تجليد الأنوار – ١٣٥٧هـ) ١/٢٤٦.

(٤) ن. م ١/٢٤٦ ويقصد بعلماء الرسوم، أهل السنة والجماعة، أما الأولياء فهم الصوفية بزعمه!!.

(٥) ابن فاضلا: هو الشيخ داود الكبير بن فاضلا، كان شرطياً في بيت الوالي بالأسكندرية، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. انظر: الطبقات الكبرى ١/١٨٨.

(٦) الطبقات الكبرى ١/١٩٩.

الأحاديث التي تنهى عن ادخار المال والطعام ولو ليوم واحد.

قال بعض الصوفية: "أنه ﷺ لم يدخر شيئا لغد"[١].

وقـــال الغزالي: "إن رسول الله ﷺ كان أسخى الناس، كان لايبيت عنده دينار ولا درهـــم، وإن فضل شيء، و لم يجد من يعطيه، وفاجأه الليل، لم يأوِ إلى فراشه حتى يتبرّأ منه، إلى من يحتاج إليه"[٢].

ومنهج استدلالهم في العبادات لا يبتعد عن ذلك فوضعوا أحاديث استدلوا بها على

(١) اللمع للطوسي ص ٣٥.

(٢) الإحياء ٣٦١/٢، وقد ذكر الحافظ العراقي في تخريجه على الإحياء عن هذا الحديث: "أخرجه ابو داود من حديث بلال في حديث طويل أهدي صاحب فدك لرسول الله ﷺ أربع ركائب عليهم كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده.

وفـــيه قال: "فضل شيء" قلت: نعم، ديناران، قال: "انظر أن تريحني منهما فلست بداخل على أحـــد مـــن أهلي حتى تريحني منهما فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظلّ في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال: "ما فعل الذي قبلك؟" قلت: قد أراحك الله منه؛ فكبر وحمد الله شفقا مـــن أن يـــدرك الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه.. الحديث، وللبخاري من حديث عقبة بن الحارث: ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته. ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمـــد مرسلا : كان لا يقبل مالا عنده ولا يبيته". (١)

(المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بهامش إحياء علوم الدين ٣٦٠/٢.)

صيام النصف من شعبان، وكذلك ما يسمى عندهم بصلاة الرغائب(١).

وكــان مــن منهجهم في الاستدلال على ترك الزواج قائما على وضع الأحاديث الباطلة، فقد احتجوا بحديث يروونه عن رسول الله ﷺ وفيه:"خيركم بعد المئتين خفيف الحاذ، قيل يا رسول الله، وما خفيف الحاذ، قال: الذي لا أهل لـه ولا ولد"(٢).

كمـا اسـتدل الصوفية على لزوم خلوتهم بما رووه عن الرسول ﷺ أنه قال: "من أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبـه على لسانه"(٣).

هكـذا كان منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة على صحة أقوالهم وأفعالهم، استدلال بالأحاديـث الموضوعة والضعيفة، وإذا استدلوا بالأحاديث الصحيحة، فهم يزعمون أنها لا تفيد اليقين، ولذلك لجئوا إلى تأويلها التأويل الذي أخرجها عن مرادها الشرعي.

(١) انظر: الإحياء ٢٠٢/١، وقوت القلوب ٧٤/١.

(٢) عوارف المعارف ص ١٥٢، والحديث ضعيف، انظر التعليق ص٤٤٩ هامش رقم (١).

(٣) ن. م ص ٢٠٨، والرسالة القشيرية ص ٣٠٢، قال ابن الجوزي وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج به، انظر الموضوعات ٣٨٨/٣.

المطلب الثاني
موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الإستدلال بالسنة.

أكـد عـلماء السلف في القرن السادس على التمسك بالسنة النبوية الشريعة قولا وعمـلا، وعملوا على تطهيرها من دنس المفترين عليها، وشددوا على ذلك، ودحضوا المـزاعم والأقـاويل الكاذبـة، وبيّـنوا الأحاديث الصحيحة، والأحاديث الضعيفة، والموضوعة، وردوها على أصحابها، وبينوا فضل علم الحديث وأهله.

ووقفـوا في وجه المبتدعة الصوفية، الذين دأبوا على وضع الأحاديث التي تتناسب وعقـائدهم ومذاهـبهم الفاسـدة، وفنّدوا أقوالهم بالحجّة الساطعة، النابعة من هدي الكتاب والسنة.

يقول أبوطاهر السلفي[١] في فضل علم الحديث وأهله:

"إن علم الحديث علم رجال   تركوا الابتداع للاتبـاع
فإذا جنّ ليلهم كتبـوه   وإذا أصبحوا غدوا للسماع" [٢]

(١) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦.

ويقول رحمه الله:

"دين الرسول وشرعه أخباره وأجلُّ علم يقتفى آثــاره

من كان مشتغلاً بها وبنشرها بين البرية لاعفت آثاره" [(١)]

وقد شدد علماء السلف في القرن السادس الإنكار على محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي، لما عرف عنه من وضع الأحاديث.

ومـــن هؤلاء الحافظ ابن ناصر[(٢)] الذي قال عنه كان لحنه ذا تصحيف قرأ: "وإن جبينه ليتقصد عرقا" بالقاف، فقلت بالفاء، فكابرني!!.

وقال عنه أيضا: كان يذهب مذهب الإباحية"[(٣)].

ونقل ابن الجـــــوزي عن أبي ســـعد بن السمعاني[(٤)] قوله: سألت إسماعيل الحافظ

(١) كتاب الأنساب ٤٣/٣.

(٢) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله..

(٣) انظر المنتظم ١٣٧/١٧.

(٤) الســـمعاني: هـــو أبـــو سعد، عبدالكريم بن أبي بكر محمد بن أبي منصور بن محمد بن عبدالجبّار التمـــيمي السمعاني الخراساني المروزي، من علماء القرن السادس، ولد سنة ٥٠٦هـــ بمرو، فقيه، حـــافظ، واعـــظ، خطيب، عفيفا، حسن الأخلاق، ظريف الشمائل، سريع الفهم، أفتى ووعظ وســـاد أهـــل بيته صدوقا، ثقة، ديّناً، جميل السيرة، مليح التصانيف، ولكنه أشعري العقيدة، من تصانيفه: الأنساب، والتحبير في المعجم الكبير وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٥٦٢هـــ بمرو.

=

عن ابن طاهر، فتوقف، ثم أســـاء الثناء عليه، وكان سيئ الرأي فيه(١).

ودحـــض أبوبكـــر الســـمعاني(٢) والحافظ ابن ناصر مزاعم الصوفية بجواز صلاة الرغائب، واستدلالهم بما رووه من أحاديث، وبينوا أن جميع الأحاديث المروية في فضل هذه الصلاة كذب وباطل لا تصحّ.

وفي ذلك يقول ابن رجب رحمه الله: "وأما الصلاة -صلاة الرغائب- فلم يصح في شـــهر رجب صلاة مخصوصة تختص به والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في

= (انظـــر ترجمته: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، محمد بن محمود بن النجّار، حققه وعلّق عليه وقدم لهم د. قيصـــر أبو فرج ط١(حيدر أباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – ١٣٩٩هـــ) ص ١٧٣، وشـــذرات الذهـــب ٢٠٦/٤، ومعجـــم المؤلفين ٢١١/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٦٢/٢٠، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٨٣/٣، جهود علماء السلف في القرن السادس في تقرير العقيدة والدفاع عنها، محمد بن مجدوع القرني ٨٠/١).

(١) انظر: المنتظم ١٣٧/١٧.

(٢) السمعاني : أبوبكر ، محمد بن منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني ، التميمي ، المروزي ، تـــاج الإســـلام، من علماء القرن السادس، ولد بمرو سنة ٤٦٦هـــ ، وقيل : ٤٦٧هـــ ، محدث ، حـــافظ ، فقيـــه ، أديب ، مؤرخ، نسابة ، واعظ، شاب نشأ في عبادة الله تعالى ، فتبحر في علم الحديـــث ، ومعرفة الرجال والأسانيد ، حفظ المتون ، جمع الخلال الجميلة من الإنصاف والتواضع والتودد . توفي بمرو سنة ٥١٠هـــ .

(انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٢٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٧١/١٩ ، مرآة الجنان ٢٠٠/٣، معجم المؤلفين ٧٣٤/٣) .

أول ليلة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ومـــن ذكـــر ذلـــك من أعيان العلماء والمتأخرين من الحفاظ إسماعيل الأنصاري[1]، وأبوبكر السمعاني وأبوالفضل بن ناصر وأبوالفرج ابن الجوزي وغيرهم وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم. وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة"[2].

ووصـــف ابـــن قدامة من يقدم على الاستدلال بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة بالزندقة والمروق من الدين وحذّر من العمل بها فقال:

"أمّا الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة – وغلاة الصوفية منهم- ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة، إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها –فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها، وما وضعته الزنادقة، فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم"[3].

ويقـــول إسماعيل التيمي رحمه الله في ذلك: "إن بعض الزنادقة ادعى أنه وضع ألوفاً من الأحاديث وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها، وما يقول

---

(١) إسماعيل الأنصاري: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، أبوإسحاق الأنصاري مولاهم المدني، الإمام، الحافظ، الثقة ولد سنة بضع ومئة، وتوفي سنة ثمانين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/٢٢٨.

(٢) انظر: لطائف المعارف عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب، تحقيق ياسين محمد السواس، ط١(دمشق وبـــيروت: دار ابـــن كثير –١٤١٣هـــ) ص ٢٢٨، والموضوعات لابن الجوزي حقق نصوصه وعلق عليه د. نور الدين بن شكري ط١(الرياض: مكتبة أضواء السلف–١٤١٨هـــ) ٢/٤٣٨، ٤٤٣.

(٣) ذمّ التأويل لابن قدامة ص ٤٧.

هــذا إلا جــاهل ضال مبتدع كذاب يريد أن يهجّن بهذه الدعوة الكاذبة صحاح آثار رســول الله ﷺ الصادقة فيغلّط جهّال الناس بهذه الدعوى، وما احتج مبتدع في رد آثار رسول الله ﷺ بحجة أوهى منها، ولا أشد استحالة، فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يسفَّ في فيه الرماد، وينفى من بلاد الإسلام إلى أن قال رحمه الله: أيجعل حكم من أفنى عمــره في طلب آثار رسول الله ﷺ شرقاً وغرباً وبراً وبحراً وارتحل في الحديث الواحد فراسخ....، كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وآرائه وخواطره وهواجسه، ثم تراه يرد ما هــو أوضــح مــن الصبح من سنن رسول الله ﷺ وأشهر من الشمس وبرأي دخيل، واستحسان ذميم، وظن فاسد، ونظر مشوب بالهوى"[1].

ويقــول أبوالخير العمراني -رحمه الله-: "فكل مدعٍ للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصــحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قولــه، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف علم أنه محدث مبتدع زائغ لا يستحق أن يصغى إليه"[2].

وفي رســالة بعثها أبوالوليد الطرطوشي إلى ابن مظفر بيّن فيها ما في كتاب إحياء علــوم الدين من البدع، وبين حال مصنفه الغزالي الذي هجر العلوم وأهلها وخاض في عــلم الخواطــر ووساوس الشيطان وشحن كتابه "الإحياء" بالأحاديث الموضوعة التي استدل بها على بدع الصوفية بالعبادات وغيرها[3].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١/١٠٩.

(٣) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٤٤٥.

هذا ما استطعت العثور عليه من رودو علماء السلف في القرن السادس على منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة(*).

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن الجوزي في الموضوعات ١/٢٠.

وابن عقيل: انظر الموضوعات ١/٤٤.

وابـــن العربي المالكي: انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث لابن شامة دراسة وتحقيق عادل العباس (مصر: مكتبة ابن سيناء) ص٥٤-٥٥.

والقاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/١٥٣- ١٥٥.

المبحث الثالث

موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال الشيوخ ومصنفاتهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال مشايخهم ومصنفاتهم.

المطلب الثاني: موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال مشايخ الصوفية ومصنفاتهم.

المطلب الأول

منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال مشايخهم ومصنفاتهم

اعتـــبر الصـــوفية الاســـتدلال بأفعال وأقوال مشايخهم من أرقى مناهج الاستدلال لديهم، فاعتنوا بتدوين أخبارهم في الكثير من مصنّفاهم[1]، وتوارثوها جيلا بعد جيل، حتى أضفوا عليها القدسية التامة، وجعلوها المعين الذي يستقون منه علومهم ومعارفهم، وألبســـوا هذه المصنّفات وهؤلاء الشيوخ ثوب العصمة من الخطأ والزلل والنسيان، بل بلغ الأمر بغلاهم أن ادعوا الألوهية لبعض الأئمة المشايخ.

قال بعضهم: "من لم يعتقد في شيخه الكمال، لا يفلح على يديه أبدا"[2].

وقال علي الدقّاق: "من دخل في صحبة شيخ، ثم اعترض عليه بعد ذلك فقد نقض عهد الصحبة، ووجب عليه تجديد العهد"[3].

---

(١) كالرسالة القشيرية، واللمع، وقوت القلوب، وعوارف المعارف، والتعرف لمذهب أهل التصوف، وإحياء علوم الدين، والطبقات الكبرى وغيرها.

(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ١/١٧٤.

(٣) ن. م ١/٧٤.

وقال القشيري: "إن من أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات"(١).

ويقـــول أيضا: " ومن رده قلب شيخ من الشيوخ، فلا محالة يرى غبّ ذلك، ولو بعد حين، وهو الشقي المحروم"(٢).

ويقـــول أبـــو يزيد البسطامي: "من لم يكن لـــه أستاذ، فإمامه الشيطان"(٣)، كما يقولون: "من ادّعى الطريق بلا شيخ، كان شيخه إبليس"(٤).

قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقّاق يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غـــير غارس، فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن لـــه أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا، فهو عابد هواه، ولا يجد نفاذا..."(٥).

والصـــوفية يعلـــون مـــن قدر مشايخهم، بل وأوصلوهم مقام النبوة ، "فلا يجيزون الاعتراض على المشايخ، ويلزمون الاتباع طاعة عمياء، حتى قالوا: "من قال لأستاذه لِمَ؟

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٣٢.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٧٧.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٧٢.

(٤) الأنوار القدسية ١/١٧٤.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥٧٢.

لا يفلح، لأن الشيخ في أهله كالنبي، في أمته"(١).

وبالغ الصوفية في العلاقة بين المريد وشيخه والعكس، وخاصة علاقة المريد بشيخه، حتى أصبحت هذه العلاقة تشكل منهجا خاصا للاستدلال بأقوال المشايخ.

يقول السهروردي: "فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه، وتأدب بآدابه، يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد، كسراج يقتبس من سراج، وكلام الشيخ يلقح باطن المريد، ويكون مقام الشيخ مستودع نفائس الحال، وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال"(٢).

وسعياً من الصوفية لتحقيق قبول منهج استدلالهم بأقوال وأفعال المشايخ زعموا أن مجرد الإنكار على الشيخ لا يجوز، ومن ينكر عليه، ستعاجله العقوبة حتماً(٣).

ويعتقد الصوفية أن الشيخ واسطة بين الله ومريديه، وأنه أمين الإلهام، كما أن جبريل عليه السلام، كان أمينا للوحي، يقول السهروردي: "فالشيخ ينقي بذر الكلام عن ثوب الهوى ويسلمه إلى الله، ويسأل المعونة والسداد. ثم يقول: فيكون كلامه بالحق

(١) غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية / لأبي عبد الله التفزي الرندي١/١٩٧ ، وتنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ص ٥٥٩، وعوارف المعارف ص ٣٧٠. وسيأتي رد علماء السلف على هذه البدعة في المطلب التالي .

(٢) عوارف المعارف ص ٩٣.

(٣) انظر : الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ٢٠.

مـــن الحق، والشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبريل أمين الوحي. فكما لا يخون جبريل في الوحي، لا يخون الشيخ في الإلهـــــام. وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقيد برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، لا يتكلم بهوى النفس"[1].

وكمـــا أن الصوفية يتلقون علومهم من مشايخهم الأحياء؛ فإن المريدين يتلقون عن أشـــياخهم المقبورين، وعن ذلك يقول علي الخواص: ".. إنما كان مشايخ القوم يجيبون تلامذتهم من قبورهم دون مشايخ الفقهاء في الفقه؛ ليصدق الفقراء -أي الصوفية- في اعتقادهم في أشياخهم، دون الفقهاء، فلو صدق الفقيه، لأجابه الإمام الشافعي -رحمه الله- وخاطبه مشافهة"[2]

ويعـــلي القشيري من مكانة شيوخ الصوفية - ويزعم- قوة استدلالهم وحججهم، فيقـــول: "فـــإن هؤلاء -الصوفية- حججهم في مسائلهم أظهر من كل أحد، وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب، والناس، إما أصحاب النقل والأثر، وإما أرباب العقـــل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فالذي للناس غيب، فهو لهم ظهور... فهم من أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال"[3].

كما استدلوا بأقوال أئمتهم ومشايخهم، وعظموهم أشد تعظيم، وجعلوا أقوالهم هي

---

(١) عوارف المعارف ص ٣٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٥٤.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٧٠.

المعيار في الأخذ والرد؛ وقدموها على الكتاب والسنة.

يقول معروف الكرخي: "كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك مؤول أو منسوخ"[(١)].

ما سبق غيض من فيض من أقوال الصوفية عن مشايخهم، وغلوّهم فيهم فهم يلزمون الأتباع باتباع مشايخهم وطاعتهم دون اعتراض، وجعلوا ذلك شرعا، يستدلون به على ما يرمون إليه.

وإليك بعضا من هؤلاء الأئمة والمشايخ الذين غلت الصوفية في حقهم وقدرهم ومصنّفاتهم أيضا:

- الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ).
- محمد بن علي الترمذي المعروف بالحكيم (ت ٣٢٠هـ) وكتابه "رياض النفوس" و "ختم الولاية".
- أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ) وكتابه "اللمع".
- أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ) وكتابه "قوت القلوب"

(١) انظر: رسالة الإمام أبي الحسن الكرخي في الأصول ص (١٦٩/١٧٠ ملحق في تأسيس النظر لأبي زيد عبد الله الدبوسي مكتبة الكليات الأزهرية). وهذا فيه دلالة قاطعة على تقديم الصوفية أذواقهم على النصوص الشرعية ، وسيأتي الرد عليهم في هذه المسألة في المطلب التالي .

- أبـــو عـــبدالرحمن السلمي (ت ٤١٢هـــ) وكتابه "سنن الصوفية"، "طبقات الصوفية"، "حقائق التفسير".
- أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـــ) صاحب "الحلية".
- وعبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥هـــ) صاحب "الرسالة القشيرية"، "ولطائف الإشارات".
- أبـــو حـــامد الغزالي (ت ٥٠٥هـــ) الذي صنف عدة مصنّفات من أشهرها "إحياء علوم الدين".
- محمد طاهر المقدسي (٥٠٧هـــ) الذي صنّف "صفوة التصوّف".
- أحمـــد بن محمد الغزالي(ت ٥٢٠هـــ) اختصر كتاب أخيه أبو حامد الغزالي "الإحياء".
- عـــبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـــ) من مصنّفاته "الغنية"، "الفتح الرباني"، "وفتوح الغيب".

هـــؤلاء الأئمـــة والمشـــايخ ومصنفاتهم، يشكلون القاعدة الأساسية التي بنى عليها الصوفية منهجهم في التلقي[1].

---

(١) وكـــتَّاب المتصـــوفة، كالقشيري، والسراج الطوسي، وأبوطالب المكي، والسلمي، وأبونعيم... وغيرهم جعلوا عمدتهم في ذلك ما يرويه أحدهم عن شيخه، وجَعْلُ قول الشيخ أصلاً للمذهب، =

= ثم يأخذون بعد ذلك في الاستدلال على صحته من هنا وهناك، وقد يكون المرويُّ عندهم لا سند لـــه مـــن كتاب ولا سنة، ولا من فعل أحدٍ من الصحابة بخلاف المصنفين في الزهد من أئمة السـلف كالإمام أحمد في كتابه "الزهد" وابن المبارك كذلك، وابن الجوزي في "صفوة الصفوة" فإنهم يذكرون الزُّهاد الأوائل من الصحابة والتابعين ومن يليهم مشيرين إلى منهجهم وسلوكهم؛ فهــؤلاء جميعاً جعلوا أصولهم في النقل والرواية فعل الرسول ﷺ وقوله ثم فعل الصحابة وأقوالهم، ومن اقتدى بهم ولزم سنتهم.

انظر: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة. د. محمد الجَليند ط٣ (الرياض: دار اللواء — ١٤١هـ) ص٤٧.

المطلب الثاني

موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال الشيوخ المتصوفة ومصنفاتهم

من خلال ما سبق، اتضح جليا مدى الغلو الذي بلغ شأواً كبيراً عند الصوفية في أوليائهم ومشايخهم ومصنّفاهم، حتى أصبحت أقوال وأفعال ومصنّفات أولئك، تشكل منهجا راسخا في الفكر الصوفي يستدل بها السلف عن الخلف في أمور الدين، ولقد أحسّ علماء السلف في القرن السادس بخطورة ذلك على العقيدة والشريعة الإسلامية، فهبوا للدفاع عنها ونصرة الدين، فوقفوا في وجه هؤلاء المبتدعة، ودحضوا أقوالهم، وأفعالهم وما في مصنفاهم من انحرافات بالحجج والأدلة والبراهين الساطعة.

وتعظيم الأباء والشيوخ أمر معلوم عند المشركين؛ إذ قد اعترضوا على النبي ﷺ، وزعموا أن أشياخهم وعظماءهم أولى بالوحي من النبي ﷺ ، قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**[1].

ولما عرض عليهم النبيﷺ الحق بالحجة القاطعة والبرهان الساطع، اعترضوا عليه بآبائهم،

(١) سورة الزخرف آية ٣١.

قال تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1].

وقد أدرك علماء السلف خطورة تعظيم المشايخ وتقديمهم، وأنكروا على الصوفية ذلك فانتقدوهم وما في مصنفاتهم من انحرافات وضلالات.

ومن هؤلاء: أبو بكر الطرطوشي الذي قال في رسالة بعثها إلى عبد الله بن المظفّر[2] الذي حذر من الغزالي وكتابه الإحياء وما فيه من ضلال ومما قاله:

"... ثم بداله عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوّف، وهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلّمين ولقد كاد أن ينسلخ من الدين، فلما عمل "الإحياء" عمد يتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها، وسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، شحن كتابه بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذبا على رسول الله ﷺ، شبكة بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل أخوان الصفا"[3].

---

(١) سورة الزخرف آية ٢٣ .

(٢) لم أهتدِ إلى ترجمته فيما لديَّ من مراجع.

(٣) المعيار المعرب ١٢/١٨٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٤٤٥.

كما وجه علماء السلف نقدهم لمحدث الصوفية، محمد بن طاهر المقدسي ومصنفه "صفوة التصوف" وبينوا ما فيه من الضلال والافتراء والكذب.

فقد جرح عدالته أبو الفضل بن ناصر رحمه الله حيث قال: "محمد بن طاهر لا يحتج بـــه، صنّف كتاباً في جواز النظر إلى الأمرد، وأورد فيه حكاية عن يحيى بن معين، قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل لـــه تصلي عليها؟ قال: صلى الله عليها وعلى كل مليح، ثم قال: كان يذهب مذهب الإباحية"(١).

حتى قال عنه ابن ناصر أنه كان "آية من آيات الله في الكذب"(٢).

ونقل القاضي أبوالحسين بن الفراء كلام علماء السلف في الحارث المحاسبي؛ شيخ الصوفية، وقولهم فيه: إنه أصل البلية، وأنه رجل سوء، لا كرامة لـــه؛ بل حذّروا منه أشد التحذير(٣).

وبالجملـــة فقـــد نهى علماء السلف في القرن السادس عن النظر في كتب المبتدعة، والمتصـــوّفة على رأس هؤلاء، وحذّروا منهم ومن أفكارهم ورواياتهم البدعية المخالفة للآثار والسنن المنقولة عن الصحابة والسلف.

فقد منع موفّق الدين ابن قدامة رحمه الله من النظر في كتب المبتدعة فقال:

= (وانظـــر: تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٥٠٥هـــ ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـــ) وفـــيات سنة ٥٠٥هـــ ، وطبقات الشافعية للسبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ط١ (القاهـــرة : مطـــبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – ١٣٨٨هـــ) ٢٤٢/٦، ٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ٣٣٤/١٩).

(١) المنتظم ١٣٤/١٧، وانظر تلبيس إبليس ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) المنتظم ٢٣٨/١٧.

(٣) انظر طبقات الحنابلة ٦٢/١/ ٢٢٠.

"كـــان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع لكلامهم... وإذا كـــان أصـــحاب الـــنبي ﷺ ومن اتبع سننهم في جميع الأمصار والأعصار متفقين على وجـــوب اتـــباع الكتاب والسنة وترك علم الكلام وتبديع أهله وهجرانهم والخبر بزندقتهم وبدعتهم، وجب القول ببطلانه وأن لا يلتفت إليه ملتفت ولا يغتر به أحد"(١).

ومـــا نقلـــه عن الإمام الأوزاعي(٢) رحمه الله قولـــه: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول:"(٣).

ومـــا قاله يحيى العمراني: "أن المعروف منهم -أي المبتدعة- اجتناب النقل والرواية عـــن المشهورين بالنقل، ولا عندهم كتب فيها سند صحيح كنحو الكتب المشهورة في الأمصـــار؛ كالبخاري، ومسلم، والترمذي، وسنن أبي داود، وغير ذلك من التصانيف الـــتي أجمـــع أئمـــة الأمصار على روايتها والاحتجاج بها؛ وإنما عندهم خطب وكتب مزخرفة ينسبونها إلى أهل البيت وهم عنها براء" (٤).

ومما قاله إسماعيل التيمي رحمه الله: "قال علماء أهل السنة: ليس في الدنيا مبتدع إلا وقد نزع حلاوة الحديث من قلبه"(٥).

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٥١/١.

(٢) الأوزاعي: أبوعمرو، عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمد الأوزاعي، شيخ الإسلام؛ إمام أهل الشام، ولد ببعلبك سنة ٨٨هـــ، توفي سنة ١٥٧هـــ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٢٧/٣، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧.

(٣) شرح لمعة الاعتقاد، تأليف محمد بن صالح العثيمين، حققه وخرج أحاديثه أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم ط١ (الرياض: مكتبة طبرية – ١٤١٢هـــ) ص٤٢.

(٤) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١١٢/١.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٥٤٠/٢.

وقـال البغوي رحمه الله: "قد أخبر النبيﷺ عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلا يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدا، أو يتهاون بشيء من السنة أن يهجره ويتبرّأ منه، ويتركه حيا وميتا، فلا يسلم عليه إذا لقيه ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق"(١).

وحث عبد الله بن الخشاب النحوي(٢) على الاستنان بالسنة والتبرّء من الفتن والمذاهب المحدثة قائلا:

واستن بالسلف الماضي وكن رجلا مبرأ من دواعي الغي والفتن
ودع مذاهب قوم أحدثت إثما فيها خلاف على الآثار والسنن(٣).

ولقد كان الأساس والمرتكز الذي اعتمد عليه هؤلاء العلماء الأجلاّء هو المنهج

(١) شرح السنة للبغوي ١/٢٢٤.

(٢) ابن الخشّاب: هو أبو محمد، عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبدالله بن نصر، البغدادي ابن الخشّاب، من علماء القرن السادس، ولد سنة ٤٩٢هـ، له معرفة تامة بالأدب واللغة والنحو والحديث، حجة الإسلام، ما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة، عالما بالتفسير والحديث والفرائض والحساب والقراءات، توفي رحمه الله في رمضان سنة ٥٦٧هـ.

(انظر ترجمته: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٢٣، وشذرات الذهب ٤/٢٢٠، والمنتظم ١٨/١٩٨، ومرآة الجنان ٣/٣٨١، والنجوم الزاهرة ٦/٦٥ ومعجم المؤلفين ٢/٢٧٤).

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢٧.

الشرعي المعتمد على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح.

ولا ريب أن الكتاب والسنة هما المعيار الذي يجب أن توزن به الآراء والاجتهادات، ولا يستقيم لها حال إلا بهما، وامتثال أمرهما في القول والفعل والاعتقاد.

وعـــلماء السلف في القرن السادس رحمهم الله، قد فهموا هذه الحقائق وأدركوها، فأخضعوا العقل والخواطر لنصوص الشرع، وجعلوها تابعة للنقل وموافقة لـــه، لا كما يفعل المبتدعة وعلى رأسهم الصوفية الغلاة.

يقـــول أبـــو القاســـم التيمي الأصفهاني: "وأمّا أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمـــامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفّقهم إليـــه، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالـــتهمة على أنفسهم، فإنّ الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل"[١].

وقـــال ابن الحداد [٢] رحمه الله في بيان مصدر التلقي في الشريعة وعدم تجاوز النصوص الشـــرعية فيما لا يدرك إلا بها: "... لا نجاوز ذلك، ولا نزيد، بل نقف عنده، وننتهي إليه،

---

(١) الحجّة في بيان المحجة للإمام أبي القاسم إسماعيل التيمي الأصفهاني، تحقيق ودراسة محمد بن محمود أبو رحيم ط٢(الرياض: دار الراية –١٤١٩هـــ)٢/٢٣٨.

(٢) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع –إن شاء الله–.

ولا ندخـــل فـــيه رأياً ولا قياساً، لبعد الله عن الأشكال والأجناس"[1] وهذا رد كاف على الصوفية الذين اتخذوا أذواقهم ومواجيدهم مصدراً من مصادر التلقي عندهم.

وقـــال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: "وليس لنا مع سنة رسول الله ﷺ من الأمر شـــيء إلا الاتباع والتسليم، ولا يعرض على قياس ولا غيره، وكل ما سواها من قول الآدمـــيين تـــبع لها، ولا عذر لأحد يتعمد ترك السنة ويذهب إلى غيرها، لأنه لا حجة لقول أحد مع قول رسول الله ﷺ إذا صح"[2].

وبـــيّن يحـــيى العمـــراني رحمه الله أن النقل هو مصدر التلقي في الشريعة -خلافاً للمبتدعة-، فإنهم أخضعوا النصوص تبعاً لما في أهوائهم فإن وافقهم وإلا رموا به وهو ما سار عليه غلاة المتصوفة[3].

وأوضح الحافظ عبدالغني المقدسي[4] رحمه الله أن الرشد والهدى والفوز لا يكون إلا في متابعة الكتاب والسنة دون الرجوع إلى ما أحدثه المحدثون بعقولهم وأرائهم الفاسدة فالتقديم إنما هو لنصوص الشرع دون غيرها[5] لا لذوق ووجد المتصوفة!!.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧٦.

(٢) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٢٦.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١/١١٢.

(٤) انظر ترجمته ص٢٦٩.

(٥) انظـــر: الاقتصـــاد في الاعتقاد/ لأبي محمد عبدالغني المقدسي، حققه وعلق عليه د. أحمد بن عطية الغامدة، ط١ (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم -١٤١٤هـ) ص٢٠٧.

والأصول الثلاثة (الكتاب والسنة والإجماع) هي المصادر الأساسية التي اعتمد عليها أهل العلم رحمهم الله في القرن السادس في تلقي جميع المسائل المتعلقة بالدين والاستدلال بها على كل صغيرة وكبيرة من أموره، لا ترهات وخزعبلات وخرافات الصوفية. من أذواق وكشف ومواجيد مزعومة.

نلمس ذلك عند تتبع مصنفات وجهود علماء ذلك القرن، ومن أقوالهم رحمهم الله في ذلك:

يقول الإمام البغوي رحمه الله عند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿ **فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾[1].

"أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حياً، وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد"[2].

وقال أبوالحسن الكرجي[3] رحمه الله أن من أهم الأسباب التي جعلته يختار بعض الأئمة لنقل العقيدة عنهم: معرفتهم لتلك الأصول الثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع؛

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) تفسير البغوي ٢/٢٤٢.

(٣) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع -إن شاء الله-.

لأنهم المقتدى بهم [1].

ويقـــول أبوبكـــر الطرطوشي رحمه الله في مقدمة كتاب (الحوادث والبدع) "هذا كـــتاب أردنا أن نذكر منه جملاً من بدع الأمور ومحدثاتها مما ليس لـــه أصل في كتاب الله، ولا في سنة نبيه، ولا في إجماع..." [2].

ويقـــول أبونعيم بن الحداد رحمه الله – حينما سئل عن الاعتقاد الحق: "الذي يجب على العبد اعتقاده ويلزمه في ظاهره وباطنه اعتماده ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصدر الأول من علماء السلف وأئمتهم الذين هم أعلام الدين، وقدوة من بعدهم من المسلمين" [3].

ويقـــول الإمام أبوالقاسم الأصبهاني رحمه الله عن هذه الأصول الثلاثة كما قررها عـــلماء الســـنة من قبل: "قال بعض العلماء: لا هدى إلا في القرآن كلام ربنا -عز وجل- ووحيـــه وتـــنـــزيله الـــذي هو علمه، وفيما سنه لنا رسوله محمد ﷺ، وما أجمع عليه الصـــحابة الهـــداة المهديـــون رضوان الله عليهم أجمعين، وما مضى عليه بعدهم خيار التابعين، ثم أئمة المحدثين، وسلف العلماء من الفقهاء المرضيين" [4].

---

(١) انظر: الفتاوى ٤/١٧٦.

(٢) كتاب الحوادث والبدع لأبي بكر محمد الطرطوشي ط١ (الشارقة: دار الفتح – ١٤١٥هـ) ص٧٨.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧٥

(٤) الحجة في بيان المحجة ١/١٩٥.

وأشار شرف الإسلام ابن الحنبلي[1] إلى مصادر التلقي والاستدلال عند أهل السنة بقوله: "فمن تمسك بالكتاب واجتماع الصحابة سعد ونجا، ومن اتبع الرأي والقياس شقى وهلك وبالله التوفيق"[2]، ومن تبع ذوق ووجد المتصوفة ضل وهلك!!.

وعقد يحيى العمراني رحمه الله في كتابه (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار) فصلا في بيان الأصول التي اعتمد عليها أهل السنة، حيث قال: "فصل في الأصول التي بنى أصحاب الحديث عليها أقوالهم: الكتاب والسنة والإجماع والقياس"[3]، أما أذواق ومواجيد المتصوفة فمبتدعة في الدين!!.

وقال الحافظ عبدالغني المقدسي[4] رحمه الله في نهاية عقيدته (الاقتصاد في الاعتقاد): "فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة وآثار من سلف، فألزمها، وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله، وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأمة"[5].

هذا هو منهج العلماء في القرن السادس في التلقي والاستدلال في مسائل الدين، اعتمدوا فيها على الكتاب والسنة والإجماع، وجعلوا العقل خاضعاً للنقل وتابعاً له دون العكس كما تفعله المبتدعة وعلى رأسهم المتصوفة، ومنهج هؤلاء العلماء الأبرار هو ما كان عليه أهل السنة والجماعة من قبل ومن بعد.

---

(١) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع -إن شاء الله-.

(٢) الرسالة الواضحة ١١٠٤/٢.

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١٠٢/١.

(٤) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع -إن شاء الله-

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد ص٢٢١.

قـــال الإمـــام أحمد بن حنبل رحمه الله: "فآمركم ألا تؤثروا على القرآن شيئاً، فإنه كـــلام الله -عَجَلَّ-...، ثم بعـــد كتاب الله: سنة النبي ﷺ والحديث عنه وعن المهديين: أصحاب النبي ﷺ"[1].

وقـــد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى أن هذه الأصول الثلاثة هي المعـــتمدة عند أهل السنة والجماعة والتي يجب متابعتها والتلقي عنها، والاستدلال بها، حيـــث قـــال: "فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة"[2].

والأدلة من القرآن والسنة مستفيضة في هذا الجانب، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَـــنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[4].

وقـــال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[5].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطاً ثم

---

(١) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى (بيروت: دار المعرفة) ١/٣٤٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/١٦٤.

(٣) سورة النساء آية ٥٩.

(٤) سورة الحشر آية ٧.

(٥) سورة النساء آية ١١٥.

قـــال: "هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)،(٢).

وفي تقرير علماء السلف في القرن السادس الهجري لمسائل العقيدة وأمور الشريعة، واعتمادهم في ذلك على الكتاب والسنة والإجماع؛ مناهج ومصادر للتلقي والاستدلال، اعـــتمدوا عليها في شؤون دينهم وحياتهم؛ ردٌّ كافٍ على الصوفية وغيرهم من المبتدعة الذيـــن ارتضوا مناهج للتلقي والاستدلال ما أنزل الله بها من سلطان، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومماســـبق بيانه تتبين مواقف وجهود علماء السلف في القرن السادس المنكرة لمنهج الاستدلال عند الصوفية بأقوال وأفعال مشايخ وأئمة الصوفية ومصنفاتهم(٣)(*).

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٤٣٥.

(٣) وللوقوف على مناهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة.
انظر عن ذلك بالتفصيل: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن ط٤ (الرياض: مكتبة الرشد – ١٤١٨هـ) ص٤٩-٢١٦، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٩٧-١٢٥.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:
ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) ص٢٤٨، ٣٧٤، صيد الخاطر ص٤٧١، والقصاص والمذكرين ص٣٠٩.
وابن عقيل في (تلبيس إبليس) ص٢١٨.

= والمازري انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٠، وطبقات الشافعية ٦/٢٤٠-٢٤٢، وتاريخ الإسلام وفيات ٥٠٥هـ.

وابن حمدين القرطبي، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٢.

والقاضي عياض، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٢٢، والمعيار المعرب ١٢/١٨٥.

وابن العربي المالكي في العواصم من القواصم ص٧٨-٤٩.

ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم مطبعة (دار الكتب — ١٩٧١م) ٥/١، ونقض المنطق لابن تيمية، تصحيح محمد حامد الفقي (القاهرة: مكتبة السنة المحمدية) ص٥٦، والبداية والنهاية ١٢/٢٢٩.

وابن سكرة. انظر البداية والنهاية ١٢/١٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/٣٤٢.

الباب الثاني
جهود علماء السلف في القرن السادس
تجاه البدع الاعتقادية عند الصوفية

وفيه تمهيد وأربعة فصول:

التمهيـــــد: ويشتمل على تعريف البدعة والعقيدة لغة واصطلاحا.

الفصل الأول : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية .

الفصل الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه بدعة الفناء عند الصوفية .

الفصل الثالث : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في العبادات عند الصوفية .

الفصل الرابع : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية .

تمهيد

ويشتمل على تعريف البدعة والعقيدة لغة واصطلاحا :

لما كانت مجمل قضايا هذا الباب تتناول البدع في مجال العقيدة عند الصوفية، فمن الضرورة بمكان أن نعرج على بيان مفهوم البدعة والعقيدة في اللغة والاصطلاح.

تعريف البدعة لغة واصطلاحا:

البدعة لغة:

قال ابن فارس: "الباء والدال والعين، أصلان لشيئين:

أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، مثال والله بديع السموات والأرض.

الثاني: الانقطاع والكلال كقولهم: أبدعت الراحلة إذا كلت وعطبت"[(١)].

وقال ابن منظور: البدع من بدع الشيء يبتدعه بدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أوّلا، وفي التتريل: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾[(٢)]، أي ما كنت أول من أرسل؛ قد أرسل قبلي رسل كثير.

---

(١) مقاييس اللغة ١/٢٠٩، ٢١٠.

(٢) سورة الأحقاف آية ٩

والبدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال.

يقال: أبدع وابتدع: أتى ببدعه، قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ (1)(2).

ويقال: أبدع الشيء وابتدعه: اخترعه(3).

ويقول ابن الأثير: يقال: أبدعت الناقة إذا انقطعت عن السير لكلال أو ضلع، كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعا، أي: أنشأ أمرا خارجا عما اعتيد منها"(4).

وقال الأصفهاني في مفرداته: "الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ (5)، قيل معناه مبدعا لم يتقدمني رسول(6).

ممّا سبق يتبيّن أن البدعة بهذه المعاني تطلق على الشيء المخترع المحدث أو الطارئ بعد أن لم يكن، كما أنها تستعمل في الخير والشر؛ إلا أنها أكثر ما تستعمل عرفا في الذم.

---

(1) سورة الحديد آية ٢٧.

(2) انظر: لسان العرب ١/٣٤١-٣٤٢.

(3) انظر: أساس البلاغة ص ١٠، ومختار الصحاح ص ٤٣.

(4) النهاية في غريب الحديث ١/١٠٧.

(5) سورة الأحقاف آية ٩.

(6) انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٨-٣٩.

تعريف البدعة اصطلاحا:

للعلماء في تعريف البدعة اصطلاحاً تعريفات عدّة، ورغم الاختلاف اللفظي بينها؛ إلاّ أنها تؤدي في الجملة لمضمون واحد.

ولعلّ من أهم هذه التعريفات:

١. **تعريف الشاطبي**: قال رحمه الله: أنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"[١].

٢. **تعريف ابن رجب**: بيّن رحمه الله أن المراد بالبدعة "هي ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة"[٢].

٣. **تعريف الطرطوشي**: قال الطرطوشي رحمه الله في أصل البدعة: أصل هذه الكلمة من الاختراع وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذى، ولا ألف مثله، ومنه قولهم: أبدع الله الخلق، أي خلقهم ابتداءً و منه قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[٣]، وقوله

---

(١) الاعتصام للشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق عبدالرزاق المهدي ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي -١٤١٧هـ) ١/٢٧.

(٢) جامع العلوم والحكم/ عبد الرحمن بن رجب ط٢(بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية -١٤١٠هـ) ص ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة آية ١١٧.

تعـالى: ﴿قُـلْ مَـا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾[1]: أي لم أكن أول رسول إلى أهل الأرض. وهذا الاسم يدخل في ما تخترعه القلوب، وفي ما تنطق به الألسنة، وفيما تفعله الجوارح"[2].

٤. **تعـريف ابن تيمية**: قال رحمه الله: والبدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ ، وهـو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأمّا ما أمر به أمر إيجاب أو اسـتحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية، فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولوا الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن"[3].

والمـتأمل في هذه التعريفات، يخرج بمعالم رئيسة لحد البدعة الشرعية من أهمّها: أن البدعة في الدين ليس لها أصل في الشرع؛ بل هي إحداث في الدين كما أن البدع كلها مذمومة بالشرع .

قال أبوشامة: "قد غلب لفظ البدعة على الحدث المكروه في الدين مهما أطلق هذا اللفظ"[4].

---

(١) سورة الأحقاف آية ٩.

(٢) الحـوادث والبدع للطرطوشي، تحقيق عبدالمجيد تركي ط١(دار الغرب الإسلامي –١٤١٠هـ) ص ١٠٨ دون ذكر مكان الطبع.

(٣) مجموع الفتاوي ٤/١٠٨،١٠٧.

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة ، ص ٣١.

تعريف العقيدة لغة واصطلاحا:

العقيدة لغة:

- قال ابن فارس: "العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق"[(١)].
- ويقال: عقدت الحبل عقدا من باب ضرب فانعقد، والعقدة ما يمسكه ويوثقه، ومنه قيل عقدت البيع ونحوه، وعقدت اليمين، وعقدتها بالتشديد، واعتقدت كذا، عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة، ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك"[(٢)].
- وهي بفتح العين، جمع عقائد، ما عقد عليه القلب، واطمأنّ إليه وصدقه[(٣)].

والعقيدة بهذه المعاني السابقة، تشتمل على التوثيق، والإحكام، والربط بقوة.

العقيدة اصطلاحاً:

- العقائد: "هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/٨٦.

(٢) انظر: المصباح المنير ص ١٦٠.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء ص ٢٨٨، والمعجم الوسيط ٢/٦١٤.

وتكون يقينا عندك، لا يمازجه ريب، ولا يخالطه شك"[1].

ولفظـــة العقيدة تستعمل عند الإطلاق لتدل على ما يعقد عليه الإنسان قلبه من حق أو باطل .

أما عند التقييد ، فقد عرّف بعض الباحثين المعاصرين "العقيدة الإسلامية" بقوله : "الإيمـــان الجـــازم بالله ، وما يجب لـــه في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصـــحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح ، والتســـليم لله – تعـــالى – في الحكـــم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع" [2] ، وهو الراجح.

---

(١) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا (بيروت: دار القرآن الكريم –١٣٩٥هـ) ص ٤٢٩ بدون رقم الطبعة.

(٢) مباحـــث في عقـــيدة أهـــل السنة والجماعة ، د. ناصر العقل ط١ (دار الوطن : الرياض) ص٩ ، وانظر: العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون ، د. عبدالعزيز القارئ (القاهرة : مطبعة المدني) ص١٠ . والعقيدة في الله ، د. عمر سليمان الأشقر ، ط٦ (الكويت : مكتبة الفلاح – ١٤٠٩هـ) ص٩ .

الفصل الأول

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: ويشتمل على تعريف الحلول ووحدة الوجود لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية.

المبحث الثاني: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية .

التمهيد

ويشتمل على تعريف الحلول ووحدة الوجود لغة واصطلاحا:

القول بالحلول ووحدة الوجود من البدع الاعتقادية عند كثير من الفرق والطوائف المبـــتدعة ولا سيما الصوفية، وهي من النظريات التي أولاها غلاة الصوفية اهتماما بالغا ومـــا أن تذكـــر هاتان النظريتان إلاّ وتذكر نظرية الاعتقاد بالاتحاد حتى أصبح ذلك يشكل عند الصوفية مثلثا إلحاديا.

ومن الضرورة بمكان أن نقف على مفهوم هذه النظريات والعقائد الصوفية في اللغة والاصطلاح.

تعريف الحلول لغة واصطلاحا:

الحلول لغة:

مصـــدر، وعند العلماء: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر[1].

ويقول الفيروزآبادي:

يقال: " حلّ المكان وحلّ به ويحلُّ حلاً وحلولاً، إذا نزل به"[2].

(١) المعجم الوسيط ١/١٩٤.

(٢) القاموس المحيط ٣/٣٧٠ مادة حلّ.

الحلول اصطلاحاً:

- عرّفه الحفني بقوله: "إن الله تعالى يحل في العارفين"[١].
- وقسّم الجرجاني الحلول إلى قسمين:
- حلول جواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء في الكوز.
- الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري: حالا، والمسري فيه محلاً[٢].

ومبدأ الحلول ، هو ثاني[٣] المباديء الصوفية ، وهو حلول العنصر الإلهي في العنصر البشري [٤] .

---

(١) معجم مصطلحات الصوفية ص ٨٢. والتسمية بالعارف من بدع الصوفية ، وراءها الكيد للشريعة ؛ إذ أن الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة ، أما الغاية الحقة عند أهل السنة والجماعة فهي العبادة والإيمان الصحيح الخالص لله وحده ، قال تعالى : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) سورة الذاريات، آية : ٥٦ .

(٢) انظر: التعريفات ص ١٢٥.

(٣) المبدأ الأول عند الصوفية هو : الإشراق ، وهو انبعاث نور غير محسوس إلى الذهن تتم به المعرفة . (انظر : الموسوعة العربية العالمية ، الناشر : المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)١٥/٢٠٢ ، بدون تاريخ الطبع.

(٤) الموسوعة العربية العالمية (١٥/٢٠٢) .

تعريف وحدة الوجود:

هي مذهب فلسفي صوفي يوحّد بين الله والعالم، ولا يقر إلا بوجود واحد هو الله، وكل ما عداه أعراض وتعيينات له"[١].

وبصورة أوضح تعني "أنه ليس في الوجود إلا واحد هو الله، وكل ما يرى هو أجزاء منه تتعيّن بأشكال مختلفة، بما في ذلك أنا، وأنت وهو، وهي، وهما، وهم، وهن، والأرض والشمس والقمر والنجوم والملائكة والجن، بما في ذلك الشياطين، والحيوانات والحشرات تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً"[٢].

وهي بشكل أوضح عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"أن وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه"[٣].

تعريف الاتحاد لغة واصطلاحا:

الاتحاد لغة:

- يقال: اتحد الشيئان اتحادا إذا صارا شيئا واحدا[٤].

---

(١) الموسوعة العربية الميسّرة، إشراف محمد شفيق غربال (القاهرة: دار إحياء التراث العربي –١٩٦٥م) ١٩٤٥/٢.

(٢) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمود عبد الرؤوف القاسم ص٢٥٩ .

(٣) فتاوى ابن تيمية ١٦٠/٢.

(٤) انظر: المعجم الوسيط ١٠١٦/٢. مادّة "وحد"، ص ٢٥٩.

☐ وهو مصدر اتحد؛ امتزاج الأشياء حتى تصير شيئا واحداً[1].

الاتحاد اصطلاحاً:

☐ عـرّفه الصـوفية بأنه هو تصيير الذاتين واحدة، وهو شهود الوجود الحق الواحد المطلق، ومثل: الاتحاد: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحداً[2].

وخلاصـة معنى هذه النظرية عند الصوفية: أن العالم بكل ما فيه، إنما هو تعيينات وتجلـيات لله، فلا شيء إلاّ الله، فالإنسان والحيوان والجماد آلهة، وأرباب مقدسة[3] ،

---

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء ص ١٩.

(٢) انظـر: الـتعريفات ص ٢٢، ومعجم مصطلحات الصوفية ص٩، ومعجم اصطلاحات الصوفية ص٤٩.

(٣) انظـر: تقديـس الأشخاص في الفكر الصوفي، د. محمد أحمد لوح، ط١(الرياض: دار التصميم للنشر والتوزيع –١٤١٦هـ) ١/٤٧١.
وقـد فـرّق بعض الباحثين بين هذه النظريات الصوفية، فبينما يرى الحلوليون تنازل الله تعالى، فـيحل في بعـض المصطفين من عباده؛ يرى الاتحاديون أن هؤلاء المصطفين يرتقون ويرتفعون بنفوسهم، ويسمون بأرواحهم إلى حضرة الذات العلية، حتى تفنى فيه، أو تتحد به ممتزجة.
(انظر: الصوفية معتقدا ومسلكاً) ص ٢٥٤.
وذهبـت الدكـتورة سارة بنت جلوي إلى أن الحلول تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض الإنسـان، وامـتزاجه به امتزاجا كاملا في الطبيعة والشيئية، بحيث يتلاشى الذات الإنسانية في الـذات الإلهـية، وتـنمحي الإثنينية، والالتقاء في وحدة غير منفصلة بين ذاتين كانتا متميزتين، فصارتا متحدتين ومتجانستين.

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

= أمّا الاتحاد، فهو اتحاد ذاتين معنويا مع بقائهما مادياً؛ بحيث لا تتحد عين أحدهما وصفاتها بعين الآخر وصفاتها، بل يبقى الخالق خالقا، والمخلوق مخلوقا، فكل منهما يتميز عن الآخر، وإن لم يكن منفصلا عنه.

(انظر: نظرية الاتصال د. سارة آل حلوي ص ٣٥).

وفرّق البعض بين الحلول ووحدة الوجود:

يقول أنور الجندي: "الفرق بين الحلول ووحدة الوجود، أن الحلول هو وجود حقيقتين مختلفتين "الإلهية" و"البشرية" وقيام الأولى بالثانية تحت ظروف خاصة؛ بينما يرى أصحاب وحدة الوجود، وحدة الوجود ذاتية لجميع الأشياء مع تعدد مظاهرها".

(الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، أنور الجندي (لبنان–الشركة العالمية للكتاب – ١٩٨٧م) ص١٣٣ بدون ذكر رقم الطبعة).

المبحث الأول

الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية

من عقائد الصوفية القول بالحلول، ويقصدون بذلك أن روح الله سبحانه وتعالى حلّت في بعض الأجسام التي اصطفاها واختارها؛ فانقلبت هذه الأجسام البشرية إلى آلهة تسير على الأرض، وتعيش بين الناس.

ومن أشهر المتصوّفة القائلين بهذه النظرية، الحلاّج، الذي يقول مبيّنا الأمور التي إذا قام بها الإنسان تحل فيه روح الله:

"من هذّب نفسه في الطاعة، وصبر عن اللذات والشهوات، ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفوا ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ، حلّ فيه روح الإله الذي حلّ في عيسى بن مريم.

ولم يرد حينئذ شيئا؛ إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله تعالى.

وجاء في كتاب أتباعه له "يا ذا اللذات، ومنتهى غاية الشهوات، نشهد أنك المقصود في كل زمان بصورة، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور، ونحن نستجيرك، ونرجوا رحمتك يا علاّم الغيوب"(١).

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط٣(بيروت: دار المعرفة – ١٩٧١م) ١٠/٣٥٥، والفرق بين الفرق/ عبد القاهر البغدادي ص ٢٦٣. تعالى الله عما يقول هذا الظالم علواً كبيراً.

ويؤكد الحلاّج هذا الاعتقاد بقوله: "رأيت ربي بعين ربي، فقال: "من أنت؟" قلت: "أنت"[(١)].

كما يؤكدها في أبياته الشعرية التي يقول فيها:

أنا أنت بـلا شك   سبحـانك سبحاني
توحيدك توحيدي   وعصيانك عصيانـي

ويقول زاعما أن الله يظهر حالاً في مخلوقاته:

سبحان من أظهر ناسوتـه   سرَّسنا لاهـوته الثـاقب
ثم بدا في خلقه ظاهـراً   في صـورة الآكل والشارب
حتى لقـد عاينه خـلقه   كظلـمة الحاجب بالحاجـب[(٢)].

كما يقول: "أنا الحق[(٣)] وما في الجبة سوى الله"[(٤)].

ويقول الحلاّج مقررا مذهبه، ومذهب غلاة الصوفية بحلول الروح الإلهية في روحه:

---

(١) طواسين الحلاّج اعتناء ما سنيون ص ١٦٧.

(٢) انظـر: ديـوان الحلاّج صنفه وأصلحه د. كامل مصطفى الشيبي ط١(بغداد: مطبعة المعارف – ١٣٩٤هـ) ص ٢١، والطواسين ص ١٣٠، وإيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ١٣٠ بدون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

(٣) ويعني الصوفية بالحق : الله تبارك وتعالى .

(٤) جمهـرة الأوليـاء وأعلام أهل التصوّف، محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ط١(القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه – ١٣٨٧هـ) ٢٦٦/١.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فـــــإذا أبصرتني أبصرتـــه وإذا أبصرته أبصرتنا[1].

وفي الأبيات التالية يصرّح الحلاّج، بما يدل دلالة واضحة على الحلول التام، إذ هو يصف فيها روحه والروح الإلهية في حالة مزج تام. يقول:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مســـك شـــــيء منـــي فإذا أنت في كل حال[2]

ويقول:

اقتلوني يا ثقاتي إن في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي[3].

ويمكـــن ســـبر اعتقاد الصوفية بالقول بالحلول من خلال بعض أدعيتهم، فقد كان الحلاّج يدعو بدعاء فيه الحلول، يقول :

"يا إله الآلهة، ويا رب الأرباب، ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم، رد إليّ نفسي لئلا يفـــتتن بي عبادك، يا هو أنا، وأنا هو لا فرق بين آنيتي وهويتك؛ إلاّ الحدث والقدم، ثم رفع رأسه، ونظر إليّ وضحك في وجهي ضحكات، ثم قال: يا أبا إسحاق أما ترى أن

(١) الطواسين ص ١٣٤.

(٢) الطواسين ص ١٣٤، وديوان الحلاّج ص ٥٠

(٣) ديوان الحلاّج ص ٢٤.

ربي ضـــرب قدمه وحدّثني حتى استهلك حديثي في قدمه، فلم يبق لي صفه، إلا صفه القدم، ونطقي في تلك الصفة، والخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدث، ثم إذا نطقت عن القدم ينكرون عليّ، ويشهدون بكفري، ويسعون إلى قتلي، وهم بذلك معذورون، ولكل ما يفعلون مأجورون"[1].

ويـــزعم الصوفية أن لاعتقادهم بالحلول سند من الشريعة، فهم يستدلون على هذه النظرية بحديث (فإذا أحببته كنت سمعه....)[2].

ويمكن الاستدلال بزعمهم بالقول بالحلول بما ينكره عليهم مشايخهم: قال الطوسي وهو حجّة عندهم مثبتا هذه العقيدة عند القوم ومنكراً عليهم:

"...وزعمـــت الحـــلولية أن الحـــق تعالى ذكره؛ اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية... وإنما ضلت الحلولية إن صح عنهم ذلك؛ لأنهم لم يميـــزوا بـــين القـــدرة التي هي صفة القادر، ومن الشواهد التي تدل على قدرة وصفة الصانع، فتاهت عند ذلك. وبلغني أن منهم من قال بالأنوار، ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظرا بجهل. ومنهم من قال: حال في المستحسنات فقط. ومنهم من قال: على الدوام. ومنهم من قال: وقتا دون وقت فيما بلغني، فمن صح عنه شيء مـــن هـــذه المقالات فهو ضال بإجماع الأمة، كافر يلزمه الكفر فيما أشار إليه،. قال:

(١) انظر: جمهرة الأولياء ٢/١٧١.

(٢) انظـــر: ختم الأولياء ص ٤٩٥. والحديث في صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ٧/١٩٠ ، وسيأتي الرد على استدلالهم بهذا الحديث بالمبحث التالي .

والأجسام التي اصطفاها الله تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه، اصطفاها بطاعته وخدمته، وزيّنها بهدايته، وبيّن فضلها على خلقه. والله تعالى موصوف بما وصف به نفسه، وكما وصف به نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والذي غلط في الحلول لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين أوصاف الخلق؛ لأن الله تعالى لا يحل في القلوب، وإنما يحل في القلوب الإيمان، والتصديق له والتوحيد والمعرفة"[1].

أيضاً يستدل باعتقادهم بالحلول بما أنكره عليهم أبو عمرو الدمشقي الصوفي الذي يقول: "كيف يجوز أن يحل الحق في شخص هو أنشأه ملازماً للنقص، وكان عنه مستغنياً، وهو القاهر بجبارته البائن بصفاته عن صفاته خليقته كان ولا مكان ولا زمان وهو الآن كما كان"[2].

ومّما سبق اتضحت نظرية الحلول عند الصوفية من خلال أقوال وحكايات رموزهم التي لا ينتابها شك.

أما نظرية وحدة الوجود فهي من النظريات الأساسية عند الصوفية، ولا تخلو مصنّفات القوم من تناول هذه النظرية بالإثبات والدفاع عنها، والاعتقاد بها كركيزة أساسية من ركائز عقائدهم وفكرهم. فعند التتبع والاستقصاء لمقولات وحكايات هؤلاء، نجد التلميح تارة، والتصريح تارة أخرى في هذه الدعوى.

---

(١) اللمع ص ٥٤١-٥٤٢.

(٢) أصول الملامتية وغلطات الصوفية/ أبي عبد الرحمن السلمي، تقديم وتحقيق وتعليق د. عبد الفتاح أحمد الغاوي محمود (١٤٠٥هـ) ص ١٩٩. دون ذكر رقم المطبعة والناشر.

فالصوفية تزعم أنه لا يرى في هذا الوجود سوى الله ، يقول الغزالي: "العارفون – بعد العروج إلى سماء الحقيقة- اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علمياً، ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا. وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه، و لم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله، ولا لذكر أنفسهم أيضاً.

فلم يكن عندهم إلا الله تعالى، فسكروا سكرا رفع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: "أنا الحق"[1]، وقال الآخر: "سبحاني ما أعظم شأني"[2]، وقال آخر: "ماقي الجبه إلاّ الله"[3]، وكلام العشّاق حال السكر يطوى ولا يحكى"[4].

---

(١) القائل هو الحلاّج.

(٢) القائل هو أبو يزيد البسطامي.

(٣) القائل هو الحلاّج.

(٤) مشكاة الأنوار ومصنّفات الأسرار/ الغزالي، ط١(بيروت: عالم الكتب-١٤٠٧هـ) ص ١٣٩-١٤٠.

وقد رجّح أبو العلاء عفيفي أن يكون هذا الاعتقاد للغزالي في وحدة الوجود هو نهاية تفكير هذا الرجل وذلك بقوله: "وهكذا وصل الغزالي في نهاية تفكيره إلى نظرية أشبه ما تكون بنظرية وحدة الوجود، و لم نجد في كتب الغزالي الأخرى.. مثل هذا التصريح بالوحدة الوجودية.. فهل نرى في "المشكاة" تحوّلا في موقف الغزالي من الحقيقة الوجودية، ومثلا واضحا نحو نزعة الصوفية القائلين بوحدة الوجود".

(مشكاة الأنوار/ أبو حامد الغزالي، تحقيق أبو العلاء عفيفي (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر – ١٣٨٣هـ) ص ١٤-١٥، دون ذكر رقم الطبعة).

ويؤكد الحلاج هذه النظرية بقوله:

أنا الحق والحق للحق حق لابس ذاته فما ثم فرق[1].

ويعترف الحلاّج نفسه بمذهبه في وحدة الوجود" فيقول في (طواسين الصفاء):

"... دع الخليقة لتكون أنت هو أو هو أنت من حيث: الحقيقة.." [2].

ويقـول – أيضاً- : "لكني ليس يستتر عني – يقصد الله سبحانه وتعالى- لحظة. فأستريح حتى استهلت ناسويتي في لاهويته. وتلاشى جسمي في أنوار ذاته، فلا عين لي ولا أثر"[3].

وأيضاً نجد هذه النظرية تتمثل في قول الحلاّج:

قل لإخوان رأوني ميتـا فبكوني إذ رأوني حـزنا

أتظنون بـأني ميتكم لست ذاك الميّت والله أنا! [4].

والصورة أوضح هنا أيضا:

أنا سر الحق ما الحـق أنا بل أنا حـق مفرق بيننا

---

(١) أخـبار الحلاّج، نشر وتصحيح وتعليق ماسنيون وكراوس. (باريس: مطبعة القلم ومكتبة لاروز – ١٩٣٦م) ص ١٠٨.

(٢) الطواسين ص ٢٣.

(٣) ن. م ص ٣٣.

(٤) الطواسين ص ١٨٣.

أنا عين الله في الأشياء فهل ظاهر في الكون إلا عيننا[1].

ويقول مصرّحا بنظرية وحدة الوجود :

"وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق"[2].

ونرى الحلاّج زعيم وحدة الوجود عند الصوفية وهو ينفي الإثنينية؛ ويثبت وجودا واحدا:

" فقد نقل عن عبد الودود بن سعيد بن عبد الغني[3] الزاهد أنه قال: فكتب للحلاج كيف الطريق إلى الله: قال: الطريق بين اثنين، وليس مع الله أحد، فقلت: بيّن: قال من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا ثم قال:

أأنت أم أنا هذا في إلهين حاشاك حاشاك من إثبات اثنين[4]

ممّا سبق يتبيّن أن غلاة الصوفية على مذهب وحدة الوجود، ويبقى واضحا أن التوحيد عندهم هو في الحقيقة وحدة الوجود لا غير.

يقول الغزالي: "جمع الموجودات مرآة للوجود الحق، فالظاهر بذاته هو الله سبحانه، وما سواه فآيات ظهوره ودلائل نوره"[5].

(١) ن. م ص ١٨٤.

(٢) ن. م ص ١٨٣.

(٣) لم أقف له على ترجمة بما لدي من مراجع .

(٤) أخبار الحلاّج ص ٥٧.

(٥) معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي ط٤(بيروت: دار الآفاق الجديدة–١٩٨٠م) ص٥.

وهو يستدل بقوله ﷺ في الحديث الشريف : (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم : مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب ! كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين . قـــال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ ... الخ)[1] .

فهذا الحديث عند الصوفية صريح أن العبد والربّ شيء واحد ، وأن صفات العبد كلها صفات للرب على الحقيقة سواءً منها صفات الكمال ، أو صفات النقص ، فالله سبحانه –بزعمهم– المريض ، والجائع ، والعطشان ، فلا فرق بين خالق ومخلوق، فصح بهذا أن الوجود واحد هو الله تعالى[2] .

أمّا عن نظرية الاتحاد عند الصوفية فهي نظرية ثابتة من خلال حكايات القوم، ولا يفرّقون بينها وبين الحلول، فنجد التصريح بهما معاً في حكاياتهم وأقوالهم.

فـــالحلاّج يزعم أن الذات الإلهية حلت فيه أو اتحد بها وأنه خلع أوصافه البشرية، واتصـــف بأوصاف الله تعالى، ولقد وصل إلى هذه المرحلة والمقام كما يزعم من خلال تجاربـــه الصوفية، ومجاهداته في الطريق الصوفي، وزعم أن من هذّب في الطاعة جسمه، ومـــلك نفسه، ارتقى إلى مقام المقربين، فإن لم يبق فيه من البرية نصيب، حل فيه روح

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، ٤/١٩٩٠ ، رقم الحديث (٢٥٦٩) .
وستأتي الإشارة إلى بطلان استدلالهم بهذا الحديث بالمبحث التالي . .

(٢) انظر مشكاة الأنوار ، ص١٤٥ . سبحانك ربي هذا بهتان عظيم .

الله الذي كان منه عيسى بن مريم، وأن فعله حينئذ فعل الله[1].

كما تتضح نظريته الاتحادية من خلال أبياته الشعرية التي يقول فيها:

أنا أنت بـــلا شـــك فسبحانك سبحـــاني
وتوحـــيدك توحيدي وعصيانك عصياني
وإسخاطك إسخاطي وغفرانك غفراني[2].

ويؤكد تلك بقوله:

لست بالتـــوحيد ألهو غير أني عنه أسهو
كيف أسهو؟ كيف ألهو؟ وصحيح أني هو؟![3].

ويقول أيضا مؤكدا هذه النظرية :

أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهـــل ناديت إياك أم ناجيت إيـــاي
يا كل كلي ويا سمعي ويا بصـــري يا جملتي وتباعضي وأجزائـــي[4].

كما يقول:

---

(١) الطواسين ص ١٣٥.
(٢) ديوان الحلاّج ص ٥٨، وإيقاظ الهمم ص ٢٠٣.
(٣) ديوان الحلاّج ص ٦٢.
(٤) ديوان الحلاّج ص ١٩.

رأيت ربي بعيـــن قلــــــــبي فقلت: من أنت؟ قال: أنت!

ففي فنـــــــــــائي فنا فنائي وفي فنائي وُجــــــدت أنت

في محو اسمي ورسم جسمـــــي ســـألت عني فقلت: أنت[1].

وهكذا تتضح هذه العقيدة الراسخة في عقول القوم من خلال ما سطرته أقلامهم!.

ولقد أثبت غلاة الصوفية من خلال ما سبق من أقوال وحكايات حول هذه العقائد أو الـــنظريات الثلاث: الحلول ووحدة الوجود والاتحاد، فزعموا حلول الله واتحاده في المصـــطفين من البشر، بل وصل بهم الغلو أن جعلوا الوجود واحدا، فما ثم غير الله – تعالى الله[2] .

---

(١) ن. م ص ٢٦.

(٢) انظر تعريفات شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لهذه النظريات الفاسدة في مجموع الفتاوى (١٧١/٢-١٧٢).

المبحث الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الحلول ووحدة الوجود عند الصوفية

عند تتبع واستقراء ردود علماء السلف في القرن السادس الهجري على أهل البدع والأهـــواء ومنهم الصوفية المبتدعة – محل البحث؛ فإننا نجد أنفسنا أمام منهج فريد في الـــرد على المخالف، ذلك أن هؤلاء العلماء الأجلاّء رحمهم الله غالبا ما يتبعون المنهج الإجمـــالي في ردودهم على المخالفين؛ وعليه فإن قضايا الحلول ووحدة الوجود والاتحاد غالـــبا مـــا يتناولها هؤلاء العلماء الذين نحن بصدد بيان أقوالهم وردودهم في الرد على الصـــوفية إجمالا؛ فنجد في أساليبهم رحمهم الله، القول: أهل الحلول والاتحاد، أو أهل الحلول ووحدة الوجود.. وهكذا[1].

حتى أن العلماء رحمهم الله سخروا من زعماء الصوفية الذين يعتقدون بهذه العقائد الفاسدة وكفروهم وقتلوهم.

---

(١) وعلى هذا الأساس، فإن هذا الفصل ستكون الردود فيه في هذه القضايا مجملة، وهو ما لمسته عند التتبع والاستقراء لردود علماء السلف وغيرهم.

قال أبومحمد اليمني[1] عن قتل وصلب الحلاّج: "قبّح الله إلها يُصلب"[2]!!!، وما ذلك إلا لزعمه واعتقاده بالحلول والاتحاد.

وأنكر شرف الإسلام الشيرازي على الحلولية من الصوفية الذين قالوا أن القرآن في الصدر هو ممزوج به فقال بعد قوله -تعالى-: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾[3].

"قوم يقولون إن القرآن في الصدر، هو ممزوج به، فقد أخطأوا ذلك، لأن القرآن هو صفة الله -تعالى-، وصفاته لا تحل بالأشياء المخلوقة، كسائر الشيء بالشيء، ومن قال ذلك فهو حلولي"[4].

كما كفّرهم -رحمه الله- بقوله:

"ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن أرواح الخلائق كلها مخلوقة فمن قال إنها غير

(١) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.
(٢) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة محمد الغامدي ط١(المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم -١٤١٤هـ) ٤٦٢/١.
(٣) سورة العنكبوت، الآية (٤٩).
(٤) الرسالة الواضحة ٦٩٦/٢-٦٩٧.

مخلوقة، فهو حلولي خرَّمي كافر بالله وبآياته، وهو توابع الإسماعيلية[١] -لعنهم الله-، وهم صنف من الروافض زادون[٢] على الكتاب والسنة"[٣].

وعدَّ أبوبكر الطرطوشي هؤلاء الحلولية من الصوفية "من غلاة أهل البدع، ولا يعدّون من الأمة ولا من أهل القبلة"[٤].

ومن خلال ما سبق يتبيّن أن القول بحلول الله في المخلوقات ، أو اتحاده فيها ، أو القول في وحدة الوجود ، كلها أقوال كفرية فاسدة، فنّدها علماء السلف في القرن السادس[٥] ، وتبيّن أنها كذب محض تفوّه به غلاة المتصوّفة ، والدين الإسلامي بريء

---

(١) الإسماعيلية: هم المنسوبون إلى محمد بن إسماعيل، ويعرف بإسماعيل الأعرج، وهو ابن جعفر الصادق، توفي في حياة أبيه عام ١٤٥هـ، وترفض الإسماعيلية القول بوفاته قبل أبيه، والإسماعيلية من غُلاة الشيعة، ومن الحركات الباطنية، التي كانت حرباً على الإسلام والمسلمين، اشتهروا باغتيال العلماء والفقهاء والزعماء.

انظر: البرهان في معرفة عقائد الأديان للسكسكي، المحقق د. بسام علي العموش، ط١ (مكتبة المنار: الأردن – ١٤٠٨هـ) ص٨١، الملل والنحل ١٦٧/١.

(٢) قال المحقق: كذا في المخطوطة بزاي في أولها ولعلها: (رادُّون)!.

(٣) الرسالة الواضحة ٩٤٧/٢.

(٤) الحوادث والبدع ص١٠١.

(٥) ولقد استفحل أمر هذه النظريات بعد القرن السادس على يد ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض

من هـذه النظريات التي تفضي إلى الإلحاد والكفر والشرك – والعياذ بالله، وقد جاء الإسلام لمحاربة العقائد الفاسدة، ونشر التوحيد الخالص لله وحده .

ومـن عقائد أهل السنة والجماعة أن الله مستوٍ على عرشه فوق سماواته ، بائن من خـلقه ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يحل في شيء من الأشياء الموجودة في هذا الكون؛ لأنه خالق الكون وما فيه، والله جل وعلا متصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسـنى والصفات العلى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [1]، هو المتفرد بـالجلال، المتصـف بصفات الكمال، المنزه عن النقائص والعيوب، فمن اعتقد أن الله تعالى متحد بمخلوقاته، وأن العبد عين الرب، والرب عين العبد، فقد كفر بما أنزل على محمـد ﷺ، وقد كفّر الله تعالى النصارى؛ الذين قالوا: (إن الله اتحد بعيسى –عليه السلام–، فقـال سـبحانه ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ [2] فكيف بهؤلاء غلاة الصوفية الذي يزعمون أن الله متحد مع جميع مخلوقاته؟!! لا شك بكفرهم

= وغيرهـم ، وتصدّى لهم علماء السلف في هذه القرون وأنكروا هذه النظريات ، وبيّنوا فسادها وبطلانهـا ، كابن تيمية – رحمه الله – في الفتاوى (٢/٣٦٧) وما بعدها ، وفي الاستقامة تحقيق د. محمد رشاد سالم ، طباعة : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط١، ١٤٠٣هـ، ١/٣٩٤، ٢/١٩٦ ، ومجموعـة الرسائل والمسائل ط١(بيروت : دار الكتب العلمية – ١٤٠٨هـ) ٤/٢٨ وما بعدها ، وغيره من العلماء – رحمهم الله – .

(١) سورة الشورى، آية ١١.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٧، ٧٢).

لاعتقادهم ذلك[1]، ومن أجل ذلك اعتبر الإسلام تلك العقائد انحرافاً خطيراً يخرج صاحبها من ربقة الإسلام.

ولقد أفحم القرآن الكريم المشركين، حين سألهم ذلك السؤال الذي لا جواب عليه سوى الاعتراف بالخالق عزّ وجلّ وحده، وأنه غير هذه المخلوقات لا محالة. قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[2]، ومعلوم أن الشيء لا يوجد نفسه.

وتبقى نظريات الحلول ووحدة الوجود والاتحاد من النظريات الكفرية التي دسّت على المسلمين لإفساد دينهم، وذلك أن النفس البشرية، مهما ارتقت روحيا، وسمت وتعالت صفاءً، وإشراقاً، لا تعدو كونها مخلوقة بأمر الله وقدرته، لتحقيق غاية أرادها الله سبحانه وتعالى، وهي العبودية له وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ﴾[3][4].

(١) انظر بالتفصيل حكم علماء الإسلام في القرون اللاحقة للقرن السادس على من آمن بهذه النظريات الفاسدة في كتاب: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد-١٤١٩هـ) ٢٨٤/١-٢٩٨.

(٢) سورة الطور آية ٣٥. يقول فالح بن مهدي في التحفة المهدية : أي من غير خالق خلقهم ، أم هم خلقوا أنفسهم ؟ وهم يعلمون أن كلا الأمرين باطل ، فتعين أن لهم خالقاً خلقهم – سبحانه وتعالى – والاستفهام هنا استفهام إنكاري .
(انظر : التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، فالح بن مهدي آل مهدي . تصحيح وتعليق د. عبدالرحمن المحمود . ط٢(الرياض: مكتبة الحرمين –١٤٠٥هـ)ص٥٨ .

(٣) الذاريات آية ٥٦.

(٤) لقد تأثّر الصوفية في هذه العقائد الفاسدة ببعض الديانات الوثنية والنصرانية والفلسفات اليونانية والشيعة، حول ذلك التأثر انظر ما يلي:

ولـــو حـــق للنفس –جدلاً– أن ترتقي فوق مرتبة العبودية؛ لارتقت نفس الأنبياء والمرســـلين، وخاصة نبيّنا محمد ﷺ المصطفى بالرسالة وخاتم الأنبياء والمرسلين، ومعلوم أنه لم يصل أحد إلى تحقيق العبودية الكاملة سواه. ويكفي هذا البيان هدما لنظرية القول بالحلول ووحدة الوجود والاتحاد عند الصوفية وغيرهم.

ومذهـــب غـــلاة الصوفية في هذه النظريات (الحلول – الاتحاد – وحدة الوجود) معـــلوم البطلان من الدين بالضرورة ، فهو متضمن للإلحاد في أسماء الله وصفاته ، وفي آياته الشرعية والكونية ، والأدلة النقلية الدالة على بطلان هذه النظريات الفاسدة كثيرة جـــداً ، وهـــذه الأدلة هي – ذاتها – أدلة وبراهين السلف الصالح على إثبات التوحيد الصحيح، ولا تخلو آية من كتاب الله تعالى من الرد على القول بهذه النظريات المنحرفة.

= تحقيـــق ما للهند من مقولة ص ٢٤-٢٥، ص ٦٦-٧٧، الفلسفة الصوفية في الإسلام د. عبد القادر محمـــود ص ٣٣-٣٤، الصـــوفية في الإســـلام، نيكلسن ص ١٤١، مقدّمة ابن خلدون ص ٧٧٣، التصوّف المنشأ والمصادر، إحسان ألهي ظهير ط١(لاهور : إدارة ترجمان السنة –١٤٠٦هـ) ص٩٧ ومـــا بعدهـــا ، ومدخـــل إلى التصوّف الإسلامين التفتازاني ص ٣٩، التصوّف منشؤه ومصـــطلحاته أسعد السمراني ط١(بيروت: دار النفائس –١٤٠٧هـ) ص ٥٤، وقصة الحضارة ول دبورانت ط٤(بيروت: مكتبة المعارف – ١٩٧٩م) ص ٣٤/٣، والمصادر العامة للتلقّي عند الصوفية/ صادق سليم صادق (المؤثرات الخارجية).

ووحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإســـلامية بالرياض إعداد خضر عبد اللطيف سوندك ، ووحدة الوجود عند الصوفية حقيقتها وآثارهـــا – عرض ونقد ، إعداد : أحمد القصير – رسالة دكتورة بكلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الفصل الخاص بمصادر وحدة الوجود.

وقـد دلّت النصوص الشرعية الكثيرة ، أن الله تعالى هو خالق الكائنات وبارئها ، ومصورها ، وموجدها من العدم ، قال تعالى : ﴿هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2] .

ولا يصح أن يرزق الله نفسه ، أو أن يعطي نفسه ويمنع نفسه ، وإنما هو يرزق غيره ويمنع ويعطي غيره ، ومذهب غلاة الصوفية في وحدة الوجود مناقض تماماً لأدلة ربوبيته تعـالى ، فالله عندهم لم يخلق شيئاً ، ولم يرزق أحداً ولم يحيي أحداً ، ولم يمت أحداً ، فكل ذلك لا حقيقة له ، بل عندهم أن الخالق هو المخلوق ، والرازق هو المرزوق ... إلخ .

وعـندما قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] ، فهذا فيه دلالـة على أن هناك عبداً ومعبوداً ، ولو كان الوجود واحداً ، وهو وجود الله – كما يدَّعون – لكان الله هو العبد ، ومن الثابت نقلاً وعقلاً وفطرة ، أنه لا يجوز وصف الله بالعبودية لاستلزامها الذل ، والله هو القوي العزيز .

كذلـك أثبتت النصوص الشرعية القطعية ، أن الله منزه عن مماثلة المخلوقات ، ولا يتصـف سبحانه بصفات النقائض قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4] ، وقال عز من

---

(١) سورة الحشر ، آية : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢١٢ .

(٣) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ١١ .

قائل: ﴿لاَ يَضِلُّ رَبِي وَلاَ يَنْسَى﴾(١) .

كمـــا دلّـــت النصوص الشرعية أن الله تعالى موصوف بعلو الذات ، قال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِم﴾(٢) ، وقال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾(٤) .

ففي هذه النصوص وغيرها دلالة على أن هناك خلقاً وخالقاً ، فبطل بهذا زعم غلاة الصوفية أن الوجود واحدٌ.

والواقع أن القول بهذه النظريات "الحلول والاتحاد ووحدة الوجود" قول خطير جداً، يتنافى مع العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد والتنـــزيه (٥) (*).

---

(١) سورة طه ، آية : ٥٢ .

(٢) سورة النحل ، آية : ٥٠ .

(٣) سورة طه ، آية : ٥ .

(٤) سورة الملك ، آية : ١٦ .

(٥) وحـــول فساد وبطلان نظرية وحدة الوجود عند الصوفية وللوقوف على العلماء الذين أنكروا هذه النظرية أشـــد إنكار ، وكفّروا دعاتها ، انظر : وحدة الوجود عند الصوفية حقيقتها وآثارها ، عرض ونقد ، رسالة دكتوراه ، إعداد أحمد القصير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين .

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن الجوزي، انظر تلبيس إبليس ص١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ٢٤٦.

والقاضي عياض في الشفا ١٠٦٧/٢، وإكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٣٩/١.

والسمعاني في كتاب الأنساب، ٧٨/٢.

= والفخر الرازي في المسائل الخمسون في أصول الدين تحقيق د. أحمد حجازي السقا ط٢ (القاهرة: المكتب الثقافي، بيروت: دار الجيل – ١٤١٠هـ) ص٤١-٤٢.

وعبدالله بن محمد النوري انظر: الحاوي للفتاوى، عبدالرحمن السيوطي (بيروت، دار الكتب العلمية – ١٤٠٨هـ) ٢/١٣٣، ١٣٤.

الفصل الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الفناء عند الصوفية

وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد : ويشتمل على تعريف الفناء لغة واصطلاحا:

المبحث الأول : الفناء عند الصوفية.

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه الفناء عند الصوفية.

التمهيد

تعريف الفناء لغة واصطلاحا:

الفناء لغة:

يقول ابن فارس: "الفاء والنون والحرف المعتل. هذا باب لا تنقاس كلِمُهُ، ولم يبن على قياس معلوم، قالوا: فنى يفنى فناءً، والله تعالى أفناه، وذلك إذا انقطع، والله تعالى قطعه، أي ذهب به. يقال: شجرة فنواء، إذا ذهبت أفنانها في كل شيء"(١).

والفناء نقيض البقاء، والعقل في يفنى. يقال فنى الشيء فناءً، وتفانوا أي: أفنى بعضهم بعضا في الحرب، وتفانى القوم مثلا: أفنى بعضهم بعضا، وفني يفنى فناءً هرم وأشرف على الموت هرماً(٢).

والفناء بالتحريك، مصدر فني، يعني الإبادة(٣).

الفناء اصطلاحا:

يقول ابن القيّم في تعريف الفناء: "بأنه مصدر فنى يفنى فناءً، إذا اضمحلّ، وتلاشى،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٥٣.
(٢) انظر: لسان العرب ١٠/٣٣٨، ومختار الصحاح ص ٥١٣.
(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء ص ٣١٩.

وعـــدم، وقـــد يطلق على من تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه... ولكن القوم – الصـــوفية– اصطلحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبية عن شهود الكائنات"[1].

ولقـــد عرّفه الكلاباذي بقوله: "هو أن يفنى الشخص عن الحظوظ فلا يكون في شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التميز فناءً عن الأشياء كلها شغلا بما فني به"[2].

ومعنى هذا أن يهمل حظوظه الشهوانية، وما فيه منفعة مادية مقبلا على الله.

ويقـــول القشـــيري: أن الصـــوفية أشاروا بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وأشاروا بالبقاء إلى القيام بالأوصاف المحمودة[3].

وإلى هذا المعنى ذهب الجرجاني في تعريفاته[4].

ويعني هذا أن الفناء مقابل البقاء .

وهـــناك معـــنى آخر للفناء عند الصوفية، وهو الفناء عن الحسّ والوعي فلا يعود الصوفي يحسّ بشيء من جوارحه، ولا بنفسه، ولا بالعالم الخارجي ويسمون هذا الفناء "الفـــناء عـــن شهود السوى" ويشير إلى هذا الفناء، القشيري بقوله: "وإذا قيل فني عن نفســـه وعن الخلق، فنفسه موجودة، والخلق موجودون، ولكنه غافل عن نفسه، وعن

---

(١) مدارج السالكين لابن القيّم ١٥٤/١ دون ذكر رقم الطبعة.

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٤٢.

(٣) الرسالة القشيرية ص ١٢٨.

(٤) التعريفات ص ٢١٧.

الخلق أجمعين، غير محسّ بنفسه وبالخلق"[١].

وعند الطوسي: "الفناء هو فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك"[٢].

وهذا النوع من الفناء يتميّز بأن صاحبه تذوب إرادته في إرادة الله، وتفنى رغائبه في رغائب الله، فلا يريد إلا ما يريده الله، ولا يحب إلا ما يحبه الله، كما يقول ابن عربي[٣].

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢٩.

(٢) اللمع ص ٤١٧.

(٣) انظر: اصطلاحات الصوفية لابن عربي، مراجعة عبد الرحمن محمود ص ١٣.

المبحث الأول

الفناء عند الصوفية

نظرية الفناء من النظريات العقدية التي اشتهرت عند الصوفية، فهي نظرية تتلخص في ذهاب الحس والوعي وانعدام الشعور بالنفس، وبالعالم الخارجي، وانمحاء العبد في جلال الربوبية، فيفنى العبد في شخصه، ويبقى في ربه، بعد مجاهدة ومجالدة وتصفية النفس.

وتؤكد المصادر الصوفية، أن هذا المصطلح ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأوّل من قال بهذه النظرية أبو يزيد البسطامي، كما تقول بعض المصادر الصوفية[(١)]، بينما يرى البعض أن سعيداً الخراز هو أوّل من استخدم هذا المصطلح[(٢)].

والفناء بعدي، يأتي بعد المجاهدة الشديدة، والرياضة المريرة حيث تختفي إرادة الإنسان وشخصيته، وشعوره بذاته، فلا يرى في الوجود غير الله، وإرادته، وإلى ذلك أشار القشيري بقوله: "فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال: إنه فني عن شهواته، فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه، في عبوديته، ومن زهد في دنياه بقلبه

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي ص ١٦٧، والتصوّف الثورة الروحية في الإسلام ، أبو العلاء عفيفي ص ٢٢٥، والتصوّف الإسلامي وتاريخه، نيكلسن ص ٧٥.

(٢) انظر: كشف المحجوب للهجويري ص ١٧١، والموسوعة الصوفية للحفني ص ١٣٧، والحلية ٢٤٦/١٠، وطبقات الصوفية ص ٥٤.

يقال فني عن رغبته، فإذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته ومن عالج أخلاقه، فنفى عـــن قلـــبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر، وأمثال هذه من رعونات النفس، يقال: فني عن سوء الخلق، فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق"[1].

وذهـــب الكثير من الصوفية إلى أنّ حالة الفناء مكتسبة، وأنه من أجل الوصول إلى درجـــة الفـــناء، لابـــد من تجاوز بعض العقبات، وذلك عن طريق الرياضة والمجاهدة الشديدة، بحيث يستطيع الإنسان أن يتخلّص من حواسه وفكره[2].

ولقد أُثر عن الحلاّج أقوال كثيرة كلها تشير إلى فنائه عن نفسه، وروحه من صفاته ومحو جانب الناسوت منه، واندماجه في الذات والحقيقة الإلهية. يقول في بعض أبياته:

عجبت منـــك ومني　　يا منيـــة المتمنـــي

أدنيتني منـــك حتى　　ظننت أنك أنـــي

وغبت في الوجد حتى　　أفنيتني بك عنـــي[3].

ونقل عن أبي يزيد البسطامي قوله في الفناء :

أشـــار سري إليك حتى　　فنيت عني ودمت أنـــت

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢٨.

(٢) انظـــر: فصـــوص الحكم لابن عربي، تعليق أبو العلاء عفيفي، (دار إحياء الكتب العربية – ١٣٦٥هـ) ص ٧٢-٧٣ بدون ذكر رقم الطبعة ومكانها.

(٣) ديوان الحلاّج ص ٥٥-٥٦.

محوت اسمي ورسم جسمـــي سألت عني فقلت أنـــت

فأنت تسلو خـــيال عيني فحيثما درت كنت أنت[1].

وأئمـــة الصـــوفية اتفقوا على أنه ليس بالإمكان الدخول إلى عالم السير والسلوك الواقعـــي، والصـــفاء والروحانية، بدون ترويض النفس، والقاعدة الأساسية في رياضة الـــنفس عـــند الصوفية، تحقيق منعها عن كل ما تألفه، وتشتهيه، وخاصة الأشياء التي اعـــتادت عليها النفس البشرية السوية، فقد بيّن الغزالي ذلك في قوله: "أن الطريق يقوم عـــلى تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمّة على الله تعالى، وإذا تولى الله أمر القلب ، فاضت عليه الرحمة ، فأشرق النور في القلب، وانشـــرح الصدر ، وانكشف لـــه سر الملكوت بالتعلّم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى"[2].

ويستدل الصوفية على نظرية الفناء هذه بالقرآن الكريم وبآية الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتِهِم...﴾[3].

فالجنيد يفسر الآية: بأن أرواح الأولياء كانت موجودة قبل وجود الأبدان في عالم

(١) شطحات الصوفية، د. عبد الرحمن بدوي.
ط٣(الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٧٨م) ١/١٤٠-١٤١.

(٢) انظر: الإحياء ١٩/٣.

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢.

الـــذر، ولكن وجودها هذا كان هو الفناء بعينه، إذ كانت تدرك من التوحيد ما ليس تدركه حاليا وهي في عالم الأبدان[1].

وبهـــذا القـــول فإن التوحيد عند الجنيد فطري في النفس، ولكن البدن حجبها عنه بمعـــنى إذا أزيلت هذه الحجب يرجع العبد إلى أوّله، فيكون كما كان في العالم السابق قبل أن يكون في هذا العالم[2].

ولقـــد حاول الصوفية ربط نظرية الفناء بما ورد في القرآن الكريم، وفي قصّة يوسف عليه السـلام مـــع امرأة العزيز، في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْـــنَ أَيْدِيَهُنَّ...** ﴾[3]، وكيف أن النسوة قطّعن أيديهن حين خرج عليهنّ يوسف، ولم يشعرن بألم القطع، فهذا في رأي القشـــيري نموذجا يدل على إمكانية تحقيق الفناء الصوفي، يقول القشيري: قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْـــنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾، قال: لم يجدن –أي النساء– عند لقاء يوســـف عـــليه السلام ألم قطع الأيدي، وهنّ أضعف الناس ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لله مَا هَذَا بَشَرَاً، إِنْ هَذَا إلاَّ مَلَكٌ كَرِيم**﴾[4]، ولم يكن ملكا. فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنّك عن كاشف بشهود الحق سبحانه وتعالى، فلو تغافل عن إحساسه

---

(١) انظـــر: التصـــوّف الإســـلامي بين الدين والفلسفة، إبراهيم هلال (القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٧٩م) ص ٢٢، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٢) انظراللمع ص ٤٩. وسيأتي التفسير الصحيح لهذه الآية عند السلف في المبحث التالي .

(٣) سورة يوسف آية ٣١.

(٤) سورة يوسف آية ٣١.

بنفسه وأبناء جنسه، فأي أعجوبة في ذلك"[1].

وممّا استدل به غلاة الصوفية على اعتقادهم بالفناء، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[2].

يقول الكلاباذي: ومعنى ذلك أن يكون الله عزّ وجلّ مصرّف، فلا أكون أنا في أفعالي، فهو الله تعالى لا أنا، فيكون الله هو المعبود والعبد[3].

ويقول الغزالي: معناه "أو ما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا، إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا"[4].

وتوضيح ذلك: وما رميت (يا محمد الرب) إذ رميت (يا محمد العبد) ولكن الله رمى؛ إذن محمد ﷺ هو الله[5].

فلا فاعل ولا موجود إلاّ الحق تعالى وحده، فهو العابد والمعبود[6].

واستدل الصوفية أيضا على نظرية الفناء بقوله ﷺ عن ربّه : (وما يزال عبدي

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢٩. وسيأتي التفسير الصحيح لهذه الآية عند السلف في المبحث التالي .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧.

(٣) انظر: التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٤١-١٤٢.

(٤) الإحياء ٢٤٨/٤.

(٥) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأوّل مرة ص ١٢٦.

(٦) انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص ٩٩. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وسيأتي التفسير الصحيح لهذه الآية عند السلف في المبحث التالي .

يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته، كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها)[1]،[2].

ولقد ظن الصوفية أن الوصول إلى الله تعالى، أو الطريق إليه، والفناء فيه لا يكون إلا بترك الدنيا، وما فيها، واعتزال الناس، وتعذيب النفس، بالمجاهدة الشديدة، والتقليل من الطعام، كما يذكر أن سهل التستري حمل نفسه على أن يأكل وجبة واحدة كل خمسة عشر يوماً، وقال: أبو عثمان المغربي[3]: وعندهم أن الرباني لا يأكل في أربعين يوما، والصمداني في ثمانين يوما[4].

ولهذا كان الجوع من صفات الصوفية، وهذا أحد أركان المجاهدة.

وهذا التصوّر للمجاهدة صار منهجا عاما، اتخذه الصوفية، وساروا عليه لتحقيق الفناء عندهم.

يقول إبراهيم بن أدهم: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين[5] حتى تجوز ست

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ٧/١٩٠.

(٢) انظر: اللمع ص ٤٦٣، وعوارف المعارف ص ٤٥٨. وسيأتي بيان معنى الحديث عند أهل السنة والجماعة في المبحث التالي.

(٣) أبو عثمان المغربي: سعيد بن سلام المغربي، من القيروان، من قرية يقال لها كوكب، أقام بالحرم الشريف مدّة، لم ير مثله في علو الحال، وصون الوقت، مات سنة ٣٧٣هـ.
(انظر: الطبقات الكبرى ١/١٢٢، وطبقات الصوفية ص ١١٧).

(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص ٢١٣، ٢١٤.

(٥) أي تصل إلى الفناء.

عقبات:

الأولى: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

الثانية: أن تغلق باب العزة وتفتتح باب الذل.

الثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد.

الرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

الخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

السادسة: أن تغلق باب الأمل، وتفتح باب الاستعداد للموت(١).

هذا هو المنهج الذي رسمه إبراهيم بن أدهم للصوفية، والذي يتمثّل في قطع العلائق كلها عن النفس. وتلك هي الوسائل التي تبني عليها الصوفية اعتقادهم بالفناء، حتى قال بعضهم: إن ما نالوه في حياتهم، لم يكن إلا حصيلة كفاحهم وجهادهم للنفس، وقهر البدن بجميع نوازعه وميوله، كما قال الجنيد: ما أخذنا التصوّف بالقيل والقال، ولكن بالجوع، وترك المألوف، والمستحسنات(٢).

وعلى ضوء ما سبق يتبيّن أن لنظرية الفناء عند الصوفية وسائل على ضوئها تتحقق هذه النظرية، ومن أهمّ هذه الوسائل: المجاهدة، وترويض النفس، والجوع، والفقر

---

(١) ن. م ص ٦٤. وهذه أمور قد نهى الشارع عنها قال تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .

(٢) طبقات الصوفية ص ١٦، والرسالة القشيرية ص ٨٦.

والغيبة، والسكر، والعشق، والهيجان، والغشي، وقطع العلائق، والسماع، والمحبة.

ومن أهمّ هذه الوسائل المجاهدة ورياضة النفس.

قال القشيري عن المجاهدة: "هي فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات"(١).

وذهب إلى ذلك الجيلاني(٢):

"أمّا الرياضة عند الصوفية فهي كما يقول الجرجاني: عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته"(٣).

كما عرّفها ابن عربي بأنها: "حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال"(٤).

ويجعل الصوفية للمجاهدة مقاما يسمو بالعارفين(٥) دون غيرهم.

يقول الجيلاني: "فمجاهدة العوام(٦) توفيه الأعمال لا مجاهدة الخواص -الصوفية- في تصفية الأحوال، وقد تسهل مقاساة الجوع والعطش والسهر، ومعالجة الأخلاق

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٧٢ .

(٢) الغنية ٢/١٨٤.

(٣) التعريفات ص ١٥١.

(٤) اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص ١٧.

(٥) العارفين : هم الصوفية بزعمهم .

(٦) العوام : هم أهل السنة والجماعة بمفهوم الصوفية .

الرديئة بعسر وتعصّب"(١).

ونجد نظرية الفناء أكثر وضوحا عند الغزالي بقوله:

"فإذا أفنيت ذاتك وذهبتك صفاتك، ومنيت ببقائه عن فنائك، وخلع عليك خلعه "فبي يسمع وبي يبصر" فيكون هو متواليك وواليك، فإن نطقت فبأذكاره، وإن نظرت فبأنواره، وإن تحركت فبأقداره، وإن بطشت فباقتداره، فهنالك تذهب الإثنية واستحالت البيّنة، فإن رسخ قدمك وتمكّن سرك حال سكرك، قلت : هو "أي هو الله" وإن غلب عليك وجدك وتجاوز بك حدك عن حد الثبوت ، قلت : هو أنت "أي أنت هو" فأنت في الأول متمكّن، وفي الثاني متلوّن، ومن هنا أشكل على الأفهم حل رمز هذا الكلام"(٢).

وبهذه الأقوال الصوفية التي سبقت يتبيّن أن الفناء هو نهاية مطاف غلاة الصوفية، وآخر مرحلة من مراحل الطريق، والهدف الأسمى للمجاهدة ورياضة النفس القائمة على المشاق وهجر الأطعمة والملذات، وهو بالتالي اضمحلال ذات الإنسان المخلوق بذات الله الخالق – سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

---

(١) الغنية ١٨٣/٢.

(٢) روضة الطالبين، ا لغزالي، تصحيح محمد نجيب (بيروت: دار النهضة الحديثة) ص ١٢-١٣ دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

المبحث الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس

تجاه الفناء عند الصوفية

من سنن الله في خلقه أن قيّض لهذه الأمّة من العلماء من قام بالذب عن العقيدة، ونفى عنها شبه المبطلين، وتحريف الغالين، ودعا جل شأنه إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، وأثبت أن الخير كل الخير بالاتباع لا بالابتداع، فكان الفهم العميق للإسلام وشعائره رائد هؤلاء العلماء الأكابر، وكان السير على سبيل ومنهاج المؤمنين منهجهم؛ حتى كان عملهم سياجا حمى العقيدة من البدع والخرافات والانحرافات.

إن مصطلح الفناء الذي استخدمه غلاة الصوفية، مثار انتباه واستنكار علماء السلف، سواء ورد بهذا اللفظ أو بألفاظ مرادفة له ووسائط مؤدية له كالمجاهدة والغيبة، وترويض النفس، والغشي والصعق وغيرها..

وهذا المصطلح أعني "الفناء" لم يرد له أثر بلفظته هذه في القرآن الكريم ولا في السنة الشريفة، ولم ينقل عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. فكان هذا اللفظ دخيلا ومحدثا في الدين الإسلامي، وقد وقف علماء السلف في القرن السادس وغيره في وجه هذه البدعة المفتراة، وعابوا وأنكروا على أصحابها.

فقد مرّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برجل ساقط من الطريق، فقال: ما شأنه

قالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال، إنا لنخشى الله عزّ وجلّ وما نسقط[1].

ويروي عامر بن عبد الله بن الزبير قصة وقعت بينه وبين أبيه فقال: "جئت إلى أبي فقال: أين كنت، فقلت له وجدت أقواما ما رأيت خيرا منهم، يذكرون الله عزّ وجلّ فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عزّ وجلّ، فقعدت معهم، قال: لا تقعد بعدها، فرأى كأني لم آخذ ذلك فيّ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا. أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر! ، فرأيت ذلك كذلك فتركتهم"[2].

وعندما تكلم الصوفية في الجوع والفقر والوساوس والخطرات والوجد والعشق والمجاهدة والرياضية فهذه الوسائل أدّت إلى الفناء الذي افرز الاعتقاد بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، فهذه النظريات تعتبر إفرازه من إفرازات الفناء القائم على المجاهدات وترويض النفس، تلك المجاهدات المصادمة لمفهوم المجاهدة في الإسلام.

ولقد وردت آيات قرآنية كثيرة، وأحاديث نبوية شريفة، تحضّ على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، ولكن ليس بالمفهوم الصوفي الفاسد.

وهذا ما يتضح من خلال تفسير علماء السلف لهذه الآيات الكريمة ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٥٣.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٢١٢.

(٣) سورة العنكبوت آية ٦٩.

قال البغوي رحمه الله: المجاهدة هي الصبر على الطاعات، وإن الله لمع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم بالثواب، والمغفرة في عقباهم[١].

وبهذا التفسير للآية الكريمة تبطل دعوى الصوفية في مفهومهم للمجاهدة[٢].

وعندما استدل غلاة الصوفية على عقيدتهم وقولهم بالفناء بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[٣].

نرى بطلان هذا الاستدلال من خلال تفسير معنى الآية عند علماء السلف في القرن

---

(١) انظر: تفسير البغوي معالم التتريل ٦/٢٥٦.

(٢) حيث ارتقوا بها من مستوى الوسيلة إلى مستوى الغاية ، وهذا أمر نهى عنه الإسلام بقوله تعالى : ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ البقرة آية ٢٣٣ ، والمجاهدة في الإسلام في مواجهة السلطان الجائر بكلمة الحق لقوله ﷺ : (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) . سنن ابن ماجه ، كتاب القتل ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢/١٣٢٩ برقم ٤٠١١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، كما أن من المجاهدة في الإسلام بر الوالدين ، قال رسول الله ﷺ لرجل جاء يستأذنه للجهاد : (أحيٌّ والداك ؟) قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد) . صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ٤/١٩٧٥ برقم ٢٥٤٩ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما . وبذلك تبطل مزاعم الصوفية

(٣) سورة الأنفال آية ١٧.

السـادس، ومن هؤلاء البغوي رحمه الله الذي بين سبب نزول هذه الآية ومعناها فقال: إنـه عندما التقى جيش المسلمين بزعامة الرسولﷺ بجيش كفّار قريش أخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب ورماها في وجه العدو، وقالﷺ: شاهت الوجوه، فانهزموا، فذلك تفسير الآية، إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفًّا من الحصا إلى وجوه جيش فلا تبقى منهم عين إلا وأصابها منه شيء[1] وتلك معجزة من معجزات النبيﷺ وكرامة من الله جلّ وعلا له.

وبهـذا يكـون الـرامي هـو الرسولﷺ العبد، وليس الرسول الإله كما تزعم الصوفية!!! .

كذلـك عـندما استدل غلاة الصوفية على القول بالفناء بقوله تعالى:﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾[2].

نـرى بطـلان ذلك الاستدلال عند علماء السلف أمثال البغوي رحمه الله تعالى، عـندما قال: أن هؤلاء النسوة حزن أيديهنّ بالسكاكين و لم يجدن الألم؛ لشغل قلوبهنّ بيوسف عليه السلام[3].

(١) انظـر: تفسير البغوي ٣/٣٤٠. وانظر ردّ ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ٣/٤٢٦ الذي بيّن فيه تناقض الصوفية وعدم فهمهم للآية الكريمة .

(٢) سورة يوسف آية ٣١.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٤/٢٣٨، وزاد المسير ٤/٢١٨.

ولــيس لفــنائهنّ به كما تزعم الصوفية، وتجعله دليلا لها على إمكانية تحقق الفناء بالخالق جلّ وعلا!.

وعــندما استدل غلاة الصوفية على اعتقادهم بالفناء بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾[1].

نــرى بطلان ذلك الاستدلال عند علماء السلف أمثال البغوي رحمه الله الذي قال في تفسيرها: أن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرّية فقال: هؤلاء للجــنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون[2].

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة -ﷺ-، قال: قال رسول الله ﷺ « **إن الله قــال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي أحبَّ إلي ممـــا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب لي بالنوافل حتى أحبه فإذ أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به...** » إلى آخر الحديث[3].

نرى معناه عند السلف على خلاف ما زعمته الصوفية.

يقــول ابن هبيرة[4] رحمه الله: وقولــه (وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضــت عليه) فإنه يشير إلى ألا تقدم نافلة على فريضة، وإنما تسمى النافلة نافلة إذا

(١) سورة: الأعراف آية ١٧٢.

(٢) انظــر: تفسير البغوي ٢٩٨/٣، والحديث في سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الأعراف ٣٣١/٤ قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ١٩٠/٧.

(٤) من علماء السلف في القرن السادس وستأتي ترجمته في الباب الرابع إن شاء الله.

قضيت الفريضة، وإلا فلا يتناولها اسم نافلة.

وقوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته)، لأن التقرب بالنوافل يكون تلو أداء الفرائض، بدليل أنها ذكرت بعد ذكر الفرائض، يعني إذا أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك إلى أن يحبه الله.

ثم قال سبحانه (فإذا أحببته كنت سمعته، وهذا لا أراه إلا أنه علامة، وأنه لمن يكون الله قد أحبه أن يكون هو سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.

وتصوير ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع له في سماعه، ولا يبصر ما لم يأذن الشرع في إبصاره، ولا يمد يداً إلى ما لم يأذن الشرع له في مدها إليه، ولا يسعى برجل إلا فيما أذن الشرع له في السعي بها إليه، فهذا هو الأصل، إلا أنه قد يغلب على عبد ذكر الله حتى يعرف بذلك، فإذا خوطب بغيره لم يكد يسمع لمن يخاطبه حتى يتقرب إليه بذكر الله، غير أهل ذكر الله، توصلاً إلى أن يسمع لهم، وكذلك في المبصرات والمتناولات والمسعيِّ إليها، وتلك طبقة عالية نسأل الله أن يجعلنا من أهلها"[(١)].

ومن خلال ما سبق نرى بطلان نظرية الفناء عند الصوفية وما صاحبها من مظاهر، رغم عدم وضوحها وتفشيها في ذلك القرن وما قبله ؛ مقارنة بوضوحها في القرون

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة حققه وخرج أحاديثه د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط١ (الرياض: دار الوطن – ١٤١٩هـ) ٧/٣٠٣-٣٠٤.

اللاحقة وتصدِّي علماء السلف لها[1]، ومن خلال هذا المفهوم الفاسد للفناء عند غلاة الصوفية، وما جرّه عليهم من مظاهر الانحرافات العقدية ؛ يتبيّن أن هذه النظرية برمّتها دخيلة على الإسلام والمسلمين من الديانات والفلسفات الوثنية[2].[*]

(١) كابن تيمية في مجموع الفتاوى ١١٩/٣، وابن القيم في مدارج السالكين ١٥٤/١-١٥٥.

(٢) يقول المستشرق نيكلسون: " ويدل تعريف الصوفية للفناء من الناحية الخلقية، بأنه محو الصفات الذميمة، والتخلّق بكل خلق حميد، ووصفهم لوسائل قمع الهوى والشهوات على وجود أثر الفلسفة البوذية فيهم، مما لا يدع مجالا للشك، لأن تعريفهم هذا يتّفق تمام الاتفاق مع تعريف "النيرفانا"، أو الفناء في عرف أصحاب وحدة الوجود، فربّما كان أشدّ إيصالا لفكرة الفيدانتا وما ماثلها من الأفكار الهندية... ومن الشواهد والأدلّة والأقوال المأثورة عنهم؛ أن أبا يزيد البسطامي كان من أهل خراسان، وكان جدّه زرادشتيا، وشيخه في التصوّف كرديا، ويقال: أنه أخذ عقيدة الفناء الصوفي عن أبي علي السندي، الذي علّمه الطريقة الهندية التي يسمّونها "مراقبة الأنفاس" والتي وصفها هو بأنّها عبادة العارف بالله"

(في التصوّف الإسلامي وتاريخه / نيكلسون ص ٧٥). زالنيرفانا: معناها النجاة ويعني بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية حتى تتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى منه والنرفانا أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين. انظر بالتفصيل: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١١٧٠/٢.

ومن جهته يقول المستشرق ديلاس أدليري: "... ويوجد شبه سطحي بين النيرفانا البوذية، وبين الفناء الصوفي الذي يقصد به استغراق النفس في الروح الإلهي، إن المذهب البوذي ليمثّل النفس كأنها فقدت فرديتها في الطمأنينة التي في الكنية المطلقة، على حين نجد المذهب الصوفي، بالرغم من قوله: بفقدان الفردية، يعتبر الحياة الباقية في جوهرها، تأملا وجديا للجمال الإلهي. وثمّة شبه هندي للفناء، ولكنّه ليس في البوذية، وإنّما يوجد فيما تقول به الفيدانتا من وحدة الوجود"

(الفكر العربي ومكانته في التاريخ، ديلاس أولري. ترجمة د. تمّام حسّان، مراجعة د. محمد مصطفى حلمي. (القاهرة: عالم الكتب) ص ٢٠٠، دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر).

وحول بطلان نظرية الفناء عند الصوفية انظر : نظرية الفناء عند الصوفية وموقف السلف منها . إعداد : سعيد أبوبكر زكريا ، رسالة ماجستير ، بكلية التربية ، جامعة الملك سعود بالرياض .

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

= ابن الجوزي، انظر تلبيس إبليس ص٣٥٢، ٢٥٣.
وابن العربي المالكي في العواصم من القواصم ص٢٩-٣٠.

الفصل الثالث

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في العبادات عند الصوفية

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد : ويشتمل على تعريف العبادة لغة واصطلاحا .

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في الصلوات عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في الصيام عند الصوفية .

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية .

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في الخلوة والعزلة عند الصوفية .

المبحث الخامس : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية .

التمهيد

تعريف العبادة لغة واصطلاحا

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الدين الإسـلامي، عقيدة وشريعة ، معاملات وعبادات ، وتلك هي من الأمور المسلّم بها شرعاً ، وهي قوام الدين وتمامه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[1] .

والعبادات المشروعة في الإسلام لها أزمنة وأمكنة معلومة ، ومحدودة ، ولها كيفيات وهيئات وصفات ليس في وسع المرء أيّا كان أن يزيد عليها أو ينقص منها ، وإلا عدّ من المبتدعين في الدين ما ليس فيه .

وقبل الشروع في المقصود فلابد من الوقوف على تعريف العبادة لغةً واصطلاحاً:

العبادة لغـة:

- بكسـر العـين ، وفتح الدال مصدر "عبد" : الطاعة والخضوع لله تعالى على جهة التعظيم ، والجمع عبادات[2] .
- قـال الرازي : " وأصل العبودية ،الخضوع والذل ، والتعبيد التذليل ، يقال : طريق

---

(1) سورة التوبة ، آية ٣٦ ، ويوسف آية (٤٠) ، والروم آية (٣٠) .

(2) انظر : معجم لغة الفقهاء (ص٢٧٢) .

معـــبّد ، والتعبيد أيضا : الاستعباد ، وهو اتخاذ الشخص عبدا ، وكذا الاعتباد .. ، وكذا الاعباد ، والتعبّد أيضا .؛ يقال تعبد : أي اتخذه عبداً[١] .

- ويقال : " وتعبد فلان ، تنسّك "[٢].
- وقال ابن منظور : ومعنى العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع ، ومنه طريق معبّد ، إذا كان مذلّلاً [٣].
- وقـــال الزمخشـــرى : وطريق وبعير معبّد ،مذلّل : ويقول : لا تجعلني كالبعير المعبّد والأسير المتعبّد "[٤] ، أي بمعنى الخضوع والذلّة .

العبادة اصطلاحاً:

- العبادة هي " طاعة الله تعالى المقرونة بالنية "[٥] .
- وعرفّها الجرجاني بقوله : " فعل المكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه "[٦] .
- وقال الكاشاني : هي "غاية التذلّل لله ، وهي للعامة"[٧] .

---

(١) مختار الصحاح (ص٤٠٨) .

(٢) أساس البلاغة (ص٢٨٨) ، ومختار الصحاح (ص٤٠٨) .

(٣) انظر : لسان العرب (١٢/٩) .

(٤) أساس البلاغة (ص٢٨٨) .

(٥) معجم لغة الفقهاء (ص٢٧٢) .

(٦) الـــتعريفات (ص١٨٩) . ويقصد بالعامة هم أهل السنة والجماعة ويقابلهم الخاصة وهم الصوفية ، وفي ذلـــك تزكـــية لهم، وقد نهانا الله عن ذلك بقوله تعالى : (**فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**). سورة النجم، آية٣٢.

(٧) معم اصطلاحات الصوفية ص١٢٥.

ولشـيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعريف للعبادة حسن اللفظ والمعنى من أشمل التعاريف وأدقها وأصحّها .

يقـول هـي :" اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهـرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالديـن، وصـلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة "[١] .

فهـي بهذا التعريف تشمل كل قول وفعل جاء في كتاب الله وسنّة نبيّه ، مأمور به العبد على سبيل الوجوب أو الندب أو الأمر أو الترك .

والخلاصـة : أن أصل العبادة هو تجريد الإخلاص لله تعالى وحده ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ .

قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٢] .

وقـال تعـالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٩/١٠ .

(٢) سورة الجن ، آية ١٨ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية ٢٥ .

المبحث الأول
جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري
تجاه البدع في الصلوات عند الصوفية

وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : تعريف الصلاة لغة واصطلاحا .

المطلب الأول : البدع في الصلوات عند الصوفية .

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في الصلوات عند الصوفية .

التمهيد

تعريف الصلاة لغة واصطلاحاً :

الصلاة لغة :

الدعاء والرحمة والاستغفار(١) ، قال تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾(٢)، أي : ادع لهم .

الصلاة اصطلاحاً :

أقوال وأفعال مخصوصة ، مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم(٣) .

(١) انظر : القاموس المحيط (٣٥٥/٤) .

(٢) سورة التوبة ، آية ١٠٣ .

(٣) انظر : حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ط٢(١٤٠٣هـ) ٤١٠/١ ، والأحكام شرح أصول الأحكام . عبدالرحمن بن قاسم ط٢ (١٤٠٦هـ) ١٢٨/١ ، والمغني لابن قدامة . (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة —١٤٠١هـ) ٣٦٩/١ بدون طبعة .

المطلب الأول
البدع في الصلوات عند الصوفية

لقد فرض الله جلّ وعلا على المسلم المكلّف خمس صلوات في اليوم والليلة، وشرع نوافل ، يتزود بها المسلم عبادة لله وحده ، وهذه الصلوات المفروضة والمسنونة توقيفية، لا يجوز للمسلم أياً كان ، أن يزيد عليها أو ينقص منها ، ولكن المبتدعة الصوفية ، ابتدعوا في هذه العبادة بدعا كثيرة ، فأخذوا بالزيادة عليها تارة وبجحدها تارة ، وبالاستهزاء بها تارة أخرى ، وقد استدلوا على بدعهم في هذه العبادة بأحاديث رأوا أنها تسند وتعضد مزاعمهم، وتأولوا آيات على غير مرادها في الشرع،
هذا ما سنتناوله في هذا المطلب إن شاء الله .

من البدع المنتشرة عند الصوفية ، بدعة صلاة ليلة النصف من شعبان : تعدُّ هذه الصلاة من أشهر ما ابتدعه الصوفية .

ولقد استدلوا على تخصيص ليلة النصف من شعبان لهذه الصلاة .؛ بما رووه عن رسول الله أنه قال :" أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة ، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجه أدناها المغفرة"(١).

---

(١) الغنية للجيلاني ١/١٩٢ . وهذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ . وسيأتي بيان ذلك في المبحث التالي .

وبيان كيفيه هذه الصلاة عند الصوفية ، كما يروي ذلك الغزالي :" أن يصلي مائة ركعـــة ، كـــل ركعتين بتسليمه ، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة ، قل هو الله أحد ، إحـــدى عشرة مرةّ، وإن شاء صلى عشر ركعات ، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة، قل هو الله أحد

وروي عـــن الحسن أنه قال : حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أن من صلى هـــذه الصلاة في هذه الليلة ، نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى لـــه بكل نظرة سبعين حاجه، أدناها المغفرة(١) .

ويقـــول أبـــو طالب المكي : وقد كانوا يصلون في هذه الليلة – ليلة النصف من شـــعبان – مائـــة ركعة بألف مرة "قل هو الله أحد" عشراً في كل ركعة ، ويسمُّون هـــذه الصـــلاة صـــلاة الخير، ويتصدقون ببركتها، ويجتمعون فيها، وربّما صلّوها جماعة(٢).

ومن بدع الصلوات عند الصوفية ، صلوات الليالي والأيام ،إذ جعلوا لكل يوم من أيـــام الأسبوع صلاة مخصوصة ، فعلى سبيل المثال استدل الصوفية بجواز صلاة الأحد

---

(١) انظـــر : الإحياء ٢٠٣/١ ، قوت القلوب ٧٤/١ ، وعلّق الحافظ العراقي على حديث ليلة النصف مـــن شـــعبان بقوله : حديث باطل وإسناده ضعيف . (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بهامش الإحياء ٢٠٣/١) .

(٢) انظـــر : قوت القلوب لأبي طالب المكي _القاهرة: مطبعة الأنوار المحمدية-١٤٠٥هـــ) ٧٤/١ ، وتسمى هذه الصلاة عند الصوفية أيضاً "صلاة الألفية" والتي لا أصل لها في الشرع .

بحديث مزعوم جاء فيه (من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب ، وآمن الرسول مرة ، كتب الله تعالى له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات ، وأعطاه ثواب نبي ، وكتب له حجة وعمرة ، وكتب له في كل ركعة ألف صلاة ، ثم أعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذخر)[١] .

كذلك من بدع الصلوات عند الصوفية التي ابتدعوها ،صلاة ركعتين بعد لبس" المرقعة "[٢] واعتبروها من السنن .

فقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي محدث الصوفية أن من سنن الصوفية التي ينفردون بها وينتسبون ، صلاة ركعتين بعد لبس المرقّعة والتوبة .

واحتج ابن طاهر بحديث ثمامة بن أثال : (أن النبي ﷺ أمره أن يغتسل)[٣] .

ومن أشهر بدع الصوفية التي ابتدعوها في الصلوات ؛ ما يسمي عندهم بصلاة

---

(١) انظر : صلوات الليالي والأيام في الغنية للجيلاني ١٤٠/٢ ، والإحياء ١٩٧/١ ، وقوت القلوب ٣٥/١ . وهذه الصلوات من بدع الصوفية وجميع الأحاديث التي استدل بها الصوفية في هذه المسألة باطلة وموضوعة على رسول الله ﷺ . وسيأتي بيان ذلك في المطلب التالي .

(٢) المرقعة هي : ثوب يقطع قطعاً ثم يرقع رقعاً ثم يخيط بالصوف ويسمى أيضاً بالخرقة ، وهي من لبس الصوفية (إتحاف السادة المتقين ، محمد بن الحسيني الزبيدي . بيروت : دار إحياء التراث العربي) ٢٧٠/٨.

(٣) انظر : صفوة التصوف للمقدسي ص٢٧ ، والحديث في صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : الاغتسال إذا أسلم ١١٨/١-١١٩ . وسيأتي بيان الرد على الاحتجاج بهذا الحديث في المطلب التالي.

الرغائب[1] .

واستدل الصوفية على جواز صلاة الرغائب بما رووه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة ، يفصل بين كل ركعتين بتسليمه يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلّى عليّ سبعين مرة يقول : اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ، ويقول في سجوده ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ، ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولي ، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى ، قال رسول الله ﷺ لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، وعدد الرمل ، ووزن الجبال، وورق الأشجار ، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيت محمد قد استوجب النار" .

قال الغزالي : "فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرار السنين ، وإن كانت رتبتها لا تبلغ التراويح ، وصلاة العبد ؛ لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ، ولكني رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ، ولا يسمحون

---

(١) صلاة الرغائب : هي اثنتا عشرة ركعة ، بعد صلاة المغرب ليلة أول جمعة من شهر رجب ، وقد ابتدعت سنة ٤٤٨هـ في بيت المقدس ، ثم انتشرت في العالم الإسلامي ، وقد شنَّ أهل العلم من أئمة السنة وغيرهم الغارة عليها .

بتركها فأحببت إيرادها"[١] .

وإذا كـان من المعلوم أن للصلاة مقدّمات تتمثل في الطهارة من حدث أصغر أو أكـبر ، وكذلـك الـنداء للصلاة لاجتماع المصلّين وتأدية تلك الفريضة ، فقد وقع الصـوفية في مخالفـات ، مـن ذلك الوسوسة في الطهارة ، واستعمال الماء الكثير في الوضوء.

فقد نقل أبو سراج الطوسي عن شيخ من المشايخ : " كان به وسوسة في الوضوء، وكـان يكـثر صـب الماء فسمعته يقول : كنت ليلة من الليالي أجدد الوضوء لصلاة العشاء، وكنت أصب الماء على نفسي حتى مضى شطر من الليل ، فلم يطب قلبي ، ولم يذهب عني الوسوسة "[٢] .

وروي عـن أحد شيوخ الجنيد ، أنه أصابته جنابة والبرد شديد . فرمى نفسه في النهر، ثم خرج ، ولم يترع ثيابه ، وهي مبتلة تأديبا لنفسه ؛ لعدم امتثالها الأمر الشرعي بالاغتسال حين ترددت في الدخول إلى الماء لشدة البرد"[٣] .

---

(١) الغنية للجيلاني ١٨٢/١ ، والإحياء ٢٠٢/١-٢٠٣ ، وقال الحافظ العراقي في تخريج هذا الحديث، حديث صلاة الرغائب أورده رزين في كتابه، وهو حديث موضوع . وسيأتي إنكار علماء السلف عليها في المطلب التالي .

(انظر : المغني في حمل الأسفار في الأسفار بهامش الإحياء ٢٠٢/١) .

(٢) اللمع ص١٩٨ .

(٣) انظر : اللمع ص١٩٨ .

كمـــا استحدث الصوفية أمورا في الطهارة ، والاستطابة من الحدث ، يغلب عليها الوسوسة والزيادة عمّا جاءت به الشريعة[١].

ومن المخالفات التي وقع فيها الصوفية: في الأذان؛ فهذا أبوالحسين النوري شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال: طعنة وسُمّ الموت.

وسمع نباح كلب فقال : لبيك وسعديك فقيل لـــه في ذلك (وفي رواية أنه أجاب إمــــام الخليفة بعد اعتقاله واستنطاقه) فقال : إن الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله، وهو متلوث بالمعاصي غافل عن الله تعالى ويأخذ عليه الأجر. ولولاها ما أذّن.

فـــلذلك قلت: طعنة وسُمَّ الموت. والكلب يذكر الله عزّ وجل بلا رياء فإنه قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[٢]،[٣] .

وقد نقل الشعراني في طبقاته قصة مماثلة لإبراهيم بن عصيفير[٤] وأنه كان يتشوش من قول المؤذّن الله أكبر ، فيرجمه ويقول : عليك يا كلب . نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبّروا علينا"[٥] .

ومـــن المخالفات أيضاً كرههم للصلاة في الصف الأول يقول أبوالسراج الطوسي: "ومن آداب الصوفية أنهم يكرهون الصلاة في الصف الأول"[٦].

هذه بعض بدعهم حول الصلاة وما يتعلق بها.

---

(١) انظـــر : الغنية للجيلاني ١/٢٥ ، وبداية الهداية للغزالي . تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زينهم محمد عزب . ط١ (القاهرة : مكتبة مدبولي –١٤١٣هـــ) ص٣٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٤٤ .

(٣) انظر : اللمع ص٤٩٢ .

(٤) إبراهيم بن عصيفير : مدّعي الكرامات والكشف ، ويزعم أنه يمشي على الماء ولا يحتاج إلى مركب. انظر : الطبقات الكبرى ٢/١٤٠ .

(٥) الطبقات الكبرى ٢/١٤٠ .

(٦) اللمع ص٢٠٨.

المطلب الثاني
جهود علماء السلف في القرن السادس
تجاه البدع في الصلوات عند الصوفية

الصلاة من جملة العبادات التي شرعها الله لعباده ، بل هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين فلها تميز وخصوصية ، والعبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تبنى على أصول وأسس ثابتة منها :

أنها توقيفية : فلا مجال لرأي أو هوى ، لأن يشرع عبادة من عند نفسه ، فلا بد أن يكون المشرع لها هو الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2] .

ومن أسس العبادة : أن تكون خالصة لله تعالى من شوائب الشرك ، كما قال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3] .

---

(١) سورة هود ، آية ١١٢ .

(٢) سورة الجاثية ، آية ١٨ .

(٣) سورة الكهف ، آية ١١٠ .

ومن هذه الأسس : أن يكون القدوة في العبادة الرسول الكريم ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٢) .

وقال ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)(٣) .

ومن هذه الأسس أيضاً : أن العبادة محددة بمواقيت ومقادير لا يجوز تعديها وتجاوزها ، كالصلاة مثلاً قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾(٤) .

ومن هذه الأسس أيضا : أن تكون العبادة قائمة على محبة الله والذل له وخوفه ورجائه ، قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(٥) .

وكذلك من الأسس الهامة للعبادة : أنها لا تسقط عن المكلّف من بلوغه عاقلاً إلى

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

(٢) سورة الحشر ، آية ٧ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب إذا اجتهد العامل والحاكم فأخطأ ، خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود ١٥٦/٨ .

(٤) سورة النساء ، آية ١٠٣ .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٥٧ .

وفاته ، قال تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(١) .

ولكن مما سبق بيانه في بدع الصلوات عند الصوفية ، يتبيّن أن هؤلاء القوم ، ابتدعوا في عبادة الصلاة ؛ صلوات اخترعوها من عند أنفسهم ، واستدلوا عليها بأحاديث ، إما ضعيفة ، أو موضوعة ، وقد تنبه علماء السلف في القرن السادس الهجري لهذه البدع ، فأنكروها وردّوها على أصحابها ، وعضدوا تفنيدهم لها بالأدلة الشرعية القاطعة، وحذّروا الناس من مغبة الوقوع في شراكها والأخذ بها .

فلا غرو ، فقد جاء القرآن الكريم آمراً الأمة بالاتباع ، ومحذراً إياها من الفرقة ، فقال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**(٢)، كما قال تعالى : **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**(٣) .

وحذّر المصطفى الكريم ﷺ وأصحابه والتابعون رضي عنهم أهل زمانهم والأمة من بعدهم من البدع ومحدثات الأمور فأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محذور ، وحذّروهم من الابتداع الذي فيه الهلاك للأمة .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ ، كان يقول في خطبته : (فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،

(١) سورة الحجر ، آية ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١٥٣ .

وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)[1] .

وقال عبدالله بن مسعود -ﷺ- "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع ولن نضلّ ما تمسكنا"[2].

ومن علماء السلف الذين أنكروا علىالصوفية إحياؤهم لليلة النصف من شعبان بالصلاة وغيرها ، الإمام الطرطوشي : الذي قال : " روى ابن وضّاح عن زيد بن أسلم قال : ما أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان ، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ، ولا يرون لها فضلاً على ما سواها ، وقيل لابن أبي مليكة أن زياداً النميرى ، يقول : إن أجر ليلة النصف من شعبان ، كأجر ليلة القدر ، فقال : لو سمعته وبيدي عصا لضربته وكان زياد قاصاً"[3] .

وعندما ابتدع الصوفية صلاة الرغائب ، أنكر عليهم ذلك علماء السلف في القرن السادس الهجري ، وعدُّوا جميع الأحاديث التي وردت في شأنها موضوعة ومطعون فيها. ففي حديث صلاة الرغائب المزعومة، اتهموا به ابن جهضم[4] ونسبوه إلى

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩٦/١.

(٣) الحوادث والبدع لأبي بكر محمد الطرطوشي ص١٠٢ .

(٤) ابن جهضم : علي بن عبدالله بن الحسن بن جهضم بن سعيد الهمداني الصوفي أبوالحسن ، قال ابن خيرون : تكلم فيه . قال : وقيل أنه يكذب ، يقال : إنه وضع صلاة الرغائب ، من مصنفاته "بهجة الأسرار" في أخبار الصوفية .

الكذب، حيث سمع عبد الوهاب الحافظ[1] يقول : رجاله مجهولون وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم " .

وقد طعن ابن الأثير الجزري في حديث صلاة الرغائب ، فقال في نهاية الحديث : "هذا الحديث وجدته في كتاب رزين ولم أجده في كتاب واحد من الكتب الستة ، والحديث مطعون فيه"[2] .

وممَّن أنكر على الصوفية هذه الصلاة : محمد بن منصور السمعاني[3]، الذي قال: إن هذه الصلاة بدعة في الدين وكذب وباطل لا تصح[4].

وقد ردّ الطرطوشي من علماء السلف في القرن السادس صلاة الرغائب مستنكراً إياها بقوله :

= (انظر ترجمته في : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي ، تحقيق فؤاد سيد ط٢(بيروت : مؤسسة الرسالة –١٤٠٥هـ) ٦/١٧٩-١٨٠ .

(١) هو عبدالوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي، أبوالبركات، الحافظ، ولد سنة ٤٦٢هـ، كان ذا دين ، ثقة ، ثبتاً ، كان على طريقة السلف ، توفي سنة ٥٣٨هـ ، ودفن بالشونيزية. انظر ترجمته في : المنتظم ١٨/٣٣ ، البداية والنهاية ١٢/٢١٩ ، شذرات الذهب ٤/١١٦ ، الأعلام ٤/١٨٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٦٩.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ ، أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، أشرف على طبعه عبدالمجيد سليم ، حققه : محمد حامد الفقي . ط١ (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية –١٣٧١هـ) ٧/١٠٣ رقم الحديث ٤٢٦٤ .

(٣) السمعاني: أبوبكر، محمد بن منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني، التميمي، من علماء القرن السادس تاج الإسلام، ولد بمرو سنة ٤٦٦هـ، محدث، حافظ، فقيه، أديب، مؤرخ، نسابة، واعظ، شاب نشأ في عبادة الله -تعالى-، فتبحر في علم الحديث، ومعرفة الرجال والأسانيد، حفظ المتون، جمع الخلال الجميلة من الإنصاف والتواضع والتودد، توفي بمرو سنة ٥١٠هـ.
انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٤/٢٩، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٧١، مرآة الجنان ٣/٢٠٠، معجم المؤلفين ٣/٧٣٤).

(٤) انظر : لطائف المعارف ص٢٢٨ .

وأخبرني أبو محمد المقدسي ، قال : لم يكن عندنا ببيت المقدس قط صلاة الرغائب هـــذه التي تصلى في رجب وشعبان ، وأول ما حدثت عندنا في أول سنة ثمان وأربعين وأربع مائة ، قدم علينا في بيت المقدس رجل من نابلس يعرف بابن أبي الحمراء ، وكان حســـن التلاوة وقام ، فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، فأحرم خلفه رجل ، ثم أنضاف إليهما ثالث ، ورابع ، فما ختمها إلا وهم في جماعة كثيرة !!! .

ثم جاء في العام القابل ، فصلَّى معه خلق كثير ، وشاعت في المسجـــد وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى ، وبيوت الناس ومنازلهم ، ثم استقرت كأنها سنة إلى يومنا هذا " .

فقلت لـــه : أنا رأيتك تصليها في جماعة . قال : " نعم استغفر الله فيها" .

قـــال : "وأما صلاة رجب ، فلم تحدث ، عندنا في بيت المقدس إلا بعد سنة ثمانية وأربع مائة ، وما كنا رأيناها، ولا سمعنا بها قبل ذلك"(١) .

وممـــن أنكرها ابن الخشَّاب النحوي ، الذي قال : "هذه الصلاة لم ترد عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من أصحابه "(٢) .

وكذلـــك أنكـــرها ، الحـــافظ ابن ناصر، قائلاً : "هذه الصلاة أحدثت في زمني وعصـــري ، ولم أرَ أحداً يصليها وإنما وردت من الشام، وتداولها الناس حتى أجروها

---

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ص١٠٣-١٠٤ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢٦٧ .

مجرى ما ورد في الصلوات المأثورة "[١] .

وبهـذه الـردود يتـبيّن أن هاتين الصلاتين : صلاة النصف من شعبان ، وصلاة الرغائب ، من البدع في الدين ، وقد كذب فيها على رسول الله ﷺ ، وقد حذّرنا ﷺ من مغبة الكذب عليه قائلاً : (من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار)[٢] .

وأيضاً ، فيهما كذب على الله تعالى ، بالتقدير عليه في جزاء الأعمال ، ما لم ينزّل به سلطانا ، وهو القائل سبحـانه في كتابه العزيز : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ﴾[٣] .

وقـال عز من قائل : ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾[٤] .

فأين هؤلاء المبتدعة الصوفية من كلام الله سبحانه ، وكلام نبيه ﷺ؟ .

هذا فيما يتعلق بعبادة الصلوات .

أمـا فـيما يتعلق بمقدماتها . ومنها لزوم الطهارة ، فإنه كما سبق ، أن كثيراً من الصوفية أصابتهم الوسوسة في الطهارة ، والوضوء للصلاة ، بدعوى التحرزّ والاحتياط،

---

(١) ن . م ٣/٢٦٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٣٦ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٧٩ .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٣٦ .

وقد لاحظ ذلك علماء السلف في القرن السادس وأنكروه .

وقد ردّ موفّق الدين بن قدامة على الموسوسين في الطهارة والوضوء والغسل من الصوفية وغيرهم ، فقال : ثم إن طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان ، حتى اتصفوا بوسوسته ، وقبلوا قوله ، وأطاعوه ، ورغبوا عن اتباع رسول الله ﷺ وصحابته، حتى أن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أو صلّى كصلاته ، فوضوءه باطل ، وصلاته غير صحيحة، وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلاً يشاهده ببصره وهو يكبر، ويقرأ بلسانه بحيث تسمعه أذناه ، ويعلمه ، بل يعلمه غيره منه ويتيقنه ، ثم يشك . هل فعل ذلك أم لا؟ وكذلك يشككه الشيطان في نيته ، وقصده التي يعلمها من نفسه يقينا ....، ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد، فقد بلغ النهاية في طاعته ثم إنه يقبل قوله في تعذيب نفس، ويطيعه في الاحتراز بجسده تارة بالغوص في الماء البارد — إذا أراد الوضوء — وتارة بكثرة استعمال وإطالة العرْك ، وربما فتح عينيه في الماء البارد وغسل داخلها حتى يضر ببصره ، وربما أمضى إلى كشف عورته للناس، وربما صار إلى حال يسخر منه الصبيان ، ويستهزئ منه من يراه ... وربما شغله وسواسه حتى تفوته الجماعة ، وربما فاته الوقت ويشغله بوسوسته في النية ، حتى

تفوته التكبيرة الأولى ، وربما فوت عليه ركعة أو أكثر "[١] .

وقـــد ردّ ابن قدامة رحمه الله على مزاعم الصوفية ، من أن مرادهم بما يفعلونه هو مـــن أجـــل الاحتياط لا الوسواس، وعدّ ذلك غلواً في الدين، قال : "سمُّوه ما شئتم . فـــنحن نســـألكم : هل هو موافق لفعل رسول الله ﷺ، وما كان عليه أصحابه، أو مخالف؟ .

فـــإن زعمـــتم أنه موافق ، فبهت ، وكذب صريح ، فإنه لابد من الإقرار لعدم موافقته وأنه مخالف ، فلا ينفعكم تسمية ذلك احتياطا ، وهذا نظير من ارتكب محظورا، وسمـــاه بغير اسمه ، كما تسمي الخمر بغير اسمها ، والربا معاملة ، والتحليل الذي لعن رســـول الله ﷺ فاعلـــه : نكاحا ، ونقر الصلاة الذي أخبر رسول الله ﷺ أن فاعله لم

(١) ذم الموسوســـين والـــتحذير مـــن الوسوسة ، موفق الدين ابن قدامة تأليف ابن قيم الجوزية، ط١ (القاهرة : مكتبة ابن تيمية –١٤٠١هـ) ص٢٥-٢٧ .

يصـــلِّ(١) ، وأنـــه لا تجزئه صلاته ، ولا يقبلها الله منه تخفيفاً ، فهكذا تسمية الغلو في الدين والتنطع : احتياطا(٢) .

أمـــا مـــا يتعلق بموقفهم من الأذان القائم على الاستهزاء والسخرية به، وكرههم للصلاة في الصف الأول، فهذا بلا شك مخالفة لأمر الله ورسوله ﷺ .

فقد بيَّن الرسول الكريم ﷺ فضل الأذان في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال : لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يســـتهموا عليه لاستهموا)(٣) ، كما بيّن النبي ﷺ فضل المؤذنين بقوله : (المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة)(٤) .

قـــال ابن هبيرة -رحمه الله- في شأن هذا الحديث: "وفي الحديث ندب إلى الأذان، وأنه لكذلك؛ لأنه إعلان بتوحيد الله سبحانه، والمؤذن مبلغ جهده برفع صوته، فيذكر الغافلين، يعود قدوة للذاكرين، فكل من يقول مثل ما يقول؛ فإنه يجدد إسلامه، ليدخل

---

(١) والحديـــث في صحيح البخاري كتاب الإيمان والنذور ، باب إذا حنث ناسياً في الإيمان ، وقول الله تعـــالى : ﴿وَلَـــيْسَ عَلَـــيْكُم جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿لاَتُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ ٢٢٦/٧ ، رواه أبوهريرة .

(٢) انظر : ذم الموسوسين ص٦٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول (٣٢٥/١) ، رقم الحديث (٤٣٧) ، والاستهام هو الاقتراع .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه (٢٩٠/١) ، رقـــم (٣٨٧) ، والحديث رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

في الصـــلاة بإســـلام جديد غير متثلم بما عارضه في نفسه أو خالجه في قلبه من خاطر ســـيئ، فيكون أجره وأجر شهادته لمن سنَّ هذه السنة، وبدأ بها، وهو المؤذن؛ لأن من سنَّ سنة خير، فله أجرها وأجر من عمل بها، فكيف بما في الأذان من الفضائل"(1).

هـــذا في شأن فضل الأذان، أما عن فضل الصلاة في الصف الأول والندب لـــه، فيقول ابن هبيرة -رحمه الله تعالى-: "وأما الصف الأول، فللقرب من الإمام، واستماع القراءة، وسلامة من دخل الصف الأول من تخطي الناس، وتمكنه من الجلوس، ولا يخفى عليه شيء من أحوال الإمام، ويكون هو مقتدياً بالإمام، ومن ورائه يقتدي به، فيكون لـــه ثوابه، وثواب من يصلي وراءه؛ لأنه هو الوصلة بينه وبين الإمام، وكذلك لـــه ثواب من يصلي وراء من يصلي وراءه، هكذا، ما اتصلت الصفوف؛ لأنهم به يقتدون، وعلى فعله يبنون"(2).

وهذا بيان لمعنى الحديث، فيه ردٌّ على الصوفية في هذه المخالفات الشرعية.

هـــذا ما استطعت العثور عليه من جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على بدع الصلوات عند الصوفية(*) .

---

(1) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٤١٣.

(2) ن.م ٦/٤١٤.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن الجوزي في الموضوعاتت ٢/٤٤٣.

وابن العربي المالكي في عارضة الأحوذي ٢/٢١٦-٢١٧.

وابن عقيل، انظر تلبيس إبليس ص١٣٨.

المبحث الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري

تجاه البدع في الصيام عند الصوفية

وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : تعريف الصيام لغة واصطلاحا

المطلب الأول : البدع في الصيام عند الصوفية .

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه البدع في الصيام عند الصوفية

تمهيد

تعريف الصيام لغة واصطلاحا:

الصيام لغة :

- الصوم : الإمساك عن الشيء والترك له "[1] .
- قـال ابن فارس : صوم " الصاد والواو والميم ، أصل يدلّ على إمساك وركود في مكان" .
- من ذلك صوم الصائم ، هو إمساكه عن مطعمه ، ومشربه، وسائر ما منعه[2] .

الصيام اصطلاحا :

- هـو "إمساك بنية عن أشياء مخصوصة ، في زمن معين ، من شخص مخصوص"[3] .
- وقـال ابن قدامة : " والصوم في الشرع عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة في وقت مخصوص" [4] .

---

(١) لسان العرب ٤٤٦/٧ .

(٢) معجم المقاييس في اللغة ص٥٨٢ .

(٣) حاشية الروض المربع ٣٤٦/٣ .

(٤) المغني لابن قدامه ٨٥/٣ .

المطلب الأول

البدع في الصيام عند الصوفية

الصيام ركن من أركان الإسلام ، شرعه الله على عباده، فمنه الصيام الواجب كصيام رمضان ، والصيام المسنون ، كصيام ست من شوال ، وصيام يوم الاثنين ، ويوم عاشوراء ، ويوم عرفة .

وللصيام أزمنة ومناسبات حددها الشارع ، لا يجوز بأي حال تجاوزها ؛ ولكن غلاة الصوفية ، ابتدعوا في هذه العبادة ، ما لم يأمر به الشرع ، فحمّلوا النفس والجسم ما لا يطيقانه ، إثر وصالهم في الصيام ، أو صيام الدهر كله .

وحكى السراج الطوسي عن الجنيد ، أنه كان يصوم على الدوام ، كما حكى عن بعض المشايخ الصوفية، أنه رأى أبا الحسن المكي بالبصرة ، فكان يصوم الدهر ولا يأكل الخبز إلا كل ليلة جمعة[١] .

كما ذكر الشعراني عن أحدهم ، أنه كان يصوم الدهر كله[٢] .

وقد ذكر أبو طالب المكي، أن أحد الصوفية من بسطام ذكر لأبي يزيد البسطامي،

(١) انظر : اللمع ص٢٢٠، والإحياء ١/١٧٠ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ٢/١٣٨ .

أنه منذ ثلاثين سنة يصوم الدهر ولا يفطر ، ويقوم الليل ولا ينام[١] .

ويقول السهروردي : " جمع من المشايخ الصوفية ، كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام ، حتى لحقوا بالله ، وكان عبد الله بن حابار قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر "[٢] .

وكـــان أبو عبيد البسري[٣] إذا دخل رمضان دخل البيت وسدّ عليه الباب ويقول لامرأته اطرحي كل ليلة رغيفا من كوة في البيت ، ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان ، فتدخل امرأته البيت ، فإذا الثلاثون رغيفا موضوعة في ناحية البيت"[٤] .

ويخصّ الصوفية أياما بالصوم دون غيرها ، ويستدلون على صيام أيام مخصوصة من رجب ، بحديث رووه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **﴿إِنَّ عِـــدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾**[٥] .

---

(١) انظـــر : قوت القلوب ٨٦/٢ ، وحكى السهروردي عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام ، كما حكى ذلك عن أبي الحسن المكي صوم الدهر . (انظر : عوارف المعارف ص٣٠١،٢٩٩) .

(٢) عوارف المعارف ص٢٩٩ .

(٣) أبوعـــبيد البســـري : من قدماء المشايخ الصوفيـــة ، صحب أبا تراب النخشبي . انظر : الطبقات الكبرى (٩٠/١) .

(٤) اللمع ص٣١٧ ، وانظر : جامع كرامات الأولياء ٤٦٦/١ .

(٥) سورة التوبة ، آية ٣٦ .

فرجب يقال له شهر الله الأصم ، وثلاث على أخر متواليات ، ذو القعدة ، وذوالحجّة ، والمحرّم ، إلا أن رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي، فمن صام رجب يوماً إيماناً واحتساباً ، استوجب رضوان الله الأكبر ... الخ .

كما ابتدع الصوفية صيام أول خميس من رجب ، والصلاة في أول ليلة جمعة، واستدلوا على مشروعية ذلك بحديث رووه عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي" [١] .

وبدعة الوصال بالصوم عند الصوفية تكاد واضحة جلية من خلال ما نقله الهجويري عن الطوسي صاحب اللمع ، يقول : " أن الطوسي صاحب اللمع أتى إلى بغداد في شهر رمضان ، وأعطي خلوة في جامع بالشونيزية[٢] مع إذنه بتعليم الفقهاء مدة الصوم ، فقرأ القرآن خمس مرات في طول التراويح في شهر رمضان ، واعتّاد الخادم أن يأتيه برغيف من الخبز كل يوم ، فلما سافر وكان ذلك يوم العيد ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا لم يمسها"[٣] .

كما ذكر الهجويري ، أن إبراهيم بن أدهم قد صام رمضان ، ولم يفطر ، وذكر

(١) انظر : الغنية ١/١٧٥ ، ١٧٨ ، وهذا من جملة الأحاديث التي استدل بها الصوفية على بدعتهم هذه ، وسيأتي رد علماء السلف في المطلب التالي .

(٢) الشونيزية : مقبرة ببغداد ، دفن بها جماعة كبيرة من الصوفية ، منهم الجنيد وجعفر الخلدي ورويم وسحنون، وهناك خانقاه للصوفية . انظر : معجم البلدان ٣/٣٧٤ .

(٣) كشف المحجوب ص٣٨٧ .

أن من الصوفية من صام أربعين يوما و لم يذق طعاماً، ومنهم من يجوز صيام الوصال[1].

كما نقل الطوسي أن جماعة من المشايخ الصوفية ، كانوا يصومون في السفر والحضر على الدوام إلى أن لحقوا بالله عزّ وجل [2] .

ويقول أبو طالب المكي ، عن صيام الدهر:

" ... إن كان يريد صلاح قلبه ، وانكسار نفسه ، واستقامة حاله في صوم الدهر، فليصمه ، فهو حينئذ كالواجب عليه ، إذا كان تقواه وصلاحه فيه "[3] .

وحكى السهروردي ، أن أحد الصوفية ، كان يصوم ويفطر قبل غروب الشمس ، فقال : " وحكى عن بعض الصادقين من أهل واسط[4] أنه صام لسنين كثيرة ، وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان " .

وعلق السهروردي على هذه الحكاية بقوله: "ولكن أهل الصدق لهم ثبات فيما يعقلون ، فلا يعارضون ، والصدق محمود لعينه كيف كان"[5].

(١) انظر : كشف المحجوب ص٣٨٧ .

(٢) انظر : اللمع ص٢١٧ .

(٣) قوت القلوب (٨٨/١) ، وإلى هذا المعنى ذهب الغزالي . انظر : الإحياء ٢٣٨/١ . وصيام الدهر يفضي إلى الجوع ؛ الذي بزعمهم يورث الحكمة والمعرفة ويكشف لهم الحقائق الغيبية . وسيأتي الرد على هذه البدعة في المطلب التالي .

(٤) واسط : من أشهر المواضع وأعظمها ، تقع بين البصرة والكوفة . انظر : معجم البلدان ٣٤٧/٥ .

(٥) عوارف المعارف ص٣٠٠-٣٠١ . ولفظة الصادقين ، وأهل الصدق يراد بها الصوفية بزعمهم !! .

المطلب الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه البدع في الصيام عند الصوفية

الصيام، عبادة من أجلّ العبادات في الإسلام ، وهو عبادة توقيفية ؛ بمعنى أن ما جاء به الشرع في هذه العبادة من صيام مفروض ، أو صيام تطوّع ، فهذا هو الثابت شرعا ؛ أما ما خالفه من الصيام ، فيدخل في دائرة المبتدعات كصيام الدهر كله ، أو صيام الوصال ، الذي اشتهر عند بعض الصوفية ، وخرجوا به عن دائرة الشرع الحكيم، مبتدعين لا متبعين، أو صيام رجب، وقد نهى الإسلام عن الإحداث في الدين، واتباع الهوى ، وأمر باتباع سنة المصطفى ﷺ ونهى عن الإعراض عنها بآية صريحة لا تحتمل ، التأويل قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

وأخبر المصطفى الكريم ﷺ أن كل أمر مخالف لأمره ، فهو مردود على صاحبه، فقال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2] .

ومعنى رد : أي مردود على محدثه عقيدة كانت أم قولا أم فعلا ، إذا كان مخالفا لما

---

(١) سورة الحشر ، آية ٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح فالصلح مردود ٣/١٦٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب : نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور ٣/١٣٤٣.

عليه السنة [1].

وعـــندما شرع بعض الصوفية لأنفسهم صيام الدهر ، ردّ عليهم علماء السلف في القرن السادس شرعهم المبتدع .

ومن هؤلاء البغوي رحمه الله ، الذي بيّن أن قوله ﷺ : " لا صام من صام الأبد"[2].

بمعـــنى الدعـــاء عليه ، وفي قوله : "وكان لا يفر إذا لاقى" معناه أنه كان لا يستفرغ مجهوده في الصوم والصلاة ، بل يستبقى بعض القوة للجهاد ، وغيره من الأعمال ، وفي وصال الصوم مشقة وعناء[3] .

وهو ما يعتقده الصوفية ـــ زعما منهم ـــ أن ذلك الوسيلة للرياضة والجوع .

وصـــيام الدهر ، مخالف لسنة المصطفى ﷺ بقوله (أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام ، كان يصوم يوما ويفطر يوما)[4] .

وفي الحديث ما يبطل هذه البدعة عند بعض الصوفية .

وقـــد كره ابن قدامة المقدسي صيام الدهر . وقال : أن هذا الصوم مكروه ، وإنما

---

(١) انظر : جامع الأصول لابن الأثير ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : عبدالقادر الأرناؤوط (نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ، ومطبعة الفلاح ومكتبة دار البيان -١٣٨٩هـ) ٢٩٠/١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الأهل في الصوم ٢٤٦/٢ عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-.

(٣) انظر : شرح السنة للبغوي ٣٦٣/٦ .

(٤) والحديث في صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر ٨١٧/٢ .

كـــره صوم الدهر ، لما فيه من المشقة ، والضعف وشبه التبتل المنهي عنه[1] ، بدليل أن الـــنبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو : " إنك لتصوم الدهر ، وتقوم الليل ؟ فقلت : نعم ، قال إنك إذا فعلت ذلك هجمت لـــه عينك ، ونفهت لـــه النفس ، لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام ، صوم الدهر كله ، قلت : فإني أطيق أكثر من ذلك قال : فصم صوم داود ، كان يصوم يوما، ويفطر يوما ، ولا يفرّ إذا لاقى وفي رواية : وهو أفضل الصيام ، فقلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال :لا أفضل من ذلك "[2].

وهذا رد كاف على الصوفية في هذه البدعة.

فـــأين هؤلاء القوم من هذه الأحاديث الصحيحة ، الصريحة ، في النهي عن صيام الدهـــر ؛ لمـــا فيه من المشقة ، والإضرار بالنفس ، والشارع الحكيم قد نهى عن إلقاء النفس في التهلكة ، قال تعالى : ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[3] .

فجمـــيع ما يضرّ بالنفس والجسم داخل في هذا النهي ، ولكن خيالات الصوفية ، وتلبيس إبليس عليهم ، أوهمهم أن في ذلك وصولا إلى الكشف المزعوم .

وقـــد كـــره السلف إفراد رجب بالصيام كما تفعله الصوفية، وقد فصل أبوبكر الطرطوشي رحمه الله هذه المسألة بقوله: "يكره صومه على أحد ثلاثة أوجه: أحدها أنه

---

(١) الحديث عـــن سمرة بن جندب رضي الله عنه (أن الرسول ﷺ نهى عن التبتل) . سنن الترمذي ، أبـــواب الـــنكاح، باب : ما جاء في النهي عن التبتل . (٢/٢٧٣) برقم (١٠٨٩) ،. قال الترمذي حديث سمرة حديث حسن غريب.

(٢) انظر : المغني ٣/١٦٧-١٦٨، والحديث في صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الدهر٢/٢٤٥.

(٣) سورة البقرة ، آية ١٩٥ .

إذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام أنه فرض كرمضان، أو أنه سنة ثابتة خصّه الرسول ﷺ بالصوم كالسنن الراتبة، أو الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على سائر الشهور، جار مجرى صوم عاشوراء، ثم قال: ولو كان من باب الفضائل لسنه عليه الصلاة والسلام، أو فعله، ولا هو فرض ولا سنة باتفاق، فلم يبق لتخصيصه بالصيام وجه، ثم قال: فإن أحب امرؤا أن يصومه على وجه تؤمن فيه الذريعة وانتشار الأمر، حتى لا يعد فرضاً أو سنة، فلا بأس بذلك"(١).

هذا ما استطعت العثور عليه من ردود لعلماء السلف على بدع الصوفيه في الصيام(*).

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ص١١٠-١١١.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:
ابن العربي المالكي في أحكام القرآن ١/١١٠. وفي عارضة الأحوذي ٣/٢٤١.
وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٢٢٠.

المبحث الثالث

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية

وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد : تعريف الدعاء والذكر لغة واصطلاحا .

المطلب الأول : البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية .

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية .

التمهيد
تعريف الدعاء والذكر لغة واصطلاحا

أولاً : تعريف الدعاء لغة واصطلاحاً :

الدعاء لغة :

يقـــول ابن فارس : " دعو الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام فيكون منك" [١] .

وقال ابن العربي المالكي في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [٢]، الدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب "[٣] .

وقال الشوكاني[٤] : " معنى الدعاء حقيقة وشرعاً هو الطلب "[٥] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٧٩/٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٣) أحكام القرآن ٣٥٠/٢-٣٥١ .

(٤) الشـــوكاني : محمـــد بن علىبن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علىبن عبدالله الشـــوكاني الخولاني ، ثم الصنعاني ، أبوعبدالله ، مفسر ، محدث ، فقيه، أصولي ، مؤرخ ، أديب ، نحـــوي ، ولد سنة ١١٧٣هـــ ، من تصانيفه : فتح القدير ، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع ، وغيرها كثير ، توفي سنة ١٢٥٠هــــ .

(انظر : معجم المؤلفين ٥٤١/٣) .

(٥) فتح القدير ٤٩٨/٤ .

■ وقال الأزهري[1]: وقد يكون الدعاء عبادة ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[2] ، أي الذين يعبدون من دون الله .

ثم قال : " وروى مثل ذلك ، عن سعيد بن المسيّب[3] في قوله تعالى : ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾[4] .

أي : لن نعبد إلهاً[5] .

(١) الأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهر بن طليحة بن نوح بن الأزهر بن نوح بن حاتم الأزهري الهروي ، أبومنصور، أديب، لغوي ، ولد في هراة بخراسان سنة ٢٨٢هـ، عني بالفقه ثم غلب عليه علم العربية ، من تصانيفه : تهذيب اللغة ، وغيره ، توفي سنة ٣٧٠هـ وقيل : ٣٧١هـ . (انظر: معجم المؤلفين ٤٧/٣) .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٩٤ .

(٣) سعيد بن المسيب : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي ، تابعي ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، مات بعد التسعين للهجرة ، وقد ناهز الثمانين .

(انظر : تقريب التهذيب ص٢٤١) .

(٤) سورة الكهف ، آية ١٤ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة لأبي منصور بن محمد الأزهري ، تحقيق د. عبدالحليم النجار ، مراجعة محمد علي النجار (القاهرة : دار المصرية للتأليف والترجمة) ١٢٤/٣، ١١٩ ، بدون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر .

مما سبق يتبين كيف يستغني هؤلاء القوم عن التوجه في الدعاء إلى الله سبحانه .

ولكننا نجدهم في المقابل ؛ يصرفون هذه العبادة إلى أوليائهم ومشايخهم .

فمن أقوال الصوفية التي تثبت توجههم في الدعاء إلى أوليائهم ومشايخهم ؛ ما نقل عن معروف الكرخي ، قوله لأصحابه :

" إن كان لكم إلى الله تعالى حاجة فأقسموا عليه بي ، ولا تقسموا عليه به تعالى، فقيل له : لِمَ ؟ فقال : " هؤلاء لا يعرفون الله تعالى، فلم يجبهم ، ولو أنهم عرفوه لأجابهم "[1] .

وكان معروف الكرخي ، يقول لابن أخيه يعقوب : "يا بني إذا كان لك إلى الله حاجة ، فسله بي"[2] .

أيضاً ، قال أبو الحسن الشاذلي[3] : " إذا عرضت لكم إلى الله حاجة ، فتوسّلوا

(١) كشف النور عن أصحاب القبور ، عبدالغني النابلسي ، (لاهور : الرضوية) ص٢٠.

(٢) الحلية ٣٦٤/٨ . والتوجه بالسؤال لا يجوز إلا إلى لله تعالى وحده سبحانه .

(٣) أبوالحسن ، علىبن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي ، الضرير ، نزيل الأسكندرية ، شيخ الطائفة الشاذلية ، والشاذلي نسبة إلى شاذله إحدى قرى تونس ، ولد سنة ٥٩٣هـ، مات بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ . (انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٤/٢ ، الموسوعة الصوفية ص٢٢٩ ، ولطائف المنن لابن عطاء السكندري ص٧٠ ، والمدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبوالحسن الشاذلي، د. عبدالحليم محمود (القاهرة : دار النصر للطباعة) ص٥١،٤٨) .

أنـــا عشية عرفة ، نازعتني نفسي ، بأن أسأل الله تعالى ، فسمعت هاتفا يقول : أبعد وجود الله ، تسأل غير الله ؟"(١) .

ولقـــد استدل الصـــوفية أيضاً -بزعمهم- بعلم الله على عدم طلب الدعاء ، يقول الطوسي: "أصلنا السكوت ، والإكتفاء بعلم الله عز وجل"(٢) . وجعلوا ذلك أصلاً لهم.

وقـــال القشيري :" سئل الواسطي أن يدعو ، فقال : أخشى إن دعوت أن يقال : إن سألتنا مالك عندنا ، فقد اهمتنا ، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا ، فقد أسأت الثناء علينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهر "(٣) .

ومن صور استغنائهم عن الدعاء ، زعماً منهم أن ذلك اعتراض على ما قضاه الله وقدره ، يقول الغزالي : " ضاع لبعض الصوفية ولد صغير ، ثلاثة أيام ، لم يعرف لـــه خـــبر ، فقيل لـــه : لو سألت الله أن يرده عليك . فقال : اعتراض عليه فيما قضى ، أشد عليَّ من ذهاب ولدي "(٤) .

---

(١) التعرف، ص٧٦ .

(٢) الـــلمع ص٢٨٩ . ويقال للصوفية إذن : لماذا شرع الدعاء بقوله : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ سورة غافـــر ، آيـــة ٦٠، وقولـــه تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ سورة البقرة ، آية ١٨٦ ؟؟. نعوذ بالله من ترهات وخزعبلات الصوفية . وسيأتي الرد على هذه الفرية في المطلب التالي .

(٣) الرسالة القشيرية ص٣٧٤ .

(٤) الإحياء ٤/٣٥٠ .

المطلب الأول

البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية

اختلف الصوفية في الأفضل ، أهو الدعاء ، أم التسليم والرضا ؟ ، فمنهم من قال: الدعاء في نفسه عبادة ، فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركه ، ثم هو حق الله سبحانه؛ لأنه إظهار فاقة العبودية ، وطائفة قالوا : السكوت والتسليم والرضا بما اختاره الله أولى؛ أي الاستغناء عن الدعاء ، وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه، وصاحب رضا بقلبه ، ليأتي بالأمرين جميعاً[1] .

وزعْمُ الصوفية الاستغناء عن الدعاء والتسليم لقضاء الله وقدره هو ما سنتنا وله في هذا المطلب .

لقد نحى غلاة الصوفية في مسألة الدعاء منحىً خطيراً ؛ عندما استغنوا عن مسألة الله عز وجلّ ؛ بحجة علمه سبحانه ، وصرفوا مسألتهم إلى الأتباع ، والأولياء، والمشايخ ؛ بحجه أنهم مقربون إلى الله ؛ فاتخذوهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله سبحانه .

فمن أقوال الصوفية في الاستغناء عن الدعاء بحجة علم الله :

نقل الكلاباذي قولهم : علمه بحالي يغني عن سؤالي ، قال أبو سعيد الخراز : بينما

---

(١) انظر : معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص٩٧ .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي[1] : "وإذا أطلق ذكر الله ، شمل كل ما يقرب العبد إلى الله من عقيدة ، أو فكر ، أو عمل قلب ، أو عمل بدني ، أو ثناء على الله ، أو تعلم علم نافع وتعليمه ، ونحو ذلك ، فكله ذكر الله تعالى"[2] .

(١) هو الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي النجدي ، مفسر ، محدث ، واعظ ، ولد في عنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧هـ ، وعظ وأفتى وخطب في جامع عنيزة ، من مؤلفاته تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن وغيره. توفي سنة ١٣٧٦هـ . انظر ترجمته في معجم المؤلفين (١٢١/٢) .

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (الرياض : طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –١٤٠٥هـ) ص٢٤٥ .

والأصل الآخر : ذكرت الشيء خلاف نسيته ، ثم حمل عليه الذكر باللسان"[1].

وقيل : "أصل الذكر في اللغة التنبيه على الشيء ، ومن ذكرك شيئاً فقد نبهك عليه، وإذا ذكرته فقد نبهته عليه"[2].

الذكر اصطلاحاً :

ورد إطلاق الذكر على أمور : قال بعضهم أن الذكر يطلق على الصلاة ، وقراءة القرآن ، والتسبيح ، والدعاء ، والشكر ، والطاعة[3].

وزاد بعضهم ، غير هذه الأمور ، مما ورد إطلاق لفظ الذكر عليه في الكتاب والسنة[4].

---

(١) المقاييس في اللغة ص٣٨٨ .

(٢) نقل هذا القول النووي عن أبي الحسن الواحدي . انظر : تهذيب الأسماء واللغات (بيروت : دار الكتب العلمية) ١١١/٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، تحقيق على حسن هلالي . مراجعة محمد علي النجار (القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر) ١٦٣/١٠ .

(٤) نقل القاضي عياض عن الحربي أنه قال : للذكر ستة عشر وجهاً : الطاعة ، وذكر اللسان ، وذكر القلب ، والإخبار ، والحفظ ، والعظمة ، والشرف ، والخير ، والوحي ، والقرآن ، والتوراة ، واللوح المحفوظ ، واللسان ، والتفكر ، والصلوات ، وصلاة واحدة ، وزاد القاضي عياض أيضاً فقال : "وقد جاء بمعنى التوبة ، وبمعنى الغيب ، وبمعنى الخطبة" . مشارق الأنوار على أصحاب الأذكار للقاضي عياض (تونس : المكتبة العتيقة ، القاهرة ، دار التراث) ٢٦٩/١ .

الدعاء اصطلاحاً :

- قال أبو سليمان الخطابي[1] رحمه الله :

"الدعـــاء استدعـــاء العبد ربّه عز وجل العناية ، واستمداده إياه المعونة ، وحقيقته إظهار الافتقار إليه ،والتبرؤ من الحول والقوة "[2] .

- وقـــال ابن تيميه رحمه الله : "إن دعاء المسألة ، هو طلب ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره ودفعه"[3] .

ممـــا ســـبق يتـــبين أن الدعاء في اللغة والاصطلاح لا يخرج عن الطلب والسؤال والعبادة .

ثانياً : تعريف الذكر لغة واصطلاحاً :

الذكر لغة :

قـــال ابن فارس : "الذال والكاف والراء أصلان عنهما يتفرع كلم الباب ... ،

(١) أبوسليمان الخطابي : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي ، أبوسليمان ، محدث ، لغوي ، فقيه ، أديب ، ولد سنة ٣١٩هـ ، وتوفي سنة ٣٨٨هـ له عدة مصنفات .
(انظر ترجمته في : معجم المؤلفين ١/٢٣٨) .

(٢) شـــأن الدعـــاء ، أبوسليمان الخطـــابي . ط١ (دمشـــق ، بيروت : دار المأمـــون للتراث – ١٤٠٤هـ) ص٤ .

(٣) الفتاوى ١٠/١٥ ، وانظر : معجم ألفاظ العقيدة ص١٧٦ .

إليه بالإمام أبي حامد الغزالي"[1] .

وروى السراج الطوسي ، عن جاكير الكردي[2] أنه أستأذنه رجل واسطي في ركوب بحر الهند بتجارة فقال : إذا وقعت في شدّة فناد باسمي[3] .

وقد بلغ الأمر بالصوفية ، أن جعلوا لعبادة الدعاء ، أدعية مخصوصة ، رووها عن أشخاص ، فقالوا : هذا دعاء الخضر عليه السلام، وهذا دعاء معروف الكرخي، ودعاء إبراهيم بن أدهم ، كما جعلوا لكل حادثة أو مناسبة ، دعاءً مخصوصاً[4] .

كما جعل الصوفية للدعاء أوقاتاً معلومة ، يزعمون الاستجابة فيها ، فقالوا : إن الرحمة تنزل في ثلاثة أحوال ، وعدوا منها السماع وما يتخلله من الرقص ، باعتبار ذلك عندهم قربة ، يتقربّ بها العبد إلى الله[5] .

هذا ما يتعلق في الدعاء .

أما الذكر الذي هو نوع من الدعاء ، فالصوفية يتقربون به إلى الله ، وهو ما يسمي عندهم بالذكر الصوفي ، يفردون الله جلّ وعلا بالذكر ، ويذكرون الله والنبي ﷺ ، ثم

---

(١) لطائف المنن ص١٠٣ .

(٢) جاكير : هو أحد أركان الطريقة الصوفية ، وكان من الأكراد ، سكن إحدى صحارى العراق قرب سامراء ، واستوطنها إلى أن مات . انظر : الطبقات الكبرى ١/١٤٩-١٥٠ .

(٣) انظر : جامع كرامات الأولياء ٢/٤ .

(٤) انظر عن هذه الأدعية المزعومة : الإحياء ١/٣١٤-٣١٧ .

(٥) انظر : الإحياء ٢/٢٧٠ ، وسيأتي الرد على هذه البدعة في المطلب التالي .

يرقصـــون ، ويـــتواجدون ، وهم عندما يجعلونه مقرونا بالرقص ؛ يستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[1] .

فمـــن بدعهم في الذكر ، ما يجري على ألسنتهم من إفراد الله فيقولون : " الله الله الله الله" ، أو "هو هو هو" ، أو "لا لا لا" ، أو " آه آه آه " ، أو "عا عا عا عا" ، أو "آ آ آ آ" ، أو "هـــا هـــا ها" ، أو صوت بغير حرف ، أو تخبيط وأدبه عند ذلك التسليم للوارد[2] .

وحكي عن الشبلي أيضا "أن شاباً سأله : يا أبا بكر لِمَ تقول : الله ، ولا تقول لا إله إلا الله؟ . قال الشبلي : أستحي أن أوجه إثباتاً بعد نفي .

قـــال الشـــاب : أريـــد حجة أقوى من هذه ، فقال : أخشى أن أوخذ في كلمة الجحود، ولا أصل إلى كلمة الإقرار"[3] .

ويقـــول أبو العباس المرسي[4] : " ليكن ذكرك : الله الله ، فإن هذا الاسم سلطان

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٩١ .

(٢) انظـــر : الأنوار القدسية ٣٩/١ . لم ترد هذه الألفاظ في الأدعية المأثورة عن الرسول ﷺ وسلف هذه الأمة.

(٣) شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي . ص٤٤ ، وانظر : الكواكب الدرية ٣٣/٢ .

(٤) أبوالعباس المرسي : أحمد بن عمر الأنصاري أبوالعباس المرسي ، قطب الزمان ، المشار إليه بالولاية أصـــله من المغرب ، ونزل الأسكندرية ، مات سنة ٦٨٦هـــ في الأسكندرية . (انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ١٤/٢ ، وجامع كرامات الأولياء ٥٢٠/١) .

الأسماء ، وله بساط وثمرة ، فبساطه العلم ، وثمرته النور ، وليس النور مقصودا لذاته ، بـــل لمـــا يقـــع به الكشف والعيان ، فينبغي الإكثار من ذكره ، واختياره على سائر الأذكـــار، ليضـــمنه جميـــع مـــا في لا إلـــه إلا الله" مـــن العقائد والعلوم والآداب والحقائق...إلخ"[1].

هذا هو مفهوم الدعاء والذكر عند الصوفية.

(1) نور التحقيق ، حامد صقر (مصر : مطبعة دار التأليف – ١٣٦٩هـــ) ص١٧٤ ، بدون ذكر رقم الطبعة .

المطلب الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري

تجاه البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية :

مـــن المعلوم من الدين بالضرورة ، أن الدعاء من أجلّ العبادات ، التي يجب توحيد الله فيها ، وعدم صرف شيء منها إلى غيره سبحانه ، فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه من كشف الضر ، ودفع البلاء .

ولقد قرن الله سبحانه بين الدعاء والعبادة في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1] .

كما قرن الرسول ﷺ بينهما بقوله : (الدعاء هو العبادة)[2] .

ومـــن خـــلال هذا الاقتران تبيَّن أهمية هذه العبادة ، في كشف الضر عن العبد ، ورفع البلاء ، وقضاء الحاجة ، في حال التوجه إلى الله بالصدق والإخلاص .

ولقـــد أبـــان القرآن الكريم ذلك، بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

(١) سورة الأنعام ، آية ٥٦ .

(٢) ســـنن الـــترمذي ، أبـــواب الدعوات ، باب : ما جاء في فضل الدعاء ١٢٦/٥ ، والحديث رواه النعمان بن بشير، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١] .

وقوله جلّ وعلا : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[٢] .

والله جـــلّ وعلا أمر عباده بالتوجه إليه بالعبادة ، ومن رحمته سبحانه بعباده ، أن جعـــلهم يلتجـــئون إلـــيه عند الملمَّات ، دون شفيع ولا وسيط ، والمشركون كانوا يـــتوجهون إلى أربابهم وآلهتهم وأصنامهم ، وجعلوهم واسطة لهم عند الله . قال تعالى حكاية عنهم : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[٣] .

ولقـــد ركز القرآن الكريم إنكاره على المشركين كونهم يدعون غير الله ، وتكرر هذا الإنكار في غير آية .

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[٤] .

وقال عزّ من قائل ، منكراً عليهم : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٨٦ .

(٢) سورة النمل ، آية ٦٢ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٣ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٩٤ .

مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾(١) .

وقال سبحانه محذّراً من مغبّة التوجه بالدعاء إلى هؤلاء الأصنام والأرباب، الذين لا يملكون النفع لأنفسهم فضلاً عن جلبه لغيرهم : **﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾** (٢) .

ولما كانت مسألة صرف عبادة الدعاء لغير الله ، أمراً متواتراً عند الصوفية نقلها الخلف عن السلف ، هبَّ علماء السلف قي القرن السادس – وهذا شأنهم في كل قرن والحمد لله – للتصدّي لمزاعم الصوفية في هذا الأمر وإنكارها ، وإبطال افتراءاتهم ، مستمدين منهجهم من شرع الله القويم .

فعندما استغنى الصوفية عن التوجه إلى الله بالدعاء ، زاعمين أنه لا فائدة من ذلك ؛ ردَّ أبومحمد اليمني رحمه الله هذه الفرية بقوله: "وأما قولهم: إن الدعاء لا ينفع ...، فإن هذا محال؛ لأن الله -تعالى- يقول: **﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا من بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾**(٣)، فاستغفر هؤلاء لمن مات قبلهم من أهل الإيمان، فدل هذا على أن الدعاء من الحي للميت ينفعه.

ودليل ثان وهو: ما نبه الله -تعالى- به الولد أن يدعو لوالديه بقوله: **﴿ وَقُل**

---

(١) سورة فاطر ، آية ١٤ .

(٢) سورة يونس ، آية ١٠٦ .

(٣) سورة الحشر، الآية (١٠).

رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾[1] ، فلو كان الدعاء لا ينفع... لما أمره أن يدعو لوالديه.

ودليل ثالث: وهو أن الله -تعالى- نهى رسوله ﷺ عن الدعاء للمنافقين بقوله: ﴿ **وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾[2]، ومعلوم أن الصلاة في اللغة هي الدعاء بالرحمة، وإلا فلو علم الله -تعالى- أن الدعاء غير نافع لهم لما نهاه عن ذلك، وكذا نهاه ﷺ أن يستغفر لوالدته بقوله ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾[3]، فلو كان الدعاء لا ينفع كما قال المخالف لما نهى الله -تعالى- رسوله ﷺ عن ذلك فصح ما ذهبنا إليه وبطل ما قالوه والحمد لله"[4].

وقد بين أبوبكر الطرطوشي رحمه الله فائدة الدعاء بأن عقد باباً في كتابه (الدعاء المأثور) سماه: (في فوائد الدعاء ووجه الإجابة) ومما قال فيه: "وقد ذكر علماؤنا -رضوان الله عليهم- للدعاء فوائد سوى ما ذكرنا، منها: أن الدعاء عبادة يثيب الله

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٢٤).

(٢) سورة التوبة، الآية (٨٤).

(٣) سورة الأنبياء، (١٣، ١٤).

(٤) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/٤٣٦-٤٣٧ وهذا الرد من أبي محمد اليمني على المعتزلة ينسحب على الصوفية القائلين بهذه البدعة.

سبحانه عليها وإن لم تقع الإجابة...، ومنها أن الدعاء إشغال الهمة بذكر الحق -ﷻ-، وذلك يوجب قيام الهيبة للحق عز وجل في القلوب، والزيادات في الطاعات، والانقطاع عن المعاصي، ولزوم الباب يستدعي الإذن في الدخول...، وفيه إظهار العبودية والإقرار بالفقـــر والحاجة، ومنه تحقيق التوحيد والتبرؤ من الحول والقوة، والاعتراف بالربوبية، والافتقار إليه، كما قيل: موقف ذليل بين يدي عزيز"(١).

وفيما سبق رد على دعاوى الصوفية الكاذبة أن الدعاء لافائدة فيه.

وعـــندما اخترعت الصوفية في عبادة الدعاء هذه الأدعية والأوراد والأذكار التي لم ترد في القرآن ، ولا عن الرسول ﷺ ، ولم تنقل عن أحد من الصحابة ، ولا التابعين ؛ هم بذلك نسجوها من خيالات أوليائهم ومشايخهم ؛ بل تقوّلوها على الدين .

وللمســـلم أن يدعو الله بما شاء من أنواع الأدعية والأذكار ، مما ورد في الكتاب والسنة ، وعليه أن يتجنَّب ما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ، فقد أبان المصطفي الكريم ﷺ هذه الحقيقة بقوله : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ)(٢) .

يقول الطرطوشي رحمه الله عن هؤلاء المبتدعة: "اعلموا -أرشدكم الله- أني رأيت كـــثيراً مـــن الناس يقصدون في الدعاء السجع، وازدواج الألفاظ، ويذهبون مذاهب الفصاحة، والبراعة،والتنطع والفخامة، فيكون الدعاء مسجوعاً موزوناً يضاهي مكاتبات

---

(١) الدعاء المأثور وآدابه لأبي بكر الطرطوشي تحقيق وتخريج ودراسة د. عبدالله شعبان علي (القاهرة: دار الحديث – ١٤٢٢هـ) ١١٥-١١٦.

(٢) سبق تخريجه . انظر : ص ٣٤٠.

أهل الدنيا التي يقصد بها المباهاة بين الأقران، والمباراة بين النظراء والكتاب، وهذا باب منهي عنه في الدعاء".

ثم قال رحمه الله: "واعلموا أن مقام الداعي مقام تذلل وخشوع وبكاء وتضرع، وإظهار فاقة وحاجة، والسجع تكلف، وتصنع، واشتغال الخواطر بازدواج الألفاظ، وإقامة الأوزان ينافي مقام الخشوع ومن العجب العجاب أن تعرض عن الدعوات التي حكاها الله في كتابه عن الأنبياء، والأولياء، والأصفياء مقرونة بالإجابة، ثم تنتقي ألفاظ الكتاب والشعراء، كأنك قد دعوت في زعمك بجميع دعواهم، ثم استعنت بدعوات من سواهم".

ثم يقول رحمه الله: "وقد تتبعت دعوات الأنبياء والمرسلين، والمصطفين من عباده المنتخبين، واستخرجت ما وجدت في القرآن من ذلك فوجدت جميعها "ربنا ربنا" أو "ربِّ" وبعد ذلك ساق رحمه الله الآيات القرآنية التي فيها دعاء الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والتسليم ثم قال: "وعلى هذا النمط جميع ما أجراه الله في كتابه الكريم عن ملك أو نبي مرسل، أو صديق أمين، ألا ترى إلى قول الملائكة عليهم السلام ﴿ **وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ** ﴾[1].

دلت الآية على أن الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم مقام شريف، وموقف كريم

---

(١) سورة غافر، الآية (٧).

عند رب العالمين"[1].

وقد أنكر الطرطوشي على الصوفية توجههم بالدعاء إلى أوليائهم المقبورين ، فقال: "فإنه حدث في بعض أهل المشرق والمغرب التعريف عند خير من يحسن الظن به ، ويجتمعون الاجتماع العظيم عند قبره . وهذا نوع من الحج المبتدع الذي لم يشرعه الله تعالى، واتخاذ القبور أعياداً "[2] .

وعندما ننظر في الأذكار والأوراد والأدعية ، التي ألزم بها الصوفية مريديهم تلاوتها آناء الليل وآناء النهار ، سراً وجهراً ؛ نجدها كلها مبتدعة ، وليس فيها أي ذكر مشروع يستدل به من الكتاب والسنة .

ولا شك أن الأذكار والأدعية ، من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على التوقيف، والاتباع لا على الهوى والابتداع ، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل الدعاء والذكر ، أمّا اختراع الأوراد والأذكار غير الشرعية فقد نهى الشارع عنها ، فالدين ليس بالرأي ، بل هو مبني على ركنين أساسين ، هما الإخلاص في العمل واتباع القرآن والرسول ﷺ فيما أمرا به ، والانتهاء عما نهيا عنه .

---

(١) الدعاء المأثور وآدابه لأبي بكر الطرطوشي ص١٣٢-١٣٤.

(٢) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٨٦ .

وأفضـــل الذكر "لا إله إلا الله" كما قال الرسول ﷺ :(أفضل الذكر ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له)(١) .

ولكـــن الذكر الذي يقوم به بعض الصوفية ، بحركات موزونة ، وترنيمات تشبه ترنيمات الكنيسة النصرانية ، وما يتخلل هذه الحركات من قفز ووثب ، ونط وجذب، وانحناء للشيخ ، إلى غير ذلك ، فالفطرة السليمة تنأى عنه ، والقلب الخاشع يتبرأ منه، فلـــو خشـــع قلـــب هؤلاء الصوفية ، لخشعت جوارحهم ، وما يقال في تعليل تلك الحركات ، أنها لمنع الحاضر أن يشتغل بغير الله تعالى ، فهو مردود بما عرف عن السلف الصالح ، فقد كانوا أحرص من هؤلاء على حفظ خواطرهم وقلوبهم، وجعلها مع الله ، و لم يكونوا يفعلون ذلك ؛ بل أنكروه أشد الإنكار ، وهم الأئمة المقتدى بهم .

وقـــد روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ (كان إذا همّه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم)(٢) .

ويترتـــب عـــلى استدلالهم بالاسم المفرد " الله أو هو " أن يكون الاسم الموصول "الـــذي" في قوـــله تعالى ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي﴾ اسماً من أسماء الله ، وهذا غير صحيح ، فتبقى مزاعمهم أوهاماً باطلةً .

---

(١) انظـــر : الموطأ للإمام مالك ، ص١٤٣، وقد حسن الحديث الألباني رحمه الله في سلسلة الأحايث الصحيحة ٣/٤٨٤.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الدعوات ، باب : ما يقول عند الكرب ٥/١٥٩، قال الترمذي هذا حديث غريب.

وهذا التقسيم في الذكر إلى ذكر العامة وذكر الخاصة ، إنما هو تقسيم بدعي ، لم يرد فيه عن الرسول ﷺ ، ولا عن صحابته ولا عن القرون المفضلة من بعده نص صحيح وصريح ؛ بل هو أمر حادث في الدين وقد قال النبي ﷺ : "(من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ)[1] .

والنصوص التي وردت في ذم الابتداع كثيرة[2] .

وقد وصف الله سبحانه الذاكرين له ، باطمئنان القلوب ، وخشوعها ، وإخباتها، قال تعالى : ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] وقد كان السلف الصالح، إذا سمعوا القرآن الكريم يتلى ، خافوا وبكوا ، واقشعرت جلودهم ، قال تعالى : ﴿مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

(١) سبق تخريجه ص: ٣٤٠.

(٢) منها قول ابن مسعود رضي الله عنه : "اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم" انظر : الاعتصام ٦٢/١.

وقال عبدالقادر الجيلاني : "يا قوم ، اتبعوا ولا تبتدعوا ، وافقوا ولا تخالفوا ، أطيعوا ولا تعصوا ، أخلصوا ولا تشركوا ، وحّدوا الحق عز وجل وعن بابه لا تبرحوا ، سلوه ولا تسألوا غيره ، استعينوا به ولا تستعينوا بغيره ، توكّلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره .. سلّموا أنفسكم إليه ، وارضوا بتدبيره فيكم ، واشتغلوا بذكره دون مسألته " (الفتح الرباني والفيض الرحماني ، عبدالقادر الجيلاني ، (بيروت : دار الكتب العلمية – ١٤١٨هـ)ص١٥١) .

(٣) سورة الرعد ، آية ٢٨ .

مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٢) .

وهذا عكس ما عليه الصوفية ، من الرقص والضرب ، في حالة الذكر، و لم يأمر الله سبحانه وتعالى حين أمر الناس بالعبادة، أن يأكلوا أكل البهائم ، ثم يقوموا للرقص، بل هـــذا الـــرقص الذي يسميه الصوفية " ذكراً" ، وما رافقه من منكرات مستقبحة نقلاً وعقلاً ، وهو وصمة عار أن يكون بين من يزعم أنه مسلم ، من يفعل هذا .

ولقد أحسن ظهير الدين أبو إسحاق الموصلي(٣) عندما أنكر على الصوفية ، هذا النوع من الذكر ، القائم على الرقص ونحوه ، قال رحمه الله في أبيات شعرية :

ألا قل لهم قول عبد نصوح — وحق النصيحة أن تستمــــع

متى علم الناس في ديننــــا — بــأن الغنــاء ســـنة تتبــع

(١) سورة الزمر ، آية ٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٢ .

(٣) الموصـــلي : أبوإســحاق ، إبراهيم بن نصر عسكر الشافعي ، الموصلي ، الملقب بظهير الدين، من علماء القرن السادس، قاضي السلامية ، والسلامية هي إحدى قرى الموصل ، كان فقيهاً ، فاضلاً ، تفقــه بالمدرســة الــنظامية بــبغداد . تــوفي سنة ٦١٠هــ بالسلامية . (انظر : وفيات الأعيان ٣٧،٣٨/١) ، والبداية والنهاية ٦٩/١٣) .

وأن يأكل المرء أكل الحمار ويرقص في الجمع حتى يقــع

وقالوا سكرنا بحب الإلــه وما أسكــر القوم إلا القصع

ويسكره الناي ثم الغنــاء و(يس) لو تليت ما انصــدع

والزيادة في البداية والنهاية لابن كثير :

كذاك الحمير إذا أخصبت يهيجهــا ريهــا والشبـــع

تراهم يهزوا لحاهــم إذا ترنم حاديهــم بالبـــدع

فيصرخ هذا وهذا يئــن و(يس) لو تليت ما انصدع[1]

واعتــبر موفق الدين ابن قدامة ما يفعله الصوفية في عبادة الذكر من دف وشبابة وغناء وتواجد ، بدعوى محبة الله والتقرب إليه ، أنه سقط في المروءة ، وبدعة في الدين، وطريق ضالة للوصول إلى مجيب الدعوات .

وعــندما ســئل فيمن يسمع الدف والشبابة والغناء ويتواجد ، حتى أنه يرقص مع اعتقاده أنه محب لله، وأن سماعه وتواجده ورقصه تقربا إليه سبحانه، قال رحمه الله :

" إن فــاعل هذا مخطئ ساقط المروءة ، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في

١) انظــر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية . تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي (بيروت : دار المعرفة) ١/٢٣١ ، والبداية والنهاية ١٣/٦٦ .

الشـــرع غير مقبول القول ، وأما هذا فمعصيةٌ ، ولعبٌ ، ذمَّه الله تعالى ورسوله ﷺ ، وكـــرهه أهل العلم ، وسمّوه بدعة ، ونهوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن جعل اللهو واللعب دينا ، كان كمن سعى في الأرض بالفســـاد ، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه ، من غير طريق رسول الله ﷺ وسنتّه ، فهو بعيد من الوصول إلى المراد"[١] .

وقد أنكر الإمام الطرطوشي على الصوفية ، خرافاتهم بالذكر وما يصحبه ، فعندما سئل رحمه الله : ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية ، الذين يجتمع منهم جماعة، فيكـــثرون مـــن ذكر الله ، وذكر محمد ﷺ ، ثم أنهم يوقفون بالقضيب على شئ من الأديم، ويقـــوم بعضهم ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ، ويحضرون شيئا يأكلونه . هل الحضور معهم جائز ، أم لا ؟ أفتونا يرحمكم الله .

فقـــال ، الجـــواب : هذه الأشياء كلها بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كـــتاب الله وســـنة رســـوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد ، فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، فقاموا يرقصون حواليه، ويتواجدون[٢] ،

---

(١) ذمّ ما عليه مدعو التصوف . موفق الدين ابن قدامة ص٧ .

(٢) ولقد تأثر الصوفية في رقصهم وتواجدهم في حلقات الذكر ببعض الديانات القديمة . يقول الدكتور زكـــي مبارك : "الرقص والتواجد في حلقات الأذكار لا يمكن رجعه إلى أصول إسلامية صحيحة ، وإنمـــا هو اسلوب قديم عرفه الناس في الديانات القديمة ، وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية ، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ، ويحبون لأتباعهم أن يتقربوا إليهم بالرقص والغناء والمجون" .

فهـــو ديـــن الكفـــار وعبّاد العجل ، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المســـلمين عـــن كـــتاب الله ، وإنما كان يجلس رسول الله ﷺ مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار"(١).

وقـــد أنكر علماء السلف على الشبلي امتناعه عن قول لا إله إلا الله بحجج واهية أوهـــى مـــن بيت العنكبوت، وقد ردَّ عليه الطرطوشي رحمه الله دعواه الباطلة بقوله: "ومـــن عجيب ما روي في هذه الكلمة (لا إله إلا الله) أن أبا بكر الشبلي كان يقول، وهـــو مذهب بعض شيوخ الصوفية، ويقولون نفي العيب حين لا عيب عيب، فحضر أبوبكر التكريتي مجلسه وقال لـــه: لم تقول (لا إله إلا الله) كما يقول الناس.

فقال: لقد أقتدي بالصديق حيث قال لـــه النبي ﷺ: ماذا خلفت لأهلك؟ قال: الله ورســـوله، فقال التكريتي: أريد أعلى منه، فقال: أخشى أن أؤخذ في وحشة (لا) فقال الـــتكريتي: أريد أعلى منه، فقال: قال الله -تعالى- ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾(٢)، فصـــاح رجل من أهل المسجد وزعق، فقال الشبلي: الله! فزعق ثانية، فقـــال الشـــبلي: الله، فزعق ثالثة، فقال الشبلي: الله، فجاد الرجل بنفسه، فتعلق أهله

= (التصـــوف الإســـلامي في الأدب والأخلاق . زكي مبارك ، ط٢(مصر : دار الكتاب العربي — ١٣٧٣هـــ) ٣٨٤/١ ، هامش (١) ..

(١) المعيار المعرب . ١٦٢/١١-١٦٣ .

(٢) الأنعام (٩٦).

بالشبلي وجروه إلى السلطان، وادعوا بدمه.

فقال السلطان: ما الخبر؟ فأخبروه.

فقال الشبلي: ما ذنبي؟ روح حنت، فأنت، فرنت، فدعيت، فأجابت.

فقال السلطان: خلوه، لا ذنب لـــه.

وهـــذا المعـــنى على نحو ما روى مالك بن أنس، مر برجل يجذ نخلة، فسلم عليه، فالتفت الرجل فسلّم، فمات.

فوصـــل الأمـــر إلى السلطان، وحضر أهل الميت، فدخل مالك على السلطان و لم يســـلم، فقال السلطان: أين السلام يا أبا عبدالله؟ فقال: خفت أن أسلم فيموت بعض الحاضرين فأطالب بدمه.

فحمد القوم.

فأما امتناعهم من قول: لا إله إلا الله، فمن تنطع الصوفية وخرافاتهم، ولا يصح التوحيد إلا بقول لا إله إلا الله، وقولهم: نفي العيب حيث لا عيب عيب، باطل أيضاً، ولـــيس التـــنـــزيه والـــتقديس والتحميد إلا في نفي العيوب عن الله، سبحانه وتعالى، ووصـــفه بمحامده، وقد نزه الله سبحانه نفسه عن الآفات فقال: ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ**

نَوْمٌ ﴾[1][2].

ومما سبق بيانه ، يتضح مدى الجهد الذي بذله علماء السلف في القرن السادس في دحض شبه الصوفية المبتدعة في مسألة الدعاء والذكر ، ولا غرو في ذلك ، فقد استفاضت الأدلة من الكتاب والسنة ، على كفر من دعا غير الله تعالى ، وصرف هذه العبادة لغيره جلّ وعلا .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[3].

ومنها قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُه عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾[4] .

وهذه الآية نصّ صريح ، بأن دعاء غير الله والاستعانة به شرك أكبر ، والآيات الكريمات بهذا الشأن مستفيضة .

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٥).

(٢) الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي ١٨٢-١٨٣.

(٣) سورة البيّنة ، آية ٥ .

(٤) سورة المؤمنون ، آية ١١٧.

ومن السنة المطهرة : قول النبي ﷺ : (الدعاء هو العبادة)(١) .

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)، فقلت أنا : من مات وهو لا يدعو لله نداً دخل الجنة)(٢).

وقوله ﷺ : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله)(٣).

هذا ما استطعت العثور عليه من ردود لعلماء السلف في القرن السادس على بدع الصوفيه في الدعاء والذكر(*)

---

(١) الحديث سبق تخريجه ، انظر : ص٣٧٢.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) ١٥٣/٥ .

(٣) سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة ٧٦/٤ ، والحديث رواه ابن عباس رضي الله عنه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن عقيل، انظر شرح العقيدة الطحاوية على ابن أبي العز، تحقيق د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ٦٧٨/٢.

والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٦٨/٢، تلبيس إبليس ص٢٤٩-٢٥٠.

والقاضي عياض: انظر الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، محمد علاء الصديقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٧/١.

= وسلاح المؤمن لابن الإمام، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وقدم لـــه محيي الدين مستو، ط١ (دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب-١٤١٤هـــ) ص٢٦-٢٧.

والشفا ٢/١٠٩٣-١٠٦٦، ١٠٩٣.

وترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض، تحقيق عبدالقادر الصحراوي ط٢ (المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – ١٤٠٣هـــ) ٢/٥٤.

وابن العربي المالكي في قانون التأويل ص٦٧٩.

وابن رشد ـالجد) انظر: المعيار المعرب للونشريسي إشراف د. محمد حجي (بيروت: دار الغرب الإسلامي-١٤٠١هـ) ١٢/٣١٤.

وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٣٣٧.

المبحث الخامس

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه دعوى إسقاط التكاليف عند الصوفية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية :

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية .

المطلب الأول
دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية

يـزعم الصوفية أن هنالك مرتبة إذا وصلها العابد الصوفي ، سقطت عنه التكاليف الشرعية ، وحلّت له المحرمات .

ودعـوى الوصـول عند الصوفية ، يتأولون بها قوله تعالى : **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَـأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾**[1] أي تصل إلى مقام المكاشفة ، فعندئذ تسقط وترفع عنك التكاليف الشرعية، حتى قالوا : إن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الغفلة ، واختار الإيمان على الكفر ، سقط عنه الأمر والنهي ، ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر ، وتسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر [2] .

ويقـول القشيري في تفسير الآية : "التزم شرائط العبودية إلى أن ترقى بل تُكْفَى بصفات الحرية"[3] .

ويقول أيضاً مؤكدا مزاعم الصوفية ، رفع التكاليف الشرعية : " الكيّس من كان

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩٩ .

(٢) انظـر : إتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٤ . ولا شك أن ذلك – والعياذ بالله - كفر وزندقة وتفسير للآية على غير مرادها عند السلف الصالح وهو (الموت) .

(٣) لطـائف الإشـارات للقشيري . قدم له وحققه وعلق عليه د. إبراهيم بسيوني ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١م) ٢/٢٨٣ .

يحكم وقته ، إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وإن كان وقته المحو ، فالغالب عليه أحكام الحقيقة[١] .

وعلى هذا القول ، فإن العارف الصوفي في حالة المحو ، ترفع عنه التكاليف الشرعية!! .

لذا قال أحمد بن عطاء[٢]: "العارف لا تكليف عليه"[٣].

وجعلت الصوفية التكاليف الشرعية من عبادات وغيرها، مقتصرة على علماء الشريعة – أهل السنة والجماعة – ويزعمون من وراء ذلك ، عدم صلاحية قلوبهم لمعرفة الله !! .

يقول أبو طالب المكي :

إنّ الله سبحانه اطّلع على قلوب طائفة من عباده ، فلم يرها تصلح لمعرفته ، ولا موضعاً لمشاهدته ، فرحمها ، فوهب لها العبادات والأعمال الصالحة "[٤] .

ومن صور خروجهم على الشريعة بحكم رفع التكاليف عنهم : ما نقل عن أبي

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٨

(٢) أحمد بن عطاء: أبوالعباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، من مشايخ الصوفية، توفي سنة تسع أو إحدى عشرة وثلثمائة من الهجرة.
انظر: الطبقات الكبرى ١/٩٥.

(٣) الطبقات الكبرى ١/٩٦.

(٤) قوت القلوب ٢/ ٦١ . يقصد بذلك أهل السنة والجماعة !! .

يــزيد البسطامي ، أنه أخرج من كمه رغيفاً وأخذ في أكله في المدينة ، وكان هذا في شهر رمضان[1] .

كمــا نقل عن رجل من المتصوفة ، كان يحضر الملاهي ، ويعمل عمل أهل البدع ويقول : هذا لا يؤثر ؛ لأني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيَّ معه الاختلاف[2] .

وقــالوا بــأن التكاليف الشرعية ، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، تسقط عن العبد وجوباً ، أثناء خلوته واعتزاله الناس[3] .

ونقل عن الشبلي قوله :

" يا ويلاه إن صليت جحدت ، وإن لم أصلِّ كفرت "[4] .

وتتضّح دعوى إسقاط التكاليف ورفعها عنهم ، من خلال هذه الأبيات الشعرية ، لمحدثهم محمد بن طاهر المقدسي ، الذي يقول فيها :

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت به جــوارح أقـــوام من النـــاس
وعـــج علـــى ديـــر بـــه الرهبـــان ما بيـــن قسيـــس وشمـــاس
وأشـــرب معتقـــة مـــن كف كافر تسقيك خمرين بين لحظ ومن كأس

(١) انظر : كشف المحجوب ص٧٨ .

(٢) انظر : روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين . أحمد الوتري . ص٥٣ ، والحلية ٣٥٦/١٠ .

(٣) حياة القلوب بهامش قوت القلوب ١٠١/٢ .

(٤) التعرف ص١٦١ .

ثم استمع رنة الأوتار من رشـأ　　تسقيك طرفة أمضى من الماس
غني بشعر امرئ في البأس مشتهر　　مدون عندهم في صدر قرطاس
لولا نسيم بذكراكم يروحنـي　　لكنت محترقاً من حر أنفاس [1]

فالمقدسي هنا ، يدعو إلى معاشرة النصارى في أديرهم، وتحليل شرب الخمر .

وعـلى سـبيل الإنكـار على الصوفية ، يقرِّر القشيري – وهو من كبار أئمتهم ومشايخهم – مزاعم الصوفية في رفع التكاليف عنهم ، فيقول :

"وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدّوا قلَّة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا الـتميز بين الحلال والحرام ، ودانوا ترك الاحترام ، وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات. وقلّة المبالاة بتعاطي المحظورات ، والإنفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان، وأصـحاب السلطان ، ثم لم يرضوا بما تعاطوا من سوء هذه الأفعال ، حتى أشاروا إلى أعـلى الحقـائق والأحوال ، وادّعوا أنهم تجرّدوا عن رق الأغلال ، وتحققوا الوصال ، وأنهـم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه، وهم محو ، وليس لله عليهم فيما يؤثرون به ويذرونـه عـتب ولا لـوم ، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية ، واختطفوا عنهم باب الكلية، وزالت عنهم أحكام الشريعة "[2].

---

(١) مرآة الزمان ٢/٥٨٥ .

(٢) الرسالة القشيرية ص٢٠-٢١ .

كمـــا تتقرر هذه العقيدة عند القوم ، من خلال رفض الجنيد ، الفصل بين المعرفة والعـــبادة ، فقد روى أنه ذكر رجل المعرفة وقال : أهل المعـــرفة بالله -يعني الصوفية- يصلون إلى ترك الحرمات ، من باب البر والتقرب إلى الله تعالى .

فـــردّ الجنيد على ذلك بقوله : إن هذا قول قوم تكلّموا بإسقاط الأعمال ، وهي عندي عظيمة ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ، فإن العارفين لله تعالى ، أخذوا عن الله تعالى ، وإليه رجعوا فيها[١] .

كما أثبت السهروردي في عوارفه، مزاعم الصوفية في إسقاط التكاليف عنهم بقوله:

"فقـــوم من المفتونين سمّوا أنفسهم ملامتية ، ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا بها إلى الصـــوفية، ومـــا هـــم من الصوفية بشيء ، بل هم في غرور وغلط ، يتسترون بلبسة الصوفية توقيتاً تارة ، وينتهجون مناهج أهل الإباحة ، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى ، ويقولون : هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسيم الشريعة رتبة العوام ، والقاصدين الأفهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليداً ، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والأبعـــاد ، فكـــل حقيقـــة ردها الشريعة ، فهي زندقة ، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية ، والحقيقة هي حقيقة العبودية ، ومن صار من أهل الحقيقة تقيّد بحقـــوق العبودية ، وصار مطالبا بأمور وزيادات بها من لم يصل إلى ذلك ، لا أنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف ... ومنهم من يستبح النظر إلى

(١) الرسالة القشيرية ص٨٧ . طبقات الصوفية ص٣٦-٣٧ ، وعوارف المعارف ص٧٧-٧٨ .

المستحسنات "[١] .

وعلى سبيل الإنكار على الصوفية أيضاً ، أقرّ الطوسي – وهو من كبار مشايخهم – بإباحتهم المحظورات ، زعماً منهم بسقوط التكاليف عنهم فقال :

" زعمت الفرقة الضالة في الحظر والإباحة ، أن الأشياء في الأصل مباحة ، وإنما رفع الحظر للتعدي ، فإذا لم يقع التعدي ، تكون الأشياء على أصلها من الإباحة وتأوّلوا قول الله عزّ وجلّ: **﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وعنباً وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾**[٢] قالوا : هذا على الجملة غير مفصّل ، فاداهم ذلك بجهلهم إلى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور الممنوع منه المسلمون : مباح لهم ، إذا لم يتعد ما في تناوله ؛ وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة خفيت عليهم من جهلهم بالأصول ، وقلّة حظهم من علم الشريعة ، ومتابعتهم شهوات النفس في ذلك ... فظنّت هذه الطائفة الضالة بالإباحة لأن ذلك كان منهم على كل حال ، جاز لهم ترك الحدود، أو أن يجاوزوا حد متابعة الأمر والنهي ، فوقعوا من جهلهم في النيّة، وتاهوا وطلبوا ما مالت إليه نفوسهم من اتباع الشهوات، وتناول المحظورات ، تأويلاً وحيلاً، وكذباً وتمويهاً "[٣] .

ويقول السهروردي – وهو من كبار مشايخهم – على سبيل الإنكار عليهم في

---

(١) عوارف المعارف ٧٦-٧٨،٧٧ .

(٢) سورة عبس ، آية ٢٧-٣٢ .

(٣) اللمع ص٥٣٨-٥٣٩ .

اعتقادهم بسقوط التكاليف :

" ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون في بحار التوحيد ، ولا يثبتون ، ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلا ، ويزعمون أنهم مجبورون على الأشياء ، وأن لا يقل لهم مع فعل الله ، ويسترسلون في المعاصي ، وكل ما تدعو النفس إليه ، ويركنون إلى البطالة ، ودوام الغفلة ، والاغترار بالله ، والخروج من الملة ، وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام "(١).

وأيضا ثبتت دعواهم بإسقاط التكاليف الشرعية ، بما أنكره عليهم ساداتهم ، فهذا الجنيد ، سئل عن قوم يقولون بإسقاط التكاليف ، ويزعمون أن التكاليف ، إنما كانت وسيلة إلى الوصول ، وقد وصلنا ، فقال : صدقوا في الوصول ولكن إلى سقر(٢).

ونرى الصوفية ، وهم يقللون من شأن العلوم الشرعية ، ويغمزون العلماء ،

---

(١) عوارف المعارف ص٧٩ . وتتأكد دعوى إسقاط التكاليف عند الصوفية بقول ابن حزم منكراً عليهم فيقول : .

" ادّعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك ، وحلّت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بذلك نساء غيرهم" . الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (القاهرة : مكتبة الخانجي)٤/١٧٠ .

(٢) انظر : اليواقيت والجواهر ١/٥١ .

ويحاولون بوسائل شتّى ، صدّ المريدين عن طلب العلم الشرعي .

فقد نقل أبو طالب المكي ، عن الحسن بن على الدامغاني[١] قولـه: " كان رجل من أهل بسطام[٢] لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد البسطامي ، ولا يفارقه ، فقال له ذات يوم: يا أستاذ ، منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر ، وأقوم الليل لا أنام ، ولا أجد في قلبي شيئا من العلم الذي تذكر ، وأنا أصدق به وأحبه ، فقال لـه أبو يزيد : لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلتها ما وجدت من هذا ذرة . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك ، قال : أفلهذا دواء ؟ قال : نعم قال : قل لي حتى أعلمه ، قال : لا تقبل ، قال فاذكره لي قال : اذهب الساعة إلى المزين واحلق رأسك ولحيتك !! وانزع هذا اللباس ، واتزر بعباءة ، وعلّق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً واجمع الصبيان حولك ، وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة ، وأدخل الأسواق كلها عند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل : سبحان الله ، تقول لي مثل هذا . فقال أبو يزيد : قولك سبحانه الله شرك ، قال كيف ؟ قال لأنك عظّمت نفسك . فسبحتها ، قال : هذا لا أفعله ، ولكن دلني على غيره قال : ابتدئ بهذا قبل كل شيء ، فقال: لا أطيقه، فقال: قد قلت لك أنك لا تقبل "[٣] .

(١) لم أقف له على ترجمة فيما لديَّ من مراجع.

(٢) بسطام : بالكسر ثم السكون ، بلدة كبيرة بقومس على جادّة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان ، منها أبويزيد البسطامي . انظر : معجم البلدان ١/٤٢١ .

(٣) قوت القلوب ٢/٨٦ ، والنور من كلمات أبي طيفور ص١١٢-١١٣ .

وهكـــذا فالروايات والحكايات ، حول زعم الصوفية رفع التكاليف الشرعية عنهم كـــثيرة ، تتضـــحّ من خلال تراجم ساداتهم وكبرائهم ، وهكذا تبيّن لنا كيف ادعى الصــوفية ، ســقوط التكاليف من صلاة ، وصيام ، واستباحة للمحرّمات ، بدعوى وصولهم إلى مقام اليقين المزعوم .

المطلب الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري

تجاه دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية

قال تعالى في محكم التتريل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] .

وقال عز وجل : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٢] .

هاتـــان الآيتان ، أساس متين ، وركن عظيم للحكمة من خلق الإنسان ، إذ خلقه جل وعلا ؛ لأجل عبادته وهو المكلف بأداء الشرائع ، حتى يلقى ربه ، ولا تسقط عنه الـــتكاليف بأي حال من الأحوال ، إلا بزوال عقله ، أو جنونه ، أو عند وجود عذر شـــرعي ، لا كما تزعم الصوفية ، من أن الإنسان وخاصة الصوفي ، متى ما وصل إلى مقام المعرفة ، سقطت عنه جميع التكاليف الشرعية، كما سبق بيانه .

وصـــفوة الخلق وسيد البشر ، نبينا محمد ﷺ ، لم يؤثر عنه ، إلا العبادة لله ، وهو ﷺ الـــذي قـــد قام الليل حتى تفطرت قدماه ، الشريفتان ، فلما قيل له : ألم يقل الله ســـبحانه فيك ، قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ . فماذا كان جوابه ﷺ ؟ هـــل كان جوابه : أنه قد بلغ المعرفة بالله ، فلا يكون في شغل العبادة ؟ أم كان جوابه

(١) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩٩ .

ﷺ : (أفلا أكون عبداً شكوراً)[1] .

ولكن غلاة الصوفية ، قد عمت بصائرهم ، فلم يروا بالرسول ﷺ ، ولا بالصحابة ، والتابعين ، القدوة في أداءِ عباداتهم الشرعية ، ولم يؤثر عن أحد منهم أنه استغنى عن عبادة من العبادات ، أو استحل محرماً من المحرمات ، بدعوى المعرفة أو الاستغراق فيها ، بل إن البعض منهم – رضي الله عنهم – قد يكون وجلاً ، خائفاً من عدم قبول عمله .

وعلماء السلف في القرن السادس ، ساروا على نهج الصحابة والتابعين في أداء ما أمر الله به ، والكف عما نهى عنه ، بل نراهم – رحمهم الله – يقفون في وجه المبتدعة في الدين – ومنهم غلاة الصوفية ، الذين ادّعوا لأنفسهم سقوط التكاليف عنهم ؛ حتى فنّدوا أقوالهم وحكاياتهم وأنكروها؛ مستمدين ذلك من شرع الله المطهر .

وكُفْرُ من يعتقد هذا الأمر ، ظاهرٌ بيِّنٌ ، لا يخفى على مسلم ؛ لأن إسقاط التكاليف وإباحة المحرمات، يعني مسخ دين الإسلام واقتلاعه من أساسه ، وإشاعة الإباحية الآثمة ، إلى غير ذلك من الأمور التي هي من أهداف القائلين بهذه العقيدة الفاسدة .

فالعجب كيف يظن هؤلاء المبتدعة المغرورون بأنهم قد وصلوا إلى ما لم يصل إليه الأنبياء والمرسلون ولا الملائكة المقربون ، فقد كان الأنبياء – عليهم السلام – دائمي

---

(١) والحديث عن المغيرة رضي الله عنه . صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب قيام النبي ﷺ حتى ترِم قدماه، ٢/٤٤ .

العبادة في كل حال ، يزدادون قربات إلى الله سبحانه ، حتى توفاهم الله كما هو معروف عنهم ؛ بل إن الله تعالى أمر خاتمهم وإمامهم وسيدهم محمداً ﷺ بأن يظلّ على عبادته حتى الممات فقال له: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1] .

فكان الرسول ﷺ أشد الناس عبادة لربه – وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر – حتى آخر لحظة من عمره ، وكذلك الملائكة الكرام يخبر الله عنهم في كثير من النصوص أنهم لا ينفكون عن العبادة والتسبيح له تعالى ، حتى صار ذكره سبحانه عندهم من التسبيح والتهليل هو زادهم الذي يعيشون به ، وغذاؤهم الذي يتغذون به ، قال تعالى مخبراً عنهم : ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾[2] ، فإذا لم تسقط العبادة والتكاليف عن هؤلاء الكرام – وهم صفوة الخلق عند الله وأحبهم إليه – فكيف تسقط عمن سواهم من هؤلاء المبتدعة وأمثالهم !!! .

فهذه لا شك مزاعم باطلة ودعوى شيطانية ، سوّلها إبليس لجماعة من أتباعه ومطيعيه ، واستزلّهم بها وأخرجهم من حزب الله إلى حزبه ، ومن طاعة الله إلى طاعته، ومن ولاية الله إلى ولايته .

فهذا الزعم والاعتقاد الباطل ليس من سمات المؤمنين بالله ؛ بل هو من علامات الكفار والزنادقة الملحدين ، وأنّى يكون لمن يعتقد مثل هذه الأمور إيمان وإسلام ، فهل وعى هؤلاء المبتدعة الصوفية ذلك وعادوا إلى رشدهم ؟!! .

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٢٠ .

وقـــد قال ابن قدامة – رحمه الله – في حكم من استحلّ شيئاً محرّماً : "ومن اعتقد حـــل شـــيء أجمـــع على تحريمه ، وظهر حكمه بين المسلمين ، وزالت الشبهة منه ، للنصـــوص الـــواردة فيه ، كلحم الخنزير والزنا ، وأشباه مما لا خلاف فيه، هذا مما لا خلاف فيه كفر"[(١)] .

وهذا ردٌّ بليغ على دعاوى المتصوفة إسقاط التكاليف الشرعية عنهم!

وقـــد حكم إسماعيل التيمي على من أنكر حكماً من أحكام الله بالضلال والجهالة قـــائلاً: "من تعرض لكشف ما طوى الله علمه عن خلقه، أو لم يسلم ما لم يبلغه فهمه ووهمه، وأنكر حكماً من أحكامه أو عدم الإخلاص في قلبه والسكون إلى جميع ما نطق به كتابه إنه حق وصدق، وأن ما علم من ذلك فبفضل من الله وما لم يعلمه أكثر فهو ضال جاهل"[(٢)].

وقـــال في موضـــع آخر: "قال أهل السنة من السلف: إذا طعن الرجل على الآثار ينبغي أن يتهم على الإسلام"[(٣)].

والصوفية والإسماعيلية الباطنية من جملة المذاهب المبتدعة التي أوَّلت أركان الشريعة، وجعلـــتها ظاهراً لأهل السنة والجماعة الذين أطلقوا عليهم (العامة)، وباطنياً لهم دون غيرهم وأطلقوا على أنفسهم (الخاصة أو أهل الباطن).

(١) المغني ١٣١/٨ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٣٩/٢.

(٣) ن. م ٤٥٩/٢.

ولقـد بيَّـن أبومحمد اليمني -رحمه الله- حقيقة هؤلاء جميعاً، وما ذهبوا إليه من إسـقاط التكاليف الشرعية قائلاً: "ما عرف -أيدك الله- مرادهم وتمويههم وتلبيسهم هذه المحالات لإسقاط التكليفات الشرعيات يوجدونهم أن من عرف ذلك فقد سقطت عـنه، ولهذا قال بعض من هو عارف بمقالتهم، من رأيتم من أهل هذه المقالة -يعني من أهـل السنة والجماعة- مواظباً على الصلاة حريصاً على إخراج الزكاة، ملتزماً بالصوم والحج وغير ذلك من العبادات فإنه من جملة الحمير[1] الذين لا عقول لهم غير بالغ من هـذه المقالـة، فيعتقد التكليفات...، وبين -رحمه الله- أن جملة ما ذهبوا إليه من هذه التأويلات الفاسدة كفر ظاهر ومحال شاهر"[2].

وعـندما اسـتند الصوفية بزعمهم على إسقاط التكاليف عن أوليائهم ومشايخهم وعلمائهم بقوله -تعالى- ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾[3]، وجعلوها حجة لهم عندما أرادوا باليقين باطلاً غير مراده الشرعي الذي بينه علماء السلف.

---

(١) قـال محقق كتاب عقائد الثلاث والسبعين فرقة معلقاً على لفظة "الحمير" ولا ريب أن الحمير هم الذيـن أعرضوا عن دين الله وشرعه، وسنة نبيه ﷺ وركبوا أهواءهم، بل الحمير أكرم منهم، فهم كمـا قـال -تعالى-: ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ سورة الفرقان، آية (٤٤)، وقولـه سبحانه ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ سورة الإسراء، آية (٧٢).

عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢/٦٥٤ هامش رقم (١).

(٢) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢/٦٥٣-٦٥٤.

(٣) سورة الحجر، آية (٩٩).

فقد قال البغوي -رحمه الله- في تفسير ﴿ اليَقِينُ ﴾ في قولـــه -تعالى- ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ أنه معناه الموت الموقن به[1].

ولهذا تبطل مزاعم الصوفية وفي ذلك التفسير رد كاف على هؤلاء.

ونقل أبوإسماعيل التيمي عن أبي المظفر السمعاني قولـــه في وجوب العمل والعبادة امتثالاً لأمر الله -تعالى-، فقال: "وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله -تعالى- طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً؛ لأنه خـــلقهم ليتعـــبدهم، ويمتحـــنهم، قال الله -تعالى- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

وقد نقلنا عن علي -رضي الله عنه-: أنه خلقهم ليأمرهم بالعبادة، فلو كشف لهم عن سر ما قُضِـــيَ وقدّر لهم وعليهم في عواقب أمروهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصـــير الأمـــر في العاقبة، فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط، وفي ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء"[3].

وقال ابن هبيرة -رحمه الله- في هذا الشأن: "النفس المؤمنة إن لم تكسب في إيمانها خيراً حتى طلعت الشمس من مغربها لم ينفعها ما تكسبه"[4].

(١) انظر تفسير البغوي ٣٩٧/٤.

(٢) الذاريات، آية (٥٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة ٣١/٢.

(٤) الآداب الشرعية ١٤٥/١.

والصـــوفية عندما استعاضوا عن العبادات والنوافل الشرعية بأشغال شاقة وقاسية، وضعوها من عند أنفسهم بدعوى الزهد والتعبد ؛ هم بذلك يهدفون إلى ترك العبادات الشرعية ، ففي قصة الرجل البسطامي مع أبي يزيد البسطامي مخالفات شرعية ، كالأمر بحلق اللحية[1]، وإذلال النفس أمام الصبيان في الأسواق ، وخلع الملابس ، بل الأعظم من ذلك قول أبي يزيد البسطامي للرجل : قوله سبحان الله شرك [2].

هذا ما استطعت العثور عليه من ردود لعلماء السلف على دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية.

ومـــا ســـبق يتبـــيّن بطلان دعوى غلاة الصوفية بإسقاط التكاليف من العبادات والأوامـــر والـــنواهي عنهم، ولا شك أن مثل هذه الدعاوى الباطلة ، يجد لها الإنسان أساســـاً في الديانـــات الوثنية ، وبعض المذاهب التي سبقت التصوف أو تأثر بها نتيجة الاحتكاك[3].(*)

---

(١) وهذا فيه محاربة للسنة المطهرة ، قال ﷺ : (خالفوا المشركين ، وفّروا اللِحى واحفوا الشوارب) . صـــحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر ٥٦/٧ ، والحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) انظر : ص٣٩٧ .

(٣) الزعم بإسقاط التكاليف ليس بدعاً عند الصوفية ، فقد سبقهم بذلك الرافضة ، حين نقل عن جعفر ابـــن محمـــد الباقر أنه قال : "من عرف هذا الباطن ، فقد سقط عنه عمل الظاهر ... ورفعت عنه الأغـــلال والأصـــفاد وإقامة الظاهر (الهفت الشريف للمفضل بن عمر الجعفي ، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب . ط٢ (بيروت : دار الأندلس – ١٩٧٨م) ص٤٢،٤١) .

= ومـــن هنا تأثرت الصوفية بالشيعة الغالية في هذه الفكرة ، ولقد تنبّه البيروني إلى الصلة الوثيقة بين التصـــوف الغـــالي والتصوف الهندي ، وأبانَ بأن الدعوة إلى إسقاط الظواهر التعبدية من الصلوات والتنكر لإقامة الشعائر الدينية ، وفروض العبادة ، وهو من أخص خصائص طريقة "باتنجل" الهندية الـــتي لا يعـــترف ســـالكوها بالعـــبادات بل ويحتقرون الصلوات وكل أنواع العبادات التي تنطق بالأصوات وجميع الظواهر التي تشف عن الطقوس الهندية" (تحقيق ما للهند من مقولة ص٣٤) .

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن عقيل، انظر تلبيس إبليس ص٣٧٠.

القاضي عياض في الشفا ٢/١٠٦٩، ١٠٧٣، ١٠٧٤.

والفخر الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١١٧.

وأبوالمعين النسفي في بحر الكلام، القاهرة، مطبعة فرج الله زكي الكردي-١٩١١م) ص١٠٤.

ابن الجوزي في تلبيس إبليس ٣٥٤، ٣٦٩، ٣٧٥.

الفصل الرابع

جهود علماء السلف في القرن السادس
تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية

وفيه تمهيد ومبحثان :

التمهيد : ويشتمل على تعريف الغلو والولاية لغة واصطلاحا.

المبحث الأول : الغلو في الأولياء عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية.

التمهيد

تعريف الغلو والولاية لغة واصطلاحا:

الغلو لغة:

- قال ابن فارس: "الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلوا إذا جاوز حدَّه"[1].
- ويقال غلا في الدين والأمر، يغلو غلوا: جاوز حده، وفي التتريل: ﴿**لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُم**﴾[2].
- وقال البعض: غلوت في الأمر غلواً وغلانية وغلانيا، إذا جاوزت منه الحد وأفرطت فيه.
- والغلو في الدين من باب التصلّب والتشدد في الدين والأمور، ويقال غلا غلاءً فهو غال وغلا في الأمر غلوا: جاوز حدّه[3].

(١) معجم مقاييس اللغة ٣٨٧/٤ – ٣٨٨.

(٢) سورة النساء آية ١٧١، وسورة المائدة آية ٧٧.

(٣) انظر: لسان العرب ١١٢/١٠-١١٣، والمصباح المنير ص ١٧٢، والقاموس المحيط ٣٧٣/٤.

- فالقاسم المشترك بين هذه المعاني في اللغة: أن الغلو هو التجاوز عن الحد والخروج عن القصد في كل شيء في الدين، وفي جميع الأمور، والإفراط في ذلك.

- وقال ابن تيمية رحمه الله، الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك[1].

وللغلو ضابط يعرف به، قال الشيخ سليمان بن عبد الوهّاب[2]:

- " وضابطه تعدّي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى عنه في قوله: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[3][4].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ، تحقيق وتعليق د. ناصر عبدالكريم العقل ط١(طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود) ٢٨٩/١ .

(٢) سليمان بن عبد الوهّاب: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب، من آل الشيخ فقيه ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠هـ، كان بارعا في التفسير، والحديث والفقه، له "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" قتله عساكر محمد علي باشا رميا بالرصاص سنة ١٢٣٣هـ.
(انظر: الأعلام ١٢٩/٣).

(٣) سورة طه آية ٨١.

(٤) تيسير العزيز الحميد/ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهّاب، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه، مجدي بن منصور الشوري ط١(بيروت: دار الكتب العلمية — ١٤١٦هـ) ص ٢٠.

الغلو اصطلاحا:

- عرّفه الشاطبي بأنه المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز حد الإسراف[1].
- وقال بذلك ابن حجر أيضاً[2].
- وأصل الغلاء: الارتفاع، ومجاوزة القدر في كل شيء، يقال غاليت الشيء وبالشيء، وغلوت منه غلوا، إذا جاوزت منه الحد[3].
- **والغلو نوعان:** اعتقادي وعملي، فالمراد بالغلو الاعتقادي، ما كان متعلقا بكليات الشريعة الإسلامية، وما كان متعلقا بباب العقائد، كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أما المراد بالجزئي فهو ما كان متعلقا بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة، والمراد بالعملي، ما كان متعلقا بالعمليات فهو محصور في جانب الفعل سواء، أكان قولا باللسان أم عملا بالجوارح، ومثاله: الذي يقوم

---

(١) الاعتصام ١/٢٣٦.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣/٢٧٨.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٣٨٢.

الـــليل كلـــه، يعد غاليا غلوا عمليا، والذي يعتزل مساجد المسلمين فهذا غال غلوا كليا اعتقاديا[١].

الولاية لغة واصطلاحا:

الولاية لغة:

- مصـــدر ولي يـــليه ولايـــة "إذا أدناه منه وقرب أو قام به وملك أمره ونصره وأحبّه"[٢].
- قال الفيروز آبادي "الولي" القرب والدنو والمطر بعد المطر.
- وليت الأرض بالضم. والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير.
- وولي الشيء ويليه ولاية، وتولاه أي: اتخذه وليا، "ولاية" الإمارة والسلطان[٣].
- وقال ابن منظور: الولي هو الناصر، والولاية: النصرة، فال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤] بالفتح والكسر وهي بمعنى النصرة[٥].

---

(١) انظـــر: بتوسع عن الغلو الاعتقادي والعملي: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة عبد الرحمن اللويحق ط٤(بيروت: مؤسسة الرسالة – ١٤١٧هـــ) ص ٧٠-٨٠.

(٢) لسان العرب ١٥/٤٠٧.

(٣) انظر: القاموس المحيط ٤/٤٠٤.

(٤) سورة الأنفال آية ٧٢.

(٥) انظر: لسان العرب ١٥/٤٠٠، ٤٠١.

- وقال الرازي: الولي ضد العدو والموالاة ضد الموالاة[1].
- وقـــال الشـــوكاني: "الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية، المحبة والتقرّب، كما ذكره أهل اللغة، وأصل العداوة، البغض والبعد"[2].
- والولي جمعه أولياء.

الولاية اصطلاحا :

- قـــال الشـــوكاني في تعريفه لأولياء الله "المراد بأولياء الله خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته"[3].
- وقـــال ابن حجر بأن المراد بالولي: "العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته"[4].
- وقـــال ابن تيمية: "أن الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد"[5].

---

(١) انظر: مختار الصحاح ص ٧٣٦.

(٢) قطـــر الـــولي عـــلى حديث الولي للشوكاني، تحقيق د. إبراهيم هلال (مصر: دار الكتب العلمية) ص٧٠، دون ذكر رقم الطبعة وسنة النشر.

(٣) فتح القدير ٢/٤٥٧.

(٤) فتح الباري ١١/٣٥٠.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٧.

- وقـــال رحمه الله: الولي: من الولي وهو القرب، كما أن العدو من العدو وهو البعد، فولي من والاه بالموافقة له في محبوباته، ومرضياته، وتقرّب إليه بما أمر به من طاعاته"[1].

وهكذا فإن الولاية في الاصطلاح عند أهل السنة والجماعة لا تختلف عنه في المعنى اللغوي، فهي تدور حول القرب والحب والنصرة.

ولكننا نجد لها تعريفات أخرى عند الصوفية.

فللولي عند القشيري معنيان:

أحدهما: فعيل بمعنى مفعول. وهو من يتولى الله سبحانه أمره.

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فبعبادته تجرى على التوالي من غير أن يتخللها عصيان[2].

وقـــال: "وكـــلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا... فمن شروط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً"[3].

في هذين التعريفين ، ما يفيد اشتراط العصمة للولي، وأن وجد الاختلاف في اللفظ ففي الأول ، لا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولاه برعايته.

---

(١) انظـــر: مجموعـــة الرســـائل والمسائل لابن تيمية ط١(بيروت : دار الكتب العلمية – ١٤٠٢هـــ) ٥٠/١.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٣٦٥.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٣٦٥.

والثاني: توالي عبادته من غير أن تتخللها عصيان.

وفي هـــذا التعريف مساواة الولي بالنبي في العصمة، فالولي محفوظ والنبي معصوم، وكلا اللفظين واحد في المعنى.

ولقـــد عـــرف الحكـــيم الترمذي الولي بقوله: "ولي الله رجل ثبت في مرتبته وافيا بالشـــروط، كمـــا وفى بالصدق في سيره، وبالصبر في عمل الطاعة واضطراره، فأدى الفرائض، وحفظ الحدود، ولزم المرتبة"[1].

وعـــند الجـــرجاني الولاية من (الولي)، وهو القرب، فهي قرابة حكمية حاصلة من العشق أو من الموالاة.

وهـــي قيام العبد بالحق عند الغناء عن نفسه، وفي الشرع: تنفيذ القول على الغير، شاء الغير أو أبى.

والـــولي هو العارف بصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجنث عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[2].

والـــولي عند الكاشاني: "من تولّى الحق أمره وحفظه من العصيان، و لم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال"[3].

---

(١) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص ٣٣١.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٢٩.

(٣) اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص ٧٩.

ومـــن خلال هذه التعاريف الصوفية للولي والأولياء، فإنه يتضّح أن جمهور الصوفية يطـــلقون اسم "الولي" على الصوفي الذي وصل إلى مقام القرب من الله بفضل قداسته وورعه وفنائه في محبة ربه وعصمته .

المبحث الأول

الغلو في الأولياء عند الصوفية

يرى غلاة الصوفية ، أنهم أولياء الله دون نزاع في ذلك، فقد جعلوا لشيوخهم مقاما رفيعـــا، يعتقدون فيهم القداسة والولاية والعصمة ؛ بل ربما جعلوا لبعضهم مقاما أرفع من مقام النبوة، ومقاربا لمقام الألوهية أو يكاد ذلك.

وقد نتج من ذلك ، تقديم الولاء والطاعة العمياء لمشايخهم، حتى لو أمروهم بمعصية بحجة أن الشيخ أدرى بالمصلحة. وهم يرون فيما يرون ، أنه يجب على التلميذ أو المريد حسب تعبيرهم أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل.

وسوف أستعرض بعضا من اعتقاداتهم في المسائل التي لاقت رداً وإنكاراً من علماء السلف في القرن السادس، وهي:

١ - دعوى علم الغيب.

٢ - تقديس القبور.

٣ - تفضيل الولي على النبي:

ومما يثبت دعواهم معرفة ما في الغيب ، ما قاله الحكيم الترمذي :

"إن الأوليـــاء لهم علامات وعلوم، وأما ما يعرفونه من العلوم فهي علم البدء وعلم الميـــثاق وعلم المقادير، وعلم الحروف، فهذه أصول الحكمة، وهي الحكمة العليا، وإنما

يظهر هذا العلم من كبراء الأولياء ويقبله عنهم من له حظ في الولاية"[1].

ومما يزيد ذلك وضوحا، ما نقله الكلاباذي عن أبي عبد الله الأنطاكي[2] أنه قال:

" إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في أسراركم، ويخرجون من همّكم"[3].

ودعاوي الصوفية في علم الغيب والتصرّف في الكون كثيرة جدا تطفح بها تراجم ساداتهم وكبرائهم[4].

أما نظرة الصوفية ، لقبور أوليائهم ومشايخهم، فهي قائمة على التقديس والتعظيم بالزيارة لها، والتبرّك بها والاستعانة، وتقديم النذور، والقرابين لها. ويتبيّن ذلك من خلال أقوال ساداتهم وكبرائهم.

---

(١) ختم الأولياء ص ٣٦٢.

(٢) الأنطاكي: أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي، من أقران بشر بن الحارث والسري، والمحاسبي، يطلق عليه لقب جاسوس القلوب. (انظر ترجمته: في طبقات الصوفية ص٣٣، والطبقات الكبرى ٨٣/١).

(٣) التعرّف ص ٣١. ويعني بذلك أنهم يعلمون الغيب ، وأهل الصدق بمفهوم الصوفية هم الصوفية أنفسهم ، كذا زعموا !!! .

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر: جامع كرامات الأولياء ليوسف النبهاني، تحقيق إبراهيم عوض، بيروت، المكتبة الثقافية، ١٤٠٨هـ ١٤٣/٢ ، والإنسان الكامل / عبد الكريم الجيلي (ط٤ – ١٩٨١م) ٦٤/١، وطبقات الشعراني ١٤٣/١، والرسالة القشيرية : تراجم المشايخ مشايخ الطريقة ص٦٣-١١٦، والأنوار القدسية ١٠٩/٢.

يقـــول الجنيد عن قبر معروف الكرخي: قبر معروف ترياق[1] مجرب يستسقى به ويتبرّك الناس بزيارته[2].

وقال الشعراني في ترجمة معروف الكرخي: مجاب الدعوة، يستسقى بقبره ويزار ليلا ونهاراً[3].

كمـــا يقـــول عن حياة بن قيس الحراني[4] : "وهو أحد الأربعة الذين يتصرّفون في قبورهم بأرض العراق، وكان أهل خراسان يستسقون به فيسقون"[5].

وقد يتحول الأمر عند غلاة الصوفية إلى الاستعانة بالمشايخ الصوفية أحياء وأمواتا، ولهـــم في ذلـــك قصص غريبة منها: "يروى أن أحد مريدي الشيخ محمد المعصوم كان راكـــبا عـــلى فـــرس فجفلت به فسقط على الأرض، وبقيت رجله معلّقة في الركاب وجعـــلت الفرس تعدو به حتى أيقن الهلاك، فاستغاث بحضرة القيّوم (أبي الشيخ محمد

---

(١) الترياق : دواء السموم . فارسي معرب . انظر : لسان العرب ٢/٣١ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ٦٧، طبقات الصوفية ص ٢١.

(٣) الطبقات الكبرى ١/٧٢، وانظر الرسالة ص ٦٧.

(٤) حيـــاة بـــن قيـــس الحراني من مشايخ الصوفية وأعيانهم ، صاحب كرامات ومقامات ، وهو أحد الأربعـــة الذين يزعمون أنهم يتصرفون في قبورهم بأرض العراق ، أهل حران يستسقون به . مات سنة ٥٨١هـــ .

(انظر : الطبقات الكبرى ١/١٥٣) .

(٥) الطبقات الكبرى ١/١٥٣. قلت : وهو في حياة البرزخ عاجز عن تصريف شؤون نفسه فضلاً عن تصريف شؤون غيره .

المعصوم) قال: فرأيته حضر وأوقفها وأركبني، وكذلك وقع نفس المريد في البحر، وما كان يعرف السباحة، وكاد أن يغرق، فناداه مستغيثا، فحضر وأخذ بيده وأنقذه"[١].

وكما ذكر الشعراني ، في ترجمة أبي مدين: "وولده مدين هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي[٢]... عليه قبة عظيمة وقبره يزار"[٣].

ويقول الغزالي ، مجوّزا زيارة القبور للأولياء ، من أجل التبرّك بهم ، وشد الرحال إليهم "القسم الثاني: وهو أن يسافر لأجل العبادة، إمّا الحج أو الجهاد... ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء والأولياء، وكل من تبرّك بمشاهدته في حياته يتبرّك بزيارته بعد وفاته، ويجوّز شد الرحال لهذا الغرض"[٤].

ويقول الشعراني في ترجمة الشيخ بقاء بن بطو[٥]: "وتلمذ له خلائق من الصلحاء والعلماء وقصد بالزيارات والنذورات"[٦].

---

(١) جامع كرامات الأولياء ٣٣٣/١.

(٢) عبدالقادر الدشطوطي : من أكابر الأولياء الصوفية ، كان يمشي مكشوف الرأس حافياً ، كفيف البصر ، توفي سنة نيف وثلاثين وتسعمائة . (انظر : ترجمته في الطبقات الكبرى ١٣٨/٢) .

(٣) الطبقات الكبرى ١٥٤/١.

(٤) الإحياء ٢٤٧/٢.

(٥) بقاء بن بطو أحد أعيان مشايخ العراق، وأحد رموز التصوّف بها، ذكروا في ترجمته خوارق وكرامات كثيرة - يبدوا ظاهرها أنها من صنع الصوفية - مات سنة ٥٥٣هـ تقريباً.
(انظر: الطبقات الكبرى ١٤٧/١)، وجامع كرامات الأولياء ٦٠٨/١).

(٦) الطبقات الكبرى ١٤٧/١.

وهم لا يرون في ذلك بأسا ؛ بل يؤكدون على عدم الاعتراض على من يقدم على ذلك ، يقول صاحب كتاب تنوير القلوب: "وما يفعله العامة من تقبيل أعتاب الأولياء والتابوت الذي يجعل فوقهم فلا باس به إن قصدوا بذلك التبرّك ولا ينبغي الاعتراض عليهم"[١].

وما سبق من أقوال ، تعد غيض من فيض، ونقطة في بحر من الأقوال والحكايات التي نسجها الصوفية حول زيارة القبور، وتقديسها والتبرّك بأصحابها.

ومن مزاعمهم في مساواهم بالأنبياء أن ادّعوا الشفاعة ، قال الشبلي في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٢] ، والله لا رضي محمد ﷺ وفي النار من أمته أحد، ثم قال: أن محمداً يشفع في أمته، وأشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها أحد[٣].

ولقد تدرّج هذا الغلو في مساواة الأولياء بالأنبياء حتى وصل إلى درجة رفع قدر الأولياء، فزعم الترمذي أن للأولياء منازل، فمنهم من أعطي ثلث النبوة، ومنهم من أعطي نصفها، ومنهم من له الزيادة[٤].

---

(١) تنوير القلوب ص ٥٦٧.

(٢) سورة الضحى آية ٥.

(٣) الموسوعة الصوفية للحفني ص ٢٤٠، وانظر مزاعم الغزالي في هذه المسألة: في الأربعين في أصول الدين للغزالي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي دار الآفاق الجديدة ط٣ (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة – ١٤٠٠هـ) ص٩٥.

(٤) انظر: ختم الأولياء ص ٣٤٧.

ثم بلغ بهم هذا الغلو إلى أن ادّعى الترمذي نفسه بأن من الأولياء من هو أرفع درجة من الأنبياء(١).

وأكّد البسطامي نفسه ، أفضلية الأولياء على الأنبياء بقوله :

"تا الله أن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والإنس، كلهم من النبيين"(٢).

هـذا هـو الغـلو عند الصوفية في أوليائهم: ادعاء لعلم الغيب، وتقديس للقبور، وتفضيل للأولياء على الأنبياء(*).

---

(١) انظـر: نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، محمد بن علي الترمذي ، حقّق أصوله وخرّج أحاديثه د. عبد الرحمن عميرة، ط١ (بيروت: دار الجيل – ١٤١٢هـ) ٢/٩٦..

(٢) النور من كلمات أبي طيفور ص ١٤٣. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

(*) وللاطلاع على مزيد من هذه الدعاوى والمزاعم الباطلة، انظر المصادر التالية:

- جامع كرامات الأولياء للنبهاني، تحقيق إبراهيم عوض ١/٣٣.
- الرسالة القشيرية ص١٥٤.
- الأنوا رالقدسية ٢/١٠٩.
- الطبقات الكبرى ٢/١٠٧.
- نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية لليافعي، تحقيق وتصحيح إبراهيم عطوه ط١ (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – ١٣٨١هـ) ص٣٣.
- حالة أهل الحقيقة أحمد الرفاعي، جمع أبي شجاع بن منجح الواسطي، تقديم وتعليق محمد بخيت خياطة، نشر وتوزيع مكتبة ربيع – حلب – ١٣٨٢هـ).

= - اللمحات للسهروردي، حققه وقدم لــه أميل المعلوف (بيروت: دار النهار للنشر – ١٩٦٩م) ص١٤٧-١٤٨.

- غيث المواهب العلية ١/١٩٧.

- فتوح الغيب للجيلاني، خطه ووثقه محمد سالم بواب، ط٢ (دمشق وبيروت: دار الألباب- ١٤١٣هـــ) ص١٨٦-١٨٩.

- الإنسان الكامل، عبدالكريم الجيلي _ط٤-١٩٨١م) ١/٦٤.

- الأربعين في أصول الدين للغزالي، ص١٩٥.

- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، محمد بن علي الترمذي، ٢/٩٦.

المبحث الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية

من خلال ما سبق، اتضح أن غلاة الصوفية، اتبعوا منهجا خاصاً في نظرهم لأوليائهم ومشايخهم؛ ذلك المنهج القائم على الغلو والتطرّف، فلمسنا من خلال أقوالهم وحكاياهم التي نقلها مصنّفوهم، أن رفعوا أولياءهم فوق كل مخلوق، وميّزوهم بالقدرة التي تفوق قدرة البشر.

والشريعة الإسلامية دعت إلى الوسطية في كل شيء، وحاربت الغلو والإفراط، والتفريط والتقصير، فقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[١]، قال البغوي: قال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين[٢].

كما قد نهى الله عزّ وجلّ ، عن الغلو في الدين، قال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقِّ**﴾[٣]، قال البغوي: "وأصل الغلو:

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٢) تفسير البغوي ١٥٨/١.

(٣) سورة النساء آية ١٧١.

مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام"[١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾[٢].

وقد نهى الرسول الكريم ﷺ أمّته عن الغلو، وذلك لئلاّ يقع المسلمون فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم التي بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله ﷺ غداة يوم جمعة: "هلمّ ألقط لي الحصى" فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهنّ في يده قال: "نعم بأمثال هؤلاء، وإيّاكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[٣].

ولّما كان معنى الولاية تضمن المحبة والقرب، فإن ولاية الله تعني محبته والقرب منه والتقرب إليه بما شرع، وولاية الشيطان ضدها ، فهي قرب من الشيطان ومحبته باتباع أوامر جنوده.

وكلما اقترب المرء من الله بولايته، ابتعد عن الشيطان بالإعراض عنه قال تعالى:

---

(١) تفسير البغوي ٣١٤/٢.

(٢) سورة المائدة آية ٧٧.

(٣) المسند ٢١٥/١، ٣٤٧، والنسائي، كتاب الحج، باب التقاط الحصى ٢٦٨/٥، وابن ماجة، كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي ١٠٠٨/٢ رقم الحديث (٣٠٢٩). وصححه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٧٨/٣.

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾(3).

وكلما ازدادت ولاية المرء للشيطان زاد بعده عن الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾(4).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(5).

ولا يجتمع في قلب المؤمن ولاية لله، مع ولايته للشيطان في وقت واحد.

وفرقٌ بين أولياء الرحمن أصحاب الأحوال الربانية السائرين على منهج المصطفى ﷺ، وبين الشياطين أصحاب الأحوال الشيطانية، ومنشأ كل بدعة وضلالة، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ

---

(1) سورة البقرة آية ٢٥٧.

(2) سورة المائدة آية ٥٥.

(3) سورة المائدة آية ٥١.

(4) سورة النساء آية ١١٩.

(5) سورة الأعراف آية ٢٧.

الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ..﴾[1].

وقـــد شطح المبتدعة وخاصة غلاة الصوفية، وغلوا في مشايخهم وأوليائهم، وادّعوا لهم معرفة ما في الغيب، وقدّسوا قبورهم بالزيارة والتبرّك والاستعانة بمقبوريهم.

أمّا ادعاء غلاة الصوفية علم الغيب، فلا ريب أن ذلك ادعاء باطل يصادم الشريعة الإســـلامية، لما ورد في شأن هذا المعتقد في الكتاب والسنة من قصر علم ما في الغيب على الله وحده لا شريك لـــه، واختصاصه به دون ملك مقرب ولا نبي مرسل، لذلك فمن يدّعي علم الغيب فهو مفترٍ على الله، والنصوص التي تدل على اختصاص الله بعلم الغيـــب من الكتاب مستفيضة وهي كفيلة بذاتها بالرد على غلاة الصوفية وغيرهم ممّن يدّعي علم الغيب.

فقـــد أخبرنا الله جلّ وعلا بأن مفاتيح الغيب عنده وحده سبحانه، وأنه لا يعلمها غـــيره مـــن الخلق قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ...﴾[2]، وقد أجمع المسلمون على ذلك[3].

ومن الآيات التي تدل على أن الغيب خاص بالله سبحانه، وأنه لا شريك له في ذلك قولـــه تعالى: ﴿ قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧.

(٢) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٣) انظر تفسير البغوي ٣/١٥٠.

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(١).

فهـــذه الآيـــة صريحة في حصر علم الغيب في الله وحده، ونفيه عما سواه، وهي صريحة أيضا في الرد على الصوفية وغيرهم.

فادعـــاء الكشف عن علم الغيوب ، من أعظم الكذب على الله، غير أن ذلك يعتبر عند الصوفية كرامة من أعظم الكرامات للأولياء والمشايخ.

وقـــد أنكـــر الله جلّ وعلا على من يدّعي علم الغيب بقوله تعالى: ﴿ **أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**﴾(٢). قال البغوي: أي علم ما غاب عنهم(٣).

وقال عزّ وجلّ: ﴿ **أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى**﴾(٤). قال البغوي: ما غاب عنه(٥).

وقال جلّ شأنه: ﴿ **قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ**﴾(٦).

وكذلك الرسل ، وهم أشرف خلق الله ، لا يعلمون الغيب ، ولا يدّعون ذلك، إلاّ مـــا أوحـــاه الله إليهم. قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَـــى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا**

(١) سورة النمل آية ٦٥ .

(٢) سورة الطور آية ٤١.

(٣) تفسير البغوي ٧/٣٩٣.

(٤) سورة النجم آية ٣٥.

(٥) تفسير البغوي ٧/٤١٤.

(٦) سورة الأنعام آية ٥٠.

رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾(1).

ولقد جاءت السنة النبوية باختصاص علم الغيب لله دون غيره ، فعن عائشة رضي الله عـــنها أنهـــا قالت: (من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، وهو يقول : **﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾** ومن حدثّك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: **﴿لاَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾**(2)) .

ومنها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (مفاتيح الغيب خمسة لا يعـــلمها إلا الله. لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس باي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)(3).

أمّـــا دعـــوى القـــدرة على تصريف الكون، وقد وصفت هذه القدرة بأنها أصل الكرامات ، وهذه القضية تعتبر إضافة إلى ادّعاء علم الغيب ، من أكثر الدعاوي انتشارا بين الصوفية والجواب عليها أن يقال:

إذا أعطيـــتم التصـــرّف وأنتم كثيرون مع كل واحد منكم كلمة (كن) فستنقلب

---

(1) سورة الجن آية ٢٦-٢٨.

(2) صـــحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾** ١٦٦/٨.

(3) صـــحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾** ١٦٥/٨-١٦٦.

الدنيـــا إلى فوضى؛ لأن كل واحد منكم – لو صحت مزاعمكم- سيسيّر الدنيا بوضع معـــين يصادم التسيير الذي يسير الدنيا به زميله الآخر، وعند ذلك يحصل الاضطراب، وبهذا تفسد السموات والأرض، وقد أخبر بذلك الله جلّ وعلا بقوله: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[1].

ولا ريب أن الله لو أعطى عبدا من عباده التصرّف في الكون لكان خالعا عليه صفة مـــن صـــفاته الكبرى وهي تدبير الأمر – وبذلك يكون شريكا لله في ربوبيته سبحانه وتعالى، وقد قال الله تعالى رادا على من دعا غيره: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ**﴾[2].

وهؤلاء المخرفون ، قد ادّعوا تصريف كل الكون لا ذرة واحدة!!.

ومـــع مـــا في هذه الدعوى من المصادمة التامة للإسلام والفطرة، فإن العقل يردّها ببداهـــته؛ إذ لـــو كان الأمر كما زعم هؤلاء الجهلة، لعلا بعض الأرباب على بعض، ولذهـــب كـــل واحد بقسم من الخلق تمكن من السيطرة عليه، وهذا الدليل العقلي قد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[3].

وعندما قام الصوفية بتعظيم وتقديس القبور والتبرّك بها والنذر لها، وطلب الاستغاثة

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢.

(٢) سورة سبأ آية ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون آية ٩١.

بأصحابها، وشد الرحال إليها، عظمت غيرة علماء السلف في القرن السادس على العقيدة، فوقفوا في وجه هؤلاء المبتدعة من غلاة الصوفية وردوا عليهم اعتقاداتهم المنحرفة ، وأنكروها ، مستمدين منهجهم من الشرع القويم.

فقد كان الطرطوشي يشدد على النهي عن عبادة الأشجار والتبرّك بالقبور وسؤال أصحابها الحاجات والاجتماع عند القبور واتخاذ ذلك عيداً(١).

ومما قاله : " انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها"(٢).

وحذّر ابن قدامة من النذر والذبح للأشجار والقبور والأحجار ونحوها، وهو ما يفعله غلاة المتصوّفة فقال:

" وإن نذر هدي إلى غير مكة كالمدينة أو الثغور أو يذبح لها لزمه الذبح، وإيصال ما أهداه إلى ذلك المكان وتفرقة الهدي ولحم الذبيحة على أهله؛ إلا أن يكون بذلك المكان ما لا يجوز النذر له ككنيسة أو صنم أو نحوه مما يعظّمه الكفّار أو غيرهم مما لا يجوز تعظيمه كشجرة أو قبر أو حجر أو عين ماء ونحو ذلك"(٣).

كما حذّر رحمه الله من اتخاذ السرج على القبور ؛ لما فيها من تضييع للمال في غير

---

(١) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص ٨٦.

(٢) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ٢٨.

(٣) المغني لابن قدامة ٩/١٩.

فائدة وإفراطا في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام. قال:

ولا يجـوز اتخـاذ السرج على القبور ؛ لقول النبي ﷺ: (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)[1].

ثم قال رحمه الله:

" ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعله، ولأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة، وإفراطا في تعظـيم القبور أشبه تعظيم الأصنام. ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[2].

وذهب ابن قدامة إلى عدم استحباب التمسح بحائط القبر ولا تقبيله، وهو ما يفعله المبـتدعة وغيرهـم عند قبور أوليائهم، وبيّن ابن قدامة سبب النهي في ذلك ؛ لأن فيه إفـراطا في تعظـيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام، ولان الصلاة عند القبور أشبه بتعظيم الأصـنام بالسـجود لها ، ولأن ابتداء عبادة الأصنام كانت في تعظيم الأموات باتخاذ قبورها ومسحها والصلاة عندها[3].

وبالجملـة فإن كل من دعا غير الله، أو استغاث به أو نذر لـه ؛ كأن ينذر لقبور

(١) سـنن الـترمذي، أبـواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ٢٠١/١، والحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال الترمذي حديث حسن..

(٢) صـحيح الـبخاري، كـتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ٩٠/٢-٩١ والحديث عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: المغني ٥٠٨/٢ .

الأولـــياء أو الصالحين، أو يذبح لهم أو للأشجار ونحو ذلك، ويتوكل عليهم أو يطوف بقبر نبي أو ولي، يستغيث بهم، ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلاّ الله، كأن يطلب عافية مـــن مرض أو قدوم غائب، أو يرزقه ولدا، ونحو ذلك من الأمور التي ليست في قدرة المخلـــوق أن يفعلها، فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركا بالله شركا أكبر لا يغفر الله لـــه إلا أن يتوب لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾[1].

وهكذا كان موقف علماء السلف في القرن السادس المنكر لجميع حكايات الصوفية ومزاعمهم الباطلة في الأولياء والمشايخ.

حـــتى بيّنوا أن تلك الحكايات والخرافات ما هي إلا ضرب من الخرافات تجاوزت حدود العقل والنقل .

ولو فرضنا جدلا أن هذه الحكايات والروايات ، قد دسّت على شيوخهم كما هو ديدن البعض منهم، فكيف هي تشكل عصب طرقهم، وسياج معتقداتهم؟! ومن يا ترى دسّ علـــيهم دعـــوى الكرامات، وتقديس الموتى، والقبور ، وطلب قضاء الحاجات، وشفاء المرضى، والزعم بعلم ما في الغيب، والتصرّف بالكون؟!!.

ولكـــن كمـــا قـــال تعالى في محكم التنـــزيل: ﴿ **وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾[2].(*)

(١) سورة النساء آية ٤٨.

(٢) سورة البقرة آية ٩.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

= ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٣٤١، ٣٨٤، وصيد الخاطر ص٣٠.

وابن عقيل انظر تلبيس إبليس ص٣٤٢.

وإغاثة اللهفان ١/١٩٥، والنبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، حمد بن ناصر آل معمر، تحقيق عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ط١ (الرياض: دار العاصمة — ١٤٠٩هـ) ص٥٥-٥٦، والآداب الشرعية ٢/٣٠٩-٣١٠، ٣/٣٨١، ٣٨٢.

والقاضي عياض في الشفا ٢/١٠٦٨-١٠٦٩، ١٠٧١.

وابن العربي المالكي في أحكام القرآن ٢/٢٥٥، ٢٥٩.

ولقد شابه الصوفية النصارى في تعظيم المشايخ والخوف منهم ، وتقديم أقوالهم على الكتاب والسنة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية — نور الله قبره — في معرض حديثه عن الصوفية وغلوهم في مشايخهم قائلاً : وهؤلاء — يعني الصوفية — مشابهون للنصارى الذين قال الله فيهم **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [سورة التوبة ، آية ٣١] . الفتاوى (١١/٢١١) .

الباب الثالث

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه البدع في السلوك والأحوال

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الأحوال والمقامات عند الصوفية.

الفصل الثاني: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه السماع عند الصوفية

الفصل الثالث: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه اللباس والشعار عند الصوفية.

الفصل الرابع: جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الرموز والغموض عند الصوفية.

الفصل الأول

جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الأحوال والمقامات عند الصوفية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

تمهيد : ويشتمل على تعريف الحال والمقام في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الزهد عند الصوفية.

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه التوكل عند الصوفية.

التمهيد

تعريف الحال والمقام لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف الحال لغة واصطلاحاً:

أ - تعريف الحال لغة:

- هو ما عليه الإنسان من خير أو شرّ(١).
- والحال: الزمان الحاضر، وهو لفظ يبين الهيئة التي عليها الشيء عند ملابسه الفعل لَه واقعاً منه أو عليه.
- وحـال الإنسـان: ما يختصّ به من أموره المتغيّرة الحسّية والمعنوية(٢)، وهو نهاية الماضي وبداية المستقبل(٣).

ب - الحال اصطلاحاً:

- عـرّفه الجـرجاني بقوله: "معنىً يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا

---

(١) انظـر: منحه الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٤(مصر- المكتبة التجارية الكبرى - ١٣٨٤هـ)١/٦٢٥.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ١/٢٠٩.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني ص ١١٠.

اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة"[1].

- واســتعمل الصوفية هذه الكلمة للدلالة على ما يمر بالسالك من صفات متغيّرة كالخوف والرجاء والحزن والطرب ونحوه.
- يقــول الطوســي في لمعــه: "وأمّا معنى الأحوال فهو ما يحلّ بالقلب أو تحلّ به القلوب من صفاء وكدر"[2].

ثانيا: المقام لغة واصطلاحاً:

أ - تعريف المقام لغة:

- المقام: هو موضع القيام، ويشمل الأمر الحسّي كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[3].
  - قال البغوي: مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد تصلّى إليه الأئمة[4].
  - فهذا مقام حسّي.
- وقد يراد بالمقام أمر معنوي كما في قوله تعالى: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

(١) الـتعريفات ص ١١٠، وانظـر اصـطلاحات الصوفية لابن عربي ص٩، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص ٨١، والرسالة القشيرية ص١١٩.

(٢) اللمع ص ٦٦.

(٣) سورة البقرة آية ١٢٥.

(٤) انظر: تفسير البغوي ١٤٦/١.

مَحْمُودًا﴾[1].

- قال البغوي: " وهو مقام الشفاعة لأمّته "[2].
- فهذا مقام معنوي.

ب- تعريف المقام اصطلاحاً :

- قـــال الجرجاني في تعريف المقام: " هو ما يتوصّل إليه بنوع تصرّف ويتحقّق به بضرب تطلب ومقاسات تكلّف"[3].
- ومقصود الصوفية بالمقام مرحلة من مراحل التعمّق في العبادات.
- يقول أبو السراج الطوسي: "فإن قيل ما معنى المقامات؟ يقال: معناه مقام العبد بـــين يـــدي الله عـــزّ وجلّ فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عزّ وجلّ"[4].

وبهذا فإن الصوفية استعملوا كلمة المقام بمعناها المعنوي.

وتذكـــر الروايات الصوفية أن ذا النون المصري، كان أوَّل من حدَّد معنى المقام

(١) سورة الإسراء آية ٧٩.
(٢) تفسير البغوي ١١٧/٥.
(٣) التعريفات ص ٢٨٩.
(٤) اللمع ص ٦٥.

والحال[1].

ولقد لاقت الأحوال والمقامات عند الصوفية اهتماما بالغاً؛ كيف لا؟ ومصنّفاهم لا تخلو من ذكرها والتحدّث عنها، ومن خلال ما سبق من تعريفات الصوفية للحال والمقام، نجد أن هناك فرقا بينهما؛ إذ أن المقام مكتسب، يُحصل عليه بالرياضة والمجاهدة؛ بينما الحال يوهّب ويمنح بلا اكتساب.

"فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود"[2].

أي أن الأحوال توهب للعبد من الله سبحانه، وليست من كسب العبد، أمّا المقامات، فيمكن أن يتوصّل إليها العبد ببذل جهده، وكل مرحلة من مراحل الطريق الصوفي تنتهي بعمل من أعمال القلوب، يكون نتيجة لما قبله، وسبباً لما بعده، ولا ينتقل السالك إلى مرحلة حتى يتمكن من المرحلة التي تسبقها، فالمقامات أشبه ما تكون بدرجات السلم.

ويختلف الصوفية فيما بينهم في المقامات -نوعها وعددها- اختلافاً كبيراً، فالمقامات عند أبي طالب المكي تسعة مقامات[3]. وعند الطوسي سبعة مقامات[4].

(١) انظر: الموسوعة الصوفية للحفني ص١٦٥.

(٢) الرسالة القشيرية ص١١٩.

(٣) انظر قوت القلوب ٢٠٨/١.

(٤) انظر اللمع ص٦٥.

وهي عند أبي سعيد الخرّاز عشرة مقامات، وعند ذي النون المصري سبعة مقامات[1]، وعند السهروردي عشرة مقامات[2].

كذلك نرى بعض الصوفية من لا يمكنه الفصل بين مفهوم المقام والحال، ويرى أن الحال قد يثبت ويصير مقاماً في نهاية الأمر، قال بذلك السهروردي[3]، أما عند الكلاباذي والقشيري فهي غامضة غير واضحة[4].

وفي الواقع أن المقامات والأحوال غير متفق على عددها عند القوم، وبينهما تداخل وتشابه، ومن الصعوبة بمكان التفريق بينهما؛ لأن القواعد التي وضعها الصوفية للتمييز بين المقامات والأحوال غير مضطردة.

فالصوفية يقرّرون أن المقامات لها صفة الديمومة، بينما الأحوال لها صفة التغيير المستمر.

يقول القشيري: "وصاحب المقام ممكن في مقامه، وصاحب الحال مترق عن حاله"[5].

ومع ذلك نراه يشير إلى بقاء الأحوال، وعدم زوالها فهو يقول: "فأشار قوم إلى بقاء

---

(١) انظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص١٥٢.

(٢) انظر عوارف المعارف ص٤٣٩-٤٥٣.

(٣) انظر : عوارف المعارف ص٤٢٣.

(٤) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٠١ وما بعدها، والرسالة القشيرية ص١١٨ وما بعدها.

(٥) الرسالة القشيرية ص١١٩.

الأحوال ودوامها"[1].

أمّا بالنسبة لعدم التفريق بينهما، فإن بعض الصوفية يعتبر بعض الأمور كالخوف من المقامات، كما ورد ذلك عن أبي طالب المكّي والسراج الطوسي[2].

كما اختلف الصوفية فيما بينهم في الرضا، فقوم جعلوه من المقامات، وآخرون جعلوه من الأحوال[3].

بينما اعتبر أبو نصر السراج الرضا من ضمن المقامات[4].

وللجمع بينهما، يمكن أن يقال أن الحال يكون في بدايته معنىً يطرأ ويزول فلا استقرار له، ولكنه بالتكرار قد يصير معنىً راسخاً لا يزول.

ومن هنا يمكن أن يصبح ذلك المعنى مقاما عند صاحبه في النهاية. مع أنه كان في بدايته حالا يطرأ ويزول.

وقد مثّل الصوفية لهذا بحال المراقبة الذي يطرأ ويزول مرّات عديدة عند السالك ثم يصبح مقاماً لصاحبه، وذلك حين يغلب عليه مراقبة الله في جميع أعماله وأحواله، ويتداركه الله بالمعونة، كما قال بذلك السهروردي[5].

(١) ن. م ص١١٩.
(٢) انظر: قوت القلوب ١/٢٦٢/ واللمع ص٨٩.
(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٦٤.
(٤) اللمع ص ٨٠.
(٥) انظر: عوارف المعارف ص ٤٢٣.

والمقـــام هـــنا يتطلّب استعراض الأحوال والمقامات التي لاقت استنكارا وردا من علماء السلف في القرن السادس الهجري ولعل من أهمها الزهد والتوكل.

المبحث الأول
جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه الزهد عند الصوفية

وفيه تمهيد ومطلبان:.

التمهيد : يشتمل على تعريف الزهد لغة واصطلاحا.

المطلب الأول : الزهد عند الصوفية.

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه الزهد عند الصوفية.

التمهيد

تعريف الزهد لغة واصطلاحا :

الزهد لغة :

- مصدر زهد عن الشيء أو فيه، زهدا وزهادة: مال عنه وأعرض وتركه لاحتقاره أو لتحرّجه عنه(١).

الزهد اصطلاحاً :

- في اصطلاح الصوفية، قال أبو علي الدقّاق: "الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول ابني رباطا أو أعمر مسجداً"(٢).
- وقال عبد الواحد بن زيد: "الزهد هو ترك الدنيار والدرهم"(٣).
- وقال الجنيد: "الزهد هو خلو اليد من الملك والقلب من التتبع"(٤).
- وعرّفه الجرجاني بقوله: " هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه

(١) انظر: القاموس المحيط ١/٣٠٨، والمعجم الوسيط ١/٤٠٣، ومعجم لغة الفقهاء ص٢٠٩، والمصباح المنير ص٩٨.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٩٠.

(٣) ن. م ص ١٩١.

(٤) ن. م ص ١٩١.



يدك"[1].

- وسئل الشبلي عن الزهد فقال: " لا زهد في الحقيقة لأنه إمّا أن يزهد فيما ليس له، فليس ذلك بزهد؛ أو يزهد فيما هو لَه فكيف زهد فيه وهو معه وعنده"[2].

- وقال السري السقطي: "الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا وبجميع هذه الحظوظ المالية والجاهية وحب المترلة عند الناس وحب المحمدة والثناء"[3].

من خلال ما سبق فإن مقصود الصوفية بالزهد يقوم على ترك الدنيا والإعراض عنها بالكلية.

ولكن الزهد في اصطلاح السلف يختلف عن مفهومه عند الصوفية.

يقول ابن قدامة المقدسي: "هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه" أو بمعنى آخر: "ترك الدنيا لعلمك بحقارها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة"[4].

---

(١) التعريفات ص ١٥٣.

(٢) عوارف المعارف ص ٤٤١.

(٣) عوارف المعارف ص ٤٤٢.

(٤) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، تحقيق محمد أحمد دهمان، تعليق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.
(القاهرة: دار التراث – ١٣٩٨هـ) ص ٣٢٤ بدون طبعة.

وقال الإمام ابن القيّم رحمه الله في تعريف الزهد: "أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة"(١).

ففي هذين التعريفين لعلماء السلف بيان الحقيقة لمراد الشرع بالزهد المطلوب والمشروع وهو غير مفهوم الزهد عند الصوفية الذي يقوم على الابتعاد عن الدنيا بالكلية وعدم الاهتمام بها، وهو يشتمل عندهم في مناحي الحياة.

(١) مدارج السالكين ٢/١٢.

المطلب الأول

الزهد عند الصوفية

مـــن أبـــرز الأمـــور التي تسترعي الانتباه ويدخل ضمن دائرة مقام الزهد عند الصوفية:

١ - ترك الزواج والنظر إلى وجه الأمرد.

٢ - ترك العلم.

وسوف أتناول بعض أقوالهم في هذه الأمور.

١ - ترك الزواج:

لقـــد نهج الصوفية في قضية الزواج منهجا خاصا، ابتعد فيه أئمتهم ومشايخهم عن الزواج المأمور به شرعا، ولم يكتفوا بذلك، بل نفّروا الناس عنه بشتى الأساليب، ويرون في البعد عن الزواج، وبالتالي انعدام الذرية أفضل المسالك المعينة للصوفي، وأجمع لهمه، وألـــذ لعيشه، فدعوا إلى هجر الزوجة والأولاد، وذلك زهدا في الدنيا ورجاء للوصول إلى ولاية الله – حسب زعمهم.

لـــذا نجدهـــم يعتـــبرون الزواج من الأمور التي تشغل المريد عن طاعة ربه، يقول الغـــزالي: "اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي ألا يشغل نفسه بالتزويج، فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله، شغل عن الله

ولا يغريه كثرة نكاح رسول الله ﷺ"[1]!.

كما زعموا أنه يؤدي إلى الميل إلى الدنيا.

يقول أبو سليمان الداراني: من تزوّج امرأة فقد ركن إلى الدنيا[2].

كما رأوا فيه الكسل عن الكسب:

لذا ذمّ الصوفية الزواج وقلّلوا من شأنه، يقول السهروردي، وهو يذمّ الزواج وينفّر منه: " التزويج انحطاط عن العزيمة إلى الرخص ورجوع من التزوج إلى النغص، وتقييد بالأولاد والأزواج، ودوران حول مضان الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة"[3].

ووصفوه بأنه ملذات دنيوية تناقض ما هم عليه من محاربة الهوى ونبذ اللذات والشهوات، وقد كان إبراهيم بن أدهم يقول:

" من تعوّد أفخاذ النساء لا يفلح"[4].

وتحتج الصوفية على مشروعية ترك الزواج بحديث يروونه عن رسول الله ﷺ وأنه قال: "خيركم بعد المئتين خفيف الحاذ، قيل: يا رسول الله وما خفيف الحاذ، قال: الذي

(١) الإحياء ١٠١/٣.

(٢) الإحياء ١٠١/٣، وقوت القلوب ٢٥٢/١، وعوارف المعارف ص ١٥٢.

(٣) عوارف المعارف ص ١٥١.

(٤) عوارف المعارف ص ١٥٣، وقوت القلوب ٢٧٨/٢.

لا أهل له ولا ولد"(1).

ونقل الشعراني عن بعضهم قوله: " لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب"(2)!!.

والصوفية تدعو المريد إلى التحرّز من الزواج والاشتغال بالرياضة والجوع، يقول السهروردي:

"والأولى في زماننا مجانبة التزويج، وقمع النفوس بالرياضة والجوع والسهر والسفر"(3).

ومن صور تنفيرهم للزواج أيضا قول إبراهيم بن الأدهم:

" إذا تزوّج الفقير، فمثله مثل رجل قد ركب السفينة، فإذا وُلِدَ له وَلَدٌ قد غرق"(4).

ولّما كان من شأن الزواج التناسل، رأى الصوفية في ذلك –النسل- إشغالهم عن

---

(1) عوارف المعارف ص ١٥٢، والإحياء ٢٤/٢، وانظر قوت القلوب ٢٧٩/٢.
وقال الحافظ العراقي عن هذا الحديث: أخرجه أبو يعلى من حديث حذيفة، ورواه الخطابي في العزلة من حديثه، وحديث أبي أمامة، وكلاهما ضعيف. انظر المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بهامش الإحياء ٢٤/٢.
(2) الطبقات الكبرى ٤٦/١.
(3) آداب المريدين للسهروردي، تحقيق فهيم محمد شلتوت (القاهرة–دار الوطن العربي)، ص ١١٤.
(4) اللمع ص ٢٦٥.

العبادة، وتنغيص الحياة عليهم، قال أبو سليمان الداراني:

"الـــذي يريد الولد أحمق، لا للدنيا ولا للآخرة، إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه، وإن أراد أن يتعبّد شغله"(١).

ويقول الداراني حول ذلك أيضا:

" العـــيال يضعفون يقين الرجل، إنه إذا كان وحده فجاع قنع، وإذا كان لَه عيال طلب لهم، وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين"(٢).

ويقول سهل التستري محذّرا الشباب من مغبة الزواج :

"إياكم والاستمتاع بالنساء، والميل إليهنّ، فإن النساء مبعّدات من الحكمة قريبات مـــن الشيطان، وهي مصايده وحظّه من بني آدم، فمن عطف إليهن بكلية فقد عطف على حظ الشيطان، ومن حاد عنهن يئس منه. وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من اســـترق بالنساء، وإن الشر معهنّ حيث كنّ، فإذا رأيتم في وقتكم من قد ركن إليهنّ، فيأسوا منه"(٣).

ومن زهدهم في الزواج، ذكر الطوسي أن صوفيا تزوّج امرأة، فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر!! (٤).

---

(١) الحلية ٩/٢١٤.

(٢) ن. م ٩/٢٦٠.

(٣) غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم التفزي الرندي. ١/٢٠٩.

(٤) انظر: اللمع ص ٤٦٥.

ونقل الهجويري رواية لإبراهيم الخواص أنه ذهب لزيارة صوفي، فوجده وامرأته قد غـلب عليهما الضعف من العبادة، فسألهما عن ذلك فقالا له: إنه مضى على زواجهما خمس وستين سنة لم يتماسا، لشغلهما في العبادة!! [1].

ولم يكـتف الصوفية بترك الزواج أو التنفير منه، بل لجأ البعض إلى جبّ أنفسهم وقد أشار الشعراني في طبقاته إلى ذلك[2].

وقد قيل لبشر بن الحارث أن الناس يتكلّمون فيك، فقال: ما يقولون؟ قيل: يقولون أنه تارك للسنة، يعني النكاح، فقال: قولوا لهم أنا مشغول بالفرض عن السنة!!.

ونقـل عنه قوله: ما يمنعني من ذلك إلا آية في كتاب الله تعالى قوله: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾[3][4].

وجعل القوم الزواج من العوائق التي تقف في وجه الصوفي، قال السهروردي:

" والـتجرد عـن الأزواج والأولاد أعـون على الوقت للفقير وأجمع لهمّه، وألذ لعيشـه، ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق، والتنقل في الأسفار،

---

(١) انظر: كشف المحجوب ص ٤٣٧-٤٣٨، وأيضاً النكاح عبادة!!.

(٢) انظـر: الطـبقات الكـبرى ٢/١٤١، والصوفي الذي جبّ نفسه وقطع ذكره هو عبد الرحمن المجذوب.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٨.

(٤) عوارف المعارف ص ١٥٢، وقوت القلوب ٢/٢٧٧، ٢٨١.

وركوب الأخطار، والتجرّد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا"[1].

ويحذّر المريدين من الزوج ويخوّفهم فهو يقول أيضا:
" والصوفي مبتلى بالنفس ومطالبها، وهو في شغل شاغل عن نفسه إذا انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجه يضعف طلبه وتقل إرادته وتفتر عزيمته"[2].

ومّما سبق من أقوال وحكايات تتضح نظرة الصوفية للزواج وهي محاربته ونبذه والتنفير منه زعما منهم أنه يعيق المريد عن الاشتغال بطاعة الله والوصول إلى ولايته، وما يفضي إليه من كسل في الكسب، ولركون إلى الدنيا وملذّاتها.

ولكن بعض الصوفية بعد ما تركوا الزواج وقعوا في حب النساء الأجنبيات ومصافحتهن والنظر إليهن ومصاحبة المردان والنظر إليهم؛ نظر عشق وحجّتهم في ذلك النظر والاعتبار لزيادة الإيمان.
فمن تهاونهم في ذلك قصة أبو بكر الزقّاق[3]، عندما نظر إلى جارية حسناء في البادية فقلع عينيه[4].

(١) عوارف المعارف ص ١٥١.
(٢) ن . م ص ١٥٣.
(٣) أبوبكر الزقاق: نصر بن أحمد بن نصر الزقاق الكبير، من أقران الجنيد، من كبار مشايخ صوفية مصر، لم يذكر تاريخ وفاته.
انظر: الطبقات الكبرى ١/٨٩، والرسالة القشيرية ص٩١، والحلية ١٠/٣٤٤.
(٤) انظر: الحلية ١٠/٣٤٤.

وأيضا قصة أبي يزيد البسطامي مع زوجة أحمد بن خضروية، لما أسفرت عن وجهها بحضرته(١).

وذكر الشعراني عن أحدهم " أنه إذا رأى امرأة أو أمردا راوده عن نفسه وحسَّس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس "(٢).

وذكر أيضا أن محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني أباح النظر إلى وجوه المرد وذلك بتصنيفه رسالة في إباحة السماع والنظر إلى المرد(٣).

وممّا يؤكد قيامهم بهذا السلوك إنكار القشيري عليهم عندما ذكر في سياق الحديث عن صحبة الأحداث باعتبارها آفة من آفات المريد، وقال أن من ابتلي بهذا السلوك فهو عبد مهان ومخذول وسيئ المنقلب(٤).

---

(١) انظر: النور من كلمات أبي طيفور ص ٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٣٥، والصوفي هو علي أبو خوذة.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ٢/١٢٩، وعيون التواريخ/ محمد بن شاكر الكبتي، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود.
(العراق: وزارة الإعلام – ١٣٩٧هـ) ١٢/٢٧ بدون رقم الطبعة.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص ٥٧٧.

٢- ترك العلم:

للصـــوفية مواقف من طلب العلم الشرعي، تلاحظ من خلال قراءة سريعة لأقوال أئمتهم ومشايخهم، وهذه المواقف، إما بالتنفير وتحذير الناس من طلبه، أو العمل به، أو وصـــفه بأنـــه ركون إلى الدنيا وانحطاط من الحقيقة إلى العلم، بل وصفوه بأنه آفة من آفات المريدين.

ونجـــد مـــن الصـــوفية، من يصرح بأن المتصوّفة لم يتعلموا العلم و لم يحرصوا على دراسته زهداً فيه، ويبرر بعدهم عن علوم الشريعة وميلهم إلى العلوم الكشفية.

يقـــول الغـــزالي: اعلم أن ميل أهل التصوّف إلى الإلهية دون التعليمية، ولذلك لم يتعـــلموا، و لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، بل قالوا: الطريق تقـــديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى بكـــنه الهمة، وذلك بأن يقطع الإنسان همّه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاويـــة ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همّه بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديثا ولا غيره[1].

وحـــال الصوفية مع القرآن الكريم، يقتضي عدم الاهتمام به ومحاولة صد الناس عن قراءته.

---

(١) انظر: الإحياء ١٩/٣.

فقد نقل عن الغزالي وصيته للمتصوّف بأن لا يقرن همّه بقراءة قرآن[1].

والبعض من الصوفية، آثر السماع على القرآن، بل يراه أفضل منه في بعض الحالات وأعظم تحريكا للقلب، وذكر سبعة أوجه في تعليله لذلك[2].

وقد كان لأبي سهل الصعلوكي شيخ أبي عبد الرحمن السلمي مجلس دور القرآن وختمات غداة الجمع فألغاه. وجعل بدلا منه مجلسا للقوّال[3]، ولما روى لَه تلميذه السلمي استنكار الناس لذلك، كان جواب شيخه لَه "من قال لأستاذه: لِمَ لَمْ يفلح أبداً"[4].

وهذا أبو الحسن الحصري أحد مشايخ الصوفية يقول عن نفسه: " كنت زمانا إذا قرأت القرآن لا استعيذ من الشيطان. وأقول: الشيطان حتى يحضر كلام الحق"[5].

ومن الجوانب الهامة التي تسترعي الانتباه في موقفهم من القرآن؛ كلامهم حوله بآرائهم وتفسيرهم لَه في مصنّفاهم، كلطائف الإشارات للقشيري، وتفسير الحقائق للسلمي وغيرها، ومما يوضّح ذلك على سبيل المثال احتجاج بعضهم، كالسراج الطوسي للخروج من المال والتجرّد منه بالإفساد لَه، بقوله تعالى: ﴿**فَطَفِقَ مَسْحًا**

(١) انظر: ن. م ١٩/٣.

(٢) انظر: ن. م ٣/٢٩٨-٣٠١.

(٣) القوال: هو المنشد الذي يؤدي الشعر بتلحين وحسن إيقاع. انظر: المعجم الوسيط ٩٢١/٢.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٥) طبقات الصوفية ص ١٢٠.

بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾[1].

بل إن الشبلي سمع قارئا يقرأ قوله تعالى: ﴿اخْسَؤوا فِيهَا﴾[2] — أي أهل جهنّم — فقال: " ليتني كنت واحداً منهم"[3].

وعدّ الصوفية طلب العلم الشرعي آفة من الآفات، فقد وصف أبو بكر الورّاق كتابة الحديث والاهتمام به، بأنه من الآفات التي يجب أن يبتعد عنها المريد فقال:

"آفة المريدين ثلاث: التزويج، وكتابة الحديث، والأسفار"[4].

كما اعتبر بعض الصوفية، طلب الحديث الشريف بأنه ركون إلى الدنيا، حيث قال: "إذا طلب الرجل الحديث وسافر في طلب المعاش أو تزوّج فقد ركن إلى الدنيا"[5].

وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري: نعم الرجل أنت لو لا رغبتك في الدنيا، قال: وفي ماذا رغبت؟ قالت في الحديث"[6].

ويقول أبو الفضل الأحمدي:

---

(١) سورة ص آية ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٨.

(٣) اللمع ص ٤٩٠.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٢٩٦.

(٥) الإحياء ١/٦١، ٢/٢٤، ٢٣٧-٤/٢٢٩.

(٦) الإحياء ٢/٢٣٧.

"لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة ولو كان حقًّا في نفسه"[1].

وكـــان بعض من طلب الحديث من الصوفية، يتعرّض لمضايقات أصحاب الصوفية وتحذيـــرهم إيـــاه من طلب الحديث، يقول جعفر الخلدي: "لو تركني الصوفية لجئتكم بإســـناد الدنيا. لقد مضيت إلى عبّاس الدوري وأنا حدث. فكتبت عنه مجلسا واحدا، وخرجت من عنده، فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية، فقال: إيش هذا معك؟ فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخرق، وتأخذ علم الورق، ثم خرق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي فلم أعد إلى عبّاس"[2].

ويصف الصوفية العلم بالطغيان، يقول يوسف بن الحسين الرازي[3]:

"في الدنيـــا طغيانـــان: طغيان العلم وطغيان المال، فالذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه"[4].

ويـــرى الصوفية أن اكتساب العلم بالتعلم والطلب، طريق طويل وعلمه مهما بلغ نـــاقص وقاصـــر، أمّا العلم الكامل –بزعمهم- فهو الذي يكتسبه الإنسان عن طريق

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٧٥.

(٢) تاريخ بغداد ٧/٢٢٧.

(٣) يوســـف الـــرازي: أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي، ورافق أبا سعيد في بعض أسفاره، مات سنة ٣٣٤هـــ.
(انظر ترجمته: في طبقات الصوفية ص ٤٣، والطبقات الكبرى ١/٩٠).

(٤) طبقات الصوفية ص ٤٥.

القلب بواسطة الإلهام والكشف .

يقول أبو يزيد البسطامي: "ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلا، وإنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس"[1].

وبيّن الغزالي الفرق بين علوم الشريعة وعلوم الصوفية المزعومة بقوله:

إن علومهم – أي الصوفية – تأتي من داخل القلب من الباب المفتوح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك[2].

ولم يكتف الصوفية بالإعراض عن علوم الشريعة والزهد فيها؛ بل تناولوا علماء الأمة الإسلامية، والطريقة التي نقلت بها السنة بالاستهزاء والسخرية.

فقد وصف البسطامي الطريقة التي نقلت بها السنة النبوية بأنها طريقة لا يسلكها إلاّ الضعفاء والمساكين، وصرّح بأن الصوفية يأخذون علمهم من الله مباشرة، يقول إبراهيم بن سبته:

"حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلانا لقي فلانا، وأخذ من علمه، وكتب منه الكثير، وفلانا لقي فلانا، فقال أبو يزيد:

---

(١) الإحياء ٣/٢٤، أي عن طريق الإلهام المزعوم.

(٢) انظر: الإحياء ٣/٢١.

"مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميّت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"(١).

وهذا السراج الطوسي يهاجم الفقهاء؛ لأن علمهم أقرب إلى حظوظ النفس، وأن علومهم قد يحتاج إليها في العمر مرّة، وعلوم الصوفية يحتاج إليها دائما(٢).

ومـــن أقـــوال ساداتهم بطلب ترك العلم والتحذير منه، ما نقل عن الجنيد أنه كان يقـــول: "المـــريد الصـــادق غني عن علم العلماء. فإذا أراد الله بالمريد خيرا، أوقفه إلى الصوفية، ومنعه صحبة القرّاء"(٣).

وقد قال الشبلي مقلّلاً من شأن علوم الشريعة:

إذا خاطبوني بعلم الورق   برزت لهم بعلم الخرق(٤).

ممـــا سبق بيانه من أقوال يتضح موقف المتصوّفة من العلم والشريعة وعلمائها القائم على محاربته والزهد فيه، والنيل من علماء الأمة؛ وهو ما يشكل صورة من صور الزهد المزعوم عندهم.

---

(١) انظـــر: الفتوحات المكية ١/٢٨٠، والنور من كلمات أبي طيفور ص ١٠٠، أي أخذوا علومهم سلفاً عن سلف ويقصد بذلك أهل السنة والجماعة، أما الصوفية فأخذوه مباشرة من الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(٢) انظر: اللمع ص ٣٦.

(٣) الطبقات الكبرى ١/٨٥، أي علماء الشريعة.

(٤) انظـــر: متصوّفة بغداد/ عزيز السيد جاسم ط٢ (بيروت : المركز الثقافي –١٩٩٧م) ص ٢٠٠، وعلم الخرق يختص بعلوم الصوفية المبتدعة القائمة على الكشف والإلهام.

المطلب الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري

تجاه الزهد عند الصوفية

بعد ما عرضت أقوال وروايات الصوفية، فيما يتعلّق بالزهد ومجالاته عندهم، التي تطرقنا لها؛ كنظرتهم للزواج، ومصاحبتهم للمردان، وتركهم للعلم ومحاربته والنيل من العلوم الشرعية.

نجد في الواقع مخالفتها الصريحة لمبادئ الإسلام الحنيف وتعاليمه السمحة؛ حيث أباح الزواج ورغّب فيه، وحث على طلب العلم وأثنى على أهله.

وفي هذا المطلب نتناول جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على بعض حالات الزهد، التي سبق وأن فهمنا مراد الصوفية فيها، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قيّض لدينه في كل زمان من يذب عنه، ولما عظمت شطحات بعض المتصوّفة في مفهوم الزهد وأخذ بعدا خطيرا عن مفهومه في الإسلام، وجّه علماء السلف في القرن السادس نقدهم وإنكارهم لما عليه الفكر الصوفي بشكل عام ولبعض غلاة المتصوّفة بشكل خاص.

فـــإذا مـــا نظرنا إلى مسالة الزواج ومظاهر الزهد الصوفي فيه، نجد مخالفته الصريحة لتعالـــيم الإســـلام، فـــإن من المعلوم من الدين بالضرورة مشروعية النكاح في الكتاب والسنة.

فقد أمرنا المولى جل وعلا بهذا الأمر، قال تعالى: ﴿... **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا**﴾[1].

ولأهمية النكاح في الإسلام، فقد جاءت الآية الكريمة بصيغة الأمر. فهلا وعى بعض المتصوفة تلك الأهمية؟!.

وجاءت السنة النبوية حاثّة على أمر الزواج، ومرغّبة فيه، ومحذّرة من مغبة الإعراض والصد عنه، لما فيه من الضرر على الفرد والمجتمع والأمة.

قـــال الرســـول الكريم ﷺ مخاطبا الشباب: (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه لَه وجاء**) [2].

(١) سورة النساء آية ٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ٦/١١٧.

وقد أبان الفقهاء من علماء السلف وغيرهم في القرن السادس حكم النكاح.

ومن هؤلاء ابن قدامة المقدسي رحمه الله الذي قال: " والناس في النكاح على ثلاثة أضرب: منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك إعفاء نفسه وصونها عن الحرام وطريقه النكاح.

الثاني: من يستحب لَه وهو من لَه شهوة يأمن معها الوقوع في محظور فهذا الاشتغال به أولى من التخلي لنوافل العبادة وهو قول أصحاب الرأي وهو ظاهر قول الصحابة رضي الله عنهم وفعلهم قال عبد الله بن مسعود: لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام وأعلم أني أموت في آخرها يوما ولي طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة.

وقال ابن عبّاس لسعيد بن جبير: تزوّج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً. وقال إبراهيم بن ميسرة: قال لي طاووس لتنكحنّ أو لأقولنّ لك ما قال عمر لأبي الزوائد ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور.

قال أحمد في رواية المروذي: ليست العزبة من أمر الإسلام في شيء.

وقال: من دعاك إلى غير التزويج، فقد دعاك إلى غير الإسلام، ولو تزوّج بشر فقد تم أمره.

الثالث: من لا شهوة لـه، إمّا لأنه لم يخلق لَه شهوة، كالعنّين، أو كانت لَه شهوة فذهبت بكبر أو مرض، ونحوه ففيه وجهان:

أحدهما: أنه يستحب لَه النكاح لعموم الأدلّة المتقدّمة الآمرة بالزواج.

الثاني: التخلّي عن النكاح أفضل لأنه لا يحصل مصالح النكاح ويمنع زوجته من

التحصين ويضر بها بحبسها على نفسه، ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه، والأخبار تحمل على من لَه شهوة كما فيها من القرائن الدالة عليها"(١).

وذهب المازري(٢) في حكم النكاح إلى وجوبه في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به وتحريمه في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مع عدم قدرته عليه وتوقانه إليه، والكراهة في حق مثل هذا حيث لا إضرار بالزوجة، وإن انقطع بذلك عن شيء من أفعال الطاعة من عبادة أو اشتغال بالعلم اشتدت الكراهة(٣).

---

(١) المغني ٦/٤٤٦-٤٤٨.

(٢) المازري: أبوعبدالله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، ولد سنة ٤٤٣هـ حسن الخلق، قلمه أبلغ من لسانه، إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب، وأحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث، فاضلاً متفنناً، إمام مجتهد، من تصانيفه: المعلم بفوائد مسلم، الكشف والإنباء على المترجم بالأحياء (وهو غير موجود)، لـه ميول أشعرية توفي سنة ٥٣٦هـ بالمهدية.
انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٤/٢٨٥، السير ٢٠/١٠٤، المعلم بفوائد مسلم لأبي عبدالله محمد بن علي المازري، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر ط٢/ بيروت: دار الغرب الإسلامي – ١٩٩٢م) ١/٧٤، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٦٦٤، الديباج المذهب مع معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي أبوالنور (القاهرة: مكتبة دار التراث) ٢/٣٥١، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروف برحلة الورتلاني للحسن بن محمد الورتيلاني ط٢ (بيروت: دار الكتب العربي – ١٣٩٤هـ) ص٤٢٩ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقرئ التلمساني، الناشر: صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة) ٣/١٦٥، ١٦٦، الإمام المازري، حسن عبدالوهاب (تونس: دار الكتب الشرقية) ص٤٩، ٥٠.

(٣) انظر: المعلم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي المازري تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر ط٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي– ١٩٩٢م) ٢/٨٥، وفتح الباري ٩/١٣، ونيل الأوطار ٦/٥١٣.

وقـــال القاضـــي عياض[1] في حكم النكاح: "النكاح مندوب في حق كل من يرجى منه النســـل، ولـــو لم يكن لَه في الوطء شهوة، وكذا في حق من لَه رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء، وأما من لا نسل له ولاَ أرب لَه في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت، وهو واجب في حق من لاَ ينكف عن الزنا إلاّ به"[2].

هذا فيما يتعلق بحكم النكاح في الشريعة الإسلامية.

ولكن عندما أعرض بعض الصوفية عن الزواج زهدا فيه، وزعما أنه شاغل لهم عن طاعة الله وعبادته وعائق للوصول إلى ولاية الله، ووقعوا في بدعة الاختصاء والنظر إلى وجوه المرد.

أنكـــر عـــليهم علماء السلف في القرن السادس مزاعمهم الباطلة، وردوها بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة.

فقـــد أنكر علماء السلف على من يقدم على الاختصاء، واستدلوا بذلك بالحديث الـــذي رواه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أنه قال: قلت يا رسول الله ﷺ إني رجل

(١) القاضي عياض: أبوالفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـــ، من أهل العلم والتفنن والذكاء والفطنة والفهم، إمام أهل الحديـــث في وقـــته، لــــه ميول أشعرية في الصفات. من تصانيفه: الشفا، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ترتيب المدارك وتعريب المسالك، توفي سنة ٥٤٤هـــ.

انظـــر: المعجـــم في أصـــحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار (القاهرة: دار الكتاب العربي-١٣٨٧هـــ)، ص٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨ والتعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد، تقديم وتحقيق د. محمد بن شريفة، ط٢(المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٢هـــ) ص٢.

القاضـــي عيـــاض ومنهجه في العقيدة (رسالة دكتوراه، إعداد غسان أحمد عبدالرحمن، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة)ص٧٢٦.

والغـــنية ص٣٨٤، السـير ٢١٤/٢٠، الديباج المذهب ٤٩/٢، الصلة ٤٥٣/٢، النجوم الزاهرة ٢٨٤/٥، بغية الملتمس ص٣٨٤.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢٢/٤.

شـــاب وأخـــاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء؟ كأنه يستأذنه في الاختصاء، قال: فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك. فقال النبي ﷺ: « **يا أبا هريرة جفّ القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذر** »[1].

قـــال ابـــن هـــبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث من الفقه: أن رسول الله ﷺ لما سأل أبوهريرة عن عجزه عن النكاح لعدم الطول، أمسك عنه ﷺ مرة، ثم مرة، ثم مرة، كل واحدة منهن كافية في الانزجار عن أن يراجع رسول الله ﷺ في ذلك بالإشارة إلى الاختصاء، إذ لبس ما يمنع النكاح، فإن الله -تعالى- يقول: ﴿ **إِن يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾[2].

ولا يحل لفقير يجد في نفسه شهوة النكاح أن يفزع من ذلك إلى الاختصاء، ولا أن يردد ذكـــر ذلـــك على قلبه، فلما كرر أبوهريرة ذلك قال رسول الله ﷺ في الثالثة ما لا أراه إلا مجـــرد إنكـــار في توعد، وهو قولـــه: جفّ القلم بما هو كائن، من أنه من كتب شقياً فقد كـــتب، ومن كتب سعيداً فقد كتب، فاختص على ذلك أو ذر، وهذا نطق يفصح بالوعيد والتهديد، ليكون ذلك زجراً لـــه ولغيره من بعده، وليس إذناً في الاختصاء"[3].

وهذا فيه رد على بعض الصوفية الذين أقدموا على هذه العادة البدعية، وفي الحديث الـــذي رواه الـــبخاري عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: "لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لـــه لاختصينا"[4].

قال ابن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله ﷺ ردَّ التبتل

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء ١١٩/٦.

(٢) سورة النور، آية (٣٢).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٩٠/٧-٢٩١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء ١١٨/٦-١١٩.

وهو الانقطاع عن الناس والنساء[1]، والبتول، المنقطعة الشبه والمثل، وإنما رد رسول الله التبتل على عثمان بن مظعون لأنه من الرهبانية التي لم تكتب علينا، والتبتل الذي رده رسول الله ﷺ على ابن مظعون لا يسوغ لغيره استعماله، اللهم إلا أن لا يجد الإنسان نكاحاً فليستعفف مترقباً أن يغنيه الله من فضله، ويوجد له الطول للنكاح أو رجل لا تتوق نفسه إلى النساء أصلاً".

وقوله: (لو أذن له لاختصينا): أي أنه ﷺ حسم برده تبتل ابن مظعون ما كان كل منا يتبع منه خواطره، وأنه كان يفضي ذلك إلى ما ذكره من حيث المبالغة، لا أنهم كانوا يستجيزون ذلك، لأن الاختصاء عدوان محض، فلا يفعله أصحاب رسول الله ﷺ أبداً"[2].

ففي ذلك حث على الزواج ونهي عن الرهبنة والاختصاء الذي جعلته الصوفية من عاداتها البدعية.

أمّا النظر إلى المردان ومصاحبتهم الذي صار من سلوكيات بعض الصوفية بدعوى النظر والاعتبار والاستدلال على وجود الله فقد لاقى ذلك ردودا حازمة من علماء السلف في القرن السادس.

فردَّ الطرطوشي على الصوفية مزاعمهم في جواز النظر إلى المرد بحجة زيادة الإيمان قائلاً : "هذه الطائفة تضيف إلى ما هي فيه من الباطل استحضار المرد في مجالسهم، والنظر في وجوههم، وربما زيّنوهم بالحلي والمصبغات من الثياب، وتزعم أنها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع.

ومن باب إلجام الخصم بأقوال أهله، نقل الطرطوشي رد بعض أئمة الصوفية على

(١) وهو ما سلكه الصوفية بدعوى الزهد!!.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/٣٣٥.

غلاهم في هذه المسألة قائلا:

" قال .. القشيري.. وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما في الرد عليهم وكشف فضائحهم وقال: "ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته، وأبدى سوأته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل"[(١)].

وقال الواسطي وهو من كبار الصوفية: " إذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف"[(٢)].

وكذلك ردَّ الطرطوشي دعوى الصوفية أن النظر إلى الأمرد يستدل به لزيادة الإيمان قائلا: وأما قولهم " أنهم يستدلون بالصنعة على الصانع" فنهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم .

ثم عضد رده عليهم بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية[(٣)].

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ص ٥٧٧.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٧٧.

(٣) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهارس عبد المجيد تركي ط١(بيروت: دار الغرب الإسلامي – ١٩٩٧م) ص ٢٥٣-٢٥٤، ٢٦١-٢٦٢.

وجرح الحافظ محمد بن ناصر عدالة محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي، عندما أجاز النظر إلى المرد بقوله: إنه ممّن لا يحتج به، فقد صنّف كتابا في جواز النظر إلى المرد أورد فيه حكاية يحيى بن معين، أنه قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل لــه: تصلي عليها؟! قال: صلى الله عليها وعلى كل مليح، ثم قال ابن ناصر رحمه الله: كان ابن طاهر هذا يذهب مذهب الإباحية، يعني في النظر إلى الملاح[١].

وحذّر علماء السلف من هؤلاء القوم الذين يجيزون لأنفسهم النظر إلى المردان وإلى النساء الأجنبيات؛ وبيّنوا أنهم على ضلال.

فقد نقل القاضي أبوالحسين بن الفراء عن البربهاري إنكاره على هؤلاء الجهلة بقوله: "واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ويخلو مع النساء، فإن هؤلاء كلهم على ضلالة"[٢].

هذا ما استطعت العثور عليه من جهود لعلماء السلف في القرن السادس التي أنكرت على الصوفية المبتدعة نظرهم للزواج وإباحتهم النظر إلى المحرمات من النساء الأجانب والمردان.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بغض الأبصار عن كل ما هو سبب للفتنة سواء كــان امرأة أو شابا أو أمردا، يخاف من النظر عليه الوقوع في الفتنة قال تعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾[٤].

وكــل دعوة للعزوبة هي دعوة لإفساد حكمة الله تعالى التي ارتضاها لعباده وجعل

(١) انظــر: تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٥٠٥هـــ، ص ١٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/٣٦٤، وتلبيس إبليس ص ١٦٥-١٦٦.
(٢) طبقات الحنابلة ٢/٢٩.
(٣) سورة النور آية ٣٠.
(٤) سورة النور آية ٣١.

مـــن الزواج سكنا للنفس وسبيلا إلى الرحمة والمـــــودة ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

وقال عزّ من قائل: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(٢).

وفي الحقيقة التي لا مراء فيها أن سلوك بعض الصوفية من خلال أقوالهم التي تفضي إلى تـــرك الـــزواج ومحاربته والإعراض عنه، وإباحتهم لمصاحبة النساء الأجانب والنظر إلـــيهن وإلى المردان؛ مسألة خطيرة للغاية، ويظهر منها دعوة خفية خبيثة للقضاء على النســـل وإشاعة الشذوذ بين الناس، حتى إذا تحققت هذه الدعاوي يصبح انتشار الرذيلة الخلقـــية، وتفشـــي ظاهرة الزنا والممارسات الجنسية الشاذة في المجتمع أمر حتمي يهدم بنـــيانه، ويصبح مجتمعها متهتكا متهالكا هزيلا تفشى فيه الرذائل والفواحش والأمراض والأوبـــئة ممـــا يفضي إلى ضعف كيان الأمة وتفكك أفرادها حتى تصبح لقمة سائغة لأعدائها الحاقدين الذين يتربصون بها الدوائر.

فهل وعى الصوفية ودعاة الاختلاط والحرية هذه المآسي وأدركوا خطرها على الأمة؟!!.

ومـــن مظاهر الزهد الممقوت عند بعض الصوفية ترك طلب العلم ومحاربته والتحذير منه، وفي الحقيقة إن كل انحرافات الصوفية بسبب إعراضهم عن العلم؛ حتى خفت نوره بين ظهرانيهم.

---

(١) سورة الروم آية ٢١.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

وأوائل الصوفية من الزهاد والعباد كان لهم نصيب وافر من العلم كالجنيد، والمحاسبي، والشبلي وغيرهم؛ لكن التيار الأكبر أو أكثر المتأخرين كانوا ممن تكاسل عن طلب العلم ورضي بالجهل ولم يكتف بذلك؛ بل بحث عن الحجج الواهية لتبرير قعودهم عن طلب العلم كما سبق وأن بينا ذلك في أقوالهم ورواياتهم.

ولقد نتج عن نظرتهم الخاطئة إلى العلم أن تركوه، ونفّروا الناس من طلبه، وذموا علمائه، ودفنوا كتب العلم؛ كل ذلك بسبب جهلهم وقلة علمهم.

وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد رفع الله سبحانه من شأن العلم والعلماء. قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾[2]، قال البغوي: "الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم"[3]. وقال سبحانه: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾[4].

بيّن جل وعلا أن أكثر الخلق خشية له هم العلماء. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[5]، قال البغوي، قال مسروق "كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهلاً"[6].

(١) سورة الزمر آية ٩.
(٢) سورة المجادلة آية ١١.
(٣) تفسير البغوي ٥٨/٨.
(٤) سورة آلة عمران آية ١٨
(٥) سورة فاطر آية ٢٨.
(٦) تفسير البغوي ٤١٩/٦

وفي الحديث الشريف "العلماء هم ورثة الأنبياء"[1].

وعندما قال الصوفية عن أهل السنة والجماعة: مساكين أخذتم علمكم ميت عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت[2].

بين أبوالقاسم التيمي الصواب وفي ذلك رد على المتصوفة، فهو يقول: "... فكذلك يجب أن يرجع في معرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أهل النقل والرواية لأنهم عنوا بهذا الشأن واشتغلوا بحفظه، والتفحص عنه ونقله، ولولاهم لاندرس علم النبي ﷺ، و لم يقف أحد على سنته وطريقته.

وقال عن أهل البدع: إن كل فريق من المبتدعة إنما يدعي أن الذي يعتقده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ لأنهم كلهم مدّعون شريعة الإسلام ملتزمون في الظاهر شعائرها، يرون أن ما جاء به محمد ﷺ غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم يأذن

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ٢٥/١، ومسند الإمام أحمد ١٩٦/٥، والحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) انظر ص٤٥٩.

بـه الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسـول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله، غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مـع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن إلى أن انـتهوا إلى الـتابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الديـن المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفـرق فطلبوا الدين لا بطريقة لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين مـن قبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة، عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يسـتقم في مـيزان عقولهم ردّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون"[1].

وبـين شـرف الإسلام الشيرازي فضل العلم ومقام أهله في قولـه: "وأهل العلم والمعرفة لزموا محكم الكتاب والسنة والعلم، و لم يحدثوا من رأيهم بدعة، و لم يتكلفوا ما لم يُكلَّفوا علمه، فيعملون بمحكم الكتاب والسنة ، ويؤمنون بالمتشابه من ذلك، ويقفون عـندما اخـتلف فيه أهل الجهل والعماية فيه، ولذلك صاروا أهل المعرفة لأنهم لزموا الأصل من الكتاب والسنة وتركوا ما اختلف فيه أهل الزيغ والزلل والرأي والقياس، ثم دعوا الخلق إلى الله -تعالى-، وإلى طريقه المستقيم بالموعظة الحسنة والحجة البالغة....

---

(١) الحجة في بيان المحجة ص٢٣٦-٢٣٨.

قال مجاهد وعطاء: "هؤلاء هم الفقهاء والعلماء"...، وهم أهل البحث والنظر الذين عملوا بشرط الكتاب والسنة، ولم يتجاوزوا إلى غيرهما فكلما نزلت نازلة من غير السنة، أو أحدث حدث من بدعة رجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وقابلوه بهما، فما وجدوا فيهما أثبتوها وما لم يجدوا فيهما تركوها. فأولئك أهل الاستنباط والمعرفة، فهم من خالصته وليس ذلك لغيرهم من أهل الجهل الضالين الذين يضلون أنفسهم بغير علم"[1].

وفيما سبق من كلام الشيرازي رحمه الله رد على الصوفية عندما أهملوا العلم الشرعي وقللوا من شأنه وشأن أهله واعتمدوا على آرائهم وخواطرهم وأذواقهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومما قاله أبوالقاسم التيمي -رحمه الله- في ذم أهل البدع والأهواء الذين أعرضوا عن طلب العلم – ومنهم الصوفية: "ثم رأينا قوماً انسلخوا من حفظها ومعرفتها – الكتاب والسنة – وتنكبوا عن اتباع صحيحها وشهيرها؛ وطعنوا فيها وفيمن أخذ بها، وزهدوا الناس في حقها ونشرها، وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال[2]، ولقبوهم أقبح الألقاب[3]، ...، فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة، والشواهد القائمة، أن هؤلاء الراغبين فيها وفي جمعها وحفظها واتباعها، أولى بها وأحق من سائر الفرق الذين تنكبوا أكثرها، وهي التي تحكم على أهل الأهواء بالأهواء؛ لأن الاتباع: هو الأخذ بسنة رسول الله ﷺ التي صحت عنه، والخضوع لها، والتسليم لأمر رسول الله ﷺ، ووجدنا أهل

(١) الرسالة الواضحة ٢/٦٤٤-٦٤٧.

(٢) كقولهم (أهل الظاهر).

(٣) كقولهم (العامة).

الأهواء الذين استندوا بالآراء والمعقولات بمعزل عن ذلك، فهذه سمة ظاهرة، وعلامة بينة، تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل البدع والأهواء في تركها والعدول عنها، ولا تحتاج لذلك إلى شاهد أبين من هذا، ولا إلى دليل أضوأ من هذا"[(١)].

وعلى سبيل الإنكار؛ فقد نقل القاضي أبوالحسين بن الفراء عن بعض أهل العلم كلامه عن أهل الأهواء والبدع؛ الذين ما فتئوا يسعون للوقيعة في أهل السنة، وذلك بإطلاق أشنع الأسماء والألقاب عليهم فقال: "وقد رأيت لأهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك عيبهم، والطعن عليهم، والوقيعة فيهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهّال" [(٢)].

ولا شك أن المتصوفة تنكبوا عن اتباع الكتاب والسنة وزهدوا فيهما، بل طعنوا فيمن أخذ بهما ولقبوهم بالعامة وسموا أنفسهم بالخاصة.

فالتهوين من شأن العلم وأهله جهل صرف، ومصادمة بيّنة لما في الكتاب والسنة. قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[(٣)].

ومما سبق يتبين بطلان مفهوم الصوفية للزواج وتركهم لطلب العلم الشرعي مما جعلهم يقعون في انحرافات وبدع في هذه المسائل التي رغّب فيها الإسلام ولا تستقيم الحياة بدونها[(*)].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) طبقات الحنابلة ٣٧/١ وهذا كلام أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخري، أبوالعباس الفارسي.

(٣) سورة الزمر، آية ٩.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:
ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٢٩٤.
ابن عقيل، انظر الآداب الشرعية ٢٢٨/٣.
وابن العربي المالكي في العواصم من القواصم ص٣٠.
والقاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٣٣/٤.
والحافظ محمد بن عبدالله العامري في أحكام النظر إلى المحرمات، تقديم وتعليق وتخريج مشهور حسن سلمان، ط٢ (بيروت: دار ابن حزم- ١٤١٨هـ) ص٨١-٨٣.

المبحث الثاني
جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري
تجاه التوكل عند الصوفية

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد : يشتمل على تعريف التوكل لغة واصطلاحا.

المطلب الأول : التوكل عند الصوفية.

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه التوكل عند الصوفية.

التمهيد

تعريف التوكل لغة واصطلاحا :

- التوكّل لغة :

- قال ابن منظور: "المتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده ولا يتوكّل على غيره"[١].
- وقال ابن الأثير: "يقال توكّل بالأمر إذا ضمن القيام به، وكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه ووكل فلان فلانا، إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه".
- وقال أيضا: "وكل" في أسماء الله تعالى (الوكيل) هو القيّم الكفيل بأرزاق العباد وحقيقة أنه مستقل بأمر الموكل إليه".
- ثم قال رحمه الله: "وقد تكرر ذكر التوكّل في الحديث ومنه حديث.
- (من توكل لي ما بين لحييه ورجليه توكلت لَه بالجنة)[٢]، وقيل هو

(١) لسان العرب ١٥/٣٨٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش ٨/٢٠.

بمعنى تكفل[1].

- والتوكّل بهذه المعاني هو اللجوء إلى الله تعالى وتفويض الأمر إليه سبحانه دون سواه.

- التوكّل اصطلاحاً :

للصوفية فيه تعاريف عدّة.

- فلقد عرّفه السري السقطي بقوله: "التوكّل: الانخلاع عن الحول والقوّة"[2].
- وعرّفه الجرجاني بأنه "هو الثقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي الناس"[3].
- وقال ذو النون المصري: التوكّل "ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوّة"[4].
- وقال أيضا عند ما سأله رجل، ما التوكّل؟ فقال: " خلع الأرباب وقطع الأسباب"[5].

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/٢٢١.

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١١٨.

(٣) التعريفات ص ٩٧.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٢٣٩، واللمع ص ٧٨.

(٥) ن. م ص ٢٤٠، والمقدمة في التصوّف وحقيقته ، لأبي عبدالرحمن السلمي ، تحقيق وتعليق د. حسين أمين (بغداد – دار القادسية للطباعة – ١٤٠٣هـ) ص ٢٨، والإحياء ٤/٢٦٤.

- وقال إبراهيم الخواص: التوكّل هو أن لا يركن القلب إلى مال ولا تجارة ولا لسبب ولا لمخلوق"[1].
- وهذا في نظري من أوضح التعاريف عند الصوفية للتوكّل، ويبيّن حقيقته الفعلية عندهم.

بهذه التعاريف عند الصوفية يكون مفهوم التوكّل الحقيقي عندهم، هو ترك القيام بأي سبب يحصل الإنسان من ورائه على رزقه.

ولكن حقيقة التوكّل الشرعي يأخذ معنىً عند السلف غير معناه عند الصوفية.

فلقد عرفه ابن رجب رحمه الله بقوله: "هو صدق اعتماد القلب على الله عزّ وجلّ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها وكلة الأمور كلها إليه بتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"[2].

وقال ابن حجر "المراد بالتوكّل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3].

وليس المراد ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه التوكّل"[4].

(١) المقدّمة في التصوف وحقيقته للسلمي ص ٢٩.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٤٠٩.

(٣) سورة هود آية ٦.

(٤) فتح الباري ٣١٢/١١.

وذكــر النووي أنه "حدة الثقة بالله تعالى والإيمان بأن قضاءه نافذ واتباع سنة نبيه ﷺ في الســعي فيما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحرّز من العدد كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين"(١).

ومن خلال هذه التعريفات الاصطلاحية يلاحظ أن من شرط التوكّل عند الصوفية الإعراض عن الأسباب.

ولكن تعريفات السلف تقتضي عمل الأسباب المقدور عليها.

وهذا هو مقتضى الشرع الذي يقوم على اعتماد الإنسان على الله، وتفويض الأمور إليــه كلها والاعتقاد الجازم بأنه لا مالك ولا نافع ولا ضار غير الله سبحانه وتعالى مع القيــام بعمــل الأسباب المقدور عليها من السعي في كسب الرزق الحلال واستعمال الدواء الذي جعله الله سببا للشفاء.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٠٣/١-٦٠٤.

المطلب الأول

التوكل عند الصوفية

إن مقـــام التوكّل بمفهومه الصوفي يتجسد من خلال أقوال أئمة ومشايخ وسادات الصوفية؛ الذين فهموا التوكّل على الله على أنه الإعراض كلية عن القيام بأي سبب من الأسباب.

وهذه عبارات القوم التي توضّح مرادهم الحقيقي بالتوكّل .

قال أبو سعيد الخراز:

"كـــنت في البادية، فنالني جوع شديد، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاما، فقلت ليس هذا من فعل المتوكّلين"[(١)].

وقـــال أبو سليمان الداراني: " لو توكّلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان، ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص"[(٢)].

ونقـــل عن ذي النون المصري، أنه قال: سافرت سنين وما صحّ لي التوكّل إلاّ وقتا واحـــدا ركبت البحر، فكسر المركب، فتعلقت بخشبة من خشب المركب، فقالت لي

---

(١) الـــتعرّف ص ١٧٧، والإحيـــاء ٤/٧٤-٢٧٥، بـــل هـــذا هو عين اعتقاد المؤمنين المتوكلين لا الإعراض عن سؤال الله ومناجاته.

(٢) الحلية ٩/٢٥٦.

نفســي إنّ حكم الله عليك بالغرق، فما تنفعك هذه الخشبة، فخليت الخشبة، فطفت على الماء فوقعت على الساحل[1].

ويعــني الــتوكّل عند القوم أن لا يكون للعبد أي نوع من التصرّف بحيث يصبح كالآلة.

يقــول ســهل التستري: "أوّل مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عزّ وجلّ كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء، لا يكون لَه حركة ولا تدبير"[2].

وهذا أيضا من أوضح الأدلة على مفهوم ومقصود الصوفية بالتوكل؛ لذلك زهدوا في هذه الدنيا وصرفوا أذهانهم عن الكسب والسعي للرزق.

وبلــغ بالقوم عدم التمييز بين الجنة والنار وصولا إلى التوكّل المزعوم، فذكر الغزالي أن بعضــهم، قــال لأبي يزيد البسطامي: ما التوكّل؟ فقال: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصــحابنا يقولــون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرّك لذلك سرّك. فقــال أبو يزيد: نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة ينعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكّل"[3].

وأحســن دليل على هذه العقيدة وما تجسدت فيه من تصرّف عند القوم، ما رواه الهجويــري من أن درويشا وقع في دجلة فرآه رجل وأدرك أنه لا يعرف السباحة فقال

(١) تلبيس إبليس ص ٢٧٨.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٢٣٨ وعوارف المعارف ص ٤٥٠.

(٣) الإحياء ٤/٢٦٤، والرسالة القشيرية ص ٢٣٧-٢٣٨.

له: أتريد أن أرسل إليك من ينقذك؟ فقال: لا، فقال لَه الرجل: أفتريد أن تغرق؟ فقال لا. فقال لَه فأي شيء تريد؟ فقال: أي شيء أريد؟ أريد ما يريده الله لي[1].

وثمة قول لأحدهم ينفي فعل الأسباب عن التوكل، فيقول أبو عبد الله القرشي[2] عن التوكّل: "التوكّل: التعلق بالله في كل حال، فقال سائل: زدني، فقال: ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك"[3].

وقال إبراهيم الخواص: " كنت في طريق مكة فرأيت شيخا وحشيا، فقلت: جني أو إنسي فقال: جنّي. فقلت إلى أين؟ فقال: إلى مكّة. فقلت: بلا زاد؟ فقال: نعم فينا أيضا من يسافر على التوكّل"[4].

وقال أبو حمزة: "إني لأستحي من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا شبعان، وقد اعتقدت التوكّل، لئلاّ يكون سعى على الشبع زادا تزوده"[5].

وعلى هذا المفهوم للتوكّل عند الصوفية، فقد وقع القوم في التسوّل والتكفف لأموال الناس في المساجد والطرقات العامّة.

---

(١) انظر: كشف المحجوب ص ٤٦٠.

(٢) القرشي: أبوعبدالله القرشي، من أجل المشايخ الصوفية، وأعلاهم قدراً عندهم، يعظم الفقراء الصوفية أشد التعظيم، لم يذكر الشعراني تاريخ وفاته. انظر الطبقات الكبرى ١/١٥٩.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٤٠.

(٤) ن. م ص ٢٤١.

(٥) ن. م ص ٢٤٢.

فقد قيل لحذيفة المرعشي[1] وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم وصحبة " ما أعجب مـــا رأيت فيه؟ قال: بقينا في طريق مكة حرسها الله تعالى أياما لم نجد طعاما، ثم دخلنا الكوفـــة فأوينا إلى مسجد ضراب فنظر إلي إبراهيم بن أدهم وقال: يا حذيفة أرى بك الجـــوع، فقلت: ما هو رأي الشيخ؟ فقال: علي بدواة وقرطاسة، فجئت بهما، فكتب بســـم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى أنا حامد وأنا شـــاكر وأنا ذاكر أنا جائع، أنا ضائع أنا عار، ثم دفع إليه الرقعة فقال: اخرج ولا تعلق قلـــبك بغير الله، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك. قال: فخرجت فأول من لقيني رجل كـــان على بغلة فدفعتها إليه، فأخذها وبكى، وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت هو في المسجد الفلاني، فدفع إليّ صرة فيها ستمائة دينار، ثم لقيت رجلا آخر. فقلت: مـــن صاحب هذه البغلة؟ فقال: نصراني، فجئت إلى إبراهيم بن أدهم، وأخبرته بالقصة فقال: لا تمسّها، فإنه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة وافى النصراني وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم"[2].

والشـــاهد في هـــذه القصة أن إبراهيم بن أدهم ومريده خرجا بدون زاد فأصابهما الجوع، فاضطرا إلى سؤال الناس لقمة العيش.

وقصـــة أخرى لأحَدهم توضّح لجوئهم إلى سؤال الناس نتيجة خروجهم بدون زاد

(١) المرعشي: حذيفة بن قتادة المرعشي، صحب الثوري، توفي سنة سبع ومائتين. انظر الطبقات الكبرى ١/ ٦٢، وصفة الصفوة ٤/ ٢٦٨.

(٢) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ص ٥١٠، والرسالة القشيرية ص ٢٤٦.

وعلى التوكّل المزعوم.

فقد روى القشيري عن أبي نصر الصوفي أنه قال:

" خـــرجت مـــن البحر بعمان وقد آثر فيّ الجوع، فكنت أمرّ في السوق، فبلغت حانوت حلاوي، فرأيت منه حملانا مشوية وحلواء، فتعلقت برجل وقلت: اشتر لي من هذه الأشياء. فقال: لماذا؟ ألك علي شيء أو عندي دين؟ فقلت: لا بد أن تشتري من هـــذا. فرآني رجل فقال: خله يا فتى إن الذي يجب عليه أن يشتري لك ما تريد أنا، لا هو. اقترح عليّ واحكم بما تريد، ثم اشترى لي ما رأيت"[(١)].

ومـــن أهـــم المسائل التي يركز عليها الصوفية في قضية التوكّل مسألة الكسب، ذلك أن الصوفية يمنعون الكسب، على اعتبار أنه ينافي التوكّل. يقول محمد بن أحمد بن سالم البصري[(٢)]:

"... فمـــن أطـــاق التوكّل فالكسب غير مباح لَه بحال... ومن ضعف عن حال التوكّل... أبيح لَه طلب المعاش للكسب"[(٣)].

وهذا فيه دلالة واضحة على أن التوكّل عند القوم مرتبة عالية.

أمّا الكسب عندهم فهو حال الضعفاء الذين لم يبلغوا رتبة التوكّل!.

فقد قال ذو النون المصري لصاحب لَه يستعمل الملح المدقوق: "لست تفلح".

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٩٨.

(٢) محمد بن سالم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصري، صاحب سهل التستري. (انظر: (طبقات الصوفية ص ١٠١، والطبقات الكبرى ١/١١٦، والحلية ١٠/٣٧٨)).

(٣) طبقات الصوفية ١٠١، وانظر: الطبقات الكبرى ١/١١٦، والحلية ١٠/٣٧٨.

وقـــال أبو تراب النخشبي حين رأى صوفياً مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام، فقال لَه لا يصلح لك التصوّف الزم السوق[1].

وقال أبو علي الروذباري: "إذا قال الصوفي بعد خمسة أيّام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالعمل والكسب"[2].

وقال يوسف بن الحسن الرازي: "إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء"[3].

والخلاصـــة الـــتي نخـــرج بها من خلال ما سبق من أقوال وتصوّرات للتوكّل عند الصوفية أن من شروط المتوكّل على الله أن تتوفر فيه الأمور التالية:

١ - البعد عن القيام بأي سبب كان يحصل الإنسان من جرائه على الرزق الذي يعف به نفسه عن سؤال الناس.

٢ - التجرّد من المال الذي يشكل عصب الحياة وعدم ادخاره.

٣ - عدم التداوي وعدم اللجوء لفعل الأسباب عند التعرّض للأخطار والمهالك.

٤ - هـــذا التصوّر والمفهوم للتوكّل عند الصوفية أوقع المتصوّفة في مهنة التسوّل والتكفف لسد رمق الجوع.

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ص ٢٤٣.

(٢) انظر: ن. م ص ٢١٥، ٢٤٣.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٩٦.

المطلب الثاني
جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري
تجاه التوكل عند الصوفية

التوكل على الله مقام جليل عظيم القدر، أمر الله سبحانه عباده به وحثّهم عليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم. كيف لا! وهو سفينة نجاة المؤمن، حيث ضمن سبحانه لمن يتوكل عليه كفايته همه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1].

وقد جعل الله التوكّل سببا لنيل محبّته سبحانه، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

وجعله سبحانه شرطا للإيمان به قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

وأمر جل وعلا بالتوكّل عليه قال عز من قائل: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾[4].

(١) سورة الطلاق آية ٣.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٣) سورة المائدة آية ٢٣.

(٤) سورة هود آية ١٢٣.

ومكانـــة التوكّل في الإسلام رفيعة، وهو من أجلّ العبادات التي يجب إخلاصها لله تعـــالى دون سواه، وهو فريضة يجب إخلاصها لله تعالى، فهو من أجمع أنواع العبادات وأعظمهـــا شأناً، ذلك لأن الاعتماد على الله في جميع أمور الدين والدنيا، يثمر صحة الإخـــلاص والمعاملة مع الله، ومنزلة التوكل في الإسلام كمنزلة الرأس من الجسد، وهو من العلامات الدالة على قوة الإيمان.

يقـــول ابـــن القيّم رحمه الله: "... فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحســـان ولجميع أعمال الإسلام، وإن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته إلا على ساق التوكّل والله أعلم"[1].

وقـــد أمـــر الرسول الكريم ﷺ بمباشرة الأسباب المقدور عليها ثم التوكّل على الله سبحانه بعد أن يعمل الإنسان الأمور اللازمة.

فقـــد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ وترك ناقته بـــباب المســـجد، فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال: أطلقتها وتوكلت على الله، قال: "اعقلها وتوكّل"[2].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين/ ابن القيّم الجوزية/ حقق نصوصه وخرّجه، يوسف علي بدوي ط١(دمشق-بيروت: دار ابن الكثير - ١٤١٤هـ) ص ٤٦٤.

(٢) انظر: سنن الترمذي، باب صفة الجنة ٤/٧٧، رقم الحديث (٢٦٣٦) بنحوه، وقال الترمذي هذا حديث غريب.

فهذا الحديث فيه دلالة عظيمة على أن مباشرة الأسباب مطلوبة شرعا وان فعلها لا ينافي مقتضى التوكل على الله.

ولكننا أمام ما وقفنا عليه من معتقد الصوفية في قضية التوكل على الله عرفنا مرادهم الخاطئ له، حيث توصلنا إلى أن التوكل على الله عند القوم، يلزم منه قطع القيام بفعل أي سبب، والتجرد الكامل من الأملاك، وعدم الادخار، حتى يصبح الإنسان كالميت بين يدي الغاسل لا حركة له ولا تدبير.

وإذا ما عرضنا هذا المعتقد على ميزان الشرع (الكتاب والسنة) نجده حتما معتقدا باطلا بعيدا كل البعد عن المفهوم الشرعي للتوكل عند السلف الصالح، ذلك أن السلف الصالح لم يفهموا عن التوكّل على الله ما فهمه الصوفية، بل كانوا من أشدّ المتوكّلين على الله سبحانه في كل أمر صغر أم كبر. فمنهجهم في ذلك قوله تعالى : **﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**(1).

ولم ينقل عن أحد من السلف الصالح رحمهم الله تعالى أن دعا إلى عدم القيام بأي عمل اعتمادا على التوكّل؛ لأن التوكل على الله والقيام بفعل الأسباب ليسا متناقضين، كما هو زعم الصوفية؛ بل الواجب على المسلم التوكل على الله حق التوكل، وتفويض الأمور والنتائج على الله سبحانه، أمّا أن يقعد الإنسان في زاويته ورباطه أو مسجده بدعوى التوكل ولا يقوم بأي عمل من الأعمال، فهذا مفهوم خاطئ للتوكّل، وهذا

(1) سورة الأنعام آية ١٦٣.

تواكل في الحقيقة ليس توكلاً

وأمام خرافات بعض الصوفية وادعاءاتهم في هذا المعتقد الخطير، قرر علماء السلف في القرن السادس عقيدة التوكل كما جاءت بها الشريعة وبينوا أنه لا يجوز الركون إلى الدنيا، وكذلك لا يجوز إبطال الأعمال فيها لأنه داخل في عمل الأسباب.

وقد نقل إسماعيل التيمي -رحمه الله- قول أبوالمظفر السمعاني الذي بين حقيقة التوكل ولزوم عمل الأسباب بقوله: "فقد دعا الله الخلق إلى الوحدانية والأقدار معاً: فالتوحيد لوحدانيته، والتقدير لربوبيته وقدرته، وهو التقدير والإذن.

وكذلك قالوا: كما لا يجوز الركون إلى الدنيا، كذلك لا يجوز إبطالها حتى يكتسب بها النظر إلى التقدير والإذن.

فالأبدان كلها مضطرة إلى الأسباب أبداً، وذلك في أهل السماوات والأرض. اضطرهم الله جميعاً إلى الأسباب وإن تفاوتت وجوهها في قلتها وكثرتها وزيادتها ونقصانها.

وأما القلوب، فإنها مضطرة إلى مسبب الأسباب وحده، أما ترى أن أهل الدنيا اضطروا إلى الأسباب من الأمكنة والأغذية، واللباس وسائر ما يرجع إلى معاشهم، فهذه لأبدانهم، واضطرت القلوب إلى أن الله -تعالى- وحده خالق الدنيا ومالكها.

وإن الأسباب عاملة بإذن الله، فما أذن الله -تعالى- لشيء كان من غير سبب وإذا لم يأذن للسبب لم يعمل فالنار بإذنه تحرق فإذا أذن لها أن تمتنع من الإحراق امتنعت

كما أذن لنار إبراهيم -عليه السلام- [(١)].

والمــاء بإذنه يُغرق، فإذا أذن لــه يمتنع من الإغراق امتنع كما أذن لــه في إغراق فرعون وقومه ومنعه من إغراق موسى وقومه[(٢)]، وكما أطعم مريم -عليها السلام- من غير سبب قال الله -تعالى- ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[(٣)].

وقــد تحبس الثمار أن تخرج من الأشجار في كثير من الأوقات قال الله -تعالــى- ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾[(٤)]، إلا أن القلب إذا مال إلى الأسباب وُكِلَ إليها بقدر ميله إليها، وفقد من معونة الله وتأييده على قدر ذلك.

فكمــا أن العــبد لا تعمل جارحة من جوارحه وركن من أركانه من حركة أو ســكون أو قبض أو بسط إلا بالروح كذلك لا يعمل بسبب من الأسباب من نفع أو ضــر إلا بــالقدر والإذن من الله تعال طامحة إلى الجوارح لظهورها؛ كذلك الأسباب ظاهرة معلومة عند الناس والأقدار باطنة، والناس يبصرون الأسباب لأعينهم بارزة، ولا يبصرون الأقدار لأنها عند الله غائبة ولا قيام للأسباب إلا بالأقدار، كما لا قيام للأبدان

(١) قال الله -تعالى- ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَمَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء، آية ٦٩.

(٢) قال الله -تعالى- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة، آية ٥٠.

(٣) سورة آل عمران، آية ٣٧.

(٤) البقرة، آية ١٥٥.

إلا بـــالأرواح، فالأسباب ظاهرة للأبصار رؤية وعياناً، والأقدار ظاهرة للقلوب معرفة وإيماناً فهذه حقيقة شأن الأسباب والأقدار"(١).

وفي هـــذا الكـــلام تقريـــر لعقيدة التوكل ودعوة صريحة للإيمان بالأقدار، والعلم بالأسباب وعدم الركون إلى الدنيا والتواكل وهو ما تدعو لـــه الصوفية بدعوى التوكل الزائفة.

وضـــرب إسماعيل التيمي -رحمه الله- مثالاً عن واقع الناس الذين آمنوا بالأسباب ومســـبباتها بقوله: "فترى الناس على اختلاف طبقاتهم من الآراء والنحل يفزعون عند حـــدوث الأمراض إلى الطب والتداوي، ويتعللون به، ويستأنسون إليه، فإذا لم ينجح العـــلاج، وأعياهم الأمر قالوا: قدر الله ومشيئته، وسلموا للقضاء وأعدوا بأيديهم، و لم يـــلوموا طبيـــباً و لم يعيـــبوا دواءً، ومن خالفهم في هذا المذهب، و لم يأخذ بالحزم و لم يســـتعمل العـــلاج كـــان عند أكثرهم ملوماً معاتباً، فترى الناس يفزعون إلى الأدوية والمعالجات، والأقدار من الله جارية في الآجال والأمراض والصحة، ولا مزيد عليها ولا نقصـــان، ولا مـــتأخر عنها ولا متقدم، كذلك أمور الآخرة مقضية مقدرة مقسومة، والأعمـــال مـــن العباد في أسبابها الظاهرة جارية، والأوامر والنواهي فيها ثابتة والوعد والوعيد والثواب والعقاب منها عامل، وما قضاه الله وقدره من ذلك فلا مزيد عليه ولا

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٥١-٥٤.

نقصان، ولا متأخر عنها ولا متقدم، وعلى هذا تجري أمور العوذة والدعاء"[1].

وبيَّن -رحمه الله- أن الله خلق الخلق لعبادته وأنه سبحانه لم يكشف للعباد ما قضاه وقـدره لحكمـة أرادها سبحانه حتى لا يفتنوا، ويتكاسلوا عن العمل ويتكلون قال: "وجمـاع هذا الباب أن يعلم أن الله -تعالى- طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عـباده، فلم يطلع عليه نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم، ويمتحنهم، قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، فلو كشف لهم عن سر ما قضي وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على قصير الأمر في العاقبة فيكون قصارهم عند ذلك أمن وقنوط"[3].

وفي الحقيقة أن الصوفية افتتنوا في أنفسهم وأصابهم الغرور نتيجة جهلهم ففتروا عن العمل والكسب، وتواكلوا حتى أصابهم الكسل والعجز واللجوء إلى التكفف والسؤال زاعمين أنهم متكلة؛ والتوكل منهم براء.

كذلـك عدَّ علماء السلف من يعرض نفسه من الصوفية وغيرهم للخطر ولا يعمل بالأسباب -زاعماً التوكل- عاصياً لله.

قال ابن هبيرة -رحمه الله- في ذلك: "وكذلك لو ترك تارك جَرْحَه يسيل دمه، فلم

(١) ن. م ٢/٥٦.

(٢) الذاريات، آية ٥٦.

(٣) ن، م ٢/٣١.

يعصبه حتى سال منه الدم فمات، كان عاصياً لله -تعالى-، قاتلاً لنفسه، ولا حجة له في هذا"[1].

وفي ذلك رد على الصوفية الذين يمشون حفاة في الصحاري والبراري، ويعرضون أنفسهم للأذى[2] بدعوى الزهد والاتكال على الله!.

وفي الحديث الذي رواه أبوهريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: « **من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيها، خالداً مخلداً فيها أبداً...** »[3].

قال ابن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث ما يدل على أن نفس المرء ليست له، وإنما هي وديعة عنده لله سبحانه، فإذا فرط في وديعته منها كان ذلك من أقبح الخيانة.

وقوله (ومن تردى من جبل)، ربما جاء الشيطان فأوهم بعض العباد أنك قد بلغت من التوكل إلى أن تلقي نفسك من شاهق فلا يضرك، فحرام عليه أن يتبع الشيطان في ذلك، فإن هو خالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ واتبع الشيطان؛ فقد أخبره رسول الله ﷺ بما له من عذاب الآخرة"[4].

وهذا فيه ردٌّ على الصوفية الذي غلوا في الزهد وعرضوا أنفسهم للأخطار وعذبوا

---

(١) الآداب الشرعية ٢/٣٣٤.

(٢) انظر على سبيل المثال: الرسالة القشيرية ص٢٣٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث ٧/٣٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٣٤٤.

أجسادهم بدعوى التوكل والإعراض عن الأسباب التي شرعها الله جل وعلا.

ولقد أمرنا الله بكتابه العزيز بأخذ الحيطة والحذر من الوقوع في المهالك قال -تعالى-: ﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1] .

قال البغوي -رحمه الله- في تفسير الآية: "أي لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي ولا تأخذوا في ذلك، وقيل: التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه"[2].

وقد بين علماء السلف أن من مقتضيات الإيمان بالله، إخلاص التوكل على الله مع عمل الأسباب.

قال ابن هبيرة -رحمه الله-: "ولما كان من مقتضيات الإيمان، أن يتوكل المؤمن على من آمن به، في أنه إذا استعانه؛ أو استنصر به، أو اعتمد عليه، فإنه سبحانه وتعالى كافيه كل ذلك، فهذا يكون مع العبد في كونه يستعمل الأسباب، ومنها بمعنى إخلاص التوكل؛ لأن الأسباب تكون معه صورة؛ وهو معتمد على خالقها، فيخلص له التوكل في سره، ويخلص له أيضاً من أن يفسده الناظرون إليه بالتشنيع فيه إلا أنه إذا أراد الله منه في حالة ما لا عن تقصد منه؛ أن يتحول بينه وبين الأسباب فليتثبت حينئذ مع الله -عز وجل-، فإنه لم يذهب عنه إلا الشواغل، فكان ذلك من لباب لباب

(١) سورة البقرة، آية ١٩٥.

(٢) تفسير البغوي ٢١٥/١.

الإيمان"(١).

هذا هو مفهوم التوكل على الله عند السلف: اعتماد على الله وحده وتفويض الأمر لله سبحانه والاستعانة به مع الأخذ بالأسباب المأمور بها واعتقاد أنها لا تجلب بذاتها نفعاً ولا ضراً.

وفي التوكل على الله تتحقق الطمأنينة وسكون النفس والسعادة في الدارين كيف لا! وسيد المتوكلين ﷺ أمره الله أن يقول: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢)(*).

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٤٠٤-٤٠٥.

(٢) الزمر، آية ٣٨.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٢٧٨.

وابن عقيل، انظر تلبيس إبليس ص٢٨٥.

والقاضي عياض، انظر إكمال المعلم ١/٦٠٣، ٦٠٤.

وابن عساكر، انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، تهذيب وترتيب عبدالقادر بدران ط٣ (بيروت: دار إحساء التراث العربي ١٤٠٧هـ) ١/٤٢٠.

الفصل الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس

تجاه السماع عند الصوفية

وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد : ويشتمل على تعريف السماع لغة واصطلاحا.

المبحث الأول : السماع عند الصوفية .

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه السماع عند الصوفية .

التمهيد

تعريف السماع لغة واصطلاحا :

- السماع لغة:

- قال ابن منظور: هو الغناء، وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما التذذت به الأذن من صوت حسن سماع[1].

- وقال الجوهري: السماع مصدر قوله سمعت الشيء سمعا وسماعا[2].

- السماع اصطلاحا:

- عرّفه الصوفية بأنه "وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق"[3].

- وحكى القشيري عن بعض الصوفية قوله في تعريف السماع: "بروق تلمع ثم

---

(١) انظر: لسان العرب ٦/٣٦٥.

(٢) انظر: الصحاح ص ٣١٤.

(٣) اللمع ص ٣٤٢، الرسالة القشيرية ص ٥٠٣، الإحياء ٢/٢٩٢.

تخمد، وأنوار تبدو ثم تخفى"(١).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه "الحديث والكلام الذي هو سنة الله عزّ وجلّ مع العلماء والخواص من الأولياء والأبدال والأعيان الذين وقفوا مع القول والأبيات والأشعار التي تثير انطباع وتهيج العشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح"(٢).

وللسماع تعريف شرعي عند السلف، فابن تيمية رحمه الله يجعل السماع الشرعي هو سماع القرآن، فيقول: "فإن الله سبحانه شرع للأمة ما أغناهم به بما لم يشرعه.. وهو سماع القرآن الذي شرعه لهم في الصلاة التي هي عماد دينهم، وفي غير الصلاة مجتمعين ومنفردين"(٣).

وهذا هو السماع الذي ينبغي للمسلم أن يتعاهده ويشتغل به لا السماع عند الصوفية، الذي هو بمعنى الغناء والطرب وما يفضي إليه من رقص وصياح وصعق...الخ.

وهو ما سنقف عليه من خلال أقوال مشايخهم وساداتهم.

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٢٥.

(٢) الغنية ٢/١٨٠.

(٣) الاستقامة ١/٣٠٢.

المبحث الأول

السماع عند الصوفية

يُعدّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر في التصوّف، ولا يخلو مصنف من مصنفات القوم من ذكره والتشفي به، فكثرت فيه أقوال شيوخ الصوفية وإباحته، وقد عدّه بعضهم سمة من سمات الصوفي.

فقد سئل أبو الحسن النوري عن الصوفي، فقال: "من سمع السماع، وآثر الأسباب"(١).

والمتأمّل في أحوال بعض المشايخ الصوفية، يتضح له أن السماع دخل التصوّف في وقت مبكر، إذ هيئت حلقات الذكر بيئة مناسبة لنشوء هذا السماع، ولئن كان الذكر الصوفي في بداية الأمر يمارس بشكل فردي، فإنه لم يلبث أن أصبح يمارس بشكل جماعي تردد فيه الأناشيد الدينية ترديدا موزونا أشبه مايكون بترنمات النصارى داخل الكنيسة، ومع مرور الزمن استبدلت هذه الأبيات بالأشعار الغزلية التي أخذ القوّالون ينشدونها في حلقات السماع ويحضرها المشايخ حتى تشكّلَ السماع بمفهومه المقيّد الذي كان من إفرازاته الصياح والبكاء والصعق والزعّق والتصفيق والرقص وتمزيق الثياب.

---

(١) اللمع ص ٣٤٣.

ولـــئن أطلق السماع عند الصوفية، فإن المقصود به السماع المقيد بالنغم لا مطلق السماع. يقول ابن عربي:

"الســـماع المقيّد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله: وهو الذي يريدونه غالبا بالسماع المطلق"(١).

والسماع عند الصوفية قسمان:

أحدهما: سماع القرآن.

الثاني: سماع الأشعار والقصائد "الغناء".

يقول القشيري: "السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع في العين يبكي، وما يقع إلى اللســـان يصـــيح، ومـــا يقـــع إلى اليد تمزّق الثياب، وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص"(٢).

ونقل السهروردي عن بعض المشايخ الصوفية قوله: رأينا جماعة ممّن يمشي على الماء والهواء يستمعون السماع ويجدون به ويتولهون عنده. وقال بعضهم: كنا على الساحل فســـمع بعض إخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر ويجيء حتى رجع إلى مكانه، ونقل أن بعـــض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع، فأخذ شمعه فجعلها في عينه، قال الناقل:

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ٢/٣٦٧.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٢٥.



قــربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينيه يرد نار الشمعة، وحكى عن بعضــهم أنــه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرعا يمر ويجيء منه"[(١)].

ومــن إفــرازات ومــتولدات السماع وآثاره على الصوفية، أن يلجأ أحدهم عند السماع إلى تقطيع وتمزيق ثيابه، ويرون في ذلك جوازا ويحتجون بذلك بقوله تعالــى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾[(٢)].

ومــن تــلك الإفــرازات والمتولدات تواجدهم محتجين بقصة رووها عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه عندما سمع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٣)] صاح صيحة، ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام[(٤)].

واحتج الصوفية على جواز التواجد والحركة أثناء السماع مما روى عن أنس رضي الله عــنه قــال: "كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ، فقــال: هــل منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد

(١) عوارف المعارف ص ١٧٠-١٧١.

(٢) سورة ص آية ٣٣.

(٣) سورة الحجر آية ٤٣.

(٤) انظر: اللمع ص ١٨٥.

الأعرابي:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا، أوى كل واحد منهم إلى مكانه. قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية، ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ على من حضر بأربعمائة قطعة)[1].

وحكي عن ذي النون المصري، أنه لما دخل بغداد، فدخل عليه جماعة معهم قوّال، فاستأذنوا أن يقول شيئا، فأذن لهم، فأنشد يقول:

صغير هواك عذّبني فكيف به إذا احتنكا

أما تنظر لمكتئب إذا ضحك الخليُّ بكى

وإن جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبينه ولا يقع على

(١) عوارف المعارف ص ١٨٩، وانظر رد هذا الاحتجاج ص٢٤١.

الأرض، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾[1]، فجلس الرجل[2].

والسماع عند الصوفية بلغ درجة قدسية رفيعة، فقد عدّوا مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة، واعتقدوا أن السماع من الدين، وهو عبادة من العبادات التي يتقرّبون بها عند الله.

فهذا الجنيد يقول: " تنزل الرحمة على الفقراء -الصوفية- في ثلاث مواطن، وعدّ منها السماع لأن القوم -بزعمه- لا يسمعون إلا عن حق"[3].

وهذا محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي يقول: "... فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء، قد اجتمعوا للسماع، وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم، وما كان كذلك فهو دين معروف"[4].

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٨.

(٢) انظر: آداب المريدين للسهروردي ص ١٠٦-١٠٧، والرسالة القشيرية ص ٥١٩، واللمع ص ٢٤٦، ٣٦٢، والإحياء ٢/٢٩٤، وعوارف المعارف ص ١٦٥.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٠٩، واللمع ص ٣٤٣، والإحياء ٢/٢٧٠.

(٤) صفوة التصوّف لابن طاهر المقدسي نقلا عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د. عبد الله الطريقي، ط١(١٤١١هـ) ص ١٥٩، ولم أجد كلام ابن طاهر في صفوة التصوّف.

ومــن هــنا جعــل الصوفية السماع من العلوم الخاصة التي استأثر الله بها. يقول التستري: "السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمها إلا هو"[(١)].

ولقــد حــاول الصــوفية إضفاء القدسية على هذا النوع من السماع من خلال حكايات وروايات مزعومة ومنها ما روى عن ممشاد الدينوري الذي قال: "رأيت النبي ﷺ في الــنوم، فقــلت لــه: يا رسول الله، هل تنكر من هذا السماع شيئا؟ فقال: ما أنكر منه شيئا، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختتمون بعده بالقرآن"[(٢)].

ونقــل الغــزالي كما نقل غيره عن بعض مشايخ الصوفية قوله: "رأيت أبا العباس الخضر -عليه السلام- فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟

فقال لــه: الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام الفقهاء"[(٣)].

كمــا حاول الصوفية تسخير بعض الآيات القرآنية وتطويعها للاحتجاج بها على جواز وإباحة الرقص والسماع.

ومنها على سبيل المثال:

قوــله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٥١٩.

(٢) الإحياء ٢/٢٧٠، وانظر: عوارف المعارف ص ١٦٥.

(٣) الإحياء ٢/٢٧٠، وانظر: قوت القلوب ٢/٧١، وآداب المريدين ص ١٠٤.

خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١]،[٢].

واحتجوا على جواز الطرب والرقص، بقوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[٣].

واحتجوا على تقطيع الثياب وتحريقها وتمزيقها بقوله تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾[٤]،[٥].

وأجاز لهم ذلك الهجويري، وعدّه أمراً اعتادت عليه هذه الطائفة، وذلك من أجل راحة قلب المؤمن وجلب الرضا له[٦].

وكذلك احتج بعض الصوفية على جواز هذا السماع ومتولداته ببعض الأحاديث النبوية التي زعموا أنها تعضد معتقدهم في هذا الجانب ومنها على سبيل المثال:

ما روى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (دخل علي أبو بكر الصديق وعندي

(١) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٢) انظر: الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم محمد الحلبي، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدلان ط١(الرياض: دار طيبة – ١٤١٠هـ) ص ٩٥.

(٣) سورة ص آية ٤٢.

(٤) سورة ص آية ٣٣ .

(٥) انظر: الحلية ١٠/٣٧٤.

(٦) انظر: كشف المحجوب ص ٥٠٣.



جاريـــتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيـــتين، فقـــال أبو بكر : أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ : إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا)[(١)].

واحتج القشيري لهم على إباحة الغناء بالقياس وذلك بقوله: "إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيّب، والجمل يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة، فيهون عليه بالحداء"[(٢)].

وروي أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا، فأرادوا أن يبايعوه، فقالوا: كيف نصل إلى عقله وذكائه؟ فتوافقوا على أن يأتوا بقوّال، فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته. فلما اسمعوه القوّال ضحك الرضيع، فقبّلوا الأرض بين يديه وبايعوه! [(٣)].

ومـــن بالغ اهتمامهم بالسماع، أن قصروه على الصوفية وحدهم، حيث رأوا فيه غـــذاء لأرواحهم!، فقد روي أن أبا علي الدقّاق قال: "السماع حرام على العوام لبقاء

(١) الإحـــياء ٢٧٨/٢، وانظر: كتاب السماع، محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق أبو الوفاء المراغي (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي — ١٤١٥هـ) ص ٣٧، والرسالة القشيرية ص ٤٦٦، والإحياء ٢٧٨/٢، والحديث في صحيح البخاري كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ٢/٢ بمعناه، وانظر رد هذا الاحتجاج بهذا الحديث ص٥٢٧.

(٢) الرســـالة القشـــيرية ص ٤٨٢-٤٨٤. والحـــداء: من الحدو: سوق الإبل والغناء لها، انظر: مختار الصحاح ص ١٢٧.

(٣) انظر: كشف المحجوب ص ٤٨٦.

نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم"[١].

ومـــن هـــنا، فلا عجب إن كانت مترلة السماع عند الصوفية تفوق مترلة القرآن، وأكبر تأثيرا على قلوبهم منه، ويبدوا ذلك جليا في هذه الرواية.

فقـــد روي أن يوســـف بن الحسين الرازي، كان يقرأ القرآن، فقصده أبو الحسين الدراج من بغداد لزيارته فوجده يقرأ في المصحف، فلما أنشده أبو الحسن:

رأيتك تبني دائما في قطيعتـــــي   ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

كأني بكم والليت أفضل قولكم   ألا ليتنا كـــــنا إذا الليت لا يغني.

فأطبق يوسف بن الحسين المصحف، ولم يزل يبكي، حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمه أبو الحسين لكثرة بكائه.

ثم قال يوسف بن الحسين: يا بني تلوم أهل الري[٢] يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ المصحف، ولم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ بهذين البيتين[٣].

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٥٠٢.

(٢) الري: مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان شمال إيران. انظر: معجم البلدان ١١٦/٣.

(٣) انظر: اللمع ص ٣٦٤، الإحياء ٣٠١/٢، الرسالة القشيرية ص ٥٢٢.

ولقد وصفه الشعراني بقوله: " وكان.. إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، وإذا سمع شعرا قامت قيامته"[1].

ويقيس السهروردي السماع على الغيث، فيقول: مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض تصبح مخضرة، كذلك القلوب الزكية، يظهر مكنون فوائدها عند السماع"[2].

والصوفية عند ممارستهم لهذه المتولدات المثمرة عن السماع الذي يزعمون أنه قربة إلى الله، تحضرهم بذلك وتشاركهم الشياطين، وتأزهم على ذلك أزا، وهم يقرون بذلك، يقول الهجويري: "قال سمعت أبا العباس الشقاني يقول: كنت يوما جالسا في مجلس سماع، فرأيت كثيرا من الشياطين عراة الأجسام، يرقصون بين الجماعة ينفثون عليهم لكي يزيدوا من حماسهم"[3].

هذا هو مفهوم السماع عند الصوفية بما يتخلله من رقص ونط ولطم وتمزيق ثياب وصياح حتى آل بهم الأمر أن فضلوه على كلام الله؛ القرآن الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

---

(١) الطبقات الكبرى ٩١/١.

(٢) آداب المريدين ص ١٠٣.

(٣) كشف المحجوب ص ٤٩٧.

المبحث الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه السماع عند الصوفية

وقفنا في المبحث السابق على مفهوم السماع عند الصوفية، وما ترتب عليه من آثار، انعكست على سلوكيات الصوفية، ويجدر بنا في هذا المبحث أن نقف على جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه هؤلاء المبتدعة في هذه المسألة.

ومما لا شك فيه أن مسالة السماع عند الصوفية لم تكن وليدة القرن السادس؛ بل كانت من المبتدعات في الدين قبل ذلك، واستمرت إلى عصرنا الحاضر. وقد وجدت هذه البدعة ردودا ودحضا من علماء السلف في القرون السالفة واللاحقة للقرن السادس(١)، ولكن هذا القرن حظي بعلماء أجلاّء وجهابذة فنّدوا هذه البدعة الدخيلة على أمة الإسلام وردوها على أصحابها، مقتفين بذلك أثر السلف الصالح في دحض البدع في الدين، منهجهم في ذلك الاعتماد على الكتاب والسنة(٢).

(١) انظر: مقدمة محقق كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، لأبي العباس، أحمد القرطبي، تحقيق د. عبدالله محمد الطريقي، ط١ (١٤١١هـ).

(٢) سيأتي بيان هؤلاء العلماء في هذا المبحث.

إن السـماع النافع الذي شرعه الله تعالى لعباده، وكان سلف الأمة يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم، هو سماع آيات الله تعالى، وهو سماع النبيين والمؤمنين قال تعالى: ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

وقد أمر الله تعالى بهذا السماع، فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

وأثنى سبحانه على أهل هذا السماع، فقال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[4].

كما ذمّ المعرضين عن هذا السماع فقال جلّ شأنه: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى

---

(١) سورة مريم آية ٥٨.

(٢) سورة الأنفال آية ٢.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٤.

(٤) سورة الزمر آية ١٧-١٨.

مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[2].

هذا هو السماع الذي شرعه الله لعباده، وكان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وسلف هذه الأمة، وهو أصل الإيمان، وأنعم به من سماع؛ الذي ينأى عن سماع أهل البدع؛ سماع الصوفية الذي منه التصفيق، والطرب، والزعق، والرقص، وتمزيق الثياب، كما سبق وأن بينت في المبحث السابق.

لقد بيّن علماء السلف في القرن السادس حكم هذا السماع؛ أعني به السماع عند الصوفية:

فقد أورد ابن قدامة رحمه الله بعض أقوال الأئمة في حكم هذا السماع ومنها:

١ – قول الإمام احمد: (التغبير[3] محدث)، وقوله وقد سئل عنه (هو بدعة).

---

(١) سورة لقمان آية ٧.

(٢) سورة فصلت آية ٢٦.

(٣) التغبير: الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية، وترديد الصوت بالقراءة والطرب عند سماع الذكر أو بعض الأشعار، والضرب بالقضيب، ونحو ذلك، ويطلق عليه التغبير لأنهم يغبرون ذكر الله بما يطربون به من الشعر. وسمّوا مغبرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة.

٢ - قـــول الإمام الشافعي: (تركت بالعراق شيئا يقال له التغبير. أحدثته الزنادقة يصدون الناس به عن القرآن).

٣ - قول يزيد بن هارون: (ما يغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير؟).

٤ - قول عبد الله بن داود: (أرى أن يضرب صاحب التغبير)[1].

ثم بيّـــن ابن قدامة أن هذا التغبير هو السماع، وهو منهي عنه، فقال: "والتغبير اسم لهـــذا الســـماع، وقـــد كـــرهه الأئمة كما ترى، ولم ينضم إليه هذه المكروهات من الدفوف[2] والشبابات[3]، فكيف به إذا انضمت إليه واتخذوه دينا؟ فما أشبههم بالذين عـــابهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[4]، وقيل المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق، وقال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

= (انظر: تلبيس إبليس ص ٢٣٠، والاستقامة ١/٢٣٨).

(١) انظـــر: ذم ما عليه مدعوا التصوّف لموفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي ، تحقيق زهير الشاويش ، ط٣ (بيروت : المكتب الإسلامي – ١٤٠٤هـــ) ص ٧.

(٢) الدّف: ألة طرب ينقر عليها، وجمعه دفوف. (انظر: المعجم الوسيط ١/٢٨٩).

(٣) الشبابة: مزمار من القصب، مولّدة. (انظر: الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، عبد الله البستاني (بيروت: مكتبة لبنان – ١٩٩٠م) ص ٣٠٣ بدون رقم الطبعة).

(٤) سورة الأنفال آية ٣٥.

دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[1]،[2].

وذكـــر ابن الجوزي أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في كراهيته[3]، وبيّن رحمه الله أن سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى، والقيام لخدمته.

الـــثاني: أنـــه يميلـــه إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسّـــية، ومعظمهـــا الـــنكاح، وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المـــتجددات من الحل، فلذلك يحثّ على الزنا، فبين الغناء والزنى تناسب من جهة أن الغناء لذّة الروح والزنى أكبر لذات النفس"[4].

وقال ابن قدامه رحمه الله: "من اتخذ الغناء صناعة، يؤتى له ويأتي له، أو اتخذ غلاما أو جاريـــة مغنيين، يجمع عليهما الناس، فلا شهادة له لأن هذا عند من لم يحرّمه سفه ودنـــاءة وسقوط مروءة، ومن حرّمه، فهو مع سفهه عاصٍ مصرّ، متظاهر بفسوقه،... ومـــن كان يغشى بيوت الغناء، أو يغشاه المغنون للسماع متظاهرا بذلك، وكثر منه،

(١) سورة الأنعام آية ٧٠.

(٢) ذمّ ما عليه مدّعوا التصوّف ص ٨.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٢٨-٢٣٠، وانظر آراء الأئمة الأربعة أبوحنيفة ومالك والشافعي وأحمد في الغناء، إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٢٢٦-٢٢٩.

(٤) ن. م ص ٢٢٢.

ردّت شهادته في قولهم جميعا، لأنه سفه ودناءة"[١].

ولأبي القاسم الدولعي[٢]، كتاب في تحريم السماع بعنوان "اليراع في تحريم السماع"[٣] قال فيه: "أنه لم ينقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه سمع الغناء، أي: المتنازع فيه، ولا جمع له جموعا، ولا دعا الناس إليه، ولا حضر له في ملأ ولا خلوة، ولا أثنى عليه، بل ذمّه وقبّحه وذمّ الاجتماع إليه"[٤].

ولأبي بكر الطرطوشي رحمه الله كتاب في تحريم الغناء والسماع ذكر فيه أقوال

---

(١) المغني ٩/١٧٧-١٧٨.

(٢) الدولعي: ضياء الدين، عبدالملك بن زيد بن يس التغلبي، الموصلي، الدولعي، الشافعي، خطيب دمشق، أحد الفقهاء المشهورين، من علماء السلف في القرن السادس، ولد سنة ٥١٨هـ، كان زاهدا، متورعاً، حسن الطريقة، مهيباً في الحق.

والدولعي: نسبة إلى قرية من قرى الموصل يقال لها: الدولعية، توفي سنة ٥٩٨هـ.

(انظر ترجمته: في شذرات الذهب ٤/٣٣٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٠، والبداية والنهاية ١٣/٣٣).

(٣) ذكره ابن القيّم رحمه الله في إغاثة اللهفان ١/٢٢٨، وذكره الهيثمي في كف الرعاع عن محرّمات اللهو والسماع، أحمد بن محمد الهيثمي، تحقيق محمد بن عبد القادر عطاء، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية -١٤٠٦هـ) ص ٦٧.

(٤) كف الرعاء للهيثمي ص ٦٧.

العلماء الذين تدور عليهم الفتيا في كل مكان(١).

وقد دلّ الكتاب والسنة على تحريم الغناء.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٢).

قال ابن مسعود، وابن عبّاس، ومجاهد، وعكرمة: لهو الحديث هو الغناء، ذكر ذلك البغوي من علماء السلف في القرن السادس وقال: معنى قوله: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾(٤)، قال ابن عبّاس: هو الغناء(٥).

---

(١) انظر: رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، للطرطوشي ص ١٦١-١٦٤.

قلت: ومن صوفية القرن السادس من رأى كراهيته، وخالف رأيه ما عليه صوفية زمانه في السماع مثل عبدالقادر الجيلاني الذي قال:

"وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهيته؛ إلاّ أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج به أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم" الغنية لطالبي طريق الحق ، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية) ١٦٧/٢.

(٢) سورة لقمان آية ٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٢٨٦/٦.

(٤) سورة النجم آية ٦١.

(٥) انظر: تفسير البغوي ٤٢١/٧.

وقولـــه تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾[(١)]، قال مجاهد: بصوتك: بالغناء والمزامير[(٢)].

وأمّا السنة الشريفة: فقد وردت أحاديث كثيرة تنصّ على تحريم الغناء، منها:

قـــول الـــنبي ﷺ: "لـــيكونن مـــن أمـــتي أقوام يستحلّون الحر، والحرير، والخمر والمعازف..."[(٣)].

وقـــال علـــيه أفضل الصلاة والسلام: "في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجـــل مـــن المسلمين: يا رسول الله! ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور"[(٤)].

ولأئمـــة وعـــلماء السلف في القرن السادس ردود كثيرة على الصوفية في مسألة السماع الذي جعلوه قربة وطاعة، وشعارا وعلامة على أهل الدين والنسك والخير كما يزعمون.

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٤.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٥/١٠٥.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ٦/٢٤٣.

(٤) ســـنن الـــترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة، ٣/٣٣٦، والحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الترمذي هذا حديث غريب.

ومـــن هؤلاء العلماء الأجلاّء الإمام الطرطوشي رحمه الله، الذي رد على الصوفية زعمهم بجواز السماع واحتجاجهم بتأثيره على الطفل وعلى الجمل[1]، قائلا:

"انظـــروا يـــا ذوي الألباب كيف قادهم الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة!، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام والصبيان في المهد!، وكذلك يفضح الله تعـــالى مـــن اتبع الباطل. وحسبك من عقول لا تقتدي بأخبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل! فإن كان كل ما طربت له البهائم مندوبا، أو مباحا، فإنا نرى البهيمة تنزوي على أمها وأختها وتركب بنتها، فليقتدوا بالبهيمة في مثل هذا!" [2].

وقـــد احتج الطرطوشي على الصوفية برد شيوخ الصوفية على من أباح السماع، فقـــد نقل عن أبي على الروذباري أحد شيوخ الصوفية قوله عن السماع: "ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس"[3].

ونقل عن الجريري قوله: "رأيت الجنيد في المنام، فقلت: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقـــال: طـــاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلاّ تسبيحات كنا نقولها بالغدوات"[4].

---

(١) راجع ص٥٠٦.

(٢) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع ص ٢٣٣-٢٣٥.

(٣) كشف المحجوب ص ٤٨٩.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٥٦٥.

ونقل عن الجنيد قوله: "رأيت إبليس في النوم، فقلت لـــه: هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال نصيبا؟ فقال: إنه ليعسر عليّ من شأنهم ويعظم عليّ أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين؛ وقت السماع، وعند النظر، فإنّي أنال منهم منه وأدخل عليهم به"[1].

وقد نقل الطرطوشي رحمه الله أقوالاً أخرى لمشايخهم، ثم أعقبها بقوله:

"فكـــل هؤلاء من شيوخ الصوفية! فأين هذا –يرحمك الله– ممّا وصف الله تعالى به العـــلماء!، قـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَـــانِ سُـــجَّدًا * وَيَقُولُـــونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[2]... وأنشد بعضهم:

تُلِيَ الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... من زجره إطراق ســـــاه لاهي

وأتي الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله ما سمعوا لوجـــــــه الله!

يا فرقـــة ما غرّ دين محمد ... وسعى على إفساده إلا هي! [3]"

وإنكـــار الطرطوشي على هذه الطائفة لمخالفتها لجماعة المسلمين عندما زعموا أن الســـماع من الدين وهو طاعة وتقرّب إلى الله وقد أخذت الحماسة والغيرة الطرطوشي

(١) انظر: عبارة الجنيد هذه في عوارف المعارف ص ١٦٣.

(٢) سورة الإسراء آية ١٠٧.

(٣) رسالة في تحريم الجبن الروم وكتاب تحريم الغناء والسماع ص ٢٢٦-٢٣٤.

عندما مارس الصوفية هذه البدعة في المسجد والبقاع الشريفة، قال في رده عليهم:

"وهـــذه الطائفـــة مخالفة لجماعة المسلمين؛ لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة، ورأت إعلانـــه في المساجد والجوامع وسائر البقاع الشريفة، والمشاهد الكريمة، وليس في الأمة من رأى هذا الرأي"(١).

وقـــال رحمـــه الله في ردّه عليهم أيضا: "وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصـــية، إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب منها، ثم كثر الجهل، وقلّ العلم، وتناقض الأمـــر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارا، ثم ازداد الأمر إدبارا حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين – وفّقنا الله وإياهم- استزلهم الشيطان، واستهوى عقولهم في حب الأغـــاني والـــلهو وسماع الطقطقة(٢)، واعتقدته من الدين الذي يقرّبهم من الله تعالى، وجاهـــرت به جماعة من المسلمين وشاقّت به سبيل المؤمنين، وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين"(٣).

كما أنكر ابن قدامة رحمه الله على الصوفية إعلان هذا السماع في المساجد، قائلا:

"فأمّـــا فعله في المساجد، فلا يجوز، فإن المساجد لم تبن لهذا، ويجب صونها عمّا هو

---

(١) ن. م ص ١٦٦.

(٢) الطقطقة: صوّت، أو كثُر صوته، أو تفرقع. انظر المعجم الوسيط ٢/٥٦١.

(٣) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع ص ١٦٠-١٧٠.

أدنى منه، فكيف بهذا الذي هو شعار الفسّاق، ومنبت النفاق!" [1].

وشـــدّد رحمه الله في ردّه على الصوفية ادعاءهم أن السماع قربة وطاعة لله، وعدّ رحمه الله ذلك من الأمور المنكرة التي لا تجوز بحال. وكان ذلك عندما ورد عليه سؤال جـــاء فيه: "ما تقول السادة الفقهاء... فيمن يسمع الدف والشبابة، والغناء ويتواجد حتى أنه يرقص... مع اعتقاده أنه محب لله، وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله؟.

فكـــان ممـــا أجاب به قوله: "إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته... ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأمّا اعتقاده محبة الله عزّ وجلّ، فإنه يمكن أن يكون محبا لله سبحانه مطيعا له في غير هذا... وأمّا هذا فمعصية ولعب، ذمّه الله تعالى ورسوله ﷺ، وكرهه أهل العلم وسمّوه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرّب إلى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه.

ومـــن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرد والإبعاد، ومن اتخذ الـــلهو واللعب دينا، كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله ســـبحانه وتعـــالى مـــن غـــير طريق رسول الله ﷺ وسنّته، فهو بعيد من الوصول إلى

(١) ذمّ ما عليه مدّعو التصوّف ص ١٢-١٣.

المراد"[1].

وجـاء في كلامه رحمه الله تعالى: "ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شفيقا على أمـته، حريصا على هداهم رحيما بهم، فما ترك طريقا تهدى إلى الصواب إلا وشرعها لأمـته، ودلهـم عـليها بفعلـه وقوله، وكان أصحابه من الحرص على الخير والطاعة والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير، إلا تسابقوا إليها. فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليله في سماع يتقرّب به إلى الله سبحانه ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا، ولا قال: الغـناء ينبت الإيمان في القلب، ولا استمع الشبابة، فأصغى إليها وحسّنها، أو جعل في استماعها وفعلها أجرا، وهذا أمر لا يمكن مكابرته، وإذا هذا لزم أن لا يكون قربة إلى الله سبحانه، ولا طريقا موصلا إليه، ووجب أن يكون من شر الأمور"[2].

وقـال رحمه الله منكرا على الصوفية في ذلك: "فأمّا من يجعله – أي ضرب الدف ونحـوه- دينا، ويجعل استماعه، واستماع الغناء قربة وطريقا إلى الله سبحانه، فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته، وربما انضم إلى ذلك النظر إلى النساء المحرّمات أو غلام جميل يسلبه دينه، ويفتن قلبه، ويخالف ربه في قوله سبحانه: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا**

(١) ن. م ص ٦

(٢) ن. م ص ٩-١٠.

مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[1]، فكان دليلا على تسامحه في المخالفة لقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، ولم يكن ذلك أزكى لهم، ومن ابتلي بمخالفة أوّل الآية، فليبادر إلى العمل بآخرها: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]،[3].

وقال رحمه الله وهو يرد على ابن الحنبلي[4] إباحته سماع الشبابة، مبيّنا أن هذا من فعل المبتدعة: " ومن العجب، استدلال الفقيه على إباحة الشبابة . بأنه قد سمعها من

(١) سورة النور آية ٣٠.

(٢) سورة النور آية ٣١.

(٣) ذمّ ما عليه مدّعو التصوّف ص ١٤-١٥.

(٤) ابن الحنبلي: عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهّاب بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد الأنصاري، الخزرجي، السعدي، العبادي، الشيرازي الأصل، الدمشقي، الفقيه، الواعظ، ناصح الدين، المعروف بابن الحنبلي ولد بدمشق سنة ٥٥٤هـ، وتوفي بها سنة ٦٣٤هـ.

(انظر ترجمته: في الذيل على طبقات الحنابلة ١٥٤/٤، ومعجم المؤلفين ١٢٥/٢، والأعلام ٣٤٠/٣).

قلت: وممن رفض هذه الظاهرة – أعني بها ظاهرة السماع وما صاحبها – وأنكرها من الصوفية الذين عاشوا أغلب حياتهم في القرن السادس، السهروردي في عوارفه الذي صرّح قائلا: "إن أنصف المنصف، وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشبب بشبباته، وتصوّره في نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النبيﷺ ، وهل استحضروا قوّالاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه، لا شك بأنه ينكر ذلك من حال الرسولﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها" عوارف المعارف ص ١٧٥.

الصوفية، وما من قبيحة من القبائح، ولا بدعة من البدع، إلا قد سمعها مشايخ وشباب أيضا، وقد علم الناصح – أي ابن حنبلي – أنواع الأدلّة، فهل وجد منها فعل المشايخ من الصوفية؟، وإن كان هذا دليلا؛ فليضمّه إلى أدلة الشرع المذكورة، ليكون دليلاً آخر يقرب به على من قبله، ويكون هذا الدليل منسوباً إليه، معروفاً به، ولكن لا ينسبه إلى مذهب أحمد، فإن أحمد وغيره من الأئمة بريئون من هذا"[1].

وما أحسن إنكار ظهير الدين الموصلي وقد شاهد أفعالهم المنكرة، ونظّم بذلك شعرا، قال فيه:

ألا قل لهم قول عبد نصوح وحق النصيحة أن تستمع

متى علم الناس في ديننا بأن الغناء سنة تتبع؟

وأن يأكل المرء أكل الحمار ويرقص في الجمع حتى يقع؟

وقالوا: سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القصع

كذلك البهائم إن أشبعت يرقصها ريّها والشبع

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٤/١٥٩.

ويسكره النـــأي ثم الغناء ويس لـــو تليت ما انصدع
فيا للعقـــــول ويا للنهي ألا منكر منكم للبـــدع؟
تهان مساجـــدنا بالسماع وتكرم عن مثل ذاك البيع[1]

وأنكر أبو بكر الطرطوشي على الصوفية رقصهم وتواجدهم، وعدّ ذلك من البطالة والجهـــل والضلال، وقال أنه دين الكفّار وعباد العجل، قال ذلك ردا على سؤال وجه له، جاء فيه: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأعلم... أنه اجتمع جماعة من رجـــال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم بالرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه، ويحضرون شيئا يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين يرحمك الله، وهذا القول الذي يذكرونه:

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والـــزلل
واعمل لنفسك صالحـــا مادام ينفعك العمـــل
أمـــا الشباب فقد مضى ومشيب رأسك قد نزل

وفي مثل هذا ونحوه.

(١) الـــبداية والـــنهاية ٦٦/١٣، وإغاثة اللهفان ٢٣١/١، وانظر: وفيات الأعيان ٣٧/٣-٣٨، والموفي بمعرفة التصوف والصوفي ص ١٤، ١٣، مع اختلاف يسير في الألفاظ فيما بين هذه المصادر.

فأجـــاب رحمه الله: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأوّل ما أحدثه أصحاب السامريّ، لما اتخذ لهـــم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون؛ فهو دين الكفّار وعبّاد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنمـــا كـــان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، وينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها؛ ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليـــوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم؛ هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق"[(1)].

ورد الـــبغوي عـــلى الصـــوفية احتجاجهم بقول تعالى: ﴿ **فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ** ﴾[(2)]، على جواز تقطيع الثياب وتمزيقها وتحريقها بأن بين –رحمه الله– معنى الآيـــة بقولـــه "فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحاً له؛ لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر"[(3)].

وأمّـــا احـــتجاج الصوفية بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى**

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٧-٢٣٨، المعيار المعرّب للونشريسي ١١/١٦٢-١٦٣.

(٢) سورة ص آية ٣٣.

(٣) تفسير البغوي ٧/٨٩.

﴿جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾[1] على بدعهم وغنائهم وتمايلهم، فهو في الحقيقة التي لا مراء فيها بعيد جدا ومردود لأسباب منها:

أن الآية الكريمة بيّنت أهم "يتفكرون" والصوفية يعترفون بأهم "يغيبون" ويحصل لهم ما يشبه السكر والغيبة.

أن الآية الكريمة ذكرت أهم يذكرون الله على جنوبهم أيضا، والصوفية إنما يتمايلون قياما وقعودا.

أن السلف الصالح كانوا يعملون بما في القرآن، ولم يكن عملهم بهذه الآية على النحو الذي يفعله الصوفية، ولا فعله رسول الله ﷺ، ففي الآية دليل على أن الذاكرين يذكرون الله على كل أحيانهم، كما كان حال النبي ﷺ، فإنه كان يذكر الله على كل أحيانه: قائما وقاعدا، وعلى جنبيه.

وقد ردّ ابن قدامة رحمه الله تعالى على بعض شبه المجيزين للغناء —ومنهم الصوفية— في رسالته إلى ابن الحنبلي التي أنكر فيها إباحته لبعض أنواع الغناء ومنها احتجاجه بحديث الجاريتين الذي احتج به الصوفية قائلا:

"وأمّا استدلالهم بحديث الجواري اللاتي ندبن آباءهن، فما منه ذكر الغناء، فإن كان النبي ﷺ أرخص لهن في ذلك، فليس منه ما يوجب المدح في حق عقلاء الرجال

(١) سورة آل عمران آية ١٩١.

المتوسمين بالدين والعبادة، .. ولم يكن النبي ﷺ ولا غيره ينكرون على الصبيان لعبهم، ولا فعالهم التي تستقبح من غيرهم، مثل المصافحة، والمفاقسة[١]، بالبيض الأحمر، والعدو في الطرقات، وحمل بعضهم بعضا، وأشياء لو فعلها المميز البالغ لردّت شهادته، وسقطت عدالته"[٢].

ثم ذكر ابن قدامة أن احتجاجهم لسماع النبي ﷺ لذلك لا يدل على أن الرسول ﷺ قصد سماع الجاريتين، فهناك فرق بين السماع والاستماع، فالسماع يكون من غير قصد، بخلاف الاستماع الذي يقصد صاحبه أن يسمع الكلام، وبيّن ابن قدامة أن فعل الرسول ﷺ كان السماع، لا الاستماع، قال مبيّنا هذا: "فإن قالوا: نحن إنما نحتج بسماع النبي ﷺ من الجويريات، فنحن نسمعه كما سمعهن، قلنا: أخطأتم في النظر، وجهلتم الفرق بين فعل النبي ﷺ وفعلكم، فإن المنقول عن النبي ﷺ السماع له، وأنتم تفعلون الاستماع، والسماع غير الاستماع"[٣].

---

(١) المفاقسة بالبيض، مأخوذ من فَقَس البيضة يَفْقسها إذا فضخها. انظر: لسان العرب ٣٠٣/١٠.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١٥٨/٤.

(٣) ن. م ١٥٨/٤.

ومما يعضد ذلك أن النبي ﷺ عندما سمع الجاريتين اضطجع على فراشه، وحوّل وجهه عنهما، فلو كان ﷺ يقصد الاستماع لما فعل ذلك.

ثم يرد عليهم احتجاجهم بهذا الحديث؛ بإنكار أبي بكر رضي الله عنه ذلك وتسميته إياه "مزمار الشيطان" ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذه التسمية، فكيف يكون مزمار الشيطان قربة وطاعة إلى الله؟!.

ثم إن الجويريتين صغيرتان، دون البلوغ، غير مكلفتين، كانتا تغنيان بشعر من أشعار العرب في بيت عائشة رضي الله عنها، وهي صغيرة وسماع الصوفية وأشعارهم بخلاف هذا، فكيف يقاس فعل الجاريتين بما تفعله الصوفية في حلقات السماع والرقص؟!.

وعدّ الطرطوشي رحمه الله ما يفعله المتصوفة عند السماع من الرقص والطرب وتمزيق الثياب من السخافة وانعدام المروءة والوقار قائلا:

" وأما الرقص والدقّ [1]، وكشف الرأس وتمزيق الثياب فلا خفاء على ذي لب أنه سخف ولعب ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الأنبياء والصالحون"[2].

---

(١) الدق: الضرب بالشي، وإظهار العيوب والعورات (انظر: المعجم الوسيط ٢٩١/١).

(٢) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع ص ٢٦٣.

ولقـــد شبّه الطرطوشي الصوفية ببني إسرائيل، عندما اتخذوا عجلا آلهة للعبادة دون الله، وقيامهم بالرقص والتواجد لَه، وذمّهم على هذا الفعل بقولـــه: "فانظروا -رحمكم الله!- كيـــف يجوز على نبي من أنبياء الله أن يتخذ عجلا للعبادة من دون الله تعالى ثم يرقص هو وهم تعظيما للعجل على أنه إلاههم!، فما أشبه عقول قوم قد جعلوا الرقص عبادة لله تعالى بعقول بني إسرائيل في تجويزهم على نبي الله تعالى!، أن يتخذ إلها يتعبد له بالـــرقص والقـــربى من دون الله -عزّ وجلّ- فمن زعم أن الرقص عبادة لله سبحانه! يرقصون بين يديه ويتواجدون له فإلهه عجل، جسد له خوار"(١).

ومن خلال ما سبق بيانه وما وقفت عليه من ردود وإنكار لعلماء السلف في القرن السادس على مسألة السماع عند الصوفية، وما احتوى عليه من مزاعم وآثار، يتضّح أن هذه بدعة في الدين، ابتدعها هؤلاء القوم، إذ لم يكن يعرفها المجتمع الإسلامي في عصر النـــبوة والصحابة والتابعين؛ إنما هي بدعة دخيلة على الإسلام وأهله، سرت في جسد الأمـــة في العصور المتقدمة، ومن المؤكد أن لبعض الديانات الأخرى تأثير على الصوفية في ذلك(٢)(*).

---

(١) ن. م ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) الســـماع أول من أحدثه بنو إسرائيل عندما اتخذوا العجل إلها لهم من دون الله، فجعلوا يغنون بين يديـــه، ويصـــفقون ويرقصـــون، فبقي حالهم كذلك إلى أن جاءهم موسى عليه السلام، ووقع من بعضـــهم مـــا قد ذكرها الله في كتابهم، فهو أصل لما ذكر، بل إن في توراتهم ما يؤكد أن ذكر الله المفرد بالدف والشبابة ونحوها مأخوذ من عندهم، فقد جاء في المزامير "ليبتهج متوجهون بملكهـــم =

= ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا هللويا. سبحو الله في قدسه، سبحوه برباب وعود. سبحوه بدف ورقص. سبحوه باوتار ومزمار، سبحوه بصفوه الهتاف"...

(المزامير، الكتاب المقدّس (العهد القديم) مصر: دار الكتاب المقدّس – ١٩٨٣م) ص ٩٣٦، المزمور المئة والخمسون.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن عقيل، انظر تلبيس إبليس ص٢٤٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨٨/٧، ٢٦٣/١٠، ٢١٥/١٥، الآداب الشرعية ٣٠٧/٢.

وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٢٣٧، ٢٤٨-٢٤٩.

والقاضي عياض، انظر الموفى لمعرفة التصوف والصوفي ص٧٠-٧١، وترتيب المدارك ٥٤/٢.

الفصل الثالث

جهود علماء السلف في القرن السادس

تجاه اللباس والشعار

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد : تعريف اللباس والشعار.

المبحث الأول : اللباس والشعار عند الصوفية.

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه اللباس والشعار عند الصوفية.

التمهيد

تعريف اللباس والشعار

اللباس لغة واصطلاحاً:

اللباس لغة:

اللباس: بكسر اللام -ما يلبس، وجمعه لبس ككتاب وكتب ومنه قوله -تعالى-: ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾[1]، ولباس كل شيء: غشاؤه ويقال للشيء إذا غطاه كله: ألبسه كقولهم: ألبسنا الليل، وألبس السماء السحاب أي: غطاها[2].

وقال ابن فارس: "واللام والباء والسين أصل صحيح واحد يدل على مخالطة ومداخلة"[3].

اللباس اصطلاحاً:

تبين مما سبق معنى اللباس، والمراد به في اللغة ومن الملحوظ أن معنى اللباس في

(١) سورة الأعراف، آية ٢٦.

(٢) انظر: القاموس المحيط ٢/٢٥٧، لسان العرب ١٢/٢٢٣، المصباح المنير ص٢٠٩.

(٣) المقاييس في اللغة ص٩٤٦.

اصـــطلاح الفقهاء والمفسرين هو معناه في اللغة، وهذا ظاهر من تتبع معاني ما يريدون بهـــذه الكلمة وما يراد منها عند إطلاقها في الأبواب الفقهية، فإذا أطلق الفقهاء اللباس فإنما يريدون به: ما يستر ويغطي البدن[1].

الشعار لغة واصطلاحاً:

لغة: هو العلامة[2].

وهو ما ولي جسم الإنسان من اللباس.

اصطلاحاً: وهو العلامة التي تتميز بها دولة أو جماعة من قول أو نقشٍ أو غيرهما[3].

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة من مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة – ١٤٠١هـ) ١/٨٠، وما بعدها، وتفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد ابن جرير الطبري ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية-١٤٠٨هـ) ٥/٤٥٥.

(٢) انظر: لسان العرب ٧/١٣٥.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء ص٢٣٤.

المبحث الأول

اللباس والشعار عند الصوفية

للصوفية نهج خاص فيما يتخذونه من لباس، اشتهروا به عن غيرهم، ورأوا في ذلك اتباعا للسنة. ذلك أن لبس الصوف سمة بارزة وزي خاص انفردوا به عن غيرهم، ولا غرو أن تسمّوا بالصوفية نسبة إلى لبس الصوف[1] حتى اتخذوا ذلك شعارا وعلامة لهم.

كما اشتهر القوم بلباس المرقعات والمصبغات من الثياب الممزقة والمخرقة، ذات اللون الأزرق بدعوى الزهد والتقرّب إلى الله، ويعتقد أنه شعار الحزانى المكلومين كما يقول الهجويري[2].

ومن أشهر ما اشتهروا به لباس الخرقة[3] ذات المدلول الصوفي وزعموا أنها من السنة، فقد جعل لها محدث الصوفية محمد بن طاهر بابا عقده في كتابه "صفوة التصوّف" قال فيه (باب السنة في لبس الخرقة من يد الشيخ)، وجعل لذلك سندا متصلا

(١) لبس النبي ﷺ جبة صوف في بعض الأوقات، وبوّب البخاري –رحمه الله-: باب جبة الصوف في الغزو. انظر صحيح البخاري، كتاب اللباس ٣٧/٧.

(٢) انظر كشف المحجوب ٦٤، ٦٥.

(٣) الخرقة: الخرقة عند الصوفيةعبارة عن قميص يلبسه الشيخ للمريد، وهي علامة التفويض والتسليم لدخول المريد في حكم الشيخ، انظر عوارف المعارف ص٩٢.

بالرسول ﷺ واستدل بحديث أم خالد: (أن النبي ﷺ أتى بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: من ترون أكسو هذه؟ فسكت القوم. قال رسول الله ﷺ إيتوني بأم خالد، قالت: فأتي بي فألبسنيها بيده، وقال أبلي واخلقي) [١].

والخرقة عند الصوفية هي ما يلبسه المريد من يد شيخه، الذي يدخل في إرادته، ويتوب على يديه لأمور منها التزيي بزي المراد يلتبس بصفاته، كما يلبس ظاهره بلباسه، وهو لباس التقوى ظاهرا وباطنا... ومنها وصول بركة الشيخ الذي لبسه من يده المباركة إليه...الخ[٢].

ومن شعار الصوفية في اللباس: لبس المرقعات التي يفخرون بها، وجعلوها شعارا لهم يقول الهجويري: "اعلم أن ارتداء المرقعات هو شعار الصوفية ومثل هذه الملابس سنة"[٣].

ولقد بالغ بعض الصوفية في لبس هذه المرقعات، فهذا أبو جعفر الكوفي كانت مرقعته ثخينة غليظة، فحين مات أوصى بها لأحد أصحابه[٤].

---

(١) صفوة التصوّف، محمد بن طاهر المقدسي، ص ٤٤، والحديث معناه في فتح الباري، كتاب الجهاد والسير باب من تكلم بالفارسية والرطانة٦/٢١٢ رقم الحديث (٣٠٧١).

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص ١٧٨.

(٣) كشف المحجوب ص ٥٥.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ١٤/٤١٤، وانظر ترجمة أبو جعفر الكوفي في الحلية ١٠/٢٢٤.

والمرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ صوفي كما قرّر بذلك الصوفية(١).

ويفتخر الصوفية بهذا النوع من اللباس، ويعدُّونه من الدين، فقد:

" دخل جماعة على بشر بن الحارث وعليهم المرقعات فقال لهم بشر: يا قوم، اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي، فإنكم تعرفون به، وتكرمون له، فسكتوا كلهم، فقام شاب من بينهم فقال: الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له، والله ليظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله، فقال له بشر: أحسنت يا غلام: مثلك من يلبس المرقعة"(٢).

والصوفية يؤثرون من باب الزهد والتقرّب إلى الله لبس الصوف والخلقان على غيرها، ويرون أنها أحب إليهم من الجديد، ويتبرمون من لبس الثياب الكثيرة الجيّدة(٣).

ومن شعارهم الذي يتميزون به في لباسهم، لبس المصبغات من الألوان بهدف الاشتهار، ويحتج لهم محدثهم محمد بن طاهر ببعض الأحاديث التي جعلها سندا لمذهبهم هذا(٤).

---

(١) انظر: صفوة التصوّف ص ٤٤، باب السنة في لبس الخرقة من يد الشيخ.

(٢) اللمع ص ٢٤٨، وعوارف المعارف ٣١٩-٣٢٠.

(٣) انظر: اللمع ص ٢٤٩، وعوارف المعارف ص ٣٢٢، ٣٢٣، وحياة القلوب بهامش قوت القلوب ٣٠٠/١، والإحياء ٢٣٥/٤.

(٤) انظر: صفوة التصوّف ص ٥٧.

كمـــا يحتج لهم بجواز تخريق الثياب، بحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: نصبت حجلة(١) لي فيها رقم، فمدها النبي ﷺ، فشقّها(٢).

هـــذا هو اعتقاد الصوفية باللباس والشعار؛ خرق ومرقعات ومصبغات ولبس ثياب مخرقة بدعوى الزهد والاشتهار.

(١) الحَجَلة: الساتر. انظر المعجم الوسيط ١/١٥٨.

(٢) تلـــبيس إبليس ص ٢٦١، والحديث بمعناه في فتح الباري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء ٤/٣٨١. رقم الحديث (٢١٠٥).

المبحث الثاني

جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه اللباس والشعار عند الصوفية

اللباس نعمة كبيرة من نعم الله -تعالى- أنعم بها على عباده، قال -تعالى-: ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[1].

كما ذكر الله -تعالى- أن مما يمتن به على عباده المؤمنين بعد دخولهم الجنة نعمة اللباس الذي بلغ الغاية في الحسن والجمال، قال -تعالى-: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[2].

وتظهر أهمية اللباس من خلال بيان حاجة الإنسان إليه لستر عورته وللزينة وللجمال ولدفع الحر والبرد، كذلك تظهر أهميته أن لكل أمة عادات وتقاليد في اللباس والشعار الذي تتخذه علامة لها.

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بأمر اللباس أن رتب العقوبة الشديدة على من تجاوز ما حدَّه الشارع لطول اللباس فأسبل لباسه أسفل من الكعبين، فعن أبي ذر -ﷺ- أن النبي

---

(١) سورة الأعراف، آية ٢٦.

(٢) سورة الكهف، آية ٣١.

ﷺ قال: « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** » قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال أبوذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: « **المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » وفي لفظ آخر(المسبل إزاره)[1].

والمتتبع لأحوال الصوفية وما هم عليه من بدع في اللباس والشعار يجد التجاوزات الشرعية من لبس للمرقعات [2] والمصبغات والثياب المخرفة والمعصفرة والمزعفرة والملونة سعياً وراء الشهرة لا الزهد كما يزعمون!!.

ولعل في كراهية علماء السلف في هذا القرن لهذا النوع من البدع في اللباس رداً على الصوفية.

فلما كان اسم الصوفية نسبة إلى لبس الصوف على القول الراجح، لما اعتاد عليه هؤلاء، وأصبح اسماً ورمزاً ملازماً لهم بدعوى الزهد؛ فقد كرهه علماء السلف رحمهم الله.

قال ابن هبيرة: "وأما الصوفي: فلا أراه منسوباً إلا إلى لبس الصوف، وقد كان التخصص بلبس الصوف مكروهاً عند جماعة من العلماء، منهم سفيان بن سعيد

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار... ١٠٢/١ رقم الحديث (١٧١).

(٢) وممن تكلم على إسناد المرقعة وأبطله، شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقال: "وأما الإسناد المذكور ما بين أبي سعيد إلى عمر فمجهول، ولا أعرف لهؤلاء ذكراً في كتب الزهد والرقائق، ولا في كتب الحديث والعلم" مجموع الفتاوى ١٠٤/١١.

الثوري..."[1].

وكذلك كره ابن قدامة -رحمه الله- الصلاة في الثياب المزعفرة للرجال وكذلك المعصفرة[2]، واستدل على ذلك بما رواه عبدالله بن عمرو أنه: "رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين، فقال: أن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسهما"[3].

فدل هذا الحديث على تحريم لبس الثياب المعصفرة، لنهي النبي ﷺ عن لبسها، ولإخباره ﷺ بأنها من ثياب الكفار.

وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: (نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل)[4].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٧/٣٥٤.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١/٥٨٥، واللباس المزعفر: هو المصبوغ بالزعفران، يقال: زعفرت الثوب، فهو مزعفر: أي صبغته بالزعفران (انظر لسان العرب ٦/٤٥، والمعجم الوسيط ١/٣٩٤، واللباس المعصفر هو المصبوغ بالعصفر، يقال عصفر ثوبه، أي: صبغه بالعصفر، وهو صبغ يؤخذ من نبات معروف. انظر: لسان العرب ٩/٢٤٢، المعجم الوسيط ٢/٦٠٥).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ٣/١٦٤٧، رقم الحديث (٢٠٧٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التزعفر للرجال ٧/٤٨.

قـــال ابـــن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث من الفقه أن الزعفران هو من طيـــب النساء وليس من طيب الرجال، فعلى هذا أرى أن لا يتطيب الرجل بطيب فيه زعفران، والتزعفر: هو استعمال الزعفران"(١).

وهذا ردٌّ على الصوفية في بدعة لبس الثياب المزعفرة.

كذلك كره ابن قدامة -رحمه الله- لبس الثياب الملونة كالأحمر وغيره قال: "تكره للرجال لبسها والصلاة فيها، وقد اشترى عمر ثوباً، فرأى فيه خيطاً أحمر فردَّه"(٢).

والمصـــطفى الكريم ﷺ حث على لبس البياض من الثياب كما يدل لذلك حديث ابـــن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: « **البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم** »(٣).

فدل الحديث على كراهية لبس الثياب الملونة الذي تفعله الصوفية.

وذهـــب الطرطوشـــي -رحمـــه الله- إلى أن طائفـــة الصوفية زينت المرد بالحلي والمصبغات من الثياب عند استحضارهم في مجالسهم للنظر في وجوههم وعدَّ ذلك من الفتـــنة، فهو يقول: "إن هذه الطائفة -يعني الصوفية- تضيف إلى ما هي فيه من الباطل استحضـــار المرْد في مجالسهم والنظر في وجوههم، وربما زيَّنوهم بالحلي والمصبغات من

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٥/٢٦١.

(٢) المغني ١/٥٨٦.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء ما يستحب من الأكفان ٢/٢٣٢، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

الثياب وتزعم أنها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع"[1].

ولقد أنشد كمال الدين الأنباري[2] وهو يرد على الصوفية هذه البدع في لباس الخرقة قائلا:

دع الفؤاد بما فيه من الخرق — ليس التصوّف بالتلبس والخرق
بل التصوف صفوة القلب من كدر — ورؤية الصوفية أعظم الخرق
وصبر النفس على أذى مطاعمها — ومن مطامعها في الخلق بالخلق
وترك دعوى بمعنى فيه حقته — فكيف دعوى بلا معنى ولا خلق [3].

وبهذه المواقف من علماء السلف تبطل دعاوي المتصوفة وشعاراتهم في اللباس وتبقى

(١) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع/ للطرطوشي ص٢٥٣.

(٢) كمال الدين الأنباري: أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري، من علماء القرن السادس ولد سنة ٥١٣هـ، كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو، مشارك في أنواع العلوم، كان زاهداً، عابداً، تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد، قال الذهبي: مضى على أسدِّ طريقة من مصنّفاته النور اللائح في اعتقاد السلف الصالح، والأنبار المنسوب إليها قرية على الفرات، توفي رحمه الله سنة ٥٧٧هـ.

(انظر في ترجمته: شذرات الذهب ٢٥٩/٤، ومرآة الجنان ٤٠٨/٣ ومعجم المؤلّفين ١١٥/٢).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ١١٤/٢١.

هــذه المصبغات والمرقعات والخرق مقتبسه من بعض الديانات الأجنبية[1]. وبعيدة كل البعد عن عادات وتقاليد المجتمع الإسلامي(*).

---

(١) وقــد تأثّـر الصوفية باللباس والشعار بالرهبنة المسيحية التي كان فيها الرهبان يلبسون الصوف في أديـرتهم كثرة كثيرة من المنقطعين لهذه الممارسة على امتداد الأرض التي حررها الإسلام بالتوحيد، أعطى هو الآخر دورا في التأثير الذي بدأ على سلوك الأوائل.

(انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا د. صابر طعيمة ص ١٧).

كذلـك فـإن للعقائد الهندية أثر في ذلك يقول المستشرق جولد تسهير: "ومما يدل أيضاً على أثر العقائد الهندية أن المريد عندما يتم قبوله في الجماعة الصوفية يمنح خرقة تعتبر رمزاً إلى الفقر واعتزال الدنـيا، وقـد أوجدت القصص الصوفية تبعاً لأسلوبها ومنهاجها أصلاً للخرقة في السيرة النبوية، وربطـت موضـوعها بالـنبي ﷺ نفسه"، ثم قال: "ولكن لا نستطيع أن نتجاهل أن الخرقة كرمز للاندمـاج في الجماعة الصوفية تشبه طريقة الاندماج في جماعة (البيكشو) الهندية الذي يتم بتسلم الثوب ومعرفة القواعد والآداب التي يتحتم على المريد اتباعها".

العقيـدة والشـريعة في الإسـلام/ أجناس جولد تسهير نقله إلى العربية وعلق عليه/ محمد يوسف موسى، ط١ (القاهرة: دار الكتاب المصري-١٩٤٦م) ص١٤٥-١٤٦.

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص١٨٧، ١٩١، ومختصر منهاج القاصدين ص٢٦٦-٢٦٧.

وابن عقيل، انظر تلبيس ص٣٧٥-٣٧٦، ٢٧٤.

وابن باشكوال في الصلة لابن باشكوال ١٤٦/١.

الفصل الرابع

جهود علماء السلف في القرن السادس

تجاه الرموز والغموض عند الصوفية

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد : يشتمل على تعريف الرموز والغموض لغةً واصلاحاً.

المبحث الأول : الرموز والغموض عند الصوفية.

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه الرموز والغموض عند الصوفية.

التمهيد

يشتمل على تعريف الرمز والغمض لغةً واصطلاحاً

الرمز في اللغة:

- قال ابن فارس: "الراء والميم والزاء أصل واحد يدل على حركة واضطراب"[1].

- والرمز: الإيماء والإشارة وجمعه رموز[2].

وفي اصطلاح الصوفية:

- يقول الطوسي: الرمز هو "معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله"[3].
- ويقول ابن عجيبة[4]: الرموز: هي الإيماء وأسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم"[5].

---

(١) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس/ تحقيق شهاب الدين أبو عمر ط١(بيروت: دار الفكر – ١٤١٥هـ) ص ٤٢٢.

(٢) انظر: مختار الصحاح ص ٢٥٦، والمعجم الوسيط ٣٧٢/١.

(٣) اللمع ص ٤١٤.

(٤) ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني، أبوالعباس، ولد سنة ١١٦٠هـ صوفي، من تصانيفه إيقاظ الهمم، توفي سنة ١٢٢٤هـ. انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٣٠٠/١.

(٥) إيقاظ الهمم ص ١٥٣.

والغمض:

- قـــال ابن فارس: "الغين والميم والضاد أصل صحيح يدل على تضامن في شيء وتداخل، فالغمض ما تطامن من الأرض وجمعه غموض".
- ويقال: "غمض الشيء من العلم وغيره، فهو غامض"[(1)].
- والغمض: "كلام غامض غير واضح"[(2)].

(١) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ٨١٥.

(٢) المعجم الوسيط ٢/٦٦٢.

المبحث الأول

الرموز والغموض عند الصوفية

عند استقصاء وتتبع أحوال أوائل الصوفية؛ نجد طابع التشدد والتقعر هو الغالب عليهم، حتى جاء القرن الخامس الهجري واختلط التصوّف بالفلسفة فنتج عن ذلك أن تبنت الصوفية مصطلحات خاصة بها يغلب عليها طابع الرمز والغمض والإشارات والألغاز مما يسوغ تفسيرها كل حسب ما يحلو له.

والمطلع على مصنّفات الصوفية وأقوال غلاتهم، يجد استخدامهم للغة الرموز والغموض في التعبير عن عباراتهم وإشاراتهم وأفكارهم المزخرفة، إذ أن استخدام هذا النوع من اللغة أمر تحتمه طبيعة التجربة الصوفية، ولا يمكن التعبير بذلك بألفاظ اللغة العادية.

لهذا قيل عن التصوّف "أنه علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق؛ بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحلّ تلك المقامات"(١).

(١) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٠٣.

ويقول الكلاباذي: "اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها، تعارفوها بينهم ورمـــزوا بها، فأدركه صاحبه، وخفي على السامع الذي لم يحل مقامه، فإما أن يحسن ظـــنه بالقائل فيقبله ويرجع إلى نفسه فيحكم عليها لقصور فهمه عنه، أو لسوء ظنه به فيهوس قائله وينسبه إلى الهذيان"[1].

وتشـــير المصادر الصوفية، أن أول من استخدم الرمزية أبو سعيد بن أبـــي الخيـــر (ت٤٤١هـــ)[2]، بل أن البعض يشير إلى أن ذا النون المصري (ت٢٤٥هـــ) هو أول من لجأ إلى هذا الأسلوب في التعبير[3].

وحِرْص الصوفية على استخدام الرمزية في التعبير عن ما يصلون إليه من أحوال ومعارف؛ نـــاتج عـــن غيرتهم على طريقتهم من أن تكشف لغيرهم فيساء فهمها ويحصل الانحراف في التأويل مما يوقع في الضلال وهو ما ادّعى أصحاب هذا الاتجاه إلى القول بضرورة الستر.

يقـــول القشـــيري: ". نعم ما فعل القوم من الرموز، فإنهم إنما فعلوا ذلك غيرة على طـــريقة أهل الله عزّ وجلّ أن تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب، فيضلوا في أنفسهم ويضلوا غيرهم"[4].

---

(١) ن. م ص ١٠٥.

(٢) انظر: الموسوعة الصوفية للحفني ص ١٠.

(٣) انظر: من قضايا التصوّف في ضوء التكاب والسنة ص ٦٤.

(٤) اليواقيـــت والجواهر للشعراني (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – ١٣٧٨هـــ) ١٩/١.

واستخدام الصوفية للرمزية كما هو واضح مقصور عليهم دون من سواهم، هدفهم بذلك أن تكون غامضة على غيرهم يقول في ذلك القشيري: "وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجماع والستر على من باينهم، في طريقتهم، لتكون من معاني ألفاظهم مستبهمة عن الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة لضرب تصرّف، بل هي معان أودعها الله تعالى في قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم"[(1)].

وقال بذلك المعنى الكلاباذي: " إن للقوم عبارات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم...، وأما كنه أحوالهم، فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة"[(2)].

وأوضح الغزالي أسباب استخدام الصوفية للرمزية في التعبير قائلا:

" الأسرار التي يختص بها المقربون يدركها ولا يشاركهم الأكثرون في عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم، ترجع إلى خمسة أقسام:

١ - أن يكون الشيء في نفسه دقيقا، تكل الأفهام عن دركه، فيختص بدركه الخواص -الصوفية- وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله، فيصير ذلك فتنة عليهم، حيث يقصر أفهامهم عن الدرك.

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٧.

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٣٠.

٢ - من الخفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين.

٣ - أن يكـــون الشـــيء بحيث لو ذكر صريحا يفهم، و لم يكن منه ضرر، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعة في قلب المستمع أغلب.

٤ - أن يـــدرك الإنسان الشيء جملة، ثم يدركه مفصلا، بالتحقيق والذوق، بأن يصـــير حـــالا فلا يسأله، فيتفاوت القلمان، ويكون الأول كالقشرة والثاني كاللباب، والأول كالظاهر، والثاني كالباطن.

٥ - أن يعـــبر بلســـان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا، والبصير بالحقائق يدرك الرقية"[١].

ويـــزعم الصوفية أنهم دوّنوا علومهم وجعلوا لها رموزا مصلحة للناس وغيرة على أسرار الله، أن تذاع بين المحجوبين[٢] -العامة- وأنشدوا في ذلك شعرا قالوا فيه:

ألا أن الرموز دليـــل صـــدق — على المعنى المغيب في الفـــؤاد
وكل العارفين لـــها رمـــــوز — وألغاز تـــــدق على الأعادي
ولو لا اللغز كان القول كفرا — وأدى العاملين إلى الفسادي [٣]

(١) الإحياء /١٠٠-١٠٣.

(٢) المحجوبين: يقصد بهم أهل السنة والجماعة!!.

(٣) اليواقيت والجواهر ١٩/١.

ونقـــل الكلابـــاذي عن بعض المتكلّمين أنه قال لأبي العباس بن عطاء على سبيل التندر:

مـــا بالكم أيها المتصوّفة قد اشتققتم ألفاظا أغربتم بها عن السامعين، وخرجتم عن اللسان المعتاد؟! هل هذا إلا طلب للتمويه، أو ستر لعوار المذهب؟!.

فقـــال أبـــو العباس: ما فعلنا ذلك إلاّ لغيرتنا عليه لعزته علينا، كي لا يشر بها غير طائفتنا"[(١)]. لذا فهم يحرمون النظر في كتبهم على من لم يكن من أهل طريقتهم.

وقد حكموا على من نقل كلامهم إلى غيرهم بجهنم هو والمنقول إليه، بل قالوا من باح بالسر استحق القتل[(٢)].

وقد قال الشبلي: "كنت أنا والحسين بن منصور (أي: الحلاّج) شيئا واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت"[(٣)].

وهذا فيه دلاله قاطعة على وجوب المحافظة على أسرر علوم الصوفية، وأن إفشائها خطر على الصوفية أنفسهم!!.

فالشـــبلي هنا يلوم صاحبه على إظهار ما كان يجب أن يخفيه، ولكنه يقر بأنه كان

(١) التعرّف على مذهب أهل التصوّف ص ١٠٥.

(٢) اليواقيت والجواهر ١/١٧.

(٣) شطحات الصوفية ص ٢٤، ومتصوّفة بغداد ص ٢٠٥.

أحرص على كتمان الأسرار التي إن ظهرت فإنها تلحق الضرر بالمذهب الصوفي وأتباعه.

ويــروى عــن الجنيد أنه قال للشبلي : "نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ، ثم خبأناه في السراديب ، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ"[(١)].

وقالوا:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم

وكذا دماء البائحين تباح[(٢)]

ومــن جوانب الرموز والغموض في مصطلحات الصوفية وهو ما يتضح من خلال أقوالهم.

عــندما سئل ذو النون المصري عن أول درجة العارف، قال: "التحير ثم الافتقار ثم الاتصال ثم التحير"[(٣)].

وفي تعريفهم لليقين بأنه "اتصال البين وانفصال ما بين البين"[(٤)].

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٧٠ .

(٢) التصوف في الإسلام / عمر فروخ ص١١٥ .

(٣) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص١٥٥.

(٤) ن. م ص ١٢١.

وانظر إلى جوانب الرموز والغموض في كلام الغزالي كما يبدو واضحا:

"وكما لا إله إلا هو. فإن (هو) عبارة عما إليه إشارة: كيفما كان، فلا إشارة إلا إليه. بل كلّما أشرت إليه فهو بالحقيقة إشارة إليه. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(١)(٢).

ويقول الصوفية أن علمهم هذا يقوم على الإشارة، فإذا صار عبارة خفي كما يقول الروذباري(٣).

ويقصد الروذباري بذلك أن علوم الصوفية لا يمكن التعبير عنها بألفاظ اللغة العربية، وإذا اضطر الصوفي إلى التعبير عنها بهذه الألفاظ خفي معناها على الغير.

لذا استخدم الصوفية نوعا آخر من الرمز والغموض، ذلك هو التفسير الإشاري لآي الذكر الحكيم .

يقولون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾(٤). المراد به قلب آدم عليه السلام، لأنه أول بيت وضع للرب في البشر، وهو أيضاً بجسده مدفون تحت

---

(١) سورة البقرة، آية (١١٥).

(٢) مشكاة الأنوار للغزالي شرح ودراسة وتحقيق عبد العزيز عز الدين ط١(بيروت: عالم الكتب – ١٤٠٧هـ) ص ١٤٤.

(٣) انظر: إيقاظ الهمم أحمد بن محمد بن عجيبة (القاهرة : مكتبة زهران) ص ٤٥، واللمع ص ٤١٤.

(٤) سورة آل عمران آية ٩٦.

عتـــبة هـــذا البيت، كما أعطاه الكشف وأما بنية الكعبة فهو مثال مضروب للقاصرين ليتذكروا به المعنى عند رؤية مثاله، فافهم"[1].

كذلـــك مـــن صـــور تفســـيرهم الإشاري للقرآن الكريم، ما نقله ابن عطاء بن الإســـكندري عن بعض مشايخه الذي فسّر قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾[2] أي الحسنات، وقوله تعالى: ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[3] أي العلوم .

وفي قوـــله تعـــالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾[4] أي علوما وحسنات وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾[5] لا علم لـــه ولا حسنة"[6].

وتحـــت هـــذا العلم أعني، علم الإشارة، تكون الخواطر والمشاهدات والمكاشفات للصـــوفية الذين يزعمون تفرّدهم بذلك ويحصل جل ذلك بالمنازلات والمواجيد. كما يقول الكلاباذي[7].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٣١.

(٢) سورة الشورى آية ٥٠.

(٣) سورة الشورى آية ٥٠.

(٤) سورة الشورى آية ٥١.

(٥) سورة الشورى آية ٥١.

(٦) لطائف المنن لابن عطاء ابن السكندري، ط٢(القاهرة: مطبعة عالم الفكر ١٤١٣هـ) ص ١٥٨-١٥٩.

(٧) انظر التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٠٣.

ومن مصطلحات الصوفية الغامضة (الجمع والتفرقة) وقد شرح الجرجاني هذه المصطلحات فزادها غموضا، حيث قال: "الفرق ما نسب إليك، والجمع ما سلب عنك"(١).

وبعد أن تكلّم الكلاباذي عن بعض المصطلحات الصوفية كالفناء والبقاء والغيبة والسكر...الخ قال: "ومن يتبع كتب القوم وفهم إشاراتهم، علم أن قولهم ما حكيناه عنهم، فإن هذه المسألة وأمثالها ليست بمنصوصات ولا مفردات، بل يعرف ذلك من قولهم بفهم رموزهم ودرك إشاراتهم"(٢).

وبعد أن تكلّم الهجويري عن بعض مصطلحات الصوفية قال:

" ولكل من المشايخ... في هذا المعنى – الفناء والبقاء – لطيفه بالرمز"(٣).

وهذا فيه تأكيد على استخدامهم للرمزية في عباراتهم.

ومما سبق بيانه تبين كيف استخدم الصوفية العبارات والمصطلحات التي يكتنفها الغموض والرمزية بهدف التمويه والتلبيس على غيرهم وحرصهم على كتمانها وإنزالهم أشد العقوبات على من يقوم بإفشائها.

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص ٧٧.

(٢) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ١٥٥.

(٣) كشف المحجوب للهجويري، دراسة د. إسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة د. أمين عبد المجيد، (بيروت: دار النهضة العربية للطابعة والنشر – ١٩٨٠م) ص ٤٨٥ بدون رقم الطبعة.



وتـــناول إسمـــاعيل التيمي -رحمه الله- أولئك المبتدعة الذين أولوا آيات القرآن الكـــريم وأحـــاديث السنة المطهرة وزخرفوها بكلام كله رموز وغموض بدعوى أهم اختصوا به دون غيرهم وحذر منهم قائلاً: "وإذا تأملت تعمقهم في التأويلات المخالفة لظاهـــر الكـــتاب والسنة وعدولهم عنهما إلى زخرف القول والغرور لتقوية باطلهم، وتقريـــبه إلى القلوب الضعيفة، لاح لك الحق، وبان الصدق فلا تلتفت إلى ما أسسوه، ولا تـــبال بما زخرفوه، والزم نص الكتاب، وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات تقف على الهدى المستقيم"[1].

وانـــتقد أبوالوليد الطرطوشي رموز ومرامز الصوفية التي اشتملت عليها علومهم وذلـــك من خلال رسالة بعث بها إلى ابن مظفر، بيّن ما في كتاب "إحياء علوم الدين" لـــلغزالي من الخواطر والوساوس الشيطانية وما اشتمل عليه من رموز الحلاج، وتكلمه في عـــلم الأحـــوال والمرامـــز الصوفية ومما جاء فيها قولـــه: "فأما ما ذكرت من أمر الغـــزالي، فـــرأيت الرجل، وكلمته، فرأيته رجلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجـــتمع فيه العقل، والفهم، وممارسة العلوم، طول زمانه، ثم بدأ لـــه الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال، ثم تصوف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطـــر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كان ينسلخ من الدين، فلما عمل "الإحياء" عمـــد يتكلم في علم الأحوال ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها،

---

(١) الحجة في بيان المحبة ٣١٦/٢.

فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات"(١).

ويعدُّ هذا الرد من الطرطوشي -رحمه الله- من أقوى الردود على الصوفية؛ لا سيما وأنه موجه لمن يزعمون أنه حجة لهم.

وعندما فسر الصوفية قوله -تعالى- ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً** ﴾(٢) بأنه قلب آدم -عليه السلام-، بيَّن علماء السلف التفسير الصحيح لذلك، البعيد كل البعد عن مزاعم الصوفية للآية الكريمة القائمة على الرمزية والإشارة.

قال البغوي -رحمه الله- في تفسيره في سبب نزول الآية الكريمة: "أن اليهود قالوا للمسلمين: بيت المقدس قبلتنا، وهو أفضل من الكعبة، وأقدم وهو مهاجر الأنبياء، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل، فأنزل الله الآية الكريمة"(٣).

كذلك فإن تفسير السلف الصالح لآيات القرآن الكريم فيه الوضوح التام البعيد عن الغموض والتأويل والإشارة.

وقد ردَّ علماء السلف تفسيرالصوفية لقوله -تعالى- ﴿ **يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ**

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٤٤٥.

(٢) سورة آل عمران، آية ٩٦.

(٣) تفسير البغوي ٢/٦٩.

لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾[1].

قـال البغوي في تفسير الآية: "قولـه -تعالى- ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثـاً ﴾ فلا يكون لـه ولد ذكر، وقولـه -تعالى- ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ فـلا يكون لـه أنثى وفي قولـه -تعالى- ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً ﴾ يجمع لـه بيـنهما، فيولد لـه الذكور والإناث وقولـه -تعالى- ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ فلا يلد ولا يولد لـه.

وقيل هذا في الأنبياء -عليهم السلام-، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة الناس"[2].

وبهـذا التفسـير تـبطل مزاعم الصوفية التي ذهبت إليها والتي قامت على التفسير الإشاري للقرآن الكريم كله رموز وغموض لا معنى لها.

وبهذه الردود من علماء السلف يتبيّن أن مصطلحات الصوفية وما شابهها من رموز وغموض وإشارات غير مفهومة؛ هي بعيدة عن اللسان العربي ودخيلة عليه من الثقافات الأجنـبية[3] ومبـتدعة لا أصل لها في الدين، وترهات وخزعبلات، دخل من بابها كل

---

(١) سورة الشورى، آية ٥٠.

(٢) تفسير البغوي ٧/٢٠٠.

(٣) يقول د. عبد الرحمن بدوي: "وأما قضية المصطلحات التي روّجوها بين الناس، واستعملوها فيما

ملحد وزنديق، وقد حذّر الله سبحانه من اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وهو ما يسعى إليه أعداء الإسلام من الكفرة والمبتدعة الذين يريدون التلبيس على الناس بألفاظ معسولة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(١).

كذلك فإن استخدام الصوفية للرمزية والتفسير الإشاري للقرآن فيه خلط الحق بالباطل فتلبس الأمور على الناس ويحصل الزيغ والهلاك، وقد نهانا الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾(٢).

إذ لا ضابط ولا رابط لهذا النوع من التفسير الذي أسموه التفسير الإشاري الذي

= بينهم، فلا يشك أحد في كونها أجنبية في الإسلام، ولغة الإسلام العربية، ومقتبسة مأخوذة من المسيحية بحروفها وألفاظها، معانيها ومدلولاتها".

(تاريخ التصوّف الإسلامي د. عبد الرحمن بدوي. ط١(الكويت: وكالة المطبوعات – ١٩٧٨م) ص ٣٣)

(١) سورة آل عمران آية ٨.

(٢) سورة البقرة آية ٤٢.

مكّنهم من تأويل كل نص قرآني وكل حديث ليوائم ما قرّروه ورأوه(*).

(*) العلماء الآخرون الذين ردوا على الصوفية في هذه المسألة هم:

ابن عقيل، انظر تلبيس إبليس ٣٤٩-٣٥٠، ٣٧٤.

ابن الجوزي، انظر تلبيس إبليس ص٣٤٩-٣٥٠.

ابن العربي المالكي في العواصم من القواصم، تحقيق د. عمار الطالبي (ط١/ الدوحة – دار الثقافة – ١٤١٣هـ) ص٧٨-٧٩، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٠.

والقاضي عياض في الشفاء ١٠٧٧/٢.

وانظر الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، كمال الدين ابن الفضل الآدفوي تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد عيسى صالحين، ط١ (الكويت: مكتبة دار العروبة – ١٤٠٨هـ) ص٧٠-٧١.

الباب الرابع

علماء السلف في القرن السادس الهجري وأساليبهم في الرد على الصوفية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : علماء السلف في القرن السادس الهجري، ومواقفهم العملية والقولية في الرد على الصوفية .

الفصل الثاني : عموم أساليب علماء السلف في القرن السادس ووسائلهم في الرد على الصوفية .

الفصل الأول

علماء السلف في القرن السادس الهجري، ومواقفهم العملية والقولية في الرد على الصوفية

تمهيـــد:

مـــن خلال أبواب وفصول ومباحث ومطالب الرسالة أدركنا تلك الجهود التي بذلهـــا هـــؤلاء العـــلماء الأجلاء في القرن السادس وفي محاربتهم وإنكارهم على بدع الصوفية.

وســـيكون الحديـــث في هـــذا الباب -بعون الله- عن أولئك النجوم الساطعة والمصابيح المضيئة من علماء السلف في القرن السادس.

أولـــئك الأعـــلام الذين بذلوا كل ما في وسعهم للوقوف في وجه أهل الأهواء والـــبدع مـــن الصـــوفية وغيرهم، فكان لهم الفضل بعد الله في انتصار الحق وظهوره، ودحض الباطل واضمحلاله.

وذلك بالتعريف بهم وبجهودهم في الذب عن العقيدة وإنكار بدع الصوفية، وقد رأيت أن أرتبهم في العرض على حسب سنة الوفاة دون التفريق بين المقل والمكثر منهم.

وسيكون التعريف بكل عالم في مبحث مستقل حسب المطالب الآتية:

المطلب الأول، ترجمته ترجمة موجزة تتضمن:

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

٢- مولده.

٣- مصنفاته.

٤- شيوخه وتلاميذه.

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه.

٦- وفاته.

المطلب الثاني: مواقفه القولية والعملية في الرد على الصوفية.

البغوي (ت٥١٦هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه:

أبومحمد ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، والبغوي نسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها "بغ" بالباء الموحدة والغين المعجمة(١).

والفراء نسبة إلى أبيه الذي كان يصنع الفراء(٢) .

ويلقب بمحي السنة ، وبركن الدين(٣) .

٢- مولده :

لم تشر المصادر التي ترجمت لـه إلى السنة التي ولد فيها ، ويغلب الظن أنه ولد

---

(١) انظر : مرآة الجنان ٢١٣/٣ ، وشذرات الذهب ٤٩/٤ .

(٢) انظر : مرآة الجنان ٢١٣/٣ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ٤٤١/١٩ ، وشذرات الذهب ٤٩/٤ .

في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري [1].

٣- مؤلفاته :

لـــــه -رحمـــه الله – مصنفات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر : "معالم التـــنـــزيل في التفســـير"، قال ابن تيمية عن البغوي أنه: "صان تفسيره من الآحاديث الموضوعة والآراء البدعية"[2] "شرح السنة" وغيرها كثير[3].

٤- شيوخه وتلاميذه:

للإمام البغوي -رحمه الله- كثير من الشيوخ الأبرار الذين أخذ العلم منهم، فلقد تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروزي، وسمع من أبي عمر عبدالواحد بن أحمد الملـــيحي، وأبي الحســـن محمد بن محمد الشيرازي، وجمال الإسلام أبي الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، ويعقوب بن أحمد الصرفي، وأبي الحسن علي بن يوسف الجويني، وأبي الفضل زيـــاد بـــن محمد الحنفي، وأحمد بن أبي نصر الكوفاني، وحسان بن محمد المنيعي، وأبي بكر محمد الهيثم الترابي وغيرهم

ومـــن تلاميذه -رحمه الله-، أبو منصور محمد بن أسعد العطاري، وأبو الفتوح

---

(١) انظر : شرح السنة ، ص٢٠-٢١ .

(٢) الفتاوى ٣٥٤/١٣.

(٣) انظر : معجم المؤلفين ٦٤٤/١ ، والبداية والنهاية ١٩٣/١٢، وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩-٤٤٠.

محمـــد بن محمد الطائي وجماعة، وآخر من روي عنه بالإجازة، أبوالمكارم فضل الله بن محمد النوقاني[1].

ه‍- عقيدته وثناء العلماء عليه :

حظي الإمام البغوي بثناء وتقدير العلماء ، بما اتصف به من ورع ، وزهد ، وكثرة مصـــنفات أتحف بها المكتبة الإسلامية ، أضحى بسببها عَلَماً من أعلام الأمة الإسلامية يشار إليه بالبنان، سالكاً بذلك منهج السلف الصالح.

فقـــد ذكـــره الذهـــبي بقوله : " كان سيداً ، إماماً ، عالماً ، علاّمة ، زاهداً ، قانعاً باليســـير ...، بُورِكَ لـــه في تصانيفه ، ورزق فيها القبول التام؛ بحسن قصده ، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها ... ، كان على منهاج السلف حالاً وعقداً وله القدم الراسخة في التفسير ، والباع المديد في الفقه"[2].

كمـــا أثـــنى عليه ابن كثير بقوله : "كان علاّمة زمانه ، وكان ديّناً ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً" [3].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤٠، ٤٤١، البداية والنهاية ١٢/١٩٣، شذرات الذهب ٤/٤٩، مرآة الجنان ٣/٢١٣، طبقات الشافعية ٤/٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤١ .

(٣) البداية والنهاية ١٢/١٩٣.

وقال عنه ابن خلكان : "كان بحراً في العلوم" ، ثم وصف زهده بقوله : "ماتت لـه زوجة ، فلم يأخذ من ميراثها شيئاً ، وكان يأكل الخبز البحت ، فهزل في ذلك، فصار يأكله بالزيت"(١).

وقال عنه اليافعي (٢): "عالم أهل خراسان ، كان سيداً ، زاهداً ، قانعاً"(٣).

وأثنى عليه ابن السبكي في طبقات الشافعية بقوله :

"وكـان إمامـاً جليلاً ، ورعاً ، زاهداً ، فقيهاً ، محدثاً ، مفسراً ، جامعاً بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف ، لـه في الفقه اليد الباسطة"(٤).

وقـال عـنه الداودي(٥): "كان إماماً في الحديث ، إمامـاً في الفقه، جليلاً، ورعاً،

---

(١) وفيات الأعيان ١٣٦/٢، ١٣٧.

(٢) اليافعي : عبدالله بن أسعد بن علي بن سلمان بن فلاح اليافعي ، اليمني ، ثم المكي، صوفي، شاعر، مشـارك في الفقه والعربية واللغة والفرائض والحساب ، ولد قبل سنة ٧٠٠هـ بسنتين أو ثلاث ، ورحل إلى عدن، من تصانيفه مرآة الجنان ، ونشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية وأصحاب العالية وغيرها، توفي سنة ٧٦٨هـ . انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٢٢٩/٢-٢٣٠.

(٣) مرآة الجنان ٢١٣/٣ .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ، ط٢ (بيروت – دار المعرفة) ٢١٤/٤ .

(٥) الـداوودي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ، المصري ، الإمام ، العلاّمة ، المحدّث ، الحافظ ، المفسر ، أقام في القاهرة ، من مصنفاته : طبقات المفسرين ، شيخ أهل الحديث في عصره ، توفي سنة ٩٤٥هـ . انظر : ترجمته في شذرات الذهب ٢٦٤/٨ ، ومعجم المؤلفين ٤٩٦/٣.

زاهداً"[1].

وذكره الثعالبي بأنه كان إماماً جليلاً ، فقيهاً ، محدّثاً ، مفسراً ، جامعاً بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف"[2].

وقال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ : "كان من العلماء الربانيين ، كان ذا تعبد ونسك وقناعة باليسير"[3].

٦- وفاته : توفي - رحمه الله - بمرو الروذ ، مدينة من مدائن خراسان في شوال سنة ٥١٦هـ[4].

---

(١) طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداوودي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٤٠٣هـ) ١٦١/١.

(٢) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الثعالبي (الرباط-دار المعارف، ١٣٤٠هـ - ١٣٤٥هـ) ١٦٥/٤ .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ، ط٤ (بيروت - دار إحياء التراث العربي) ١٢٥٨/٤ .

(٤) انظر : مرآة الجنان ١٢٣/٣ ، ومعجم المؤلفين ٦٤٤/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٤٢/١٩، وشذرات الذهب ٤٩/٤ .

المطلب الثاني

مواقف البغوي العملية والقولية في الرد على الصوفية

كـــان البغوي - رحمه الله - في كتابه "شرح السنة" كثيراً ما يركز على مجانبة أهل الــبدع والأهــواء وهجرهم وتنفير الناس من مجالستهم والاختلاط بهم ، حتى أنه عقد أبواباً في هذا الموضوع ، وعضد أقواله بالأدلة من الكتاب والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح ، وهذا موقفه من هؤلاء المبتدعة الداعي إلى هجرهم والتنفير منهم .

- أسلوب الهجر والتنفير :

نــادى الــبغوي - رحمه الله تعالى - بهجر المبتدعة وعلى رأسهم المتصوفة وتركهم أحياءً وأمواتاً ، وحذر الأمة منهم ومن ضلالاتهم .

يقول - رحمه الله - بعد أن ساق بعض الأحاديث في مجانبة أهل البدع : "فعلى المرء المســلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً ، أو يتهاون بشيء من الســنن أن يهجره ويتبرأ منه ويتركه حياً وميتاً ، فلا يسلم عليه إذا لقيه ، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ، ويراجع الحق"[1].

---

(١) شرح السنة ١/٢٢٤ .

وكلامه – رحمه الله – هذا ينطبق على الصوفية الذين امتلأت مصنفاتهم بالضلالات والخرافات المشتملة على الكثير من البدع، فأسلوبه –رحمه الله– هذا أسلوب راق، ويعد من الأساليب التي هي القاعدة التي ينطلق منها العلماء في الرد على المبتدعة وعلى رأسهم الصوفية .

وعند قوله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (١).

حذر – رحمه الله – من مجالسة هؤلاء المبتدعة ، ونقل في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : "دخل في هذه الآية كل محدث في البدعة ، وكل مبتدع إلى يوم القيامة"(٢).

ثم أكّد – رحمه الله – على أهمية معاداة المبتدعة بقوله :

"وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم" (٣).

ورد عليهم دعواهم صيام الدهر ، مبيناً أنه في ذلك مشقة وعناء ، وأن الشرع نهى

(١) سورة النساء ، آية (١٤٠) .

(٢) تفسير البغوي ٣٠١/٢ .

(٣) شرح السنة ٢٢٧/١.

عن ذلك[1].

رحم الله البغوي رحمة واسعة.

(١) انظر : ن . م ٦/٣٦٣ .

ابن الحداد (ت/ ٥١٧هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته

هو عبيدالله بن الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني، الحدَّاد.

وكنيته: أبونعيم(١).

٢- مولده:

ولد ابن الحداد سنة ثلاث وستين وأربعمائة للهجرة(٢).

٣- مؤلفاته:

أطراف الصحيحين وغيره(١).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٦/١٩، شذرات الذهب ٥٦/٤، الأعلام ١٩٣/٤.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٦/١٩، المنتظم ٢٢١/١٨.

٤- شيوخه وتلاميذه:

سمـــع من عبدالوهاب بن منده، وأبي طاهر أحمد بن محمد النقاش، وسليمان بن إبراهـــيم، ولقـــي بنيسابور أبا المظفر موسى بن عمران، وسمع أبا بكر الشيرازي، وأبا عـــبدالله العمير، ونجيب بن ميمون، وأبا عامر الأزدي، وأبا الغنائم أبي عثمان، والنقّالي، وطراد بن محمد وغيرهم(٢).

أما تلاميذه: قال الذهبي: "آخر من روي عنه بالإجازة عفيفة الفارفانية"(٣).

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

كان أبونعيم من أعيان المحدثين الحفّاظ.

قـــال عنه محمد بن عبدالواحد الدقاق هو: "أحد العلماء في فنون كثيرة،

---

(١) انظـــر عن مؤلفاته: شذرات الذهب ٤/٥٦، سير أعلام النبلاء ١٩/٤٨٧، الأعلام ٤/١٩٣، مرآة الجنان ٣/٢٢١، معجم المؤلفين ٢/٣٥٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٤٨٦، المنتظم ١٧/٢٢١، شذرات الذهب ٤/٥٦، معجم المؤلفين ٢/٣٥٠.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٤٨٧، الأعلام ٤/١٩٣.

بلغ مبلغ الإمامة بلا مدافعة..، صدوق في جمعه وكتبه، أمين في قراءته"[1].

وقال عنه ابن الجوزي: "وكان أديباً حميد الطريقة غزير الدمعة"[2].

وقال الذهبي: "قد نسخ الكثير وصنف، وكان يكرم الغرباء ويفيدهم ويهبهم الأجزاء، وفيه دين وتقوى وخشية، ومحاسنه جمَّة"[3].

ولقبه: ابن القيم -مدحاً له- بـ "الإمام حجة الإسلام"[4].

٦- وفاته:

توفي ابن الحداد -رحمه الله- في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وخمسمائة للهجرة، عن أربع وخمسين سنة[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١٩.

(٢) المنتظم ٢٢١/١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١٩.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١٩، شذرات الذهب ٥٦/٤، الأعلام ١٩٣/٤.

المطلب الثاني

مواقف ابن الحداد القولية والعملية في الرد على الصوفية

أمام ترهات الصوفية وخز عبلاهم، وزعمهم تلقي علومهم والاستدلال عليها بما يسمى عندهم بالكشف والخواطر والإلهام وتقديم أذواقهم ومواجيدهم على النصوص الشرعية؛ نجد ابن الحداد –رحمه الله– يبين الصواب في هذه المسألة، وما عليه هؤلاء المبتدعة من ضلال عندما قدموا رأيهم على الشرع.

فابن الحداد أخضع الآراء البشرية لنصوص الشرع الثابتة، وجعلها تابعة للنقل وموافقة له، ويدل على ذلك تقريره لهذه المسألة بقوله:

"... لا نجاوز ذلك، ولا نزيد، بل نقف عنده، وننتهي إليه ولا ندخل فيه برأي ولا قياس، لبعد الله عن الأشكال والأجناس"[1].

وهذه قاعدة جليلة في الدين تبطل كل مناهج التلقي والاستدلال عند عامة المبتدعة وعلى رأسهم المتصوفة.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٧٦.

ويقول -رحمه الله- حينما سئل عن الاعتقاد الحق: "الذي يجب على العبد اعتقاده ويلزمه في ظاهره وباطنه اعتماده ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصدر الأول من علماء السلف وأئمتهم الذين هم أعلام الدين وقدوة من بعدهم من المسلمين"(١).

ويخرج بذلك كل مناهج التلقي والاستدلال عند عامة المبتدعة وعلى رأسهم المتصوفة، لمخالفتها لمنهج شرع الله.

رحم الله ابن الحداد رحمة واسعة.

(١) ن. م ص١٧٥.

الطرطوشي (ت٥٢٠هـ)

المطلب الأول

ترجمتـه

١- اسمه :

أبوبكر ، محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري بن رندقة الأندلسي الطرطوشي[(١)].

يعرف بابن رندقة[(٢)]، أو بابن أبي وندقة[(٣)].

قال ابن خلكان : "رندقة بفتح الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة والقاف، وهي لفظة فرنجية ، سألت بعض الإفرنج عنها فقال معناه : "تعال"[(٤)].

---

(١) انظر : بغية الملتمس ، أحمد بن يحيى الضبي ، تحقيق د. وجيه عبدالرحمن السويفي ، ط١ (بيروت – دار الكتب العلمية – ١٤١٧هـ) ص١١٧، الديباج المذهب ٢/٢٤٤.

(٢) انظر : الصلة ٢/٥٢٥ .

(٣) وفيات الأعيان ٤/٢٦٥ .

(٤) كشف الظنون ٦/٨٥ .

٢- مولده :

وُلد في شوال سنة ٤٥١هـ[١].

٣- مؤلفاته :

مـــن تصانيفه – رحمه الله – البديعة "الحوادث والبدع" ، ورسالة في تحريم الجبن الرومي والغناء والسماع ، الدعاء المأثور وآدابه، وغيرها [٢].

٤- شيوخه وتلاميذه:

تفقه الطرطوشي -رحمه الله- على جملة من المشايخ من أبرزهم بالأندلس، الإمام أبوالوليد الباجي وأبومحمد بن حزم.

وتتلمذ بعد رحلته على يد علماء بالمشرق كأبي بكر الشاشي وأبي العباس أحمد الجـــرجاني، وأبي عـــلي التستري، وأبي عبدالله الدامغاني، وأبي محمد رزق الله التميمي الحنبلي، وأبي عبدالله الحميدي وغيرهم[٣].

أما تلاميذه فقال الذهبي: "حدث عنه أبوطاهر السلفي، والفقيه سلاّر بن المقدم،

---

(١) الغنية للقاضي عياض ، ط١ (دار الغرب الإسلامي) ص٦٢-٦٣ .

(٢) انظر : كشف الظنون ٨٥/٦ ، ومعجم المؤلفين ٧٦٢/٣ .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٩٠/١٩، ٤٩١، شذرات الذهب ٦٢/٤، مرآة الجنان ٢٢٦/٣.

وجوهر بن لؤلؤ المقرئ، الفقيه صالح بن بنت معافى المالكي، وعبدالله بن عطاف الأزدي، ويوسف بن محمد القروي الفرضي، وعلي بن مهدي بن قلينا، وأبوطالب أحمد المسلم اللخمي، وظافر بن عطية، وأبوالطاهر إسماعيل بن عوف، وأبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن العثماني، وعبدالمجيد بن دليل وآخرون"[1].

ومن تلاميذه: القاضي أبوبكر ابن العربي المالكي، وأبوبكر الغسَّاني محمد ابن إبراهيم بن أحمد بن الأسود، وأبوبكر محمد بن الحسين الميورقي، وأبوعلي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر الأنصاري، وإبراهيم بن أحمد بن عبدالله السلمي الحاكم، وإبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن صالح المرادي، وإبراهيم بن الحاج أحمد بن عبدالرحمن الأنصاري، والوليد بن موفق أبوالحسن السبتي، وحسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفي، وأبوالفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، وابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، وسند بن عنان الأزدي أكبر تلاميذ الطرطوشي ، وأحمد بن أحمد بن إسحاق الدندانقاني السمعاني، وأحمد بن محمد بن أحمد الأصفهاني، أبوطاهر السلفي، إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى الزهري، وظافر بن عطية بن مولاهم

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٤٩٣.

بن فائد اللخمي[1].

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه :

اشتهر الطرطوشي - رحمه الله - من بين علماء الأندلس بالعلم والرد على المبتدعات في الدين ، فأصبح من علماء السلف الذين يُشار إليهم ويؤخذ من علمهم ، وحصل له القبول التام والثناء من العلماء ، وهو سلفي العقيدة .

قال القاضي عياض عنه - رحمه الله - : "وسكن الشام مدة وتقدم في الفقه مذهباً وخلافاً وفي الأصول وعلم التوحيد ، وحصلت له الإمامة ، ودرس ولازم الزهد والانقباض والقناعة مع بعد صيته وعظم رياسته"[2].

وقال عنه أبوبكر بن العربي عند لقائه له في دمشق وبيت المقدس : "فشاهدت هديه، وسمعت كلامه ، فامتلأت عيني وأذني منه"[3].

ووصفه ابن العربي - أيضاً - : "بالعلم والفضل والزهد في الدنيا والإقبال على ما

(١) انظر: كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي التمهيد ص٢٣-٢٥، ورسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع للطرطوشي أيضاً التمهيد ص٣٨-٤٤.

(٢) الغنية للقاضي عياض ص٦٢-٦٣ .

(٣) قانون التأويل ص٤٣٥ .

يغنيه"(١).

كما أثنى عليه ابن بشكوال في الصلة فقال : "كان إماماً عالماً ، عاملاً زاهداً ، ورعاً ديناً متواضعاً ، متقشفاً ، متقللاً من الدنيا ، راضياً منها باليسير"(٢).

وذكـر الذهـبي عن أحد(٣) مشايخ الطرطوشي قوْله : "كان شيخنا أبوبكر زهده وعبادته أكثر من علمه"(٤).

كمـا ذكـره الضبي(٥) بقوله : "فقيه حافظ ، إمام محدث ، ثقة زاهد ، فاضل عالم عامل" (٦).

---

(١) الصلة ٥٤٥/٢ .

(٢) الصلة ٥٤٥/٢ .

(٣) هو إبراهيم بن مهدي بن قلينا .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٩٢/١٩ .

(٥) الضبي : أبو جعفر ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي ، مؤرخ ولد في مدينة بلش بالأندلس ، طـاف شمـال إفـريقية ، وزار سبته ومراكش وبجاية ، ثم جاء إلى الأسكندرية . من مؤلفاته "بغية الملـتمس في تـاريخ رجال أهل الأندلس" . توفي سنة ٥٩٩هـ ، انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٣٢١/١.

(٦) البغية ، ص١١٧ .

بـــل ذهـــب أبعد من ذلك فرأى فيه : " أوحد زمانه علماً ، وورعاً ، وزهداً ، و لم يتشبث من الدنيا بشيء إلى أن توفي"[1].

وقـــال عـــنه ابـــن فرحون [2]: "وكان إماماً عالماً عاملاً زاهداً، ورعاً ديناً متواضعاً متقشفاً متقللاً من الدنيا، راضياً باليسير منها"[3].

٦- **وفاتــه** : تــوفي في الأســكندرية في جمادى الأولى سنة ٥٢٠هـــ ، وقيل : في شعبان[4]، وقيل : في سنة ٥٢٥هـــ[5].

---

(١) ن . م ص١٢٠ .

(٢) ابـــن فرحون : إبراهيم بن علي بن محمد بن بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري ، المدني ، المـــالكي (أبوالوفـــاء ، بـــرهان الدين) ، ولد بالمدينة سنة ٧١٩هـــ ، وولي قضاءها ، من مصنفاته "الديباج المذهب في أعيان المذهب" ، توفي سنة ٧٩٩هـــ بالمدينة ودفن بالبقيع .

(انظر : شذرات الذهب ٣٥٧/٦ ، ومعجم المؤلفين ٤٨/١) .

(٣) انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي. ٢٤٥/٢، تحقيق : محمد الأحمدي أبوالنور (القاهرة – مكتبة دار التراث) ٣٥١/٢ .

(٤) انظر : الصلة ٥٤٥/٢ ، وكشف الظنون ٨٥/٦ .

(٥) انظر : البغية ص١١٩ .

المطلب الثاني

مواقف الطرطوشي العملية والقولية في الرد على الصوفية

أبوبكر الطرطوشي من أبرز علماء السلف في القرن السادس الهجري المنكرين للبدع والمحدثات في الدين ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم .

فمن مواقفه في الرد على الصوفية في :

١- منهج التلقي والاستدلال:

انـــتقد أبوالوليد الطرطوشي منهج التلقي والاستدلال عند الصوفية الذي اعتمد على الخواطر والوساوس الشيطانية وعلومهم التي اختلطت برموز الحلاج خاصة ومرامز الصوفية عامة، وذلك من خلال نقده للغزالي ومصنفه "إحياء علوم الدين" الذي شحنه بالأحاديث الموضوعة وذلك في رسالة بعثها إلى ابن مظفر جاء فيها:

"فأما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيت الرجل، وكلمته، فرأيته رجلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل، والفهم، وممارسة العلوم، طول زمانه، ثم بدا لــــه الانصراف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد ينسلخ من الديـــن، فلما عمل "الإحياء" عمد يتكلم في علم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير

أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات"[1].

٢- العبادات :

أنكـــر أبوبكـــر الطرطوشي - رحمه الله - على الصوفية إحياءهم ليلة النصف من شـــعبان ، وكذلك بدعة صلاة الرغائب وبيّن أنهما من الأمور المحدثة في الدين لا أصل لهما في الشرع[2].

٣- الدعاء والغلو في الأولياء :

أنكر الطرطوشي توجه الصوفية بالدعاء إلى أوليائهم المقبورين ، وعدّ ذلك نوعاً من الحج المبتدع الذي لم يشرعه الله جل وعلا ، وهو من اتخاذ القبور أعياداً[3].

كما أنكر على المبتدعة الصوفية خرافاتهم بالذكر ، وما يصحبه من تواجد ورقص ، وعدَّ ذلك دين الكفار وعبَّاد العجل والزنادقة[4].

وهـــو يتعجـــب - رحمه الله - من إعراضهم عن الدعوات المأثورة التي ذكر الله في

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٤٥/٣.

(٢) انظر : الحوادث والبدع ، ص١٠٢-١٠٤ ، والمعيار المعرب ١٨٦/١٢ .

(٣) انظر : الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، ص٨٦ .

(٤) انظر : المعيار المعرب ١٦٢/١١-١٦٣ .

كتابه عن الأنبياء والأصفياء ، واختيارهم لألفاظ الشعراء والكتاب بدلاً عنها(١).

٤- النظر إلى المرد :

ردّ الطرطوشـي علـى المبتدعة الصوفية مزاعمهم الفاسدة في جواز النظر إلى وجه الأمـرد بحجة زيادة الإيمان ، واحتج عليهم بأقوال بعض مشايخهم الذين ينكرون على قومهم ذلك المسلك القبيح ، حتى قال : إن ذلك نهاية في متابعة الهوى ، ومخادعة العقل ومخالفة العلم(٢).

وعـدّ مـن ابتلي بهذا السلوك القبيح : "أنه عبد أهانه الله وخذله، وكشف عورته، وأبدى سوأته ، وله عند الله سوء المنقلب في الأجل"(٣).

٥- السمـاع :

أنكـر الطرطوشـي على الصوفية ذلك التواجد والرقص المصاحب للسماع عندهم والذي اعتقدوه عبادة لله وتقرباً إليه ، وعدّها طائفة مخالفة للإسلام والمسلمين ، فقال : "هـذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين ؛ لأنهم جعلوا الغناء ديناً وطاعة ، ورأت إعلانه في المساجد والجوامع وسائر البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة ، وليس في الأمة من رأى

(١) انظر : الفتوحات الربانية ١٧/١ ، وسلاح المؤمن ص٢٦ .

(٢) انظر : رسالة في تحريم الجبن الرومي ، وكتاب تحريم الغناء والسماع ص٢٧٢ .

(٣) ن . م ص٢٥٤ .

هذا الرأي"[1].

وقال - رحمه الله تعالى - عن تواجدهم ورقصهم أيضاً : "أنه مذهب بطالة وجهالة وضلالة، فما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ " [2].

كما ردّ عليهم زعمهم بجواز السماع ، واحتجاجهم بتأثيره على الطفل وعلى الجمل ، وعدّ عقولهم فارغة من الاقتداء بأخبار المسلمين وعلمائهم عندما اقتدوا بالإبل، وبيّن - رحمه الله - أن الله فضحهم عندما قادهم الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة [3].

وألجمهم برد شيوخهم على من أباح السماع منهم ، كالروذباري [4] والجنيد[5] والجريري [6] [7].

---

(١) ن . م ص١٦٦ .

(٢) المعيار المعرب ١١/١٦٢ .

(٣) انظر : رسالة في تحريم الجبن الرومي ، وكتاب تحريم الغناء والسماع ص٢٣٣-٢٣٥ .

(٤) انظر : كشف المحجوب ص٤٨٩ .

(٥) انظر : عوارف المعارف ص١٦٣ .

(٦) انظر : الرسالة القشيرية ص٥٦٥ .

(٧) انظر : رسالة في تحريم الجبن الرومي ، وكتاب تحريم الغناء والسماع ص٢٢٦-٢٢٩ .

وبيَّن أن الشيطان قادهم إلى هذه الخصلة الذميمة في الشرع قائلاً : "إن هذه الطائفة استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله ، وجاهرت به جماعة من المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين ، وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين"(١).

وعَدَّ الطرطوشي – رحمه الله تعالى – ما تفعله المتصوفة عند السماع من الرقص والطرب وتمزيق الثياب من السخافة ، وانعدام المروءة والوقار ، ولم تكن عليه الأنبياء والصالحون (٢).

وقد ردَّ الطرطوشي -رحمه الله- مزاعم الصوفية أن السماع يجلب نفعاً وطاعة وتقرباً وذكراً لله، وعدَّه صنو الخمر في التأثير على العقول، قائلاً: "وأما من جهة الاستنباط، فإنه صنو الخمر ورضيعه، وحليفه، ونائبه، وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة والعقول يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفئدة ويدبّ إلى بيت التخيل، فيثير ما غُرز فيها من الهوى والشهوة والسخافة والرعونة، فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وسكوته عبرة، فإذا سمع الغناء نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه، فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدي من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكون إلى كثرة الكلام والكذب والزهزهة والفرقعة بالأصابع فيميل

---

(١) ن . م ص١٦٠-١٧٠ .

(٢) انظر : ن . م ص٢٦٣ .

برأسه، ويهز بمنكبيه، ويدق الأرض برجليه، وهكذا تفعل الخمرة إذا مالت بشاربها...، وقد شبهه بعض الشعراء بالخمر وأخبر عن تأثيره في النفوس فقال:

أتذكر ليلة وقد اجتمعنا ... على طيب السماع إلى الصباح؟
ودارت بيننا كأس الأغاني ... فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى ... سروراً والسرور هناك صاح
إذ لبَّى أخو اللذات فيه ... منادي اللهو: حيَّ على السماح!
ولم نملك سوى المهجات شيئاً ... أرقناها لألحاظ ملاح

قال الطرطوشي -رحمه الله-: ألا ترى إلى هذا السفيه منهم كيف زعم أن سامع الغناء نشوان، وهو السكران، فدلّ على أن الغناء يخمِّر كالخمر بعد أن استعار لها كؤوساً، ثم أثبتت أنها تسكر النفوس بغير راح، ثم ذكر ثمرتها، فزعم أن لذات الغناء إذا لبّت فيهم صاح اللهو، حي على السماح! ثم زعم أنه يقتل نفسه، ويريق مهجته لألحاظ ملاح.

فتأملوا -يا ذوي الألباب-: أمراً يثير لهواً وسكراً وقتلاً كيف يجذب نفعاً ويفيد طاعة وذكراً!"[1].

(١) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع ص١٩٧-١٩٩.

وبالجملة، فإن الطرطوشي -رحمه الله- كان شديداً على أهل البدع والأهواء والأديان المنحرفة، مجاهداً، صابراً، محتسباً، لا تأخذه في الله لومة لائم.

فقد كان شديداً على الشيعة العبيدين، الذين كان يعيش في ظل دولتهم، وكان -رحمه الله- سبب هداية كثير ممن ضل في عهدهم، فقد نقل عنه قوله: "إن سألني الله -تعالى- عن المقام في الأسكندرية لما كانت عليه أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة ومن غير ذلك من المناكير التي كانت في أيامهم أقول له: وجدت قوماً ضُلّالاً فكنت سبب هدايتهم"[1].

وقد اهتم -رحمه الله- بسد الذرائع الموصلة إلى الشرك حماية لحمى التوحيد، فما أثر عنه في ذلك قوله: "انظروا رحمكم الله -تعالى- أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون البر والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها"[2].

كما اهتم -أيضاً- بسد الذرائع الموصلة إلى البدع والأحداث في الدين ما لم ترد به السنة، فمن ذلك قوله بعد أن نقل أقوال بعض الأئمة من السلف الصالح في النهي عن الاجتماع عشية عرفة: "فاعلموا -رحمكم الله- أن هؤلاء الأئمة، علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة لا في غيرها، ولا منعوا من خلا

(١) الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٢٤٧.

(٢) الحوادث في البدع للطرطوشي ص١٠٥.

بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله -تعالى-، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنة يوم عرفة الاجتماع بسائر الآفاق والدعاء، فيتداعى الأمر إلى أن يدخل في الدين ما ليس منه"[1].

رحم الله الطرطوشي رحمة واسعة.

(١) ن. م ص٢٥٩.

أبوالحسن الكرّجي (ت: ٥٣٢هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته:

هو محمد بن عبدالملك بن محمد بن عمر بن محمد الكرجي[(١)]، أبوالحسن.

والكرجي: بفتح الكاف والراء، وبعدها جيم، هي بلدة من بلاد الجبل بين أصبهان وهمذان[(٢)].

٢- مولده:

ولد أبوالحسن الكرجي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة[(٣)].

---

(١) انظر: الأنساب ٤٧/٥، المنتظم ٣٣١/١٧، مرآة الجنان ٢٦٠/٣، البداية والنهاية ٢٢٨/١٢، شذرات الذهب ١٠٠/٤.

(٢) انظر: الأنساب ١٣٣/٤.

(٣) انظر: المنتظم ٣٣١/١٧.

٣- عقيدته وثناء العلماء عليه:

كان أبوالحسن -رحمه الله- "شيخ الكرج[١] وعالمها ومفتيها"[٢].

وقال ابن الجوزي عنه: "كان محدثاً فقيهاً، شاعراً، أديباً على مذهب الشافعي... وكان حسن المعاشرة ظاهر الكياسة"[٣].

وبلغ درجة عالية من العلم، فكان إماماً فقيهاً مفتياً، ومحدثاً ثقة، وأديباً شاعراً متقناً.

قال ابن السمعاني: "كان إماماً متقناً، مكثراً من الحديث"[٤].

وقال عنه أيضاً هو: "إمام ورع، فقيه، مفت، محدث، أديب، أفنى عمره في طلب العلم ونشره"[٥].

---

(١) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان، ذات زرع ومواشي. انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٦.

(٢) العبر ٢/٤٤٧.

(٣) المنتظم ١٧/٣٣١-٣٣٢.

(٤) الأنساب ٤/١٣٤.

(٥) نقله عنه الذهبي في العبر ٢/٤٤٣، وابن العماد في شذرات الذهب ٤/١٠٠.

٤- شيوخه وتلاميذه:

أخذ العلم عن أبي منصور محمد بن أحمد الأصبهاني، وأبي إسحاق الشيرازي، ومكي الكرجي، وأبي الحسن بن العلاف وابن نبهان، وأبي الوفاء إسماعيل بن عبدالعزيز العكي وغيرهم، وقد روى عنه: ابن السمعاني، وأبوموسى المديني وغيرهما[(١)].

٥- مؤلفاته:

ذكر العلماء أن للكرجي مصنفات في الفقه والتفسير والعقيدة ومنها:

الذرائع في علم الشرائع، تفسير القرآن، الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول وغيرها[(٢)].

وذكر ابن العماد أن له قصيدة مشهورة في السنة نحو مائتي بيت، شرح فيها عقيدة السلف[(٣)].

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٣٧/٦، وشذرات الذهب ١٠٠/٤.

(٢) انظر: عن مؤلفاته، شذرات الذهب ١٠٠/٤، معجم المؤلفين ٤٦٦/٣، البداية والنهاية ٢١٣/١٢.

(٣) انظر: شذرات الذهب ١٠٠/٤.

٦- وفاته:

توفي أبوالحسن الكرجي -رحمه الله- في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة للهجرة(١).

(١) انظر: شذرات الذهب ٤/١٠٠، البداية والنهاية ١٢/٢١٣.

المطلب الثاني

مواقف أبوالحسن الكرجي القولية والعملية في الرد على الصوفية

للشيخ أبي الحسن الكرجي جهود متميزة في بيان عقيدة السلف والرد على من خالفها من المبتدعة، وقد صنف في ذلك كتاب (الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول).

وذكر فيه بيان السنة وفضلها، وهجران البدعة وأهلها.

وكان -رحمه الله- شديداً على أهل البدع ومنهم الصوفية وفي ذلك يقول:

"ففي كرج والله من خوف أهلها يذوب بها البدعي باشر ذائب

يموت ولا يقوى لإظهار بدعته مخافة خز الرأس من كل جانب"[1]

ولقد سار -رحمه الله- على منهج السلف الصالح إذ كان شديد التمسك

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٤١/٦.

بالكتاب والسنة، بعيداً عن أهل البدع ومحذراً منهم وقد نقل من شعره:

والعلم ما كان فيه قال حدثنا وما سواه أغاليط وأظلام
دعائم الدين آيات مبينة وبنيان من الأخيار الملاح
قول الإله وقول المصطفى وهما لكل مبتدع قهر وإرغام[1]

وهذا فيه رد على الصوفية الذين قلّلوا من شأن الحديث وأهله عندما قال أبويزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت...، وأنتم تقولون حدثني فلان وأين فلان؟ قالوا: مات، عن فلان، أين هو؟ قالوا: مات"[2].

ومن أساليبه في الإنكار على المبتدعة أن عقد في كتابه (الفصول...) فصلاً في التحذير من البدعة وهجران أهلها، حيث يقول في أول كتابه المذكور: "أن الذي آثرناه من مناصيصهم -أي الأئمة الذين نقل عقيدتهم- يجمعه فصلان: أحدهما في بيان السنة وفضلها، والثاني في هجران البدعة

(١) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح، تحقيق محيي الدين علي نجيب، ط١ (بيروت: دار البشائر الإسلامية - ١٤١٣هـ) ١/٢١٦-٢١٧.

(٢) الفتوحات المكية ١/٣٦٥.

وأهلها"[1].

ويعد كتابه (الفصول...) أسلوب عملي في تقرير عقيدة السلف، ومنهج في الرد على أهل البدع والأهواء ومنهم المتصوفة.

رحم الله أبا الحسن الكرجي رحمة واسعة.

---

(١) الفتاوى ٤/١٨٠.

إسماعيل التيمي (ت٥٣٥هـ)

المطلب الأول

ترجمتـــه

١- اسمه ونسبه :

أبوالقاسم ، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ، ثم الطلحي الأصبهاني ، ويُلقب بقوام السنة [(١)].

٢- مولده :

ولد - رحمه الله تعالى - سنة ٤٥٧هـ[(٢)].

٣- مؤلفاته :

مـــن مصـــنفاته رحمـــه الله تعالى "الحجة في بيان المحجة ، ودلائل النبوة ، والتذكرة والإيضاح في التفسير ، وغيرها .

(١) انظر : شذرات الذهب ٤/١٠٥ .

(٢) انظر : ن . م ٤/١٠٦ .

ومصنفاته – رحمه الله – تتناول أهم جوانب الثقافة الإسلامية ، في التفسير والحديث وعلومه والعقائد والتاريخ والوعظ (1).

٤- شيوخه وتلاميذه:

تلقي إسماعيل التيمي العلم على يد جمع من العلماء أبرزهم: أبوعمرو عبدالوهاب ابـــن أبي عـــبدالله الحافظ بن منده، وإبراهيم بن محمد الطيان، وأبونصر محمد بن محمد الزينـــبـــي الهـــاشمي، وأبوالحسن عاصم بن الحسن العاصمي، والقاضي أبومنصور بن سمكونـــه الأصبهاني، وأحمد بن عبدالرحمن الذكواني،وأبوبكر أحمد بن علي الشيرازي، وأبونصر محمد بن سهل السراج، وعبدالرحمن بن أحمد الواحدي، وأبوعبدالله القاسم بن الفضل الثقفي وغيرهم (2).

أمـــا تلاميذه: فمن أشهرهم أبوسعد عبدالكريم السمعاني، والحافظ أبوالقاسم بن عســـاكر،وأبوالعلاء الهمـــذاني، وأبوالمجد الثقفي، وأبوطاهر السلفي، والحافظ أبوموسى المديـــني، ويحيى بن محمد الثقفي وعبدالله بن حمد الخباز، ومحمود بن أحمد العبد كوي، وابونجيح فضل الله بن عثمان، والمؤيد بن الأخوة، وأبوالمجد زاهر الثقفي وغيرهم(3).

---

(١) انظر : شذرات الذهب ١٠٦/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٨٤/٢٠ ، وانظر تفصيل ذلك وحصره في كتاب الحجة في بيان المحجة ٥٥/١ وما بعدها .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٨٠/٢٠-٨١، شذرات الذهب ١٠٥/٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠.

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه :

لقــد مَنَّ الله على الحافظ التيمي بالعلم الواسع ، والتديّن العميق والاعتقاد الحسن، حتى نال إعجاب العلماء المعاصرين لــه ، ومن أتى بعدهم ، فلا تجد إلا الثناء العاطر علـيه ، فكان من أكبر علماء الحديث والتفسيـر حتى لقب بشيـخ الإسلام، وقوّام السنة ، وهو سلفي العقيدة .

قال الحافظ يحيى بن منده[1] عنه : "كان أبوالقاسم حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، قليل الكلام ، ليس في وقته مثله"[2].

وقـال عنه محمد بن عبدالواحد الدقّاق: "كان أبوالقاسم عديم النظير ، لا مثل لـه في وقته ، كان ممن يضرب به المثل في الصلاح والرشاد"[3].

---

(١) ابن منده : من علماء القرن السادس أبوزكريا ، يحيى بن عبدالوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني ، محدّث ، حافظ ، ولد بأصبهان سنة ٤٣٤هـ ، وتوفي سنة ٥١٢هـ . لم أجد لـه جهوداً في الرد على الصوفية.

انظر : ترجمته في معجم المؤلفين ١٠٤/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩٦/١٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٢٧٩/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٨٢/٢٠ .

(٣) تذكرة الحفّاظ ١٢٨١/٤ .

وقال أبوطاهر السلفي : "هو فاضل في العربية ومعرفة الرجال"(١).

ثم قال – رحمه الله – عنه : "سمعت أبا الحسين الطيوري(٢) يقول : ما قدم علينا من خراسان مثل إسماعيل بن محمد – رحمه الله تعالى – "(٣).

وقـــال عنه أبوموسى المديني (٤): "إمام أئمة وقته ، أستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه"(٥).

وقد أثنى عليه ابن السمعاني بقوله: هو أستاذي في الحديث ، وعنه أخذت هذا القد

(١) تذكرة الحفّاظ ١٢٨١/٤ .

(٢) ابن الطيوري : أبوالحسين ، المبارك بن عبدالجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن عبدالله البغدادي الصيرفي الطيوري ، ولد سنة ٤١١هـ ، محدّث ، صالح ، صدوق ، صحيح الأصول ، ديّن ، صيّن وقور، توفي سنة ٥٠٠هـ . انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٤١٢/٣، ومعجم المؤلفين ١٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٢١٣/١٩ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٢٨١/٤ .

(٤) المديـــني : أبوموسى ، محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد ، ولد سنة ٥٠١هـ في أصبهان ، محدّث ، حافظ ، نسابة ، ثقة ، انتشر علمه في الآفاق ، ونفع الله به المسلمين ، توفي سنة ٥٨١هـ .

انظر ترجمته : شذرات الذهب ٢٧٣/٤ ، ومعجم المؤلفين ٥٥٧/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/٢١.

(٥) شذرات الذهب ١٠٦/٤ .

وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارف بالمتون والأسانيد"(١).

وقال عنه أبوعامر العبدري (٢): "ما رأيت شاباً ولا شيخاً قط مثل إسماعيل التيمي، ذاكرته فرأيته حافظاً للحديث، عارفاً بكل علم متفنناً" (٣).

وقال ابن منده: ليس في وقتنا مثله، وكان أئمة بغداد يقولون ما رحل إلى بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه، ولم ينكر أحد شيئاً من فتاويه قط"(٤).

وامتدحه الإمام ابن القيم -رحمه الله- في نونيته (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) فذكره من جملة أهل السنة والجماعة، حيث قال:

وانظر إلى ما قاله علم الهدى التيمي   في إيضاحه وبيان

ذاك الذي هو صاحب الترغيب   والترهيب ممدوح بكل لسان"(٥).

٦- وفاته :

توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٣٥هـ(٦).

---

(١) شذرات الذهب ١٠٦/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٤/٢٠ .

(٢) العبدري : أبوعامر ، محمد بن سعدون بن مرجا بن سعدون القرشي العبدري الميورقي المغربي الظاهري ، أصله من برقة من بلاد المغرب ، نزيل بغداد ، ولد بقرطبة ، إمام ، حافظ ، كان فهماً متعففاً ، من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام ، وكان من بحور العلم ، توفي ٥٢٤هـ .
انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء ٥٧٩/١٩ ، والمنتظم ٢٦١/١٧-٢٦٢ ، والبداية والنهاية ٢٠١/١٢-٢٠٢ ، وشذرات الذهب ٧٠/٤ .

(٣) شذرات الذهب ١٠٦/٤ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٨١/٤ .

(٤) شذرات الذهب ١٠٦/٤ .

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية للإمام ابن القيم، عنى بها عبدالله بن محمد العمير، ط١ (الرياض: دار ابن خزيمة - ١٤١٦هـ) ص١٢٦.

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء ٨١/٢٠ ، شذرات الذهب ١٠٥/٤ ، ومرآة الجنان ٢٦٣/٣ .

المطلب الثاني

مواقف إسماعيل التيمي العملية والقولية في الردّ على الصوفية :

إسماعيل التيمي أحد علماء السلف في القرن السادس الذي وقف في وجه المبتدعة في عصـــره ، وبيَّنَ ما هم عليه من ضلال ، يتضح ذلك من خلال كتابه المشهور "الحجة في بـــيان المحجّة" الذي بيّن فيه عقيدة السلف الصالح، وفي تقريره لها ردٌّ على الصوفية المبتدعة وهذا موقفه من المبتدعة وعلى رأسهم الصوفية.

إن كـــثرة البدع في عصر إسماعيل التيمي -رحمه الله-، وفشوها، وإعراض الناس عن اتباع عقيدة السلف، والنيل من أهل السنة؛ دفعه -رحمه الله- إلى تأليف كتابه المشـــهور "الحجـــة في بيان المحجة"، بين فيه اعتقاد أئمة السلف ورد على كثير من المبتدعة، فكان هذا الكتاب من جملة كتب أهل السنة والجماعة التي شرحت عقيدة سلفنا الصالح.

يقـــول فيه: "وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت، والوقـــيعة في أهـــل السنة قد فشت، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في

الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتاباً في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين"(١).

ولقد ذمَّ التيمي المبتدعة عندما أعرضوا عن الكتاب والسنة كمنهج للتلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة ، وقدّموا عليهما إلهاماتهم وأذواقهم وخواطرهم ، وجعلوها من أرقى مناهجهم في التلقي والاستدلال.

والصوفية كسائر الفرق المبتدعة تزعم أنها الفرقة المتمسكة بشريعة الإسلام، وأن ما تعتقده وتسلكه هو الحق ووصفوا أنفسهم وحالهم (بعلماء الخاصة) ووصفوا أهل السنة والجماعة (بعلماء العامة) والحقيقة عكس ذلك.

يقول إسماعيل التيمي -رحمه الله- في هذا الشأن:

"أن كل فريق من المبتدعة -ومنهم الصوفية- إنما يدعى أن الذي يعتقده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ؛ لأنهم كلهم مدّعون شريعة الإسلام ملتزمون في الظاهر شعائرها، يرون أن ما جاء به محمد ﷺ غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٨٣-٨٤.

لم يأذن به الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله، غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق -ومنهم المتصوفة -فطلبوا الدين لا بطريقه لأنهم رجعوا إلى معقولهم، وخواطرهم، وأرائهم، فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة، عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستكرهه، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم -تعالى- الله عما يصفون"[1].

وهذا فيه ردّ كاف على الصوفية الذين يعرضون الكتاب والسنة على خواطرهم وأذواقهم فإن خالف ذلك أعرضوا عن الكتاب والسنة وقدموا عليهما خواطرهم

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٣٧-٢٣٨.

وأذواقهـــم –كما بيّنا في ثنايا هذا البحث– فلم يرضوا في الكتاب والسنة معياراً لمعرفة صدق خواطرهم وأذواقهم.

ويقـــول رحمه الله – أنه قد تبيّن للناس أمر دينهم ، فعليهم الاتباع ؛ لأن الدين إنما جـــاء من قبل الله تعالى لم يوضع على عقول الرجال ، وآرائهم ، وقد بيّن الرسول ﷺ السـنة لأمته ، وأوضحها لأصحابه ، فمن خالف أصحاب الرسول ﷺ في شيء من الدين فقد ضلّ[1].

ويقول –رحمه الله– واصفاً حال مصنفات أهل الحديث مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وحال أهل الأهواء والبدع وما هم عليه من تفرق وتشرذم:

"ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديـــار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيـــرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهـــم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما وإن

---

(١) انظر : ن . م ٤٧٢/٢ .

قـــل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟".

ويقول: -رحمه الله- واصفاً حال أهل الأهواء والبدع -ومنهم المتصوفة- "وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد يبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير، يكفر الابن أباه والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض، واختلاف تنقضي أعمارهم ولمّا تتفق كلماتهم ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾[1].

وبـــين -رحمـــه الله- السبب في اتفاق أهل السنة والجماعة، واختلاف أهل الأهواء والبدع ومنهم الصوفية بقوله:

"وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق الـــنقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والأراء،

---

(١) سورة الحشر، آية (١٤).

فأورثهم الافتراق والاختلاف"[١].

رحم الله إسماعيل التيمي رحمة واسعة.

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٣٩-٢٤١.

شرف الإسلام الشيرازي (ت/ ٥٣٦هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو عبد الوهاب بن عبدالواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي الأصل ثم الدمشقي، المعروف بابن الحنبلي.

وكناه بعض المؤرخين، بأبي القاسم، كما كناه آخرون، بأبي البركات.

ولقبه: شرف الإسلام(١).

٢- مولده:

ولـــد شرف الإسلام الشيرازي بدمشق، ولم أقف في مصادر ترجمته على تاريخ ولادته، لكنه قد توفي والده وهو صغير(٢).

---

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٦٥، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٣.

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٦٦.

٣- عقيدته وثناء العلماء عليه:

احتل شرف الإسلام الشيرازي مكانة رفيعة في الشام، حيث صار شيخ الحنابلة في وقته، ولغزارة علمه وجلاله قدره أثنى عليه علماء كثيرون.

قال الذهبي: "الشيخ، الإمام، العلامة، الواعظ، شيخ الحنابلة في دمشق، شرف الإسلام، صار له القبول الزائد في الوعظ، وزادت حشمته ورئاسته"[(١)].

وقال عنه أيضاً: "الفقيه، الواعظ، شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ورئيسهم كان ذا حرمة وحشمة وقبول وجلاله ببلده" [(٢)].

وقال عنه ابن القلانسي[(٣)] صاحب التاريخ: "كان على الطريقة المرضية والخلال الرضية، ووفور العلم، وحسن الوعظ، وقوة الدين، والتنزه عما يقدح في أفعال غيره من المتفقهين"[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٣.

(٢) العبر ٢/٤٥١.

(٣) ابن القلانسي: هو حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي، المعروف بابن القلانسي، أبويعلى، أديب، مؤرخ ولد سنة ٤٦٤هـ، من تصانيفه: تاريخ دمشق، توفي سنة ٥٥٥هـ.
انظر: ترجمته في (شذرات الذهب ٤/١٧٤، معجم المؤلفين ١/٦٥٤).

(٤) ذيل تاريخ دمشق، (طبع مطبعة الآباء اليسوعيين بلبنان، ١٩٠٨م، ص٢٧٥، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٤.

وقال عنه ابن رجب في ترجمته: "كان فقيهاً، بارعاً، واعظاً، فصيحاً، وصدراً معظماً، ذا حرمة وحشمة وسؤدد ورئاسة، ووجاهة وجلاله وهيبة"(١).

ومما يؤكد مكانته العلمية الرفيعة ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عنه في بعض المسائل التي تبين جهوده في تقرير مسائل العقيدة(٢).

قال الذهبي: "كان يناظر على قواعد عقائد الحنابلة"(٣).

٤– شيوخه وتلاميذه:

سمع من أبيه عبدالواحد الشيرازي، وتفقه عليه، وحدث عنه، كما حدث بالإجازة عن أبي طالب ابن يوسف اليوسفي وغيرهم.

وسمع منه ببغداد أبوبكر بن كامل، وبدمشق عثمان بن مرزوق القرشي المصري، ومسعود بن شجاع الأموي وغيرهم(٤).

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١٦٦/٣.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٨/١٩، ٢٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٠.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠٣/٢٠-١٠٤، الذيل على طبقات الحنابلة ١٦٧/٣.

٥- مؤلفاته:

مـــن أبرز مصنفات شرف الإسلام الشيرازي: البرهان في أصول الدين، الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة[١].

٦- وفاته:

توفي -رحمه الله- في صفر سنة ست وثلاثين وخمس مئة[٢].

(١) انظـــر عـــن مصـــنفاته رحمه الله: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٦٦، شذرات الذهب ٤/١١٣، الأعـــلام ٤/١٨٤، معجـــم المؤلفين ٢/٣٤٣، والمبحث الخاص بتصانيفه ومؤلفاته في كتابه الرسالة الواضحة، تحقيق علي الشبل ١/١٦١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٤، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/١٦٧، شذرات الذهب ٤/١١٣، معجم المؤلفين ٢/٣٤٣.

المطلب الثاني

مواقف شرف الإسلام الشيرازي القولية والعلمية في الرد على الصوفية

سبق الإشارة إلى أن الإمام شرف الإسلام الشيرازي قد صنف بعض المصنفات في الرد على أهل البدع والأهواء وذلك دفاعاً عن العقيدة.

فقد ردَّ على أهل البدع -ومنهم الصوفية- الذين ذهبوا إلى تفسير القرآن بما يوافق أهواءهم، قال -رحمه الله-: "لعمري أن من أضله الله وختم على قلبه وسمعه حمل الأشياء على غير مقتضاها، ونقل الألفاظ عن معناها".

إلى قوله: فانظر يا أخي -وفقك الله لطاعته- كيف قصد أعداء الدين التمويه على العوام بهذا الإلحاد من الكلام، رداً لهم عن تعظيمه وتبجيله، وحملاً لهم على إهانته وتدوينه، وإكذاباً لله في خبره، وللرسول فيما جاء به"[1].

وأشار-رحمه الله- إلى مصادر التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة ووجوب لزومها بقوله:

"فمن تمسك بالكتاب واجتماع الصحابة سعد ونجا ومن اتبع الرأي والقياس

---

(١) الرسالة الواضحة ٢/٤٦٧-٤٦٩.

شقي وهلك وبالله التوفيق"[1].

وفي ذلك إنكار على الصوفية في مناهج التلقي والاستدلال عندهم.

كما أنكر -رحمه الله- على المبتدعة الذين ضلوا في كلام الله ومنهم -الحلولية- غـــلاة الصوفية -الذين قالوا إن كل كلام في الوجود كلامه- فكفرهم وعدَّهم زنادقة بقوله:

"ومنهم من يقول: القرآن يختلط في بنـــي آدم في لحومهم ودمائهم وغير ذلك.

ثم قال -رحمه الله-: فهؤلاء من الأصناف كلها هم الجهمية، وهم كفار زنادقة حُلاَّل القتل، ومن لم يكفر هؤلاء الأصناف كلها، فهو كافر زنديق حلال القتل"[2].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر:

"ولا خـــلاف بين أهل السنة والجماعة أن أرواح الخلائق كلها مخلوقة، فمن قال أنهـــا غـــير مخلوقة، فهو حلولي خرّمي كافر بالله وبآياته، وهو توابع الإسماعيلية -لعنهم الله- وهو صنف من الروافض رادون على الكتاب والسنة"[3].

---

(١) ن. م ٢/١١٠٤.

(٢) ن. م ٢/٧٠٨-٧٠٩.

(٣) الرسالة الواضحة ٢/٩٤٧.

كما حذر -رحمه الله- من أهل البدع ونادى بهجرهم بقوله:

"ولا تجـــوز الصلوات في خلف المبتدعة، ولا مجالستهم، ولا مؤاكلتهم، ولا يعاد مريضهم، ولا يشيع جنائزهم، ولا يسلم عليهم، ولا يصلى على موتاهم، ولا يرحُمهم في حياتهم ولا بعد مماتهم، وهو قوله تعالى: ﴿ **يَأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ** ﴾[1]. يعني لا تبتدعوا ولا تناظروا أهل البدع"[2].

وهذا أسلوب من أساليب العلماء في الرد على أهل البدع والأهواء.

رحم الله شرف الإسلام الشيرازي رحمة واسعة.

---

(١) سورة النساء، آية: (١٧١).

(٢) الرسالة الواضحة ٢/١٠٦٦-١٠٦٧.

أبومحمد اليمني

من علماء القرن السادس الهجري

المطلب الأول

ترجمته

لا يوجد من ذكره باسمه في كتب السير والتراجم، و لم يعرف -رحمه الله- إلا بكنيته ونسبته (أبومحمد اليمني)، وقد تعمد -رحمه الله- إخفاء شخصيته لما كشفه من كتب الإسماعيلية الباطنية، وما كتبه عنهم، وما في كتبهم المليئة بالباطل، وهو يعيش تحت دولتهم، ويصطلي بنار فتنتهم، وكان -رحمه الله- سلفي العقيدة، وهو ما يتضح من خلال ردوده على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة وعرضه لعقيدتهم، و لم يعرف في شيء عن تاريخ ولادته أو وفاته، لكنه -رحمه الله- كان موجوداً سنة ٥٤٠هـ، من خلال ما نص عليه في كتابه "عقائد الثلاث والسبعين فرقة" عند كلامه عن أخبار تولي الخلافة أو الملك في زمنه حيث قال: "... ثم ولي من بعده محمد المقتفى لأمر الله في وقتنا هذا سنة أربع وخمسمائة"(١).

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٢٣٣/١، قال المحقق: كذا في الأصل ولعل المصنف رحمه الله تعالى يريد أربعين وخمسمائة؛ لأن خلافته كانت ما بين ثلاثين وخمسمائة إلى خمس وخمسين وخمسمائة.

خلافة المقتفى كانت من سنة ثلاثين وخمسمائة إلى خمسة وخمسين وخمسمائة[1].

فيفهم من هذا أنه عاش في القرن السادس الهجري من غير معرفة ثابتة عن تاريخ الولادة أو الوفاة.

كما أنه لا يعرف لأبي محمد اليمني مؤلفات سوى كتابه (عقائد الثلاث والسبعين فرقة) الذي يتضح من خلاله سعة علمه واطلاعه ورده على الفرق المبتدعة الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة[2].

(١) انظر: ن. م مقدمة المحقق ١/٧، و ١/٢٣٣ هامش رقم (١).

(٢) انظر: التعريف بأبي محمد اليمني في كتاب (عقائد الثلاث والسبعين فرقة) ١/٣.

المطلب الثاني

مواقف أبومحمد اليمني القولية والعملية في الرد على الصوفية

مـــن خـــلال كتابه -رحمه الله- (عقائد الثلاث والسبعين فرقة) يتضح جلياً أن مصـــنفه ســـلفي العقيدة يسير على منهج السلف الصالح، حيث تركز رده على الفرق المبـــتدعة المخالفـــة لأهل السنة والجماعة كالمعتزلة والشيعة الباطنية والمذاهب والفرق والأديان الأخرى واكتفى -رحمه الله- تعالى بالإشارة برده على المتصوفة.

ولقـــد بين -رحمه الله- في مقدمة الكتاب أن هدفه من تأليفه بيان الفرق الضالة والرد عليها مناصرة للحق، ودفاعاً عنه، ورداً للباطل، وتحذيراً منه؛ حيث قال:

"فإني لما رأيت الناس قد غفلوا عن أديانهم واستخفوا بمعادهم، واشتهروا في فساد مذاهبهم بالإصغاء إلى أهل البدع والأهواء[١]، بما زخرفوه وصنفوه، وأولوه وتأولوه من ابـــتداع مذاهب شتى استدلوا عليها من الكتاب على غير ما نقلت، وشيئاً ابتدعوه من تلقاء أنفسهم عناداً لفساد دين الإسلام، أحببت أن أجمع مختصراً أذكر فيه عقائد الثلاث والســـبعين فـــرقة الـــتي ذكـــرها رســـول الله ﷺ [٢] لنفع حائر ينكر عن الدخول في

(١) ويدخل في هذا لمفهوم المتصوفة المبتدعة.

(٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

بدعتهم"[1].

وفي إشارة لــه -رحمه الله- في مقالة (الفرق الغالية) أشار إلى القوم الذين قالوا بإلهــية الحســين بن منصور الحلاج -وهم علاة المتصوفة- فأشار -رحمه الله- إلى قيام الخلــيفة العباســي المقتدر بالله في أيام خلافته بصلب الحلاج وقال عنه أي -الحلاج-: "قبح الله إلهاً يصلب"[2].

ولقــد عــرض أبومحمد اليمني -رحمه الله- في كتابه المذكور أراء الفرق الضالة المبــتدعة، وردَّ علــيهم، وحذر منهم، وكان يقول كلما انتهى من فرقة مخالفة للحق: "فالحذر منهم".

وذكــر من هذه الفرق فرقة الإلهامية: الذين يقولون إن الأحكام إنما تعلم إلهاماً يلهمها الله المجتهد وهو ما تزعمه الصوفية التي جعلته من أرقى مناهج التلقي عندها[3].

ولمّــا كانت الصوفية تشترك مع الإسماعيلية الباطنية في دعوى إسقاط التكاليف

= انظــر سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة ١٣٤/٤، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١/١-٢.

(٢) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٤٦٢/١.

(٣) انظر: ن. م ٢٨٢/١.

الشـــرعية، فباســـتطاعتنا توجيه رد أبي محمد اليمني -رحمه الله- على الإسماعيلية هذه الدعـــوى إلى الصوفية لاشتراكهم في هذه البدعة والحكم عليها بالتمويه والتلبيس، فهو يقول -رحمه الله-:

"فاعـــرف -أيـــدك الله- مـــرادهم وتمويههم وتلبيسهم هذه المحالات لإسقاط التكلـــيفات الشرعيات يوجدونهم أن من عرف ذلك فقد سقطت عنه، ولهذا قال بعض من هو عارف بمقالتهم من رأيتم من أهل هذه المقالة مواظباً على الصلاة حريصاً عليها عـــلى إخراج الزكاة ملتزماً بالصوم والحج وغير ذلك من العبادات فإنه من جملة الحمير الذين لا عقول لهمن غير بالغ من هذه المقالة، فيعتقد التكليفات"(١).

ومـــا قالـــه -رحمـــه الله- في كتابه المذكور عن أهل البدع: "اعلم وفقك الله وأرشدك للصواب أن أهل البدع والأهواء، سموا بهذا الاسم لابتداعهم لأشياء ليست من الشـــريعة وهوايتهم لأمور استحسنوها، فدعوا الناس إلى الدخول فيها، وهي بعيدة عن الحق الأنور والشرع الأطهر"(٢).

رحم الله أبا محمد اليمني رحمة واسعة.

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٦٥٣/٢، وانظر التعليق على كلمة (الحمير) ص٤٠٣ هامش(١).

(٢) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١٠/١.

ابن ناصر السلامي (ت/٥٥٠هـ).

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته:

هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي، البغدادي، نسبته إلى مدينة السلام ببغداد.

وكنيته: أبو الفضل[1].

٢- مولده:

ولد أبوالفضل سنة سبع وستين وأربعمائة للهجرة وكان والده محدثاً فاضلاً، وقد توفي شاباً وابنه المذكور صغير، فكفله جده لأمه[2].

---

(١) انظر: الأنساب ٨٠/٣، سير أعلام النبلاء ٢٦٥/٢، البداية والنهاية ٢٣٣/١٢، مرآة الجنان ٢٩٦/٣، الذيل على طبقات الحنابلة ١٨٩/٣، شذرات الذهب ١٥٥/٤، الأعلام ١٢١/٧، معجم المؤلفين ٧٤٧/٣، المنتظم ١٠٣/١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٦٥/٢٠، الذيل على طبقات الحنابلة ١٨٩/٣، المنتظم ١٠٣/١٨، البداية والنهاية ٢٣٣/١٢.

٣- مؤلفاته:

ذكر أهل السير أن ابن ناصر لــه مؤلفات كثيرة، تدل على غزارة علمه وفضله ومن أهمها:

مناقب الإمام أحمد، وجزء في الرد على من يقول: أن صوت العبد بالقرآن غير مخلوق، والأمالي في الحديث[(١)].

٤- شيوخه وتلاميذه:

سمع من أبي القاسم ابن البسري، وأبي طاهر بن أبي الصقر، وعاصم بن الحسن، وأبي الحســـن العاصمي، ومالك البانياسي، ورزق الله التميمي، وطراد الزينبي، وجعفر الســـراج، وأبي منصـــور الخيـــاط، وإسماعيل بن السمرقندي، وأبي الفضل بن خيرون، وصحب أبا زكريا التبريزي وسمع من أبي منصور الجواليقي وغيرهم.

وتتلمذ عليه وسمع منه، أبوطاهر السلفي، وأبوموسىّ المديني وأبوسعد السمعاني، وأبوالعـــلاء الهمـــذاني، وأبوالقاســـم بن عساكر، وأبوالفرج ابن الجوزي، وعبدالرزاق الجيلي، والتاج الكندي وغيرهم[(٢)].

---

(١) انظر: عن مؤلفاته: الذيل على طبقات الحنابلة ١٩١/٣، الأعلام ١٢١/٧، معجم المؤلفين ٧٤٧/٣.

(٢) انظر: المنتظم ١٠٣/١٨، سير أعلام النبلاء ٢٦٥/٢٠، وفيات الأعيان ٢٩٣/٤، والنجوم الزاهرة ٣٠٦/٥، البداية والنهاية ٢٤٩/١٢، الذيل على طبقات الحنابلة ١٨٩/٣، شذرات الذهب ١٥/٤، الأعلام ١٢١/٧، معجم المؤلفين ٧٤٧/٣.

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

لقد أصبح ابن ناصر محدث بغداد في زمانه، كان موصوفاً بالإمام، والحافظ، والمتقن، والدِّين ، وهذه بعض أقوال العلماء فيه:

قال السمعاني: "كان أبوالفضل حافظ بغداد في عصره، وكان عارفاً بمتون الحديث وأسانيده"(١).

وذكر ابن ناصر فقال في وصفه: "حافظ، ثقة، ديِّن، خير، متقن، ثبْت، وله حظ كامل من اللغة، ومعرفة تامة في المتون والأسانيد، كثير الصلاة، دائم التلاوة للقرآن الكريم"(٢).

وقال أبوموسى المديني: "هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد"(٣).

وقال عنه ابن رجب: "حدَّث ابن ناصر بالكثير، وأملى الحديث، واستملى للأشياخ الكثير، وخرج لهم التخاريج الكثيرة، وتكلم فيها على الأسانيد، ومعاني

---

(١) الأنساب ٨١/٣.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٠/٣، سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٢٠، الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٠/٣، شذرات الذهب ١٥٥/٤.

الأحاديث وفقهها"[1].

وهو على مذهب الإمام أحمد في الأصول والفروع ومات عليها[2].

وقال ابن الجوزي: "كان حافظاً، ضابطاً، متقناً، ثقة، لا مغمز فيه، وهو الذي تولى تسميعي الحديث"[3].

وقال عنه ابن النجار: "كان جيد النقل، صحيح الضبط، كثير المحفوظ، له يد ناشطة في معرفة النحو واللغة، وكانت أصوله في غاية من الصحة والإتقان، وكان ثقة، مثبتاً، حسن الطريقة متديناً، فقيرا، متعففاً، نظيفاً، نزهاً، وقف كتبه على أصحاب الحديث"[4].

٦- وفاته:

توفي ابن ناصر -رحمه الله- سنة خمسين وخمسمائة للهجرة عن عمر ثلاث وثمانين سنة[5].

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١٩١/٣.

(٢) انظر: شذرات الذهب ١٥٦/٤.

(٣) المنتظم ١٠٣/١٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٢٠، الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٠/٣.

(٥) انظر: المنتظم ١٠٤/٨، البداية والنهاية ٢٣٣/١٢، الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٢/٣، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/٢٠.

المطلب الثاني

مواقف ابن ناصر السلامي القولية والعملية في الرد على الصوفية

كان أبوالفضل، ابن ناصر متمسكاً بمذهب الإمام أحمد في العقيدة الذي يسير وفق منهج السلف الصالح، وكان متجنباً لأهل البدع، راداً عليهم ومشنعاً على الصوفية منهم.

فقد فضح الحافظ ابن ناصر -رحمه الله-، كذب وافتراءات أحمد الغزالي الصوفي، حيث روى عن محمد بن طاهر المقدسي، قوله: كان أحمد الغزالي آية من آيات الله - تعالى- في الكذب، توصل إلى الدنيا بالوعظ، سمعته يوماً بهمذان يقول: رأيت إبليس في وسط هذا الرباط يسجد لي، فقال له: ويحك، إنه الله عز وجل أمره بالسجود لآدم فأبى، فقال: والله لقد سجد لي أكثر من سبعين مرة، فعلمت أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد، قال: وكان يزعم أنه يرى رسول الله ﷺ عياناً في يقظته لا في نومه، وكان يذكر على المنبر أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله ﷺ، فسأله على ذلك المشكل فدله على الصواب.

قال: وسمعته يوماً يحكي عن بعض المشايخ، فلما نزل سألته عنها فقال: أنا وضعتها في الوقت قال: وله من هذه الجهالات والحماقات ما لا يحصى"[1].

(١) المنتظم ١٧/٢٣٨-٢٣٩.

وكان من جملة رده على أهل البدع وخاصة المتصوفة، انتقاده الشديد لمصنف الصوفية محمد بن طاهر المقدسي، حيث اتهمه بالتصحيف، وأنه كان يذهب مذهب الإباحية.

وجرح عدالته حيث قال: "محمد بن طاهر لا يحتج به، صنف كتاباً في جواز النظر إلى الأمرد، وأورد فيه حكاية عن يحيى بن معين، قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل لــه تصلي عليها؟ قال: صلى الله عليها وعلى كل مليح، ثم قال: كان يذهب مذهب الإباحية"(1).

ومما أنكره على الصوفية، صلاة الرغائب المزعومة وعدّها بدعة، وأن الأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب كذب وباطل لا تصح(2).

وأنكر على الصوفية بدعه صلاة رجب بقوله: "هذه الصلاة أحدثت في زمني وعصري، و لم أر أحداً يصليها، وإنما وردت من الشام، وتداولها الناس حتى أجروها مجرى ما ورد في الصلوات المأثورة"(3).

---

(1) المنتظم ١٣٤/١٧، تلبيس إبليس ص١٦٥-١٦٦.

(2) انظر: لطائف المعارف ص٢٢٨.

(3) الذيل على طبقات الحنابلة ٢٦٧/٣.

وبالجملة فإن للحافظ ابن ناصر مرويات عديدة في الرد على الخرافات الصوفية رواها عنه ابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس".

رحم الله ابن ناصر رحمة واسعة.

ابن أبي الخير العمراني (ت/ ٥٥٨هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته:

هو يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عمران العمراني اليمني شيخ الشافعية باليمن(١).

٢- مولدة:

ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائه من الهجرة في اليمن، ونشأ بها(٢).

٣- مؤلفاته:

صنف ابن أبي الخير العمراني -رحمه الله- عدة مصنفات في تقرير العقيدة وفي الرد على

(١) انظر: مرآة الجنان ٣١٨/٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣٧٢/١، طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٦/٧، شذرات الذهب ١٨٥/٤، الأعلام ١٤٦/٨.

(٢) انظر: شذرات الذهب ١٨٦/٤، مرآة الجنان ٣١٨/٣، الأعلام ١٤٦/٨.

أهـل الأهـواء والـبدع ومنها على سبيل المثال: رسالة في المعتقد على مذهب أهل الحديـث، والانتصـار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، والبيان في فقه الشافعية، والمشكل وغيرها[1].

٤- شيوخه وتلاميذه:

تـلقى عـلومه عن مشايخ بارزين منهم أبوالفتوح بن عثمان بن سعد (خاله)، وعـبدالله بن أحمد الهمذاني والفقيه عبدالله بن عمير العريفي، وزيد بن الحسن الفايشي، وعمر بن بيشي، وزيد بن عبدالله بن جعفر اليفاعي، وسالم بن عبدالله بن محمد، وشيخ المحدثين سراج الدين أبوالحسن علي بن أبي بكر الوشاني وغيرهم.

ومن تلاميذه: ابن عمه محمد بن موسى الحسين، وابنه طاهر بن يحيى بن أبي الخير وأحمـد بـن عبدالله بن مسعود البريهي، وعثمان بن أسعد بن عثمان، وعلي بن عمر التـباعي، وأبوالسعود بن خيران، ومحمد بن إبراهيم الحسين، وعمر بن عبدالله السري وغيرهم[2].

---

(١) انظر: عن هذه المصنفات وغيرها: شذرات الذهب ١٨٦/٤، ومرآة الجنان ٣٢٣/٣، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢٤/١-٢٨.

(٢) انظر: مرآة الجنان ٣١٨/٣، شذرات الذهب ١٨٦/٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢١٥/٤. وانظر: كتاب الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١٧/١-١٨.

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

احتل ابن أبي الخير العمراني -رحمه الله- مكانة عالية بين علماء عصره، وهو عمدة علماء اليمن في الفقه الشافعي في وقته، وقد أثنى عليه علماء عرفوه وعلموا فضله.

قال السبكي: "كان إماماً، زاهداً، ورعاً، عالماً، خيراً، مشهور الاسم، بعيد الصمت، عارفاً بالفقه والأصول والكلام والنحو"[١].

وقال الإسنوي[٢]: "كان شيخ الشافعية ببلاد اليمن، ورحلت إليه الطلبة من البلاد، وكان يحفظ المهذب"[٣].

وقال اليافعي في ترجمته: "الفقيه، العلامة، الإمام، مفيد الطالبين، وقدوة الأنام، الذي سارت بفضائله الركبان، واشتهر علمه في البلدان، النجيب البارع، صاحب البيان،

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٣٣٦.

(٢) الإسنوي: جمال الدين أبومحمد، عبدالرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأسنوي، الشافعي، مؤرخ مفسر، فقيه، ولد سنة أربع وسبعمائة للهجرة من تصانيفه: طبقات الفقهاء، توفي سنة اثنين وسبعين وسبعمائة للهجرة.

انظر: معجم المؤلفين ٢/١٢٩.

(٣) طبقات الشافعية للإسنوي، تحقيق عبدالله الجبوري (الرباط: دار العلوم للطباعة والنشر - ١٤٠٠هـ) ١/٢١٣.

أبوزكريا، يحيى بن أبي الخير اليمني"[1].

وذكر ابن العماد في مدحه:

لله شـيخ مـن بـني عمـران قـد شـاد قصـر العـلم بالأركان
يحـيى لقـد أحـيا الشريعة هادياً بـزوائد وغرائـب وبـيان
هـو درة اليمـن الـذي ما مثلـه مـن أول فـي عصـرنا أوثـان

وقال عن عقيدته: "وكان حنبلي العقيدة شافعي الفروع"[2].

٦- وفاته:

توفي -رحمه الله- -تعالى- سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة بذي سفال باليمن[3].

(١) مرآة الجنان ٣/٣١٨.

(٢) شذرات الذهب ٤/١٨٦، وانظر: مرآة الجنان ٣/٣٢٣.

(٣) انظر: شذرات الذهب ٤/١٨٥، مرآة الجنان ٣/٣١٨، الأعلام ٨/١٤٦.

المطلب الثاني

مواقف ابن أبي الخير العمراني القولية والعملية في الرد على الصوفية

للإمـــام ابن أبي الخير العمراني -رحمه الله- جهود في تقرير مسائل العقيدة والرد على أهـــل الأهواء والبدع والمخالفين للسنة. ولعل من أبرزها كتابه "الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار".

فقد بين -رحمه الله- أن مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة هي الكتاب والسنة لا ما يزعمه الضلال من المبتدعة الذي أخضعوا النصوص تبعاً لأهوائهم فإن وافقهم وإلا رموا به.

ولقـــد عقد -رحمه الله- في كتابه (الانتصار......) فصلاً في بيان الأصول التي اعتمد عليها أهل السنة، حيث قال: "فصل في الأصول التي بني أصحاب الحديث عليها أقوالهم: الكتاب والسنة والإجماع والقياس"[(١)].

فقـــال عن القرآن: "فأصحاب الحديث هم القائلون بأن القرآن كلام الله حقيقة، وهم

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١/١٠٢.

المستدلون به على أقوالهم ومذاهبهم وعليه عمدة أمرهم وأساس بنائهم"(١).

وقال -رحمه الله- عن السنة النبوية: "فكل مدعٍ للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله؛ فإن أتى بذلك علم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف علم أنه محدث مبتدع زائغ لا يستحق أن يصغى إليه"(٢).

وقال -رحمه الله- عن الإجماع: "فالقائلون بهذا الأصل -الإجماع- هم أهل السنة الذي أفنوا أعمارهم بحصر أقاويل العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة الأعصار"(٣).

وهذا تقرير لمصادر التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة وفيه ردٌّ كاف على أولئك المبتدعة من الصوفية الذي نهجوا مناهج مبتدعة في التلقي والاستدلال على ادعاءاتهم الباطلة.

وقد ردَّ -رحمه الله- على الصوفية الذين جعلوا الإلهام منهجاً لهم في تلقي علومهم المبتدعة، وكفَّرهم على ذلك قائلاً: "فمن قال: إن الخلق يستغنون عن الرسل، وأن معرفة الله لا يصح الأمر بها، فقد خالف الكتاب وأبطله، ومن قال إن معرفة الله بالإلهام أو بالطباع أو بغير كسب المأمور يلزمه أن يقول إن الكفار الذين عاندوا الرسول

---

(١) ن. م ١/١٠٣.

(٢) ن. م ١/١٠٩.

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١/١١٥.

ﷺ في زمانـــه وقتلهم أنهم مخلدون في الجنة إذا لم يكن لهم طباع أو إلهام أو لم يضطروا على المعرفة...، ومن كان هذا مقتضى قولـــه فلا شك في كفره لمخالفته نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة"[(١)][(٢)].

-رحم الله- أبا الخير العمراني رحمة واسعة.

(١) ن. م ٣/٨١٤.

(٢) والصوفية ومن سار على نهجهم من أهل البدع والأهواء يصدق فيهم قول الشافعي -رحمه الله- في أهـــل الكلام: "حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام" شرح السنة ١/٢١٨، وانظر: الحلية ٩/١١٦.

ابن هبيرة (ت٥٦٠هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه لقبه وكنيته:

هو يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم الشيباني الدوري، العراقي الحنبلي يكنى أبا المظفر، ويلقب بعون الدين، وينعت الوزير العالم العادل[1].

٢- مولده:

ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة بالعراق[2].

٣- مؤلفاته:

لابن هبيرة مؤلفات منها: الإفصاح عن معاني الصحاح، وكتاب العبادات على مذهب الإمام أحمد، والمقتصد في النحو، واختصر كتاب (إصلاح المنطق) لابن

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٦/٢٠، الذيل على طبقات الحنابلة ٢١١/٣، وفيات الأعيان ٢٣٠/٦.

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٢١٢/٣، سير أعلام النبلاء ٤٢٦/٢٠، المنتظم ١٦٦/١٨، البداية والنهاية ٢٥٠/١٢، شذرات الذهب ١٩١/٤.

السكيت[1].

٤- شيوخه:

سمع ابن هبيرة من خلق كثير منهم ابن الجوزي، وأبي منصور الجواليقي، وأبي الحسين محمد بن محمد الفراء، وصحب الشيخ أبا عبدالله محمد بن يحيى بن علي الزبيدي الواعظ، وسمع من أبي عثمان إسماعيل بن محمد بن قبلة الأصبهاني، ومن أبي القاسم هبة الله ابن محمد الحسن الكاتب، وهبة الله ابن الحصن، وعبدالوهاب الأنماطي، وأبي الحسن ابن الزاغوني، وأبي غالب ابن البنا وغيرهم[2].

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

أثنى عليه كل من ترجم لـه؛ لأخلاقه الفاضلة، وعلمه وحسن تدبيره في شؤون الحكم.

قال ابن الجوزي: "وكانت لـه معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض وتفقه وصنف في تلك العلوم، وكان متشدداً في اتباع السنة وسير السلف...، وكان يجتهد في اتباع الصواب ويحذر الظلم...، وكان يتحدث بنعم الله عليه ويذكر في منصبه شدة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٠، وفيات الأعيان ٦/٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٦/٢٣١، سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٢٧، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢١٢، شذرات الذهب ٤/١٩١.

فقره القديم...، وكان إذا استفاد شيئاً قال: أفادنيه فلان"[1].

وقال ابن الأثير عنه: "كان حنبلي المذهب، ديناً، خيراً، عالماً، يسمع حديث النبي ﷺ، وله في التصانيف الحسنة، وكان ذا رأي سديد"[2].

وقال ابن خلكان: "وظهر منه في أيام ولايته ما شهد له بكفايته وحسن مناصحته... وكان مكرماً لأهل العلم، يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم، ويقرأ عنده الحديث عليه، وعلى الشيوخ بحضوره، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره"[3].

وقال عنه ابن كثير: "كان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة وأبعدهم عن الظلم"[4].

وقال عنه أيضاً: "وكان على مذهب السلف في الاعتقاد"[5].

وقال عنه ابن القطيعي: "كان ابن هبيرة عفيفاً في ولايته، محموداً في وزارته، كثير

(١) المنتظم ١٨/١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.

(٢) الكامل ٩/٩٣.

(٣) وفيات الأعيان ٦/٢٣٣.

(٤) البداية والنهاية ١٢/٢٥٠.

(٥) البداية والنهاية ١٢/٢٥٠.

البر والمعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، جميل المذهب شديد النظائر بالسنة"(١).

وقال ابن العماد: "وكان شامة بين الوزراء لعدله، ودينه، وتواضعه، ومعرفته"(٢).

مما سبق يتضح أن الوزير ابن هبيرة -رحمه الله- كان عبداً صالحاً تقياً، نقياً، متمسكاً بالسنة على منهج السلف الصالح، متواضعاً، محبباً عند الرعية.

٦- وفاته:

توفي ابن هبيرة -رحمه الله- سنة ٥٦٠هـ مسموماً(٣).

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٢١٩/٣.

(٢) شذرات الذهب ١٩١/٤.

(٣) انظر: شذرات الذهب ١٩١/٤، المنتظم ١٦٦/١٨، البداية والنهاية ٢٥٠/١٢، الكامل ٩٣/٩.

المطلب الثاني

مواقف ابن هبيرة العملية والقولية في الرد على الصوفية

ابـــن هبيرة -رحمه الله- كان وزيراً عالماً عابداً لله تقياً، ملتزماً بأوامر الله مبتعداً عـــن نواهيـــه، متمسكاً بسنة رسول الله ﷺ من أهل السنة والجماعة سائراً على منهاج السلف الصالح.

ونـــلمس من جهوده العملية، تأليفه كتاب (الإفصاح عن معاني الصحاح) شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم، واستطعت من خلال هذا الكتاب استنتاج موقفه المنكر لبدع الصوفية في التوكل وفي العبادات كالصلاة والصيام، وفي اللباس، والزواج، ونظرية الفناء وذلك من خلال شرح الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية التي استدل بها الصوفية على بدعها، فجاء بيانه لمعاني هذه الآيات والأحاديث مفنداً لمزاعم الصوفية.

فعـــندما اســـتدل الصوفية بالحديث الشريف الذي جاء فيه « **ولا يزال عبدي يـــتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...** » إلى آخر الحديث (١).

---

(١) سبق تخريج الحديث راجع ص٣٢٣.

بين ابن هبيرة المراد من الحديث بقوله:

"وقولـــــه: « **ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته** » لأن التقرب بالنوافل يكون تلو أداء الفرائض، بدليل أنها ذكرت بعد ذكر الفرائض، يعني إذا أدام العـــبد الـــتقرب بالنوافل أفضى ذلك إلى أن يحبه الله. ثم قال سبحانه: « **فإذا أحببته كنت سمعه** » وهذا لا أراه إلا أنه علامة، وأنه لمن يكون الله قد أحبه أن يكون هو سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.

وتصـــوير ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع لـــه في سماعه، ولا يبصر ما لم يأذن الشرع في إبصاره،و لا يمد يداً إلى ما لم يأذن الشرع لـــه في مدها إليه، ولا يسعى بـــرجل إلا فيما أذن الشرع لـــه في السعي بها إليه، فهذا هو الأصل، إلا أنه قد يغلب على عبد ذكر الله حتى يعرف بذلك، فإذا خوطب بغيره لم يكد يسمع، لمن خاطبه حتى يـــتقرب إليـــه بذكـــر الله، غير أهل ذكر الله؛ توصلاً إلى أن يسمع لهم، وكذلك في المبصرات والمتناولات والسعيٍّ إليها، وتلك طبقة عالية نسأل الله أن يجعلنا من أهلها"(١).

وبهـــذا البيان يبطل ما ذهب إليه الصوفية في مفهومهم لنظرية الفناء واستدلالهم بهذا الحديث الشريف على تحققها في أحدهم.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧/٣٠٣-٣٠٤.

وفي عقيدة التوكل؛ نجد الصوفية قد غلوا في هذه المسألة المهمة، فعرّضوا أنفسهم للتعذيب والهلاك، مع عدم فعل الأسباب، بدعوى التوكل، وقد اتهمهم السلف بالتواكل والعجـز، وبيّنوا أن من مقتضيات الإيمان بالله؛ إخلاص التوكل عليه -تعالى- مع عمل الأسباب، وعدم الاعتماد عليها.

وفي ذلك الشأن يقول ابن هبيرة -رحمه الله-: "ولمّا كان من مقتضيات الإيمان؛ أن يتوكل المؤمن على من آمن به، في أنه إذا استعانه، أو انتصر به؛ أو اعتمد عليه، فإنه -ﷻ- كافيه في كل ذلك، فهنا يكون مع العبد في كونه يستعمل الأسباب، وفيها بمعنى إخـلاص التوكل؛ لأن الأسباب تكون معه صورة، وهو معتمد على خالقها، فيخلص لـه التوكل في سره، ويخلص لـه أيضاً من أن يفسده الناظرون إليه بالتشنيع فيه إلا أنه إذا أراد الله منـه في حالـه ما لا عن تقصد فيه؛ أن يتحول بينه وبين الأسباب فليتثبت حينئذ مع الله -ﷻ-، فإنه لم يذهب عنه إلا الشواغل، فكأنه ذلك من لباب الإيمان"(١).

كذلك، فإن الصوفية عندما أقدموا على تعريض أنفسهم للخطر، بدعوى الزهد؛ أنكـر علماء السلف هذا المسلك؛ لإن المرء لا يملك نفسه؛ وإنما هي وديعة لله سبحانه وتعالى.

يدل على ذلك قول المصطفى ﷺ: « **من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار**

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٤٠٤-٤٠٥.

جهنم يتردى فيها »(١).

وقد بيّن ابن هبيرة -رحمه الله- معنى الحديث، ممّا يعني الرد على الصوفية قال: "في هذا الحديث ما يدل على ما تقدم ذكر ناله من أن نفس المرء ليست له؛ وإنما هي وديعة عنده لله سبحانه، فإذا فرط في وديعته منها كان ذلك من أقبح الخيانة.

وقوله: « **من تردى من جبل** ». ربما جاء الشيطان فأوهم بعض العباد أنك قد بلغت من التوكل إلى أن تلقي نفسك من شاهق فلا يضرك، فحرام عليه أن يتبع الشيطان في ذلك؛ فإن هو خالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ واتبع الشيطان؛ فقد أخبره رسول الله ﷺ بحاله من عذاب الآخرة"(٢).

أما من جهة الصلاة فقد كره الصوفية الصلاة في الصف الأول وسخروا من الأذان كما بينا، وفي ذلك مصادمة للشرع وقد بين ابن هبيرة -رحمه الله- معنى الحديث الذي رواه أبوهريرة -رضي الله عنه- في فضل الأذان والصلاة في الصف الأول(٣).

فقال: "وفي الحديث ندب إلى الأذان، وأنه كذلك؛ لأنه إعلان بتوحيد الله سبحانه، والمؤذن يبلغ جهده برفع صوته، فيذكّر الغافلين، ويعود قدوة للذاكرين، فكل

---

(١) سبق تخريجه راجع ص٤٩٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٣٤٤.

(٣) سبق تخريجه راجع ص٣٤٨.

من يقول مثل ما يقول؛ فإنه يجدد إسلامه ليدخل في الصلاة بإسلام جديد غير متثلم بما عارضه في نفسه أو خالجه في قلبه من خاطر سيء، فيكون أجره وأجر شهادته لمن سن هذه السنة وبدأ بها، وهو المؤذن؛ لأن من سن سنة خير، فله أجرها وأجر من عمل بها، فكيف بما في الأذان من الفضائل"[(١)].

كذلك بين ابن هبيرة فضل الصلاة في الصف الأول الذي كرهه الصوفية، قال: "وأمـــا الصف الأول، فللقرب من الإمام، واستماع القراءة، وسلامة من دخل الصف الأول مـــن تخطـــي الناس، وتمكنه من الجلوس، ولا يخفى عليه شيء من أحوال الإمام، ويكون هو مقتدياً بالإمام، ومن وراءه يقتدي به، فيكون لـــه ثوابه، وثواب من يصلي وراءه؛ لأنه هو الوصلة بينه وبين الإمام، وكذلك لـــه ثواب من يصلي وراء من يصلي وراءه هكذا ما اتصلت الصفوف؛ لإنهم به يقتدون، وعلى فعله يبنون"[(٢)].

وفي هذا البيان للحديث من ابن هبيرة ردٌّ على كل من رأي غير ذلك.

وصـــيام الدهر أو الوصال في الصوم بدعة عرفت عند الصوفية وقد نهى الشرع عن ذلك بالحديث الشريف الذي رواه ابن عمر -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ[(٣)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٤١٣/٦.

(٢) ن. م ٤١٤/٦.

(٣) سبق تخريجه راجع ص٣٥٨.

قال ابن هبيرة -رحمه الله- في معنى هذا الحديث: "في هذا الحديث من الفقه: إنه يفهم من النهي عن الوصال كراهية التجوع، وكل ما يهضم من قوى الإنسان التي يعبد الله -عز وجل- به.

وهـــذا ردٌّ على ما يراه من لا علم لــه من التجوع المفضي بأهله إلى الأمراض وضعف القوى ووحشة الأخلاق، فإن الله سبحانه كما حرم الخمر من أجل أنها تفسد عقل المؤمن؛ فكذلك لا يستحب للمؤمن أن يتعرض لكل ما يكسب خلقه الفساد؛ فهو ضد ما أمر به ﷺ من حسن الخلق"(١).

وبهذا المعنى للحديث تبطل كل مزاعم الصوفية جرّاء الوصال في الصوم.

وقـــد بين ابن هبيرة -رحمه الله- مشروعية النكاح وأهميته وحث الإسلام عليه، وهو ما رغبت عنه الصوفية وحذرت منه قال:

"إنمـــا فضل أكثر هذه الأمة نساءً؛ لأن النكاح يشتمل على مصالح كثيرة: فأولها طـــلب الولد الذي يجوز أن يكون ولياً لله -عز وجل-، يحفظ به عباده ويعمر به بلاده، مثل عـــبدالله ابن عباس -رضي الله عنه-، ويكون عالماً مثل عبدالله بن عباس -رضي الله عنه- الذي حفظ الله ســـبحانه الأرض بعلمه وإبقاء ذريته حفظه للأرض، ومن فيها من خلافة رسول الله ﷺ بالقيام بأمر الله سبحانه فيهم والدأب في مصالحهم إلى يوم القيامة ويكون مجاهداً عبَّاداً".

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ١٣٨/٤.

ومن فوائد النكاح؛ طلب ما عنده -ﷻ- ومن ذلك إعفافه نفسه وإعفافه إياهن عن الطموح بما يؤتيه الله -ﷻ- من فقه في معاشرتهن"(١).

وفي بيان ذلك رد على الصوفية ومزاعمهم في النكاح.

وقد أنكر ابن هبيرة -رحمه الله- على من يقدم على الاختصاء، وهو ما عرف عند الصوفية زهداً فيه يظهر ذلك من خلال بيانه لمعنى الحديث الذي رواه أبوهريرة عن الرسول ﷺ ونهيه عن الاختصاء(٢).

قـــال: "في هذا الحديث في الفقه: أن رسول الله ﷺ لما سأله أبوهريرة عن عجزه عـــن النكاح لعدم الطول، أمسك عنه ﷺ مرة، ثم مرة، ثم مرة، كل واحدة منهن كافية في الانـــزجار عن أن يراجع رسول الله ﷺ في ذلك بالإشارة إلى الاختصاء، إذ ليس ما يمنع النكاح، فإن الله -تعالى- يقول ﴿ **إِن يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾(٣).

ولا يحل لفقير يجد في نفسه شهوة النكاح أن يفزع من ذلك إلى الاختصاء، ولا أن يردد ذكر ذلك على قلبه، فلما كرر أبوهريرة ذلك قال رسول الله ﷺ في الثالثة ما لا أراه إلا مجرد إنكار في توعد، وهو قولـــه: « **جفَّ القلم بما هو كائن** » من أنه من

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣/١٥٣، ١٥٤.

(٢) سبق تخريج الحديث راجع ص ٤٦٤.

(٣) سورة النور، آية (٣٢).

كتـــب شقياً فقد كتب، ومن كتب سعيداً فقد كتب، فاختص على ذلك أوذر، وهذا نطـــق يفصح بالوعيد والتهديد، ليكون ذلك زجراً لــه ولغيره من بعده، وليس إذناً في الاختصاء"(١).

وهـــذا فـــيه رد عـــلى بعض الصوفية الذين أقدموا على هذه البدعة كذلك في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص ومنه أن الرسول ﷺ رد على عثمان بن مظعون التبتل والاختصاء(٢).

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله رد التبتل وهو الانقطاع عـــن الناس والنساء، والبتول، والمنقطعة الشبه والمثل، وإنما رد رسول الله ﷺ التبتل على عـــثمان بن مظعون؛ لأنه من الرهبانية التي لم تكتب علينا، والتبتل الذي رده رسول الله ﷺ عـــلى ابـــن مظعون لا يسوغ لغيره استعماله، اللهم إلا أن لا يجد الإنسان نكاحاً فليســـتعفف مترقـــباً أن يغنيه من فضله، ويوجد لـــه الطول للنكاح، أو رجل لا تتوق نفسه إلى النساء أصلاً".

وقولــــه: (لو أذن لـــه لاختصينا) أي أنه ﷺ حسم برده تبتل ابن مظعون ما كـــان كـــل ما يتبع منه خواطره، وأنه كان يفضي ذلك إلى ما ذكره من حيث المبالغة لأنهـــم كانوا يستجيزون ذلك، لأن الاختصاء عدوان محض، فلا يفعله أصحاب رسول

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧/٢٩٠-٢٩١.

(٢) الحديث سبق تخريجه راجع ص٤٦٥

الله ﷺ أبداً"[1].

أيضاً ما سبق بيانه فيه رد على الصوفية في هذا المسلك الذي ترفضه الشريعة الإسلامية لمصادمته الفطرة.

ولما كانت عادة الصوفية في اللباس؛ لبس الصوف والثياب المزعفرة بين ابن هبيرة كراهية ذلك لقوله:

"وقد كان التخصص بلبس الصوف مكروهاً عند جماعة من العلماء منهم سفيان بن سعيد الثوري"[2].

وفي بيانه -رحمه الله- لمعنى حديث أنس بن مالك الذي بين فيه نهي النبي ﷺ أن يستزعفر الرجل[3] قال: "في هذا الحديث من الفقه أن الزعفران هو من طيب النساء، وليس من طيب الرجال، فعلى هذا أرى أن لا يتطيب الرجل بطيب فيه زعفران"[4].

وهذا البيان فيه رد على بدع الصوفية في اللباس.

رحم الله ابن هبيرة رحمة واسعة.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣٣٥/١.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣٥٤/٧.
(٣) سبق تخريجه راجع ص٥٤٠.
(٤) ن. م ٢٦١/٥.

أبوطاهر السلفي (ت:٥٧٦هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الأصبهاني الجرواني.

وسلفه -بكسر السين، وفتح اللام- لقب لجده أحمد، ومعناه الغليظ الشفه.

أما كنيته: فأبوطاهر[١].

قال ابن خلكان: "لقبه صدر الدين"[٢].

ولقّبه الذهبي بـ "شيخ الإسلام شرف المعمرين"[٣].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢١، الكامل ١٥٢/٩، معجم المؤلفين ٢٤٧/١.

(٢) وفيات الأعيان ١٠٥/١، سير أعلام النبلاء ٣٩/٢١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/٢١.

٢- مولده:

ولد أبوطاهر سنة خمس وسبعين وأربعمائة من الهجرة[١].

٣- مؤلفاته:

لقد كانت مؤلفاته -رحمه الله- كثيرة، نتيجة ما خصصه من وقته لذلك مع انفساح أجله ومنها:

معجم شيوخ بغداد، معجم السفر، الأمالي، سؤلات الحافظ السلفي لخميس[٢] الحوزي عن جمع من أهل واسط

ويبدو أن جل مؤلفاته أو غالبها في الحديث وعلومه، وما يتعلق بذلك وقد نقل عنه قوله:

دين الرسول وشرعه أخباره   وأجل علم تقتفى آثاره

من كان مشتغلاً بها وبنشرها   بين البرية لا عفت آثاره[٣]

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٧، ٣٧.

(٢) خميس الحوزي: من علماء القرن السادس: هو خميس بن علي بن أحمد بن علي أبوالكرم الحوزي الواسطي، محدث واسط، أثنى عليه السلف، توفي سنة ٥١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٤٦.

(٣) انظر عن مصنفاته -رحمه الله-: سير أعلام النبلاء ٢١/٢١، الأعلام ١/٢٠٩، معجم المولفين ١/٢٤٧، الأنساب ٣/٤٣.

٤- شيوخه وتلاميذه:

تلقى العلم من مشايخ كثيرين منهم: أبوعبدالله الثقفي، وأحمد بن عبدالغفار، وأبوبكر الشاشي، وأبوالخطاب ابن البطر، وإسماعيل بن علي السيلقي، وأبوالفضل أحمد ابن محمد المؤدب، وأبوالقاسم السكري، وإسماعيل بن محمد التيمي، والفضل ابن محمد الديلمي، وعبدالرحمن بن محمد السمسار، وسعيد بن محمد الجوهري، وأبوبكر الطريثي،و ابن أبي الفرج القزويني، وابن عبدالله بن البسري، وثابت بن بندار، ومحمد بن محمد المديني، والفضل ابن علي الحنفي، ومكي بن منصور بن علان الكرجي، ومعمر بن أحمد اللبناني وغيرهم.

أما تلاميذه فمن أبرزهم: الحافظ عبدالغني المقدسي، وعبدالقادر الرهاوي، وحماد الحراني، وأبوالبركات ابن الحباب، ومحمد بن محمود الدوني، وظافر بن عمر الدمشقي، والحسن بن محمد الأدفي، وشعيب بن يحيى الزعفراني، ومحمد بن عبدالواحد المقدسي، وعبدالخالق بن حسن بن هياج، وعلي بن عبدالجليل الرازي، وهبة الله بن نقاش السكة وغيرهم[(١)].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢١، البداية والنهاية ٣٢٦/١٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣١٩/٣، النجوم الزاهرة ٨٠/٦، وفيات الأعيان ١٠٥/١، شذرات الذهب ٢٥٥/٤.

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

كان السلفي -رحمه الله- منقطعاً إلى العلم، زاهداً فيما عداه، نذر حياته له حتى أصبح أوحد زمانه في علم الحديث.

ومما نقله عنه العلماء في الثناء عليه:

قال أبوسعد السمعاني: "السلفي ثقة، ورع، متقن، مثبت، فهم، حافظ له حظ من العربية، كثير الحديث، حسن الفهم والبصيرة منه"[(١)].

ونُقل عن ابن ناصر أنه قال فيه: "كان ببغداد كأنه شعلة نار في تحصيل الحديث"[(٢)].

وذكر ابن الأثير أنه كان حافظاً للحديث وعالماً به، وسافر في طلب الكثير[(٣)].

وقال ابن نقطة: "كان السلفي جوالاً في الآفاق، حافظاً، ثقة، متقناً، سمع منه أشياخه وأقرانه"[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣/٢١، طبقات الشافعية الكبرى ٣٧/٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣/٢١.

(٣) الكامل ١٥٢/٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٦/٢١.

وقال ابن النجار: "عمر السلفي حتى ألحق الصغار بالكبار.. وروى لي عنه أكثر من مائة شيخ"[1].

• ويعد الإمام أبوطاهر السلفي من أهل الحديث المتمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة، يتضح ذلك من قوله:

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة[2]

٦- وفاته:

توفي -رحمه الله- سنة ست وسبعين وخمسمائة للهجرة[3].

وقد رجح الذهبي أنه ممن جاوز المائة بلا تردد[4].

وسمع وهو ينشد لنفسه قبل وفاته بزمن طويل قوله:

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة

جزت تسعين وأرجو أن أجوزن المائة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٢٧-٢٨.

(٢) ن. م ٢١/٧.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٩، معجم المؤلفين ١/٢٤٧.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٨.

فقيل له: قد حقق الله رجاءك، فعلم بذلك أنه قد جاوز المائة[1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٧، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/٤٠.

المطلب الثاني

مواقف أبوطاهر السلفي القولية والعملية في الرد على الصوفية

لقد كانت جهود السلفي -رحمه الله- من خلال تصانيفه تركز على أهمية علم الحديث؛ لأن المحافظة عليه ردٌّ على أهل البدع والأهواء ومنهم الصوفية الذين قللوا من شأن الحديث وأهله فهو يقول:

إن علم الحديث علم رجال ... تركوا الابتداع للاتبـــــاع

فإذا جنَّ ليلهم كتبــــوه ... وإذا أصبحوا غدوا للسماع[(١)]

وعرف عنه -رحمه الله ذم أهل البدع، والأمر بهجرهم والتحذير منهم من ذلك ما أنشده لنفسه سنة ست وستين وخمسمائة للهجرة حيث يقول:

دعــوني عــن أســانيد الضلال ... وهــاتوا مــن أســانيد عــوالي

رخــاص عــند أهل الجهل طراً ... وعــند العــارفين بهــا غــوالي

عــن أشــياخ الحديث وما رواه ... إمــامٌ في العلوم على الكمال[(٢)]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٢٩-٣٦.

ويدخـــل في أسانيد الضلال: أقوال ومزاعم أولياء ومشايخ الصوفية التي اتخذوها منهجاً من مناهج التلقي والاستدلال عندهم.

ولقـــد كان أبوطاهر السلفي -رحمه الله- آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، قد ازال من جواره منكرات كثيرة.

وكان من إنكاره على أهل البدع وزجرهم وتأديبهم، ما ذكره الحافظ عبدالقادر الـــرهاوي[1] عنه، حيث قال: "رأيته يوماً وقد جاء جماعة من المقرئين بألحان -وهو ما عـــرف عـــن بعض الصوفية- فأرادوا أن يقرؤوا فمنعهم من ذلك، وقال: "هذه القراءة بدعة، بل اقرؤوا ترتيلاً، فقرؤوا كما أمرهم"[2].

رحم الله أبا طاهر السلفي رحمة واسعة.

---

(١) عـــبدالقادر الـــرهاوي: هو أبومحمد عبدالقادر بن عبدالله (أو عبد الرضا) الرهاوي الحنبلي السَّفار، المحـــدث الرحال، ثقة، حافظ، صالح، زاهد، من تلاميذ السلف، ولد سنة ٥٣٦هـــ توفي بحران سنة ٦١٢هـــ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٧١/٢٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥/٢١، طبقات الشافعية الكبرى ٣٨/٦، كذلك أنكر القاضي أبوالحسين بن الفراء هذه القراءة، وعدَّها بدعة محدثة. انظر طبقات الحنابلة ٥٨/١، ٦٦، ١٩٩، ٢١٢، ٣٥٥.

أبو العلاء الهمذاني (ت/٥٦٩هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهيل بن سلمة الهمذاني، المعروف بالعطار، شيخ همذان.

وكنيته: أبوالعلاء.

ولقبه الذهبي: شيخ الإسلام[1].

٢- مولده:

ولد أبوالعلاء يوم السبت الرابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٠، المنتظم ١٨/٢٠٨، البداية والنهاية ١٢/٢٨٦، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢٧١، شذرات الذهب ٤/٢٣١، معجم المؤلفين ١/٥٣٣، الأعلام ٣/١٨١.

من الهجرة بهمذان(١).

٣- مؤلفاته:

صنف أبوالعلاء الهمذاني تصانيف كثيرة، ومفيدة، منها على سبيل المثال: أصول المآب، زاد المسافر، طبقات القراء، فتيا وجوابها، الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ(٢).

٤- شيوخه وتلاميذه:

تلقى العلم على يدي مشايخ كثيرين من أشهرهم: أبوالعز القلانيسي، وأبوعلي الحسن بن أحمد الحداد، وأبوعبدالله البارع، ومحمد بن الفضل الفراوي، وأبوبكر محمد ابن الحسين المزرفي، وأبوالقاسم بن بيان، وأبوطالب اليوسفي، وابن الحصين، وأبي علي ابن نبهان، وأبي علي بن المهدي وغيرهم.

كما تتلمذ عليه علماء من أبرزهم: أبوسعد عبدالكريم بن محمد السمعاني، وأبوالقاسم ابن عساكر، ويوسف بن أحمد الشيرازي، وأبو المواهب ابن حصري، وعبدالوهاب بن علي بن سكينة، وعبدالقادر بن عبدالله الرهاوي، ومحمد بن محمود

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٠/٢١، معجم المؤلفين ٥٣٣/١.

(٢) انظر عن مصنفاته: شذرات الذهب ٣٨٢/٦، الأعلام ١٨١/٢، سير أعلام النبلاء ٤٢/٢١، الأعلام ١٨١/٢.

الحمامي وغيرهم[1].

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

كان أبوالعلاء -رحمه الله- آية في الحفظ والإتقان، الأمر الذي سهل لـــه حفظ الكتب عن ظهر قلب، حتى أصبح إماماً في شتى العلوم، وذاع صيته في أنحاء البلاد.

قـــال ابن السمعاني في حقه: "هو حافظ، متقن، ومقرئ، فاضل، حسن السيرة، مرضي الطريقة، عزيز النفس، سخي بما يملكه، مكرم للغرباء، يعرف الحديث والقراءات والآداب معرفة حسنة"[2].

وقال ابن النجار: "هو إمام في علوم القراءات والحديث والأدب والزهد والنسك والأثر"[3].

وقال الذهبي عنه: "الإمام، الحافظ، المقرئ، العلامة، شيخ الإسلام، شيخ همذان بلا مدافعة"[4].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٠، العبر ٣/٥٦، البداية والنهاية ١٢/٣٠٣، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢٧٢، شذرات الذهب ٤/٢٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/٤١، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٢٧٢.

(٣) العبر ٣/٥٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٠.

وقـــال ابن الجوزي: "كان حافظاً، متقناً، مرضي الطريقة، سخياً، وانتهت إليه القراءات والتحديث"[١].

وقـــال ابـــن كـــثير: "سمع الكثير، ورحل إلى بلدان كثيرة...، وحصل الكتب الكثيرة، واشتغل بعلم القراءات واللغة، حتى صار أوحد زمانه في علمي الكتاب والسنة، صحيح الاعتقاد، لـــه ببلده المكانة والقبول التام"[٢].

وقال ابن رجب: "المقرئ، المحدث، الحافظ، الأديب؟، اللغوي، الزاهد..."[٣].

وذكـــر عنه -رحمه الله- إنه كان شديد الزهد، لا يغشى السلاطين ولا يقرب أبوابهم، ولا يقبل عطاياهم، ولا يمكن أحداً أن يعمل في مجلسه منكراً ولا سماعاً"[٤].

قال الذهبي: "وكانت السنة شعاره ودثاره اعتقاداً وفعلاً"[٥].

ومـــن خـــلال ما سبق يتضح جلياً أن أبا العلاء الهمذاني سلفي العقيدة، ناصراً للسنة، داعياً إليها، شديد التمسك بها.

---

(١) المنتظم ٢٠٨/١٨.

(٢) البداية والنهاية ٢٨٦/١٢.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٢٧٢/٣.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٣/٢١، شذرات الذهب ٢٣٢/٤، المنتظم ٢٧٤/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٤/٢١.

٦- وفاته:

توفي -رحمه الله- سنة تسع وستين وخمسمائة للهجرة وقد جاوز الثمانين[(١)].

(١) انظر: المنتظم ١٨/٢٠٨، معجم المؤلفين ١/٥٣٣، سير أعلام النبلاء ٢١/٤٦، الأعلام ٢/١٨١.

المطلب الثاني

مواقف أبي العلاء الهمذاني القولية والعملية في الرد على الصوفية

كــان الحافظ أبوالعلاء الهمذاني -رحمه الله- من الأئمة الكبار المتمسكين بالسنة في عصره، وكان يرجع إليه في كثير من مسائل الاعتقاد نظراً لسلامة اعتقاده، ومناصرته للسنة.

ويــدل على ذلك ما جاء في (الفتيا) التي أرسلها لــه بعض أهل الشام، وهو بهمذان، بسبب ما ظهر عندهم من الفتن، وانتشار البدع، وطلبوا منه تحقيق الجواب على ذلك:

ومما ورد فيها: "والمأثور من تفضله أن ينعم ويحقق هذه المسائل بأوضح الدلائل، ويذكــر الحكــم في المشــار إليهم، ويحذر من أهل البدع، ويبين ما في ذلك من الإثم والفســاد، ويهديهــم إلى سواء الصراط، ويميز الغلو في الحق والاشتطاط، فهم ينسبون المثبــت للسنة الذاب عنها إلى الغلو في الدين، والخروج عن منهج الصالحين، ويضيفون إلينا بإثبات الصفة التجسيم والتشبيه، كما زعم أهل الزيغ والتمويه...، وإن اتسع وقته لتصــنيف كــتاب في ذلك يرجع إليه، فهو قدوة الأنام، وحجة الإسلام وأمره مطاع، وقوله مسموع، وقدره عندنا جليل، وذكره جميل"[1].

---

(١) فتــيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف، أبوالعلاء الحسن الهمذاني، تحقيق عبدالله بن يوسف الجديع، ط١(الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٩هــ) ص٣٢-٣٣.

ومن جهوده -رحمه الله- أنه كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يمكن أحداً من أهل البدع والضلال أن يفعل منكراً ولا سماعاً في محلته[1].

ومن خلال عقيدته السلفية التي كان عليها ويدعو لها نستشف اهتمامه في بيان الحق والتحذير من الباطل حيث عقد لذلك فصلاً بعنوان:

"فصل في ذكر الاعتقاد الذي أجمع عليه أهل البلاد" بيّن فيه مجمل اعتقاد السلف الصالح.

ومما جاء فيه قوله: "ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"[2].

وأيضاً من خلال مروياته المسندة في العقيدة يتجلى حرصه على التمسك بالكتاب والسنة ومحاربته لأهل البدع.

فمن ذلك تناوله لاختلاف الأمة وانتقاض عرى الإسلام والسنة وما يكون في هذه الأمة من الفتن والبدع والتنافر، واستشهد على ذلك بنصوص من الكتاب

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٣/٢١.

(٢) انظر: فتيا وجوابها ص٩٠-٩٤.

والسنة[1].

ومما أورده من الأخبار المأثورة في ذم البدع والأهواء والآراء المخالفة للحق والصواب، حتى أنه عقد فصلاً في ذلك بعنوان:

"فصل في ذم الأهواء المروية والآراء المغوية"[2].

كذلك ما أورده من الأخبار النبوية في الحث والتمسك بالسنة والبعد عن محدثات الأمور[3].

وفي تقريره لهذه المسائل العقائديه ردٌّ كافٍ على مناهج الصوفية في التلقي والاستدلال.

رحم الله أبا العلاء الهمذاني رحمة واسعة.

(١) انظر: ن. م ص٣٥-٥٥.

(٢) ن. م ص٥٦-٦٥.

(٣) انظر: ن. م ص٨١-٨٩.

عبدالغني المقدسي (ت/ ٦٠٠هـ).

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو الإمام العادل: عبدالغني عبدالواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجمَّاعيلي، ثم الدمشقي المنشأ، الصالحي الحنبلي.

وكنيته: أبومحمد.

ولقبه: تقي الدين(١).

٢- مولده:

اختلف في تاريخ ولادته، هل كانت سنة إحدى وأربعين، أو ثلاث وأربعين، أو أربعَ وأربعين وخمسمائة من الهجرة.

فنقل عن ضياء الدين المقدسي أن ولادته كانت في سنة إحدى وأربعين

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٤/٢١، معجم المؤلفين ١٧٩/٢، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٤.

وخمسمائة[1].

وقيل أن ولادته كانت سنة أربع وأربعين وخمسمائة[2].

ونقــل ابن رجب عن ابن النجار في تاريخه أنه سأل الحافظ عبدالغني عن مولده فقال: إما في سنة ثلاث أو في سنة أربع وأربعين وخمسمائة[3].

وكانت ولادته بجمّاعيل -بتشديد الميم- قرية من أعمال نابلس وإنما انتسب إلى بيت المقدس لقرب جمّاعيل منها[4].

٣- مؤلفاته:

كــان الحافظ عبدالغني -رحمه الله- كثير العلم، واسع الاطلاع في علوم شتى،

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٤/٢١، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٤.

(٢) انظـر: القلائــد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون تحقيق محمد دهمان – مجمع اللغة العربية بدمشــق ٤٣٩/٢، التكمــلة لوفيات النقلة للمنذري، تحقيق بشار عواد (بيروت: مؤسسة الرسالة) ١٨/٢.

المســتفاد مــن ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، تصوير دار الفكر عن طبعة دائرة المعارف العثمانية – الهند ص١٦٩.

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٤.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٤/٢١، معجم البلدان ١٧٩/٢.

وكان شغوفاً بالتأليف، مما كان لـــه بالغ الأثر في كثرة إنتاجه العلمي.

فمن مصنفاته: الاقتصاد في الاعتقاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الترغيب في الدعـــاء والحـــث عليه، التوكل وسؤال الله عز وجل، ذم الغيبة، محنة الإمام أحمد بن حنبل، عمدة الأحكام من كلام خير الأنام، وغيرها كثير جداً[1].

٤- شيوخه وتلاميذه:

تلقى العلم على يد علماء أفاضل من أبرزهم:

في دمشق: أبوالمكارم عبدالواحد بن محمد بن هلال، وأبوالمعالي عبدالله بن صابر وغيرهما.

وفي مصر: محمد بن علي الرحبي، وعبدالله بن بري وغيرهما.

وفي بغـــداد: أبومحمـــد عبدالقادر الجيلاني، وأبوالفتوح عبدالقاهر ابن الوكيل، وأبوالفتح محمد بن عبدالباقي، وأبوبكر بن النقور، وأبوالقاسم بن بندار وغيرهم.

---

(١) انظر: مصنفاته سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٦-٤٤٧، الذيل على طبقات الحنابلة ٤/١٢-١٣، معجم المؤلفين ٢/١٧٩-١٨٠.

وانظـــر: أيضاً مقدمه محقق الاقتصاد في الاعتقاد ص٣٤ وما بعدها وجهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها في القرن السادس ٣/٧٩٩.

وفي أصـــبهان: الحافظ أبوموسى المديني، وأبوالفتح الخرقي، وأبوالعباس بن ينال، ومحمد بن عبدالواحد الصائغ وغيرهم.

وبهمــذان: أبوالمحاســن عبدالرزاق بن إسماعيل، وأبوالفرج إسماعيل القومساني وغيرهما.

أمــا تلاميــذه: فقد أخذ عنه جماعة أصبحوا من الحفاظ المشهورين منهم الإمام موفــق الديــن عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، والحافظ الضياء المقدسي، والخطيب سـليمان بــن رحمــة، وأبوالحجــاج ابن خليل، والواعظ عثمان بن مكي الشارعي، وعبدالقادر الرهاوي، ومحمد بن مهلل وغيرهم[(١)].

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه:

نذر الحافظ عبدالغني -رحمه الله- حياته في عبادة الله وطلب العلم النافع، وقضى جل طلبه في الحديث وعلومه، وفاق مشايخه وأقرانه.

حــتى وصــفه الحــافظ الضياء بقوله: "كان الحافظ عبدالغني أمير المؤمنين في الحديث"[(٢)].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٣/٢١، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/٤ وما بعدها، البداية والنهاية ٣٨/١٣، شذرات الذهب ٣٤٥/٤، وانظر: مقدمة محقق كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد) ص٢٢-٢٩.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٤/٤.

وقـــال الضياء: "سألت خالي الإمام موفق الدين عن الحافظ فكتب بخطه وقرأه عليه: كان جامعاً للعلم والعمل وكان رفيق في الصبا وفي طلب العلم وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل.... ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه في روايتها ونشرها رحمه الله تعالى"(١).

وقال ابن النجار في وصفه: "كان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، قيماً بجميـــع فـــنون الحديـــث، عارفاً بقوانينه وأصوله، وعلله وصحيحه وسقيمه وناسخه ومنســـوخه وغريبه ومشكله وفقهه ومعانيه، وضبط أسماء رواته ومعرفة أحوالهم وكان كثير العبادة، ورعاً، متمسكاً، بالسنة على قانون السلف"(٢).

كمـــا وصـــفه ابـــن كثير بالحفظ والإتقان ومعرفة أسماء الرجال وسرد المتون ونحوها(٣).

ولابد لعالم بذل جهده في تقرير العقيدة الصحيحة، ومحاربة أهل الأهواء والبدع، أن يحصـــل لــــه من الأذى والابتلاء، وعبدالغني المقدسي من هؤلاء الذين جاهدوا في سبيل الله بالقلم واللسان، وصبروا على مواجهة شدائد الأمور، وسمع عنه قوله: "سألت

(١) ن. م ٤/٨.

(٢) ن. م ٤/٦.

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٣/٣٨.

الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد، فقد رزقني : صلاته، ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي"(١).

فحصل له من الأذى والابتلاء ما حصل للإمام أحمد مع المعتزلة(٢)، وذلك بسبب ما وصل إليه من مكانة علمية ومعرفة، لم تكن لغيره ممن عاصره، وما كان يبذله من الجهود في تقرير العقيدة الصحيحة، وما يحث عليه من التمسك بالكتاب والسنة، فوقع الحسد في نفوس مخالفيه من أهل البدع الذين يحاربون أهل السنة والجماعة فأخذوا يدبرون الحيل والوسائل، ويحيكون المؤامرات في إلحاق الأذى به والنيل منه.

قال الذهبي: "جرَّ هذه الفتنة: نشر الحافظ أحاديث النزول والصفات، فقاموا عليه، ورموه بالتجسيم"(٣).

وقال ابن رجب: "ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنعوا عليه"(٤).

وفي مصر لاحقه أهل دمشق وأرسلوا شاباً منهم إلى صاحب مصر بفتاوى

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٥٨.

(٢) في مسألة القول بخلق القرآن. انظر محنة الإمام أحمد بن حنبل في سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٢ وما بعدها.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٥٥.

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٩.

وافتراءات وتشنيعات على الحافظ، فتوعده صاحبها بالإخراج إذا رجع.

وقد أفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وقالوا: يفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم، فكتب الوزير بنفسه إلى المغرب فمات الحافظ قبل وصول الكتاب(١).

وكانت له قبل ذلك محنتان:

الأولى: في أصبهان: حيث أشار عليه الحافظ أبوموسى المديني أن يأخذ على أبي نعيم في كتابه الإصابة، فأخذ عليه الحافظ عبدالغني نحواً من مائتين وتسعين موضعاً، فلما سمع بذلك الصدر الخجندري(٢) رئيس الشافعية بأصبهان وكان أشعرياً متعصباً لأبي نعيم- طلب الحافظ عبدالغني وأراد هلاكه، فاختفى الحافظ(٣).

والثانية في الموصل: نقلها الضياء عن الحافظ نفسه، قال: "كنا بالموصل نسمع الضعفاء للعقيلي(٤)، فأخذني أهل الموصل وحبسوني، وأرادوا قتلي، من أجل ذكر

---

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٤/١٦، سير أعلام النبلاء ٢١/٤٦٣.

(٢) صدر الدين أبوبكر محمد بن عبداللطيف بن محمد الأزدي الأصبهاني المتوفى بأصبهان سنة ٥٩٢هـ، كان أشعرياً.

انظر: الكامل ١٢/٥٢، سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٨٦.

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٤/١٤، سير أعلام النبلاء ٢١/٤٥٨.

(٤) العقيلي: هو محمد بن عمرو بن موسى بن حماد أبوجعفر الحجازي توفي سنة ٣٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٢٣٦.

شـــيء مـــنه، فجاءني رجل طويل ومعه سيف فقلت: تقتلني وأستريح قال: فلم يصنع شيئاً، وأطلقوني"[1].

وقـــال ابن رجب: "قرأت بخط الإمام الحافظ الذهبي رداً على من نقل الإجماع على تكفيره: أما قوله: أجمعوا، فما أجمعوا، بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة و لم يبد مـــن الـــرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين، من أن الصفات الثابتة محمولـــة على الحقيقة لا على المجاز، أعني أنها تجرى على مواردها لا يعبر عنها بعبارات أخـــرى كما فعلته المعتزلة أو المتأخرون من الأشاعرة، هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شيء"[2].

قال الذهبي معقباً على محنته "وبكل حال فالحافظ عبدالغني من أهل الدين والعلم والتأله والصدع بالحق، ومحاسنه كثيرة، فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء، ونبرأ من كل مجسم ومعطل"[3].

٦- وفاته:

توفي -رحمه الله- يوم الاثنين الثالث والعشرون من شهر ربيع الأول سنة ستمائة

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١٤/٤، سير أعلام النبلاء ٤٥٩/٢١.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١٧/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٦٥/٢١.

من الهجرة في مصر، وشيعة خلق كثير من الأئمة والأمراء وغيرهم[1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٦٧، الذيل على طبقات الحنابلة ٤/٢٠، البداية والنهاية ١٣/٣٩.

المطلب الثاني

مواقف عبدالغني المقدسي القولية والعملية في الرد على الصوفية

كان موقفه -رحمه الله- من أهل الأهواء والبدع شديداً، لشدة تمسكه بالسنة ومخالفة أولئك لها، واختيارهم المناهج المبتدعة البعيدة عن منهج الإسلام الصحيح.

فنجده -رحمه الله- يؤلف المؤلفات وغرضه منها تقرير العقيدة والرد على المخالف كائناً من كان.

وقد بين -رحمه الله- أن ضرر المبتدعة على الإسلام وأهله أشد من ضرر الكفار، إذ الكفار لا يخفى أمرهم على المسلمين فيكونون على حذر منهم بعكس أهل الأهواء والبدع وخاصة الغلاة منهم كبعض المتصوفة[1] فإنهم يستظلون بمظلة الإسلام وينشرون سمومهم وبدعهم بين أهله وقلّ من يشعر بذلك فيشتد ضررهم ويعظم خطرهم.

وكان -رحمه الله- لا يخاف في الله لومة لائم، أمَّاراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر.

قال الحافظ الضياء: "كان لا يرى منكراً إلا غيره بيده أو لسانه وكان لا تأخذه

---

(١) كالحلاج، وابن العربي، وابن سبعين، وابن الفارض، ومن على شاكلتهم.

في الله لومة لائم"[١].

وقال عنه الموفق ابن قدامة: "كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه"[٢].

وقال الضياء: "وكان قد وضع الله لـــه الهيبة في قلوب الخلق"[٣].

مع ما جعل الله لـــه من المحبة عند أهل السنة والجماعة[٤].

ولقد بين في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) فضل اتباع السنة وحذر من الابتداع في الدين وهو ما يسلكه المتصوفة.

ويقول -رحمه الله- عن المبتدعة: "ودع أقوال من كان عندهم محقوراً مهجوراً، مـــبعداً مدحـــوراً، ومذموماً ملوماً، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلى أتباعهم فلا تغتر بكثرة أهل الباطل"[٥].

وأوضـــح -رحمه الله- أن الرشد والهدى والفوز لا يكون إلا في متابعة الكتاب والسنة

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١٢/٢، سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٢١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٢١.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ١٣/٢.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٢١.

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد ص٢٢١.

دون الرجوع إلى ما أحدثه المحدثون بعقولهم وآرائهم الفاسدة؛ فالتقديم إنما هو لنصوص الشرع دون غيرها"[(١)].

وهــو بهــذا يــرد عــلى المتصوفة وغيرهم من المبتدعة الذين يقدمون أذواقهم ومواجيدهــم وكشــوفاتهم المزعومة على النصوص الشرعية يشاركهم في ذلك المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الفرق الضالة.

كما يدعو -رحمه الله- إلى لزوم الكتاب والسنة وآثار السلف واعتبارها المصادر الأساسية لتلقي أمور الدين.

وبين في نهاية عقيدته: في (الاقتصاد في الاعتقاد): "فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة وآثار من سلف، فألزمها وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله، وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأمة"[(٢)].

هــذا هو منهج السلف الصالح في كل عصر ومصر يعتمد على الكتاب والسنة ومــا أثــر عــن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، لا على المصادر المبتدعة كالكشــف والذوق والوجد والاستدلال بالأحاديث المصنوعة وأقوال وأفعال المشايخ الصوفية الضلاّل. وفي ذلك ردٌّ كافٍ ولله الحمد على هؤلاء المبتدعة.

رحم الله عبدالغني المقدسي رحمة واسعة.

---

(١) ن. م ص٢٠٧.

(٢) ن. م ص٢٢١.

ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)

المطلب الأول

ترجمته

١- اسمه ونسبه :

أبومحمد ، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي الصالحي الدمشقي الحنبلي[(١)].

والمقدسي: نسبة إلى أسرة المقادسة، نسبوا بذلك لقرب موطنهم من بيت المقدس[(٢)].

وأمـــا الجماعيلي : فنسبة إلى القرية التي ولد بها وهي جماعيل ، قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين [(٣)].

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢/١٦٥-١٦٦ ، والبداية والنهاية ١٣/٩٩ ، ومعجم المؤلفين ٢/٢٢٧، وذيل طبقات الحنابلة ٤/١٠٥ .

(٢) انظر : معجم البلدان ٢/١٥٩-١٦٠ .

(٣) انظر : ن . م ٢/١٥٩-١٦٠ .

أما الصالحي : فلأنه نزل مع أهله في مسجد أبي صالح[1].

وأمـــا الدمشقي : فلأنه نزل بدمشق سنة ٥٥١هـــ وعمره عشر سنين ، وعاش بها أكثر حياته ومات بها[2].

ويـــلقب – رحمه الله – موفق الدين ، ويعرف كذلك بأبي محمد المقدسي وبابن قدامة المقدسي[3]، وكثير ممن ترجموا لـــه يقولون : "ابن قدامه صاحب المغني"[4] تجنباً للخلط بينه وبين غيره [5].

٢- مولده :

ولد ابن قدامة في قرية جماعيل من قرى فلسطين وذلك في شعبان سنة ٥٤١هـــ[6]. وبذلك يكون قد قضى معظم حياته في القرن السادس الهجري .

---

(١) انظر : العبر ٢٩/٣ ، وشذرات الذهب ١٨٢/٤ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٠٠/١٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١١٢/٤،١٠٥.

(٣) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٥/٤، البداية والنهاية ٩٩/١٣، سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢-١٦٦.

(٤) انظر على سبيل المثال سير أعلام النبلاء ١٦٦/٢٢ .

(٥) كالحـــافظ عبدالغني المقدسي المكنى بأبي محمد المقدسي (ت٦٠٠هــ) صاحب كتابي (العمدة في الأحكام، و الكمـــال في معـــرفة الرجال)، وأحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هــ) صاحب كتاب (مختصر منهاج القاصدين)، فالأول يشاركه في الكنية والثاني يشاركه في اسم (ابن قدامة).

(٦) انظـــر : معجم البلدان ١٦٠/٢، مرآة الزمان ٦٢٧/٨ ، ذيل الروضتين ص١٣٩-١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٦٦/٢٢، النجوم الزاهرة ٢٥٦/٦، الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٥/٤، والبداية والنهاية ١٠٠/١٣ .

٣- مؤلفاته :

لم يقتصـــر ابـــن قدامة على الأخذ بنوع واحد من العلوم ؛ بل حاول الأخذ قدر الإمكان من العلوم المختلفة ، حتى برز في علوم شتى ، دلّ ذلك إنتاجه العلمي الغزير ، فقد ألف في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله ، وبلغ فيها درجة من العلم قلّ أن تتوفر لغيره من العلماء .

فمن مصنفاته على سبيل المثال : المغني ، والتوابين ، وذم الموسوسين ، وفتوى ذم ما عليه مدعوا التصوف ، وغيرها كثير[١].

٤- شيوخه وتلاميذه:

سمع من الشيخ عبدالقادر، وهبة الدين الحسن الدقاق، وأبي الفتح ابن البطي، وابن زرعة ابن طاهر، وأحمد بن المقري، وعلي بن تاج القراء، ومعمر بن الفاخر، وأحمد بن محمد الرحبي، وحيدرة بن عمر العلوي، وعبدالواحد بن الحسين البارزي، وخديجـــة النهروانية، ونفيسة البزارة، وشهدة الكاتبة، والمبارك بن محمد البادرائي، ومحمـــد بن محمد بن السكن، وأبي شجاع محمد بن الحسين المادرائي، وأبي حنيفة محمد بن عبدالله الخطيبي، ويحيى بن ثابت، وسعدالله الدجاجي، وأبي بكر بن النقور،

(١) انظـــر : معجـــم المؤلفين ٢/٢٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٦٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٤/١١٠،١١٩ .

وابن شافع.

وسمع بدمشق من أبي المكارم ابن هلال، وأبي المعالي ابن صابر وغيرهم.

وبالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي.

وبمكة من المبارك بن الطباخ(1).

ومن تلاميذه: قال الذهبي: "حدَّث عنه البهاء عبدالرحمن، والجمال أبوموسى ابن الحافظ، وابن نقطة، وابن الخليل، والضياء، وأبوشامة، وابن النجار، وابن عبدالدائم، والجمال ابن الصرفي، والعزاء إبراهيم بن عبدالله، والفخر علي والتقي ابن الواسطي، والشمس ابن الكمال، والتاج عبدالخالق، والعماد ابن بدران، والعز إسماعيل بن الفراء، والفراء أحمد بن العماد، وأبوالفهم ابن النميس، ويوسف الغسولي، وزينب بنت الواسطي، وخلق آخرهم موتاً التقي أحمد بن مؤمن"(2).

٥- عقيدته وثناء العلماء عليه :

احتل ابن قدامه - رحمه الله تعالى - مكانة بارز ة بين علماء عصرة ، وأصبح إمام الحنابلة في عهده ، وصار علماً يُشار إليه بالبنان ، فآراؤه ، وكتبه، مصدر مهم للعلماء

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٦٦/٢٢، الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٥/٤، شذرات الذهب ٨٨/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦٧/٢٢.

الذين جاءوا بعده .

كـــان – رحمـــه الله – سلفي العقيدة إماماً جليلاً من أئمة أهل السنة ، سائراً على منهج السلف الصالح ، ناصراً لمذهبهم ، يصدع بالحق ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، كان شجى في حلوق المبتدعة ، يرد عليهم ويبيّن ضلالهم ، ومن كان هذا شأنه ؛ فهو جدير بثناء العلماء عليه .

قـــال عنه ابن المني[1] عند قدومه – ابن قدامه – إلى بغداد : "اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك ، وأنت تخرج من بغداد ولا يخلف فيها مثلك"[2].

وقـــال عنه عمر بن الحاجب [3]: هو إمام الأئمة ، وفقيه الأمة ، حصنه الله بالفضل

(١) ابن المني : أبوالفتح ، نصر بن فتيان بن مطر النهرواني ، يعرف بابن المنّي ، الإمام ، العلامة ، المفتي، شيخ الحنابلة في عصره ، تصدر للعلم ، وتكاثر عليه الطلبة ، كان ورعاً ، عابداً ، حسن السمت ، على منهاج السلف ، توفي سنة ٥٨٣هـ .

انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٢٧٦/٤-٢٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٣٧/٢١-١٣٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٣٠١/٣-٣٠٧ .

(٢) شذرات الذهب ٨٩/٥-٩٠ ، ونحو من ذلك في سير أعلام النبلاء ١٦٩/٢٢ .

(٣) ابـــن الحاجب : أبوحفص ، عمر بن محمد بن منصور الأميني ، الدمشقي ، المعروف بابن الحاجب (عـــزالدين) ، ولـــد سنة ٥٩٣هـ بدمشق ، محدّث ، حافظ ، مؤرخ ، عالم بتقويم البلدان ، وسمع بالأسكندرية وأربل ، والموصل ، وحلب ، والحرمين ، توفي سنة ٦٣٠هـ .

الوافــر ، والخاطــر العاطــر ، والعلم الكامل ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار ، أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية ، فأما الحديث فهو سابق فرسانه ، وأمـــا الفقـــه فهـــو فارس ميدانه ، أعرف الناس بالفتيا ، وله المؤلفات الغزيرة ، متواضـــع عـــند الخاصة والعامة ، حسن الاعتقاد ، ذو أناة وحلم ووقار ، مجلسه معمور بالفقهاء والمحدثين ، وكان كثير العبادة ، دائم التهجد ، لم نر مثله ، ولم ير مثل نفسه "[(١)].

وقال عنه تلميذه ابن الصلاح : "ما رأيت مثل الشيخ الموفق"[(٢)].

كما قال عنه تلميذه ابن النجار[(٣)]: "كان الشيخ موفق الدين إمام الحنابلة بالجامع ،

= انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٥٧٨/٢ ، والأعلام ٦٢/٥ ، ومرآة الجنان ٧٠/٤ .

(١) سير أعلام النبلاء ١٦٧/٢٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٧/٤ .

(٢) مـــرآة الجنان ٤٨/٤ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٨/٤ ، وشذرات الذهب ٩٠/٥ ، العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، حققه وضبطه أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية – ١٤٠٥هـ) ، ١٨١/٣ .

(٣) ابـــن الـــنجـــــار : أبوعبدالله ، محمد بن محمود بن حسن البغدادي ، المعروف بابن النجار ، الإمام ، الحافظ ، محدّث العراق ، اشتهر بالتاريخ حتىّ أصبح مؤرخ في العصر ، وسار في هذا العلم ، وكان مع حفظه فيه دين ونسك وله تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٦٤٣هـــ .
انظـــر ترجمـــته في : ســـير أعلام النبلاء ١٣١/٢٣-١٣٤ ، والبداية والنهاية ١٦٩/١٣ ، وطبقات الشـــافعية الكبرى للسبكي ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمد الطناحي ط١ (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ٩٨/٨-٩٩ .

وكـــان ثقـــة ، حجـــة ، نبـــيلاً ، غزير الفضل ، كامل العقل ، شديد التثبت ، دائم السكوت ، حسن السمت ، نزهاً ورعاً عابداً على قانون السلف ، على وجهه النور ، وعلـــيه الوقـــار والهيبة ، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه ، صنّف التصانيف المليـــحة في المذهب والخلاف ، وقصده التلاميذ والأصحاب ، وسار اسمه في البلاد ، واشتهر ذكره ، وكان حسن المعرفة بالحديث ، وله يد في علم العربية" (١).

وقال عنه سبط ابن الجوزي : "كان إماماً في التفسير والفقه والحديث والفنون، ولم يكـــن في زمانـــه أزهد ولا أورع منه ، وكان كثير الحياء ، هيناً ليناً ، متواضعاً، محباً للمســـاكين ، حســـن الأخلاق ، جواداً سخياً ، من رآه فكأنما راى بعض الصحابة ، كـــان النور يخرج من وجهه ، كثير العبادة ، يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن ، ولا يصـــلي ركعـــتي السنة في الغالب إلا في بيته ، اتباعاً للسنة، وكان صحيح الاعتقاد ، مبغضاً للمشبهة" (٢).

ومدحـــه تلمـــيذه اليونيني(٣)بقوله : "أما ما علمته من أحوال شيخنا وسيدنا موفق

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٦/٤ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٦٧/٢٢ .

(٢) مرآة الزمان ١٢٨/٨ .

(٣) اليونـــيني : محمـــد بن أحمد بن عبدالله بن عيسى بن أحمد بن علي اليونيني البعلبكي ، ولد سنة ٥٧٢هـــ بـــيونين مـــن قرى بعلبك ، فقيه ، محدّث ، حافظ ، زاهد ، توفي سنة ٦٥٨هـــ ببعلبك . انظر ترجمته في الذيـــل على طبقات الحنابلة ٢١٧/٤-٢٢١، والبداية والنهاية ٢٢٧/١٣-٢٢٩ ، وشذرات الذهب ٢٩٤/٥ .

الدين ، فإني إلى الآن ما أعتقد أن شخصاً ممن رأيته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه ، فإنه كان كاملاً في صورته ومعناه ، من حيث الحسن والإحسان ، والحلم والسؤدد ، والعلوم المختلفة والاخلاق الجميلة"[1].

ووصفه الذهبي بقوله : "الشيخ الإمام ، القدوة العلاّمة المجتهد ، شيخ الإسلام... كان عالم أهل الشام في زمانه"[2].

ومدحه الحافظ ابن كثير -رحمه الله – بقوله : "إمام ، عالم ، بارع ، لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره غيره أفقه منه ، .... ، وبرع وأفتى ، وناظر وتبحر في فنون كثيرة مع زهد وعبادة ، وورع وتواضع وحسن أخلاق ، وجود وحياء ، وحسن سمت ونور وبهاء وكثرة تلاوة ، وصلاة وصيام وقيام ، وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح"[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٦٩-١٧٠ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٤/١٠٨ ، وشذرات الذهب ٥/٩٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٦٧،١٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ١٣/١٠٠ .

وقال ابن شامة – رحمه الله – عنه : "كان شيخ الحنابلة موفق الدين إماماً من أئمة المسلمين ، وعَلَماً من أعلام الدين في العلم والعمل ، صنف كتباً حساناً في الفقه وغيره، عارفاً بمعاني الأخبار والآثار"(1).

كما وصفه تلميذه الضياء المقدسي(2) بغزارة العلم وتنوع المعارف قائلاً :

"كان – رحمه الله – إماماً في القرآن وتفسيره ، إماماً في علم الحديث ومشكلاته ، إماماً في الفقه ، بل أوحد زمانه فيه ، إماماً في علم الخلاف ، أوحد زمانه في الفرائض ، إماماً في أصول الفقه ، إماماً في النحو ، إماماً في الحساب ، إماماً في النجوم السيارة والمنازل"(3).

---

(1) الذيل على الروضتين ص١٣٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٧/٤.

(2) الضياء المقدسي: أبوعبدالله، محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي، الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، ضياء الدين، الإمام، الحافظ، الحجة، بقية السلف الصالح، محدّث عصره ووحيد دهره، كان ثقة، زاهداً، ورعاً، مجاهداً في سبيل الله تعالى، أخذ عنه العلم خلق كثير، وله تصانيف مشهورة، توفي سنة ٦٤٣هـ.

انظر ترجمته في الذيل على الروضتين ص١٧٧ ، البداية والنهاية ١٦٩/١٣-١٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٦/٢٣-١٣٠ .

(3) سير أعلام النبلاء ١٦٩/٢٢ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٧/٤ .

وقد بلغ ابن قدامة درجة الاجتهاد عند الحنابلة، حتى قال عنه ابن غنيمة[1]:

"ما أعرف أحداً في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق"[2].

وأثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله :

"ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق"[3].

وقد أمضى موفق الدين ابن قدامه وقتاً طويلاً من حياته في رياض العلم والمعرفة يلازم الشيوخ والعلماء ، ويأخذ عنهم ، حتى برز في جوانب علمية كثيرة ، فذاع صيته بين العلماء .

---

(١) ابن غنيمة: أبوبكر محمد بن معالي بن غنيمة، البغدادي، المأموني، الحنبلي، المقرئ، يعرف بابن الحلاوي، عماد الدين، فقيه، شيخ الحنابلة ببغداد في زمنه، توفي سنة ٦١١هـ. انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٤٨/٥، والذيل على طبقات الحنابلة ٥٩/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦٩/٢٢، والعبر ١٨١/٣، والذيل على طبقات الحنابلة ١٠٨/٤، وشذرات الذهب ٩٠/٥.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٧/٤ ، شذرات الذهب ٨٩/٥ .

٦- وفاته :

توفي -رحمه الله تعالى رحمة واسعة - يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بمنزله بدمشق[١].

(١) انظر : مرآة الزمان ٦٢٩/٨ ، الذيل على الروضتين ص١٤٠-١٤١ ، ودول الإسلام ٩٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٢/٢٢ ، والبداية والنهاية ١٠٠/١٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١١٢/٤ ، وشذرات الذهب ٩٢/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٧/٢ .

المطلب الثاني

مواقف ابن قدامة العملية والقولية في الردّ على الصوفية

امتاز منهج السلف الصالح بالقوة في الرد على المبتدعة ، والتحذير من أعمالهم، وبيان خطورة بدعهم على الأمة ، كل ذلك كان صيانة للمسلمين من الوقوع في شراك بدعهم ، وتحجيماً لانتشار هذه البدع .

ولقد كان ابن قدامة قوياً في رده على المبتدعة عموماً وعلى الصوفية خصوصاً ، فما يأتي ذكر لهم إلا ويذمهم ويذم بدعهم ، ويبيّن خطرها ، فنجده رحمه الله يردّ كثيراً من البدع ، ويبيّن ما ورد من النصوص في ذمّها والتحذير منها ، ويورد أقوال السلف الصالح في شأنها ، فمن مواقفه رحمه الله تجاه الصوفية في:

١- منهج الاستدلال :

وصف موفق الدين ابن قدامة - رحمه الله تعالى – الصوفية الذين يقومون بالاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة بالزندقة قائلاً :

"فالأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام أو الأحاديث الضعيفة ... ، وما وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى

أنفسهم"[1].

كذلك حذّر – رحمه الله – من النظر في كتب هؤلاء المبتدعة قائلاً :

"وكان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع إلى كلامهم ، – إلى أن قال : وإذا كان أصحاب النبي ﷺ ومن تبع سنتهم في جميع الأمصار والأعصار متفقين على وجوب اتباع الكتاب والسنة وترك علم الكلام وتبديع أهله وهجرانهم والخبر بزندقتهم وبدعتهم ، وجب القول ببطلانه وأن لا يلتفت إليه ملتفت ولا يغتر به أحد"[2].

وذمّ الصوفية على قيامهم بالتأويل الفاسد للقرآن ، وهو ما اشتهر عنهم ، وبين أن ذلك لا يفعله مسلم ، ولازم الشارع في ذلك كتمان الحق وعدم نصح الخلق وهذا كفر[3].

٢– العبادات:

أنكر ابن قدامة على الصوفية وسوستهم في الطهارة والوضوء والغسل بقوله : " ثم إن طائفة من الموسوسين – الصوفية – قد تحقق منهم طاعة الشيطان حتى اتصفوا

(١) ذم التأويل ص٤٧ .

(٢) الآداب الشرعية ص٢٥١ .

(٣) انظر : ذم التأويل ص٤١ .

بوسوسته وقبلوا قوْله وأطاعوه ، وبعدوا عن اتباع الرسول ﷺ وصحابته .

ورد عليهم مزاعمهم في الاحتراز والاحتياط المبالغ فيه ، وعدّ ذلك من الغلو في الدين[1].

وقال في وصيته -رحمه الله- محذراً من الوسوسة في العبادات وهو ما عرف عن الصوفية: "ومن ذلك: مخالفة السنة قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً، فإن رسول الله ﷺ هو الدليل الهادي إلى الصراط المستقيم، قال الله -تعالى-: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[2].

فمن خالف الدليل وأخذ غير طريقه ضل، بل اتّبِعْ السنة: سِرْ حين سارت، وقفْ حيث وقَفت.

ولا تتجاوزها فتغلو في دينك، مثل الوسوسة في الطهارة والصلاة، والزيادة على الغسلات المشروعة، والإسراف في الماء وتنجيس ما كان النبي ﷺ يستعمله ويطهِّره، والصلاة في وقت نهيه والصوم فيما نهى عنه"[3] كصيام يوم الدهر الذي ابتدعه

---

(١) انظر : ذم الموسوسين ص٢٥-٢٧ ، ٦٦ .

(٢) سورة الشورى، آية: (٥٢).

(٣) وصية العالم الجليل موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ط١ (بيروت: دار ابن حزم – ١٤١٨هـ) ص٢٦.

الصوفية.

كما أنكر عليهم صيام الدهر وبيّن كراهية ذلك لما فيه من المشقة والضعف ، وشبه التبتل المنهي عنه في الشرع [1].

٣- الدعـــاء والذكر :

أنكـــر ابـــن قدامة على المتصوفة ما يفعلونه في عبادة الذكر من دفٍّ وشبابة وغناء وتواجـــد بدعـــوى محبة الله والتقرب إليه ، وعدَّ ذلك سقطاً في المروءة وبدعة في الدين وطـــريقاً خالـــية للوصول إلى الله ، وبيّن أن من طلب الوصول إلى الله من غير طريق الرسول ﷺ وسنته ، فهو بعيد من الوصول إلى المراد [2].

وحـــذّر - رحمه الله - مما يفعله الصوفية عند قبور أوليائهم من الدعاء والتقديس ، وشبَّه ذلك بتعظيم الأصنام المؤدية إلى الشرك بالله [3].

٤- السّمـــاع :

لما انتشر التصوف في البلاد الإسلامية ، وأصبح مرتعاً خصباً يحوي كثيراً من البدع

---

(١) انظر : المغني ٣/١٦٧-١٦٨ .

(٢) انظر : ذم ما عليه مدعو التصوف ص٦ .

(٣) انظر : المغني ٢/٥٠٨ .

والخـــرافات ، وفي عهـــد ابـــن قدامة كانت هنالك بعض هذه الأعمال البدعية المنافية للشـــرع ، فكان موقفه منها الإنكار الشديد على أهلها ، وذمهم وبيان ما هم عليه من الـــبدع المحدثة في الدين ، وله في ذلك كما سبق وأن بيّنت في ثنايا هذا البحث رسالة مستقلة في ذم ما عليه مدّعو التصوف ، وقد كتب هذه الرسالة جواباً عن سؤال ورد ه عن حكم ما يفعله بعض المتصوفة من أعمال منافية للشرع كالسماع ، وما يتخلله من الدف والشبابة والغناء والتواجد والرقص وتمزيق الثياب وغير ذلك .

وكان جوابه أن ذمَّ من يفعل هذا وعدَّ هذه الأعمال من البدع المنافية للشرع ، وبيّن أن فعلها معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ .

وكان – رحمه الله – يفتي بتحريم هذا السماع المحدث عند الصوفية وينكر على من يجيزه .

وبعـــد أن قرر ابن قدامة أن هذا السماع الذي يعتقده المتصوفة من الأمور المحرمة ، بيّن أن ما عليه المتصوفة من اتخاذ الغناء طاعة وقربة إلى الله منكر لا يجوز بحال ، فقال : "فأمـــا مـــن يجعله – أي ضرب الدف ونحوه – ديناً ، ويجعل استماعه واستماع الغناء قربة وطريقاً إلى الله سبحانه ، فلا يكاد يوصله ذلك إلا لسخط الله ومقته"[١].

(١) ذم ما عليه مدعو التصوف ص١٤-١٥ .

٥- إسقاط التكاليف :

كفّـــر - رحمـــه الله - غـــلاة الصوفية الذين استحلوا المحرمات وأسقطوا الأوامر والنواهي الشرعية عنهم بقوله : "ومن اعتقد حل شيء أجمع على تحريمه ، وظهر حكمه بـــين المســـلمين وزالت الشبهة فيه ، للنصوص الواردة فيه ، كلحم الخنزير ، والزنا ، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه كَفَرَ"(١).

رحم الله موفق الدين ابن قدامة رحمة واسعة.

---

(١) المغني ١٣١/٨ .

الفصل الثاني

عموم أساليب السلف في القرن السادس الهجري ووسائلهم في الرد على الصوفية

تمهيـــد

من خلال تتبع جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على عامة المبتدعة والصـــوفية عـــلى وجـــه الخصوص، فلابد أن نقف على تلك الوسائل والأساليب التي استخدموها في الإنكار والرد على المبتدعة.

ولابد أن هؤلاء العلماء الأبرار بحثوا عن الوسائل والأساليب الناجعة التي تناسب كـــل فـــرد وجماعة؛ لتكون النتائج المثمرة، يوضحون من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان يسير عليها السلف الصالح ولا زالوا يقرِّرونها خلفاً عن سلف، ويذبُّون عنها البدع والخرافات التي أدت إلى فساد العقيدة عند البعض.

فكان من أبرز ما اتضح لي من تلك الوسائل والأساليب ما يلي.

١- التحذير من البدع والهجر والتنفير.

٢- إتلاف المصادر وترك النظر فيها.

٣- الضرب والسجن.

٤- التأليف وإصدار الفتاوى.

٥- قطع الفتنة بالقتل.

وســأتناول كل واحدة منها على حدة ما أمكن لي ذلك، فأبينها وأذكر بعض الأمثلة عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

١ـ الهجر والتنفير :

لقد سلك السلف الصالح منهجاً خاصاً في الرد على المبتدعة ومنهم الصوفية، فنادوا بهجرهم ، وطفقوا ينفرون الناس من مجالستهم والأخذ بآرائهم الفاسدة ، والتي تشكل خطراً جسيماً على الدين ، وتنخر في جسد الأمة ، ورأوا في أسلوب الهجر والتنفير الأسلوب الأمثل في ردع المبتدع عن التمادي في بدعته ونشرها بين الناس .

وفي ذلك يقول البغوي -رحمه الله -: "فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع[١] معتقداً أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ، ويتبرأ منه ويتركه حياً وميتاً" [٢].

وبيَّن - رحمه الله تعالى - أن هذا هو منهج الصحابة والتابعين وأتباعهم وعلماء أهل السنة والجماعة ، فقال - رحمه الله - في ذلك : "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم"[٣].

والهجر عقوبة شرعية لمن دُعي إلى الحق فلم يقبله، والأصل في ذلك قوله تعالى:
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ

(١) كالصوفية.

(٢) شرح السنة ١/٢٢٤ .

(٣) شرح السنة ١/٢٢٧ .

غَيْرِهِ ﴾[1].

قـال الـبغوي بعد أن ساق بعض الأحاديث والآثار في مجانبة أهل البدع وهجرهم ومنهم الصوفية: "قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء والبدع وحكم بالـنجاة لمن تبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يـتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً أو متهاوناً بشيء من السنن أن يهجره أو يتبرأ مـنه ويـتركه حياً وميتاً ، فلا يسلم عليه إذا لقيه ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق"[2].

وهذا هو الواجب على المسلم تجاه المبتدعة في الدين في كل عصر ومصر .

وقـد حذّر الله جل وعلا من مجالسة هؤلاء المبتدعة ، ودعى إلى هجرهم فقال عز وجـل : ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ [3].

وهذه الآية تنطبق على أولئك المتصوفة المبتدعين، وقد نقل البغوي -رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير هذه الآية : "دخل في هذه الآية كل محدث في

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٨.

(٢) شرح السنة ١/٢٢٤ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٤٠ .

الدين ، وكل مبتدع إلى يوم القيامة" [١].

وعلى رأس هؤلاء غلاة الصوفية في كل عصر ومصر.

ومـــن الســـنة النبوية حديث كعب بن مالك رض الله عنه وهو حديث طويل رواه الشـــيخان عن كعب ، ذكر فيه قصة تخلفه عن الرسول ﷺ في غزوة تبوك وهجر النبي ﷺ لـــه ولصاحبيه وفيه : "ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة[٢] من بـــين من تخلف ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي الـــتي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يـــبكيان، وأمـــا أنـــا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فاشهد الصلاة مع المســـلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعـــد الصلاة، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً مـــنه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حـــتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوّرتُ جدار حائط أبي قتادة ، وهـــو ابن عمي وأحب الناس إليَّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ السلام ، فقلت : يا أبا قـــتادة ، أنشـــدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ ، فسكت ، فعُدتُ لـــه فنشدته

---

(١) تفسير البغوي ٤٩١/١ .

(٢) والثلاثة الذين خُلِّفُوا هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. انظر: أحكام القرآن لابن العربي المالكي ٥٩٦/٢.

فسكت ، فعدتُ لـه فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي ..." [(١)].

ففي قصة كعب هذه دليل على مشروعية هجر أهل البدع والمعاصي، بترك المجالسة والكلام، وقد استدلّ بها علماء السلف ومن سار على نهجهم على جواز هجر أهل البدع حتى يتوبوا.

قال البغوي بعد أن أورد حديث كعب في شرح السنة في معرض استدلاله لمجانبة أهل البدع وهجرهم : "هذا حديث صحيح ، وفيه دليل على أن هجران أهل البدع مع التأبيد ، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه ، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم وعرف رسول الله ﷺ براءته"[(١)] .

وهذا الأسلوب الذي نهجه علماء السلف نلمس الدعوة إليه في مصنفاتهم؛ حتى أنهم عقدوا لذلك أبواباً وفصولاً.

فقد صنف أبوبكر الطرطوشي -رحمه الله- كتابه (الحوادث والبدع) وعقد فيه بابين، الأول: فيما اشتملت عليه السنة من التحذير عن الأهواء والبدع، والآخر: منهاج

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ١٣٠/٥، وصحيح مسلم ، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٢١٢٠/٤-٢١٢٨، رقم الحديث ٢٧٦٩.

(١) شرح السنة ٢٢٦/١-٢٢٧ .

الصحابة -ﷺ- في إنكار البدع، وترك ما يؤدي إليها[1].

وعقـــد أبوالقاسم التيمي -رحمه الله- فصلاً في كتابه (الحجة في بيان المحجة) في ذم الأهواء وأهل البدع، ذكر فيه بعض ما ورد في التحذير عن ذلك.

وعقـــد باباً في اجتناب البدع والأهواء، ذكر فيه النهي عن الإحداث في الدين ما لم يشرعه الله ورسوله[2].

ومما قاله -رحمه الله-: "وترك مجالسة أهل البدعة، ومعاشرتهم سنة لئلا تعلق بقلوب ضـــعفاء المســـلمين بعـــض بدعتهم أو حتى يعلم الناس أنهم أهل البدعة، ولئلا يكون مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدعتهم"[3].

وقـــال في موضع آخر: "قال بعض العلماء: المستحب لكل مسلم أن يهجرهم، ولا يسلم عليهم، ولا يصلي معهم، ولا يزوجهم، ولا يتزوج منهم، ولا يوقرهم"[4].

وأبوالخـــير العمراني -رحمه الله- ذم البدع، وحذر منها وحاربها في كتابه (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار)، ونقل ما ورد في ذمهم من النصوص والآثار عن

---

(١) انظر: الحوادث والبدع ص٩١، ١٠٩ على سبيل المثال.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ٣٨١/٢.

(٣) ن. م ٥٥٠/٢.

(٤) ن. م ٨/١.

سلف الأمة.

كذلك حذر شرف الإسلام ابن الحنبلي -رحمه الله- من البدع في مواضع كثيرة من رسالته الواضحة، نهى عن الصلاة خلف أهل البدع أو مجالستهم أو الاستماع إلى أقوالهم خشية أن يلبسوا على المسلمين دينهم[1].

وعقـــد أبوالحسن الكرجي -رحمه الله- في كتابه (الفصول...) فصل في بيان السنة وفضلها، وآخر في هجران البدعة وأهلها[2].

كما عقد أبوالعلاء الهمذاني -رحمه الله- فصلاً في كتابه (فتيا وجوابها) بعنوان (فصل في ذم الأهواء المردية والأراء المغوية) أورد فيه مرويات عديدة في ذم البدع والاختلاف والأهواء[3].

وذم أبوطاهر السلفي -رحمه الله- البدع وأهلها وحذر منها ومما قال في هذا الشأن:

---

(١) انظـــر: الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لابن الحنبلي ٢/٦٢٣ وما بعدها، ٦٤٧ وما بعدها، ٢/١٠٦٦- ١٠٧٠.

(٢) انظـــر: مـــا نقلـــه ابن تيمية -رحمه الله- في ذلك من كتاب الفصول للكرجي في مجموع الفتاوى ٤/١٨٠.

(٣) انظر فتيا وجوابها ص٥٦ وما بعدها.

فـلا تصـحب سـوى السنيِّ ديناً   لـتحمد مـا نصـحتك في المـآل
وجانـب كـل مبـتدع تـراه   فمـا أن عـندهم غـير المحـال
ودع آراء أهـل الـزيغ رأسـاً   ولا تغـررك حذلقـة الـرذال(١)

وعـرض أبومحمد اليمني -رحمه الله- في كتابه (عقائد الثلاث والسبعين فرقة) آراء الفرق الضالة المبتدعة ورد عليهم وحذر منهم، وكان يقول كلما انتهى من فرقة مخالفة للحق ومنهم فرقة الإلهامية من الصوفية: "فالحذر منهم".

وكـان تألـيفه للكتاب مناصحة للحق، ورداً للباطل وتحذيراً من الوقوع في البدع المهلكة.

وممـا قالـه -رحمه الله- في بداية كتابه المذكور في هذا الشأن: "اعلم -وفقك الله وأرشـدك للصواب- أن أهل البدع والأهواء سموا بهذا الاسم لابتداعهم لأشياء ليست من الشريعة وهوايتهم لأمور استحسنوها فدعوا الناس إلى الدخول فيها وهي بعيدة عن الحق الأنور، والشرع المطهر"(٢).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٤ وما بعدها.

(٢) ن. م ١/١٠.

وكذلك الحافظ عبدالغني المقدسي -رحمه الله- قد بين في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) فضل الاتباع وحذر من الابتداع وساق في ذلك بعض النصوص من الكتاب والسنة.

وآثار السلف الصالح، ثم قال: "ودع أقوال من كان عندهم محقوراً مهجوراً، مبعداً مدحوراً، ومذموماً ملوماً. وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم، وجنحوا في اتباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل"[1].

كما ذم أبوطاهر السلفي أهل البدع وحذر منهم ومن أسانيدهم وعدَّهم من الضَّلال، وحث على الالتزام بمنهج السلف الصالح وأنشد في ذلك شعراً قال فيه:

دعوني عن أسانيد الضَّلال　　وهاتوا من أسانيد عوالي
رخاصٍ عند أهل الجهل طرًّا　　وعند العارفين بها غوالي[2]

وعقد موفق الدين ابن قدامة باباً في كتابه (الاعتقاد) وسماه (هجران أهل البدع) قال فيه:

"ومن السنة هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين،

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص٢٢١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٢٩.

وتـــرك النظر في كتب المبتدعة[١]، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكـــل مُتسـم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجـئة، والمعـتزلة، والكرامية، والسالمية[٢]، ونظرائهم. فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها"[٣].

وأوجب أبوالحسين بن أبي يعلى الفراء؛ هجران أهل البدع والضلال وعدَّ منهم السالمية، وبقية الفرق المذمومة[٤].

هكـــذا كان ديدن علمائنا الأبرار رحمهم الله في التحذير من أهل البدع والدعوة إلى مجانبتهم وعدم مجالستهم وهجرهم لما هم عليه من خطر عظيم على الدين.

---

(١) ترك النظر في كتب المبتدعة ليس على إطلاقه؛ وإنما هو من باب الحفاظ على عقيدة وفكر المسلم من التشويش، ولكن للعلماء أن ينظروا في هذه الكتب لمعرفة آراء المبتدعة وما فيها من انحرافات لاستطاعة الرد عليها وفي ذلك نصرة للعقيدة.

(٢) السـالمية: تنسب إلى عبد الله بن محمد بن أحمد بن سالم الكبير، بصري، مات سنة ٢٩٧هـ، كما تنسب أيضا إلى ابنه أبي الحسن أحمد بن محمد "ابن سالم الكبير" مات سنة ٣٦٠هـ، وهو أستاذ أبي طالب المكي، والسالمية فرع من السهلية، وهذه الطائفة تدّعي أن القرآن قديم، وهو حرف وأصوات قديمة أزلية، لازمة لنفس الله أزلاً وأبدا، وهي من الفرق الصوفية.
(انظر فتاوى ابن تيمية ٦/٥٢٤، ١٢/٣١٩-٣٢٠، والكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة، محمود عبد الرؤوف القاسم . ط٢(الأردن: المكتبة الإسلامية -١٤١٣هـ) ص ٣٥٥.

(٣) الاعتقاد/ موفق الدين بن قدامة المقدسي، دراسة وشرح وتحقيق عادل عبدالمنعم أبوالعباس (القاهرة: مكتبة القرآن) ص٧١-٧٣.

(٤) انظر الاعتقاد لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء تحقيق وتعليق د. محمد بن عبدالرحمن الخميس، ط١ (الرياض: دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع-١٤٢٣هـ، والسالمية ذات نزعة صوفية، ومن أشهر رجال السالمية: أبوطالب المكي صاحب كتاب (قوت القلوب).

٢- إتلاف المصـــادر وترك النظر فيها:

ومـــن الأســـاليب التي جعلها السلف منهجاً لهم في ردع المبتدع الصوفي ، إتلاف المصادر الصوفية المملوءة بالخرافات والبدع ، فلقد شنَّ علماء السلف في القرن السادس الهجـــري حملـــة واســـعة على المصادر الصوفية التي رأوا أنها تشكل خطراً على عقيدة المســـلمين ، ومـــنها على سبيل المثال كتب الغزالي وخاصة "إحياء علوم الدين" الذي وصـــفوه بإماتة علوم الدين(١) ، فرفع الفقهاء أمر هذا الكتاب إلى أمير المرابطين في بلاد الأندلـــس عـــلى بن يوسف بن تاشفين ، فكان – رحمه الله – واقفاً كأبيه عند إشارة الفقهـــاء وأهل العلم ، فأفتوه بإحراق هذا الكتاب ، فأصدر أمره بتفتيش المكتبات العامة والخاصـــة للبحـــث عـــن نسخ من هذا الكتاب ، بل أمر أن يحلّف من يشك في أمرهم بالأيمـــان المغلظـــة بأنهم لا يملكون كتاب الإحياء، وأصدر أمره بمنع دخول جميع كتب الغـــزالي إلى المغرب ، وأنزل أشد العقوبة بمن وجد عنده شيء منها ، وقد جمعت أعداد كـــبيرة من هذا الكتاب ببلاد الأندلس ، ثم وضعت بصحن جامع قرطبة ، وصُبَّ عليها الزيـــت ، ثم أوقـــد عليها النار ، وكذا فعل بما ألقي من نسخ بمراكش ، وتوالى الإحراق

---

(١) لقد وصفه بذلك الطرطوشي – رحمه الله – من علماء السلف في القرن السادس الهجري، انظر سير أعلام النبلاء ١٩/٤٩٥ .

عليها في سائر بلاد الأندلس[1].

وتحـــريق الكتـــب وإتلافها فيه تعزير للمبتدعة ودرء للمفسدة الحاصلة من الاطلاع عليها وقراءتها وتضرر الناس بها في دينهم وأخلاقهم ، وفي هذا اقتداء بسلف الأمة الذين نهجوا التوجه نفسه .

قـــال المـــروزي : "قلت لأحمد : استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة ، ترى أن أمزقه أو أحرقه ؟ . قال : نعم "[2] .

وقد نهى موفق الدين بن قدامة -رحمه الله- عن النظر في كتب هؤلاء المبتدعة ومنهم الصوفية ومما قاله في ذلك:

"ومـــن السنة: هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة"[3].

---

(١) انظر : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة ، ط١ (دار الرشـــاد الحديـــثة ودار البيضـــاء - ١٩٧٩م) ص١٠٤ ، مؤلف مجهول ، وتاريخ الإسلام للذهبي ص٤٤٥ ، وفيات سنة ٥٣٧هـ ، والعقيدة السلفية ص٣٥ .

(٢) الطـــرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ، تحقيق محمد حامد فقي (القاهرة - مطبعة السنة المحمدية -١٣٧٢هـ) ص ٢٧٥ .

(٣) شـــرح لمعة الاعتقاد ص١٥٩، قال الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- "لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة مـــا

كمـــا نهى أبوالخير العمراني -رحمه الله- عن النقل والرواية عن المشهورين من أهل الـــبدع -وعلى رأسهم الصوفية- وليس عندهم كتب صحيحة وإنما هي مزخرفة فهو يقول: "أن المعروف منهم -أي السلف الصالح- اجتناب النقل والرواية عن المشهورين بالـــنقل ولا عـــندهم كـــتب فيهـــا سند صحيح كنحو الكتب المشهورة في الأمصار كالـــبخاري ومسلم والترمذي وسنن أبي داود وغير ذلك من التصانيف التي أجمع أئمة الأمصار على روايتها والاحتجاج بها، وإنما عندهم خطب وكتب مزخرفة"[(١)].

فرحم الله العلماء والفقهاء الذين صدعوا بكلمة الحق في وقته ، ورحم الله السلطان علي بن يوسف بن تاشفين الذي لبّى نداء هؤلاء العلماء الأجلاء ، ونفّذ إرادتهم بإحراق (إحيـــاء علوم الدين للغزالي)، فأصبح التاريخ شاهداً لهم جميعاً على أفعالهم الجليلة دفاعاً عن حياض الإسلام وشأنه ، ولما كان كل ممنوع مرغوب ؛ فإننا نشاهد هذا الكتاب -إحيـــاء علوم الدين- تغص به المكتبات العامة والخاصة بالعالم الإسلامي ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

= يتحصـــن بـــه وكـــان قادراً على الرد عليهم بل ربما كان واجباً؛ لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" ن. م ص١٦٠.

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١/١١٢.

٣ـ الضرب والسجن :

لقــد رأى علماء السلف في هذا الأسلوب ردعاً للمبتدعة ، وتحذيراً للناس من مغبة الوقــوع في شــراك بدعهم ، فعندما قام أحد الصوفية ويدعى أبوالحكم عبدالسلام بن عــبدالرحمن بن سرحان الأندلسي(١) بخلط الفلسفة بالتصوف والفلسفة الإشراقية ، اتهم بالــزندقة حتى استدعاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى مراكش ، حيث مثل أمام قاضيها ابن حمدين القرطبي، وألقي به في السجن حتى مات سنة ٥٣٦هـــ.

وقد أمر علي بن تاشفين بأن لا يُصلى عليه، وأن تُلقى جثته في القمامة(٢).

وقال ابن الجوزي أنه سنة ٥٤٧هـــ قبض على أبي النجيب السهروردي وحُمل إلى الديوان وأهين وحُبس ، ثم أُخرج إلى باب النوبي فأقيم على الدكّة الظاهرة بين اثنين ، وكشف رأسه وضرب بالدرة خمس مرات(٣).

وفي الســنة نفسها أخذ البديع صاحب أبي النجيب السهروردي وكان متصوفاً ، يعــظ الناس ، فحُمل إلى الديوان وأخذ من عنده ألواح من طين فيها أسماء الأئمة الأثنا

---

(١) أبوالحكم، عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد، شيخ الصوفية، توفي مغرباً عن وطنه بمراكش في سنة ست وثلاثين وخمسمائة. انظر سير أعلام النبلاء ٧٢/٢٠.

(٢) انظر : الموسوعة الصوفية للحفني ص٥٠ .

(٣) انظر : المنتظم ٨٤/١٨ .

عشر ، فاتهموه بالرفض ، فشهر بباب النوبي ، وكشف رأسه وأدب وأُلزم بيته[1].

(١) انظر : ن . م ١٨/٨٤ .

٤ـ التأليف وإصدار الفتاوى :

كان منهج تأليف الكتب ، وإصدار الفتاوى في حق هؤلاء المبتدعة من أعظم أساليب علماء السلف في الردّ على الصوفية ، بهدف بيان ضلالاتهم وخرافاتهم للناس وتحذيراً لهم من الوقوع في شراكها .

فمن ناحية تأليف الكتب ، لم يألُ العلماء في ذلك العصر جهداً في الرد على المتصوفة وعلى مؤلفاتهم ، وعلى دعاويهم الباطلة .

وقد أصدر الإمام الطرطوشي فتوى يحذّر من الغزالي وكتابه الإحياء الذي اعتمد فيه على علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ورموز الحلاج ومرامز الصوفية، وعلى الكذب على رسول الله ﷺ ، ورأى وجوب إحراقه حفاظاً على عقول المسلمين، بل شبهه بإماتة علوم الدين [١].

ولموفق الدين ابن قدامة المقدسي – رحمه الله – فتوى عظيمة وجليلة ذمّ فيها المتصوفة وما هم عليه من عبادات واعتقادات فاسدة في السماع والتواجد والرقص ، وبيان بطلان ما هم عليه من واقع الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، وقد أسماها "ذمّ ما عليه مدّعو التصوف" [٢].

---

(١) انظر : ن . م ١٩/٤٩٤-٤٩٦ .

(٢) انظر : ذم ما عليه مدّعو التصوف .

ومـــن عـــلماء القرن السادس من رد على المبتدعة عموماً ومنهم الصوفية فهذا يحيى العمراني يرد على أهل البدع في كتابه (الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار)، وأبوالعـــلاء الهمذاني في رسالته (فتيا وجوابها) وأبومحمد اليمني في كتاب (عقائد الثلاث والســـبعين فرقة) وأبوالحسن الكرجي في كتابه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلـــزاماً لذوي البدع والفضول) كذلك الحافظ عبدالغني المقدسي في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) الذي يرد فيه على المبتدعة.

وشرف الإسلام الشيرازي في رسالته (الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة).

ومنها كتاب (الحوادث والبدع) للطرطوشي الذي رد فيه البدع والمحدثات في الدين وحذر منها. وكذلك إسماعيل التيمي في كتابه المشهور (الحجة في بيان المحجة).

هـ قطـع الفتنة بالقتل :

عـــندما اشتدت بدع الصوفية وانحرافاهم ، ووصلت بهم إلى الاستهزاء بالدين وأهله وأفضـــت بهم إلى الإباحية وإشاعتها بين الناس ، هبَّ المجتمع الإسلامي بعلمائه وفقهائه وســـلاطينه الغُيُـــر على دينهم وأمتهم ، ووقفوا جميعاً في وجه هؤلاء المبتدعة مهما علا واستفحل أمرهم عند العامة والخاصة ، فأصدروا بحقهم الفتاوى الشرعية بما يستحقون مـــن عقـــاب دفعـــاً لشرورهم ومفاسدهم ، وتحذيراً لمن أرادت نفسه أن تسول لـــه بالاقتداء بهم والدعوة إلى مذهبهم الفاسد .

فعـــلى سبيل المثال : ظهر لعلماء الإسلام سنة ٥٨٧هـــ زندقة السهروردي الصوفي الفيلسوف ، شهاب الدين ، وانحلاله ، ودعوته لأفكار فاسدة ، فحملوا محضراً بكفره ، وسيروه إلى القائد صلاح الدين الأيوبي ، وخوّفوه من أن هذا الصوفي المخرف سيعمل عـــلى إفســـاد عقيدة ابنه الملك الظاهر غازي فبعث صلاح الدين إلى ولده بأن يقتله ، فحبس من الطعام حتى مات .

ومـــن المؤرخـــين من ذهب إلى أنه قتل بالسيف ، كما ذهب البعـــض إلى أنه أحرق، والبعض الآخر إلى أنه خنق بوتر، فأصبح يعرف بالسهروردي المقتول تمييزاً لـــه عن غيره[1].

---

(١) انظر : شذرات الذهب ٢٩٠/٤ ، وفيات الأعيان ٢٧٣/٦ ، تاريخ الإسلام ص٧٤-٧٥ وفيات سنة ٥٨٧هـــ ، وانظر كتاب اللمحات للسهروردي ، تحقيق وتقديم أميـــل المعلوف (بيروت : دار النهار للنشر -١٩٦٩م) ص١٢ .

قال ابن خلكان في حق السهروردي المقتول :

وكـــان الســـهروردي مـــتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ، ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين ، فلما وصل إلى حلب ، أفتى علماؤها بإباحة قتله بسبب اعتقاده ، وما ظهر لهم من سوء مذهبه بعد القيام بمناظرته وثبوت ما نسب إليه[1].

وقُتِل السهروردي لكفره وزندقته وردّته ، قطعاً لداء الفساد وهو المنهج الذي سار عليه علماء السلف رحمهم الله ، يقول ابن قدامة –رحمه الله تعالى-:

"أجمـــع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين ، وروي ذلك عن أبي بكر ، وعثمان، وعـــلي ، ومعاذ ، وأبي موسى ، وابن عباس ، وخالد ، وغيرهم ، ولم ينكر ذلك فكان إجماعاً"[2].

مـــا سبق، في نظري أبرز الوسائل والأساليب المتنوعة التي أخذ بها علماء السلف في القـــرن السادس لقمع المبتدعة الصوفية، ودحض افتراءهم؛ لبيان العقيدة صافية نقية من شـــوائب الشـــرك والوثنية والأهواء والبدع التي أدت إلى الانحرافات العقدية، وكانوا رحمهـــم الله مثالاً يحتذى بالمجاهدة والصبر على الأذى بشتى صورة نصرة للدين وإعلاء

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٨، ٢١٠ ، وفيات الأعيان ٦/٢٧٢ .

(٢) المغني ٨/١٢٣ .

لكملة التوحيد(*).

(*) العلماء الآخرون الذين نهجوا هذه الأساليب في الرد على الصوفية:

ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

وصيد الخاطر ص٤٧٠-٤٧١.

المنتظم ١٧/١٢٦، ١٣٧، ١٣٦، ١٨/٨٤.

وكتابه (القاطع بمحال المحال) ولم أعثر عليه مطبوعاً أو مخطوطاً انظر: المنتظم ١٣/٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/٣٤٦.

والمازري انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٤٢، ٣٣٠.

وأبوبكر محمد العامري في كتابه (أحكام النظر إلى المحرمات).

وابن حمدين القرطبي انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٤.

الخاتمــة

وتتضمن:

أولاً: أهم نتائج البحث.

ثانياً: التوصيـــات.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، أحمد الله -ﷻ- الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على أن وفقني وأمدني بعون منه، حتى قمت بإتمامه على هذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وُفقت بالوصول إليها.

إن سطور هذه الخاتمة تتضمن ملخصاً لما سبق بيانه، إضافة إلى توصياتي في هذا المجال.

أولاً: ملخص هذا البحث:

في التمهيد: عرفت السلف في اللغة وفي القرآن الكريم وفي السنة النبوية وبينت اصطلاح العلماء فيه حتى توصلت إلى أن وصف السلف ينطبق على كل من وافق الكتاب والسنة قولاً وعملاً وسار على منهج الصحابة والتابعين وأئمة الدين، والتزام النصوص إلى يوم الدين، ولم يرم ببدعة أو يكون رأساً فيها أو رئيساً لفرقة أو مذهب باطل.

ثم عرفت القرن في اللغة، وفي القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، وبينت تحديد القرن زمنياً وتباين الأقوال فيه، والذي عليه أكثر أهل العلم وهو الراجح والمشهور أن القرن مائة سنة.

ثم عرفت الصوفية في اللغة وأثبت الأقوال حول نسبة الصوفية ومنها: النسبة إلى الصـفة، والنسـبة إلى الصـفاء، والنسبة إلى الصف، والنسبة إلى صوفة، والنسبة إلى الصـوف، والنسبة إلى سوفيا اليونانية، وبينت أن القول الراجح في هذه المسألة هو أن الصوفية نسبة إلى الصوف.

كذلك عرفّت الصوفية اصطلاحاً عند الصوفية،وعند غير الصوفية الذين رأوا أن التصوف ابتدأ زهداً ثم انتسب إليه أهل البدع والخرافات والزندقة.

وبعد ذلك تناولت حالة الأمة السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية في القرن السادس الهجري.

ومن خلال الحالة السياسية تناولت حالة الدولة العباسية، وما اعتراها من ضعف والانقسـامات داخـلها إلى دويـلات منها دولة السلاجقة، والدولة العبيدية الشيعية والاضطرابات التي عاشتها بلاد اليمن والحروب الطاحنة بين دويلاتها التي تدين بالولاء للدولة العبيدية في مصر.

ثم تـناولت حالـة بلاد الأندلس وانقسامها إلى طوائف يحكمها ملوك ضعاف غـلّب البعض منهم أهواءه ورغباته على مصلحة البلاد والعباد؛ فنشأت دولة المرابطين الـذي غلب على طابعها الجهاد الديني، ومن ثم دولة الموحدين التي زالت نتيجة تفرق الطوائف وانعدام الثقة فيما بينها حتى تسلط النصارى عليهم وأزالوا دولتهم.

أمـا الحالـة الديـنية والفكـرية فقد لعبت الحروب الصليبية التي غزت العالم

الإسلامي في القرن السادس الهجري دوراً خطيراً؛ لإنها اتخذت من الصليب دلالة على أن الدين كان هو أهم أسبابها ودوافعها.

كذلـــك الشيعة الباطنية التي لعبت دوراً خطيراً في القرن السادس الهجري، وهم الذيـــن رفعـــوا شعار العداء لأهل السنة، وكان من أشهر أفعالهم القيام باغتيال الفقهاء والسياسيين وإثارة الرعب بين الناس، كذلك النصيرية التي وقفت مع النصارى في ذلك القرن ومدت يد العون لهم.

أيضاً هناك الصابئة الذين كان لهم دور كبير في الحركة العلمية التي عرفها العصر العباسي، وهم الذين استخدمهم الخلفاء والأمراء في قصورهم.

كذلـــك بـــرزت في هـــذا القرن وبشكل ملفت، الصوفية بما تحمله من البدع والخرافات.

كما اشتهر هذا القرن بكثرة الخلافات ونشوب النزاعات بين المذاهب المختلفة كلٌ يريد أن يعلي من شأن مذهبه وفكره.

ومـــن خلال الحالة الاجتماعية في القرن السادس بينت أن من أبرز سماتها انتشار الفســـاد والانحلال الخلقي وإثارة الرعب والخوف بين الرعية نتيجة ضعف الخلافة، وما أحدثته الشيعة الباطنية، كذلك كان للحروب الصليبية دورها في إثارة المتاعب للبلدان الإسلامية التي أصبحت هدفاً للهجوم عليها.

وفي هذه الفترة انتشر الغلاء والقحط والمنكرات واستيلاء النساء على الأحوال،

لاسيما في بلاد الأندلس.

ومع ذلك لم يخل هذا القرن من بعض الخلفاء الذين سعوا بين الناس بالخير، ومن بعض الفقهاء والدعاة الذين حملوا لواء السنة وقمعوا البدعة لا تأخذه في الله لومة لائم.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المجتمع الإسلامي آنذاك انقسم إلى طبقات ثلاث: طبقة الحكام، وطبقة العلماء والفقهاء، وطبقة عامة الناس.

وهذا شأن كل مجتمع تضطرب فيه أحواله السياسية.

كذلك قارنت في هذا التمهيد بين القرن السادس الهجري والقرن الخامس الهجري ووجدت أن ما حدث في القرن السادس؛ إنما هو امتداد لمجريات أحداث القرن الخامس من اضطرابات سياسية وخلافات مذهبية وطائفية وسوء أحوال اجتماعية.

ثم عرجت إلى بيان نشأة التصوف وتطوره عبر التاريخ؛ فبينت اختلاف العلماء والباحثين في تاريخ نشأة التصوف وتطوره، فمن رأي يقول: أن ظهوره قبل الإسلام، ومن رأي آخر يقول: أن ظهوره كان في عصر الإسلام. وبعد طرح الآراء والمناقشات، ترجح لي أن ظهوره كان في القرن الثاني الهجري.

ثم تطرقت لمراحل تطوره وقسمتها إلى ثلاث مراحل:

فالمرحلة الأولى: تشتمل على القرن الأول والثاني من الهجرة النبوية، وكان التصوف فيها لا يكاد يخرج عن دائرة التشدد في العبادة؛ حتى عرف أهله بالزهاد والعباد والنسّاك.

أمـــا المرحـــلة الثانية: تشتمل على القرون الثالث والرابع والخامس من الهجرة النـــبوية وبـــدأت في هذه المرحلة حالة التعمق في النفس، وبدأت الشطحات الصوفية وبدأت مرحلة تدوين وحفظ مقومات التصوف، وبدأ أيضاً استخدام الرموز والغموض في المصطلحات الصوفية.

ثم المرحـــلة الثالثة: وتشتمل على القرون السادس والسابع وما بعدها، فقد نحى فيها التصوف منحاً خطيراً حيث اختلط بالفكر الفلسفي وبدأت بالفعل الطرق الصوفية وانتشرت في العالم الإسلامي.

ومـــن أبرز ملامح هذه المرحلة تلك الانحرافات العقدية التي نادى بها أصحابها، مثل القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد حتى اعتبرت هذه المرحلة من أخطر المراحل.

وفي الـــباب الأول: بينت فيه منهج التلقي والاستدلال عند الصوفية، فبعد التمهيد؛ بيـــنت منهج الصوفية في الكشف وأبرز الوسائل الموصلة لـــه مثل الزعم برؤية الرسول ﷺ يقظة والإلهام والذوق والخواطر التي اتخذها الصوفية من أرقى مناهج التلقي عندهم.

ثم أعقبت ذلك بموقف علماء السلف في القرن السادس الهجري من هذه المناهج والذي اتسم بالإنكار الشديد عليها وأنها من ضلالات الصوفية.

وبعـــد ذلـــك بينت منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن وتفريقهم بين الحقيقة والشـــريعة وتفسيرهم للقرآن تفسيراً إشارياً نهجوا فيه تأويل الآيات لتتواءم مع أهوائهم ورغباتهم.

ثم أعقبت ذلك بموقف علماء السلف في القرن السادس الذي اتسم بالإنكار على منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن، المؤدي إلى التشبيه والإشكال، وعدوه من الاستخفاف بالقرآن، وفاعله كافر بإجماع المسلمين.

ثم بينت منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة، واتضح لي أنه قائم على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي لم تثبت عن الرسول ﷺ، والروايات المنسوجة من خيالات الصوفية.

وأعقبت ذلك بموقف علماء السلف في القرن السادس الذي اتسم بالإنكار على هذا المنهج في الاستدلال، وعدّوا الصوفية من الوضّاعين للحديث ومن الزنادقة الذين لبّسوا على الناس دينهم.

وبينت منهج الصوفية بالاستدلال بأقوال وأفعال مشايخهم وبمصنفاتهم، وما أضفوه عليها من القدسية حتى اعتبروا الأخذ بها من أرقى مناهج الاستدلال عندهم فتوارثوها جيلاً بعد جيل حتى أصبحت تراثاً من تراث الصوفية المقدس.

ثم أعقبتُ ذلك بموقف علماء السلف في القرن السادس المتسم بالإنكار على مشايخ الصوفية الذين تلاعبوا بالشريعة وبالإنكار على مصنفاتهم وما حملته من ضلالات، حتى أنهم أفتوا بإحراق بعضها وتم لهم ذلك بمعاضدة بعض الحكام الغيورين على دينهم.

وفي الباب الثاني: وقفت على مفهوم نظريات الحلول ووحدة الوجود والاتحاد

عند الصوفية وزعمهم حلول الله واتحاده في أولياء الصوفية؛ بل وصل بهم هذا الاعتقاد الفاسد إلى أن جعلوا الوجود واحداً، اتضح لي ذلك من خلال أقوالهم وما تحمله أبياتهم الشعرية من إشارة جلية لهذه النظريات.

ثم أعقبت ذلك بجهود علماء السلف المتمثلة بالإنكار على الصوفية وغلاتهم في هذه النظريات الكفرية، وبينوا فسادها، وأنزلوا أشد العقوبات الحسية على أصحابها.

كذلـــك في هذا الباب تناولت بدعة الفناء عند الصوفية والوسائل المؤدية لها من الرياضـــة والمجـــاهدة وترك الدنيا وتعذيب الجسد، وهذه النظرية عند الصوفية تعد نهاية المطاف وآخر مراحل الطريق والمؤدية إلى الحلول بالله.

ثم أعقبـــت ذلـــك بجهود علماء السلف في القرن السادس التي اتسمت بتفنيد هذه البدعة والإنكار على أصحابها، وبينت أنها دخيلة على الدين من الثقافات الأجنبية.

وبعـــد ذلك وقفت على البدع في الصلوات والصيام والدعاء والذكر، ودعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية، وبينت كل بدعة واستدلال الصوفية عليها، ثم أعقبـــتها بإنكار علماء السلف على هذه البدعة وأصحابها، ودحض استدلال الصوفية عـــلى جوازها والأخذ بها، وإنكارهم دعوى الصوفية الزائفة إسقاط التكاليف الشرعية عن أوليائهم ومشايخهم وإنكارهم لها، وتكفير من ادعى ذلك.

وفي نهايـــة هـــذا الباب بينت مفهوم الولاية عند الصوفية القائم على: الاعتقاد بكـــرامات أولـــيائهم ومشايخهم ودعواهم علم الغيب، وتقديسهم للمقبورين، والتبرك

بهـــم، وسؤالهم الحاجات من دون الله والاستغاثة بهم. وتفضيلهم الأولياء على الأنبياء وزعمهم أن من الأولياء من هو أرفع من الأنبياء.

ثم أعقبـــت ذلـــك بجهود علماء السلف في القرن السادس التي اتسمت بالردود والإنكـــار على غلاة المتصوفة، وبينت أن الكرامات أمر ممكن الوقوع؛ ولكن لابد من عرضـــها على مقاييس الشرع للتثبت منها، ولكن الصوفية شطحوا في ذلك وهم الذين يجعلون من الحبة قبة!!.

وقـــد رأى عـــلماء الســـلف أن كرامات المتصوفة خليط من الشعوذة والفتن الشيطانية والشطحات الكاذبة المصنوعة.

وقـــد رد علماء السلف على الصوفية مزاعمهم في ادعاء الغيب وعدوا ذلك من خرافات الصوفية المعهودة عنهم، كما شددوا الإنكار عليهم في تقديس القبور والتبرك بها، وأنكروا عليهم نظرتهم الدونية للأنبياء وسوء أدبهم معهم.

وفي الـــباب الثالث: بينت مفهوم الزهد عند الصوفية وأبرز مناحي الحياة التي ظهـــر فيها عند الصوفية مثل: ترك الزواج ومحاربته، والاختصاء والنظر إلى وجه الأمرد وترك العلم ومحاربته وأهله، وكلها تدعو إلى الابتعاد عن الدنيا بالكلية.

ثم أعقبـــته بجهود علماء السلف في القرن السادس المتمثلة بالإنكار الشديد على هـــذا المفهوم للزهد عند الصوفية وبيانهم نهي الشارع عن مجمل هذه الأفعال التي تدعو إلى الرهبنة والتبتل.

كما بينت مفهوم التوكل عند الصوفية الذي لا يمكن تحقيقه عند القوم؛ إلا بالتجرد عن فعل الأسباب.

ثم أعقبت ذلك بجهود علماء السلف في القرن السادس الهجري المنكرة على معتقدات الصوفية في التوكل بيانهم أن فعل الأسباب من كمال الإيمان.

وبعد ذلك وقفت على مفهوم السماع عند الصوفية وما يفرزه من رقص وتمزيق ثياب وصياح وضرب وصعق وزعق وتصفيق، وكيف فضَّل الصوفية السماع -الذي هو عندهم الغناء والطرب- على القرآن الكريم وزعموا أنه أكثر تأثيراً منه.

ثم أعقبت ذلك بجهود علماء السلف في القرن السادس المنكرة لهذه البدعة إنكاراًشديداً؛ تلك البدعة التي لاقت إنكاراً شديداً من علماء السلف عبر القرون السابقة واللاحقة للقرن السادس، منذ بزوغ فجرها.

كما بينت لباس وشعار الصوفية واعتقادهم في لبس الخرقة والمرقعة ولباس الثياب الممزقة والمصبغات من الثياب، واتخاذ ذلك شعاراً وعلامة يعرفون به تمييزاً لهم عن غيرهم.

ثم أعقبت ذلك بجهود علماء السلف في القرن السادس وبيان ردهم وإنكارهم على هذه البدع في اللباس، وبينت أن هذه البدعة مقتبسة من ديانات وثنية بعيدة كل البعد عن عادات وتقاليد المجتمع الإسلامي.

وفي نهاية هذا الباب، بينت الرموز والغموض عند الصوفية، واستخدامهم لهذه

البالغة في التعبير عن عباراتهم وإشاراتهم وأفكارهم، لئلا يعرفها غيرهم؛ بل شددوا على كتمانها، وأنزلوا أشد العقوبات على من يقوم بإفشائها.

ثم أعقبت ذلك بجهود علماء السلف في إنكار هذه المصطلحات الغامضة المفضية إلى هدم أركان الشريعة وعلومها، وبينوا بُعدها عن اللسان العربي، وأنها دخيلة عليه من الثقافات الأجنبية.

أما الباب الرابع والأخير: فقد أثبتُّ فيه علماء السلف في القرن السادس الهجري؛ الذين ردّوا وشددوا الإنكار على الصوفية وغلاتهم من خلال ترجمة وافية لكل علم؛ تشتمل على اسمه ونسبه، ومولده، وبعض مؤلفاته، وشيوخه وتلاميذه، وعقيدته وثناء العلماء عليه، وبيان مواقفه العملية والقولية في الرد والإنكار على الصوفية، وذلك بحصر جميع مواقفه المبثوثة في الرسالة وتدوينها في هذا الجزء الخاص به.

وكان من أبرز هؤلاء العلماء الأجلاء، البغوي، والطرطوشي، والحافظ ابن ناصر والتيمي، وأبومحمد اليمني، وأبوالخير يحيى العمراني، وابن قدامة، وغيرهم[1].

كما بينت أساليب علماء السلف في القرن السادس في ردهم وإنكارهم على الصوفية، والتي منها الهجر والتنفير والضرب والحبس وإتلاف المصادر والتحذير من

(١) أشرت في الحاشية إلى العلماء الآخرين الذين ردوا على الصوفية في القرن السادس وكان من أبرزهم ابن الجوزي، والقاضي عياض، وابن العربي المالكي، والمازري، وابن حمدين القرطبي وغيرهم.

الـــنظر فيها والقتل؛ كوسائل لتعزير وردع هؤلاء المبتدعة، ومنع بدعهم من سريانها في جسد الأمة.

ومن خلال نظرة شاملة على جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في هذا الموضوع تبيّنْ لي الآتي :

١- وجود كوكبة من العلماء الأجلاء في القرن السادس عظموا جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودحض افتراءات المتصوفة، والتشديد على إنكارها.

٢- تعظـــيم وإجلال سلف هذه الأمة لكتاب ربهم جل وعلا واقتفاء أثر الرسول ﷺ حتى جعلوا ذلك منهجاً لهم في الردّ والإنكارعلى أهل الأهواء والبدع وعلى رأسهم المتصوفة.

٣- ذمّ عــلماء الســلف لفرقة الصوفية ؛ لأنها كانت سبباً لتشويه العقيدة الإسلامية الصافية ، والأمر بهجرهم والتحذير منهم والإنكار عليهم لزجرهم وتأديبهم .

٤- تحذيــر عــلماء الســلف الأمة الإسلامية من هذه الفرقة ومجالسة أتباعها وقراءة مصنفاتها؛ لأنها سبب للاختلاف والفرقة وضياع الإلفة .

٥- تــنوع أساليب علماء السلف في القرن السادس في الردّ والقمع لأهل البدع وعلى رأسهم الصوفية .

٦- بيــان أن السلف لا يتلقون أمور دينهم إلا عن مشكاة النبوة ، لا عقل ولا ذوق ، ولا كشــف ولا إلهــام ، كمـــا هو حال الصوفية وغيرهم من المبتدعة، وهذا من

خصـــائص منهج السلف في تقرير مسائل الاعتقاد والسلوك الذي هو منهج يقوم عـــلى التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة ملتزمين قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

٧- بيـــان وسطية منهج السلف في جميع مسائل الدين ، وهذه الوسطية استفادوها من اعتمادهم الكتاب والسنة من غير غلو أو تقصير كما هي حال الصوفية قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٢).

وعـــن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "هلك المتنطعون"(٣) قالها ثلاثاً (٤).

وعـــن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبدالله ورسوله" (٥).

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ١ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٣) المتنطعون: أي المتعمقون الغالون المتكلفون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. انظر المعجم الوسيط ٢/٩٣٠.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ٤/٢٠٥٥ ، رقم الحديث (٢٦٧٠) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ٤/١٤٢ .

ثانياً : التوصيات

من خلال معايشتي لهذا البحث ، تبيّن لي خطورة التصوف والمتصوفة ، وأهمية الدعوة إلى الله وبيان العقيدة الصحيحة للناس كافة ، لذا أوصي بالنقاط التالية :

١- دعوة الدعاة وولاة أمور المسلمين في أصقاع العالم الإسلامي بأن يوضحوا للناس كافة طريق الحق والهداية الذي بيّنه الله سبحانه ، وبلغه سيد الخلق ﷺ وسار عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم .

٢- دعوة المعتدلين من أبناء التصوف إلى نبذ دواعي الفرقة ، ووجوب الالتفاف حول الكتاب والسنة واقتفاء أثر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

٣- تحذير الناس من تراث ومصنفات الصوفية ، وما تحويه من مظاهر الشطح المفضي إلى الإلحاد .

٤- تنبيه وتبصير الناس إلى التجاوزات الخطيرة التي تحدث في الموالد من هؤلاء المبتدعة، ومحاربة مظاهر الشرك المنتشرة حول القبور وهو الأمر المشاهد في عصرنا الحاضر في بعض الدول الإسلامية وللأسف !! .

٥- تنشيط دور الإعلام الإسلامي لمعالجة المشاكل الفكرية التي تعتنقها فرق المسلمين وجماعتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وإصدار الكتب والنشرات والدوريات التي

تنادي لتصحيح العقيدة وبعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام .

٦- زيادة جرعة علوم التوحيد في المدارس العامة والخاصة والجامعات كي ينشأ الشباب المسلم صحيح العقيدة .

٧- بـــذل المزيد من الجهود لدعوة عوام الصوفية إلى العقيدة الصحيحة والسعي بجميع الوسائل الممكنة لانتشالهم من البدع والخرافات التي أسس مذهبهم عليها، والحيلولة بينهم وبين الالتفاف حول مشايخهم الضالين المضلين .

٨- دعم المراكز والجمعيات الدعوية في البلاد الإسلامية وغيرها دعماً مادياً ومعنوياً لتقوم بدورهـــا في نشـــر الســـنة والرد على المبتدعة عموماً والصوفية خصوصاً ، والدعوة الصحيحة للإسلام في شتى أنحاء العالم على هدى وبصيرة .

٩- منع كتب الصوفية القديمة والحديثة من التداول في بلاد المسلمين والوقوف في وجه مصـــنفاتهم وأهل الأهواء ، ونبذ دعوى الحرية الفكرية التي يتشدق بها العلمانيون ؛ لأن الوقاية خير من العلاج .

١٠- ضـــرورة دراسة السنة النبوية الشريفة وأحوال السلف الصالح دراسة واعية ، وما ظهور الأهواء والبدع في ديار المسلمين إلا بسبب الجهل بالسنة الصحيحة، وما نقله الصحابة والتابعون والسلف الصالح .

١١- ضـــرورة الاعتزاز بالإسلام عقيدة وشريعة واعتباره الحكم العدل على ما كل ما ســـواه ، فيؤخذ ما يتفق مع قواعده العامة والخاصة ، ويرفض كل ما يتعارض مع

هذه الأصول التي تقوم عليها .

١٢- هنا نصيحة أقدمها إلى شباب الأمة الإسلامية ، أن ينهلوا من معين ثقافة الإسلام وعقيدته السمحة قبل الانفتاح على الثقافات الأخرى ، حتى تتكون لديهم الحصيلة والحصانة الإسلامية الكاملة التي تستطيع حمايتهم بعد الله من كل شبهات الأعداء الذين يتربصون بالإسلام وأهله الدوائر ، وخاصة شبهات أهل الأهواء والبدع وعلى رأسهم الصوفية .

١٣- غرس العقيدة الصحيحة المستقاة من الكتاب والسنة في قلوب النشء عامة وذلك بتنقيح المناهج الدراسية في البلاد الإسلامية من الفكر الصوفي البدعي ومن جميع أفكار أهل الأهواء والبدع .

١٤- إسناد شؤون التعليم في البلاد الإسلامية وخاصة ما يتعلق بالدين إلى علماء مشهود لهم بصفاء العقيدة وسلامة المنهج والاستقامة ، وإبعاد كل منحرف ومبتدع عن شؤون التعليم حتى لا ينشأ جيل خرافي تائه يفسد عقائد الأمة ويسهم في هدم كيانها.

١٥- إن المناط بالعالم الإسلامي علماء ومفكرين إزاء الفكر الصوفي الملوث واجب كبير جداً ، ولا بد من مضاعفة الجهود وتضافرها وحشد كل الطاقات والإمكانات المتاحة لبث الوعي الصحيح لهذا الدين وعقيدته ، وهو ما يجهله المتصوفة أنفسهم لإعراضهم عن الكتاب والسنة وتراث السلف ، وتعظيم أئمتهم ومشايخهم.

١٦- وجــوب احــترام علماء السلف وإعطائهم حقهم ، وأن المجتهد صاحب المنهج السـليم الـذي خدم الكتاب والسنة والأمة إذا زلّ في أمر فإن زلته تغمر في بحر حسـناته ، فلا نبدّعه ولا نفسقه ، إذ لو سلكنا ذلك المسلك لما بقي أحد من أهل السنة ، وذلك لأن العصمة للأنبياء وحدهم.

١٧- وجــوب لزوم جماعة المسلمين بمعناها العام، وهو الاجتماع على الأمر الموافق للشرع، والخاص وهو اتباع ما اجتمع عليه سلف هذه الأمة من أمور الدين.

١٨- وجــوب التمســك بالكتاب والسنة نصاً وروحاً ، وتحكيمهما في كل صغيرة وكــبيرة، والتحاكم إليهما في ما هو محل للتراع ، والرضا بذلك والانقياد لَه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَــيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُــولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (١).

١٩- بــات من الضروري ، وفي ظل هذا التدفق الإعلامي الفضائي المخيف الذي يلج المــنازل بــدون استئذان ؛ أن يتبنى العالم الإسلامي أو أية دولة إسلامية إنشاء قناة فضــائية إســلامية متخصصة ، لبث الوعي الإسلامي بين الشعوب الإسلامية في أصقاع المعمورة ، وتحذيرهم من أهل الأهواء والبدع والديانات الباطلة ، تسند هذه القــناة إلى أشخاص أكفاء مشهود لهم بالصلاح والاستقامة وصفاء العقيدة ، قال

(١) سورة النساء ، آية : ٥٩ .

تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.. ﴾(٢).

وقال -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا.. ﴾(٣)(٤).

(والله الهادي إلى سواء السبيل)

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١١١ .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

(٤) ومن المؤسف حقاً ما نشاهده في عصرنا من خلال القنوات الفضائية من قيام بعض أصحاب الفرق الضالة والمذاهب والتيارات الفكرية الهدّامة كالشيعة والقاديانية والصوفية على نشر أفكارهم المصادمة للعقيدة وأحكام الشريعة، أيضاً ما نلاحظه من تأثر جماعة التبليغ والدعوة بأفكار وخزعبلات المتصوفة كالغلو في مشايخهم وتقديس أعلامهم، وتثبيط المسلمين عن الجهاد بقيامهم بتأويل أحاديثه واعتمادهم على أحاديث ضعيفة وموضوعة.
ومن المعلوم أنهم يبايعون على أربع طرق هي: الجشتية والنقشبندية والسهروردية والقادرية، وجعلوا الرؤى والأحلام من مصادرهم في الاستدلال على العقيدة كما هو حال الصوفية.
وهذه الجماعة منتشرة في القارة الهندية وفي معظم الدول الآوربية والعربية.
(انظر بتوسع عن هذه الجماعة وزعمائها ونشاطاتها وأماكن انتشارها: (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/٣٢١)).

الفهـــارس

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- لا -

- ي -

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم

- ط -

٤- فهرس الأبيات الشعرية

٥- فهرس البلدان والأماكن

٦- فهرس الفرق والطوائف

٧- فهرس المصطلحات الغامضة

٨ـ ثبت المراجع والمصادر

(أ)

١. القرآن الكريم .

٢. أبوالفــرج ابــن الجوزي أرآؤه الكلامية والأخلاقية ، د. آمنة محمد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٧هـ .

٣. إتحــاف السادة المتقين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٤. آثــار الــبلاد وأخبــار العباد ، زكريا بن محمد القــزويني ، بيروت ، دار صادر .

٥. أثــر الحــركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، يوسف إبراهيم الشيخ عيد ، الطبعة الأولى ، الأردن ، دار الألمعي ، ١٤١٩هـ .

٦. أحكــام الــنظر إلى المحرمات ، أبي بكر محمد بن عبدالله العامري ، تقديم وتعــليق وتخريج أحاديث مشهور حسن سلمان ، الطبعة الثانية ، بيروت، دار ابن حزم ، ١٤١٨هـ .

٧. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة.

٨. أخــبار الحــلاج نشر وتصحيح وتعليق ماسينون وكراوس ، باريس، مطبعة القلم ومكتبة لاروز ، ١٩٣٦م .

٩. آداب المريدين للسهروردي، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي.

١٠. أزهـار الـرياض فـي أخبار القاضي عياض للمقرئ التلمساني ، الناشر : صـندوق إحيـاء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة .

١١. أسـاس الـبلاغة ، جارالله أبي القاسم محمود الزمخشري ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤١هـ .

١٢. الاسـتقامة لابـن تيميـة، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٣. أسـد الغابـة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، تحقيق وتعليق محمد البنا ، محمد أحمد عاشور ، محمود فايد ، القاهرة ، الشعب ، ١٣٩٠هـ .

١٤. أصـول التصـوف ، د. عـبدالله حسن زروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الزهراء ١٤١٨هـ .

١٥. أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، د. محمد علي أبو ريان ، الأسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .

١٦. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، أبي عبدالرحمن السلمي ، تقديم وتعليق د. عبدالفتاح أحمد الغاوي محمود ، ١٤٠٥هـ .

١٧. أضواء على التصوف ، طلعت غنام ، القاهرة ، عالم الكتب .

١٨. أعـلام النسـاء ، عمر رضا كحالة ، الطبعة العاشرة ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ .

١٩. إعـــلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

٢٠. إغاثـــة الـــلهفان مـــن مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار المعرفة .

٢١. إكمال المعلم بفوائد الإمام مسلم ، القاضي عياض اليحصبي ، تحقيق د. يحيى إسماعيل ، الطبعة الأولى ، المنصورة ، دار الوفاء ، ١٤١٩هـ .

٢٢. أوضـــاع الدولـــة الإســـلامية في الشرق الإسلامي ، د. سعـــــد بن محمد الغامدي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ .

٢٣. إيقاظ الهمم ، أحمد بن محمد بن عجيبة ، القاهرة ، مكتبة زهران .

٢٤. ابـــن الجـــوزي عـــلمه ودعوتـــه ، بحث مقدم لتكملـــة درجة الماجستير في الحسبة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام للطالب خالد الغانم .

٢٥. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، أحمد المقريزي ، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٧هـ .

٢٦. اصـــطلاحات الصـــوفية ، عبدالرزاق الكاشاني ، تحقيق وتقديم وتعليق د. عبدالعال شاهين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار المنار ، ١٤١٣هـ .

٢٧. اصـــطلاحات الصـــوفية ، محـــي الديـــن بن عربي ، راجعها وعلق عليها عبدالرحمن حسن محمود ، القاهرة ، مكتبة عالم الفكر .

٢٨. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، فخرالدين الرازي ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ .

٢٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، الطبعة الأولى ، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود .

٣٠. الأحكام شرح أصول الأحكام، عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣١. الآداب الشرعية ، محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق وضبط وتخريج أحاديث وتقديم شعيب الأرناؤوط وعمر الغنام ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ .

٣٢. الأدباء الصابئة في العصر العباسي ، د. محمد الديباجي، الطبعة الأولى، منشورات جامعة الحسن الثاني ، ١٤٠٩هـ .

٣٣. الأربعين في أصول الدين للغزالي ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، في دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ.

٣٤. الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، أنور الجندي ، لبنان ، الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٧م .

٣٥. الإسلام والحضارة الغربية ، محمد كرد علي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٨٦م .

٣٦. الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى، لاهور، إدارة ترجمان السنة ، الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ .

٣٧. الإشـــارات والتنبيهات لأبي علي بن سيناء ، تحقيق د. سليمان دنيا ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٨٦م .
٣٨. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨هـ .
٣٩. الأعـــــلام ، خيــر الديــن الزركلي ، الطبعة الأولى ، لبنان ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م .
٤٠. الإمام المازري ، حسن حسني عبدالوهاب ، تونس ، دار الكتب الشرقية.
٤١. الأمــر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق مصطفى عاشور ، الرياض ، مكتبة الساعي ، القاهرة ، مكتبة الفرقان .
٤٢. كـتاب الأنســاب، عــبدالكريم السمعاني، تقديم/ محمد أحمد حلاق، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ.
٤٣. الإنسان الكامل ، عبدالكريم الجيلي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .
٤٤. الأنــوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، عبدالوهاب الشعراني ، تحقيق وتقديم طه عبدالباقي سرور ، ومحمد عيد الشافعي ، بيروت ، مكتبة المعارف.
٤٥. الاعتصـــام لأبـــي إســحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تحقيق عبدالرزاق المهدي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ .
٤٦. الباعث على إنكار البدع والحوادث عبدالرحمن بن إسماعيل المعــروف بأبي شامة ، دراسة وتحقيق عادل عبدالمنعم أبوالعباس ، مصر مكتبة ابن سيناء .
٤٧. البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي ، بيروت ، دار الفكر .

٤٨. البرهان المؤيد ، أحمد الرفاعي ، القاهرة ، الشعب ، ١٣٩١هـ .

٤٩. التاريخ الإسلامي العام، علي إبراهيم حسن ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية.

٥٠. التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .

٥١. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر ، الطبعة الأولى، بيروت المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

٥٢. التبصير في الدين ، أبي المظفر الأسفراييني ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، الطبعة الأولى ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ .

٥٣. التجانية ، علي بن محمد الدخيل الله ، الرياض ، دار طيبة .

٥٤. التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي، الطبعة الثانية، الرياض، مكتبة الحرمين، ١٤٠٥.

٥٥. التصوف، الثورة الروحية في الإسلام ، أبوالعلاء عفيفي ، الطبعة الأولى، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٣م.

٥٦. التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة إبراهيم هلال ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م .

٥٧. التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ، أحمد توفيق عباد، القاهرة ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

٥٨. التصــوف الإســلامي في الآداب والأخلاق ، زكي مبارك ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣هـ .

٥٩. التصوف الإسلامي مفهومه وتطـــوره ومكانته من الدين والحياة ، د. حســن عاصي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، ١٤١٤هـ .

٦٠. التصــوف الإســلامي وتاريخه ، رينولد ألين نيكولسون ، ترجمة أبوالعلاء عفيفي ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ .

٦١. التصــوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، الطبعة الأولى ، لاهور ، إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٦هـ .

٦٢. التصــوف في الإسلام ، د. قاسم غني ، ترجمة صادق نشأت ، مراجعة د. أحمــد نــاجي القيســي ود. محمــد مصطفى حلمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠م .

٦٣. التصوف في الإسلام، عمر فروخ ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ .

٦٤. التصــوف منشؤه ومصطلحاته ، أسعد السحمراني، الطبعة الأولى، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٧هـ .

٦٥. التصــوف والصــوفية فــي مواجهة الإسلام، عبدالكريم الخطيب ، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٠م .

٦٦. الـتعرف لمذهـب أهـل التصـــوف، أبي بكر محمد الكلاباذي ، الطبعة الثالثة، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٢هـ .

٦٧. التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبي بكر محمد الكلاباذي ، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه : أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .

٦٨. التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد ، تقديم وتحقيق د. محمد ابن شريفة ، الطبعة الثانية ، المغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠٢هـ .

٦٩. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق وتقديم ووضع فهارسها إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ .

٧٠. التفسير الكبير ، الفخر الرازي، الطبعة الثانية، طهران ، دار الكتب العلمية.

٧١. تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثامنة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

٧٢. التكملة لوفيات النقلة ، زكي الدين أبومحمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٣٨٩هـ .

٧٣. التكملة لوفيات النقلة، للمنذري، تحقيق بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٧٤. الجامع لأحكام القرآن ، محمد أحمد القرطبي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٧٥. الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ، الحسيني عبدالله ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٤٠٠هـ .

٧٦. الجواهر والدرر لعبدالوهاب الشعراني بهامش الإبريز للدباغ ، الناشر محمد ابن أحمد بن حسن الطحاوي .

٧٧. الحـــاوي للفتاوى ، عبدالرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـــ .

٧٨. الحجـــة في بيان المحجة، أبوالقاسم الأصبهاني التيمي، تحقيق ودراسة محمد ابن محمود أبو رحيم ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار الراية ، ١٤١١هـــ .

٧٩. الحجة في بيان المحجّة ، لأبي القاسم التيمي ، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع المدخلي ، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار الراية ، ١٤١٩هـــ .

٨٠. الحـــركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. محمد أحمد الخطيب ، الطبعة الثانية ، الأردن ، مكتبة الأقصى ، الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤٠٦هـــ .

٨١. الحركة الصليبية ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، ١٩٧١م .

٨٢. الحـــلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامـــة ، الطـــبعة الأولى ، دار الرشـــاد الحديثة ، ودار البيضاء ، ١٩٧٩م ، مؤلف مجهول .

٨٣. الحـــوادث والبدع لأبي بكر محمد الطرطوشي ، الطبعة الأولى ، الشارقة ، دار الفتح ، ١٤١٥هـــ .

٨٤. الحوادث والبدع للطرطوشي ، تحقيق عبدالمجيد تركي ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤١٠هـــ .

٨٥. الداعـــي إلى الإسلام ، أبي البركات عبدالرحمن الأنباري ، دراسة وتحقيق سـعيد حسـين باعجوان ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٩هـ .

٨٦. الديباج المذهب معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ، تحقيق د. محمد الأحمدي أبوالنور ، القاهرة ، مكتبة دار التراث .

٨٧. الذيل على طبقات الحنابلة ، أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، تخريج أحاديث أبوحازم أسامة بن حسن وأبوالزهراء حازم علي بهجت، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ .

٨٨. الرسالة القشيرية في علم التصوف ، عبدالكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق ودراسة هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية .

٨٩. الـرهص والرقص لمستحل الرقص ، إبراهيم محمد الحلبي ، دراسة وتحقيق وضـبط وتعـليق د. صالح السدلان ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤١٠هـ .

٩٠. الـروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبدالمنعم الحميري ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥م .

٩١. الروضـتين فـي أخبار الدولتين ، شهاب الدين عبدالرحمن أبوشامة ، نشر وتحقيـق د. محمـد حلمي محمد أحمد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٩٢. الروضتين في أخبار الدولتين، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ، أبوشامه، بيروت ، دار الجيل .

٩٣. الزهــر النضر في حال الخضر لابن حجر العسقلاني ، قدم له وحققه وخرج نصوصه صلاح الدين مقبول أحمد ، الطبعة الأولى ، نيودلهي ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٤٠٨هـ .

٩٤. الســلاجقة فــي الــتاريخ والحضارة ، د. أحمد كمال الدين حلمي، الطبعة الأولى، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٣٩٥هـ .

٩٥. الشــفاء بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض اليحصبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

٩٦. الصــابئون في حاضرهم وماضيهم ، عبدالرزاق الحسيني ، الطبعة التاسعة، بغداد ، المكتب العربي لتوزيع المطبوعات ، ١٤٠٣هـ .

٩٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفار عطار، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٨٦هـ .

٩٨. الصــوفية في الإسلام ، نيكلسون ، ترجمة وتعليق نورالدين شريبه ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٧١هـ .

٩٩. الصوفية معتقداً ومسلكاً ، د. صابر طعيمة ، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ .

١٠٠. الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبدة وطارق عبدالحليم ، الطبعة الثالثة، بريطانيا ، دار الأرقم ، ١٤١٤هـ .

١٠١. الصوفية والفقراء ، ابن تيمية ، تقديم د. محمد جميل غازي ، جدة ، مكتبة المدني ومطبعتها .

١٠٢. الطبقات الكبرى ، عبدالوهاب الشعراني ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الجيل ١٤٠٨هـ .

١٠٣. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ، تحقيق محمد حامد فقي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٢هـ .

١٠٤. العالم الإسلامي في العصر العباسي ، د. حسن أحمد محمود ود. أحمد إبراهيم الشريف ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار الفكر العربي .

١٠٥. العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، حققه وضبطه أبوطاهر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ .

١٠٦. العقائد النسفية ، أبي حفص عمر النسفي، بغداد، مكتبة المتنبئ، ١٣٢٦هـ.

١٠٧. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، تحقيق فؤاد سيد ، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

١٠٨. العلم والبحث العلمي ، حسين عبدالحميد رشوان ، الأسكندرية ، المكتب الجامعي .

١٠٩. العواصم من القواصم لابن العربي المالكي ، تحقيق عمار الطالبي ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، دار الثقافة ، ١٤١٣هـ .

١١٠. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ، عبدالرحمن اللويحق ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٧هـ .

١١١. الغنية لطالبي طريق الحق ، عبدالقادر الجيلاني ، المكتبة الشعبية .

١١٢. الغنية للقاضي عياض ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي .

١١٣. الفتح الرباني والفيض الرحماني ، عبدالقادر الجيلاني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ .

١١٤. الفتوحات الربانية على الأذكار النووية ، محمد علاء الصديقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

١١٥. الفتوحات المكية لابن عربي، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٩هـ.

١١٦. الفتوحات المكية لابن عربي ، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مكتبة التحقيق لدار إحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٨هـ .

١١٧. الفَرق بين الفِرق ، عبدالقاهر البغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت ، دار المعرفة .

١١٨. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ، مطبعة معارف ، لاهور ، ١٣٩٧هـ .

١١٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

١٢٠. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، محمد بن الحسن الثعالبي ، الرباط، دار المعارف ، ١٣٤٥هـ .

١٢١. الفكر العربي ومكانته في التاريخ ، دبلاس أولري ، ترجمة د. تمام حسان، مراجعة د. محمد مصطفى حلمي ، القاهرة ، عالم الكتب .

١٢٢. القاضـــي عياض ومنهجه في العقيدة ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، إعداد غسان أحمد عبدالرحمن .

١٢٣. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي محمد عبدالغني المقدسي، حققه وعلق عليه د. أحمد بن عطية الغامدي ط١ (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم-١٤١٤هـ).

١٢٤. القـــاموس المحيـــط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، بيروت ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

١٢٥. القصـــاص والمذكـــرين لابن الجوزي ، تحقيق د. قاسم السامرائي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار أمية ، ١٤٠٣هـ.

١٢٦. القلائـــد الجوهـــرية في تاريخ الصالحية، لابن طولون، تحقيق محمد دهمان، مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٢٧. الكافيـــة الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، عناية عبدالله العمير، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

١٢٨. الكامل في التاريخ لابن الأثير، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٦هـ.

١٢٩. الكبائر للذهبي ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة .

١٣٠. الكشاف للزمخشري ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

١٣١. الكشاف للزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة .

١٣٢. الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة ، محمود عبدالرؤوف القاسم ، الطبعة الثانية ، الأردن ، المكتبة الإسلامية ، ١٤١٣هـ .

١٣٣. الكنى والألقاب ، عباس القمي ، النجف ، المطبعة الجديدة ، ١٣٧٦هـ .

١٣٤. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، عبدالرؤوف المناوي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الزاوية التجانية .

١٣٥. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي ، الطبعة الأولى ، مصر مطبعة وورشة تجليد الأنوار ، ١٣٥٧هـ .

١٣٦. اللمع في التصوف ، لأبي نصر عبدالله السراج الطوسي ، تحقيق د. عبدالحليم محمود ، مصر ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٠هـ .

١٣٧. اللمع لأبي السراج الطوسي ، تحقيق د. عبدالحليم محمود ، وطه عبدالباقي، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية .

١٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبدالحق عطية ، الطبعة الحادية عشر ، الدوحة ، دار العلوم ، ١٤٠٣هـ .

١٣٩. المختصر في أخبار البشر ، عماد الدين إسماعيل أبي الفداء ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر .

١٤٠. المزامير ، الكتاب المقدس (العهد القديم) ، مصر : دار الكتاب المقدس ، ١٩٨٣م .

١٤١. المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري، صالح بن غرم الله الغامدي، حائل، دار الأندلس، ١٤١٨هـ.

١٤٢. المسائل الخمسون في أصول الدين ، فخرالدين الرازي ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، المكتب الثقافي ، بيروت ، دار الجيل، ١٤١٠هـ .

١٤٣. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد محمد بن محمود بن النجار ، حققه وعلق عليه وقدم له د. قيصر أبوفراج ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٩هـ .

١٤٤. المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .

١٤٥. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، صادق سليم صادق ، الطبعة الأولى، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤١٥هـ .

١٤٦. المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.

١٤٧. المصحف الميسر، عبدالجليل عيسى، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، دار الفكر، ١٣٩١هـ .

١٤٨. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبدالواحد المراكشي ، ضبط وتصحيح وتعليق محمد سعيد العريان ومحمد العربي الحلبي ، الطبعة السابعة، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م .

١٤٩. المعجم الصافي في اللغة العربية ، صالح أبي الصالح وأمينة الشيخ سليمان الأحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

١٥٠. المعجم الفلسفي ، إعداد مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٣٩٩هـ .

١٥١. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، نشر د. ونسنك ، أستانبول ، دار الدعوة ، ١٩٨٦م .

١٥٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

١٥٣. المعجم الوسيط ، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار ، مجمع اللغة العربية بمصر ، استانبول ، دار الدعوة ، ١٣٨٠هـ .

١٥٤. المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، محمد بن عبدالله القضاعي المعروف بابن الأبار ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ .

١٥٥. المعلم بفوائد مسلم لأبي عبدالله محمد بن علي المازري ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر ، الطبعة الثانية ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

١٥٦. المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، إشراف د. محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ.

١٥٧. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي بهامش إحياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة .

١٥٨. المغني لابن قدامة ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، ١٤٠١هـ .

١٥٩. المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة .

١٦٠. المقدمة في التصوف وحقيقته ، أبي عبدالرحمن السلمي ، تحقيق وتعليق د. حسين أمين ، بغداد : دار القادسية للطباعة ، ١٤٠٣هـ .

١٦١. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن مفلح، تحقيق وتعليق د. عبدالرحمن العثيمين، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ.

١٦٢. المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبوالحسن الشاذلي، د. عبدالحليم محمود، القاهرة، دار النصر للطباعة.

١٦٣. الملل والنحل ، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ .

١٦٤. المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، أعده وأخرجه منصور السماري ، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤١٩هـ .

١٦٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، مراجعة وتصحيح نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

١٦٦. المنقذ من الضلال ، أبي حامد الغزالي ، تحقيق عبدالمنعم الغاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٧هـ .

١٦٧. المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال للغزالي ، تحقيق عبدالمنعم الغاني ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار الحكمة ، ١٤١٥هـ .

١٦٨. المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال ، أبي حامد الغزالي ، تحقيق ودراسة د. سميح دغيم ، بيروت ، دار الفكر .

١٦٩. المنهاج في شعب الإيمان ، أبي عبدالله الحسين الحليمي ، تحقيق حلمي محمد فودة ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ .

١٧٠. الموافقات للشاطبي ، بيروت ، دار الفكر .

١٧١. المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، محمد أمين الكردي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة ، ١٣٢٩هـ .

١٧٢. الموسوعة الصوفية ، د. عبدالمنعم الحفني ، الطبعة الأولى، القاهرة ، دار الرشاد ، ١٤١٢هـ .

١٧٣. الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، القاهرة ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٥م .

١٧٤. الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

١٧٥. الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الإنجليزية ، فؤاد كامل ، زكي نجيب محمود ، بيروت ، دار القلم .

١٧٦. الموســوعة الميســرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني ، نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ .

١٧٧. الموضــوعات لابــن الجوزي، حقق نصوصه وعلق عليه د. نور الدين بن شكري، الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤١٨هـ.

١٧٨. الموفــي بمعـــرفة التصوف والصوفي ، كمال الدين ابن الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي، تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد عيسى صالحية ، الطبعة الأولى، الكويت ، مكتبة دار العروبة ، ١٤٠٨هـ .

١٧٩. النــبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين ، حمد بن ناصر آل معمر ، تحقيــق عبدالســلام بن برجس آل عبدالكريم ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٩هـ .

١٨٠. الانتصــار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى العمراني، دراسة وتحقيق د. سعود الخلف، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٩هـ.

١٨١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ١٣٨٣هـ .

١٨٢. الــنهاية فــي غــريب الحديــث والأثر ، أبي السعادات المبارك بن محمد الجــلاري ابــن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية .

١٨٣. النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ضمن كتاب شطحات الصوفية د. عبدالرحمن بدوي ، الطبعة الثانية ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٦م .

١٨٤. الهفت الشريف للمفضل بن عمر الجعفي ، تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٨م .

١٨٥. الوافي، معجم وسيط اللغة العربية ، عبدالله البستاني ، بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٩٠م .

١٨٦. اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ .

١٨٧. اليواقيت والجواهر لعبدالوهاب الشعراني ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٨هـ .

(ب)

١٨٨. بداية الهداية للغزالي ، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٤١٣هـ .

١٨٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٨٩هـ .

١٩٠. بغية الملتمس ، أحمد بن يحيى الضبي ، تحقيق د. روجيه عبدالرحمن السويفي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ .

(ت)

١٩١. تاج العروس ، محمد الزبيدي ، بيروت ، مكتبة الحياة .

١٩٢. تاريخ آداب اللغة العربية الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر ، ١٤١٦هـ.

١٩٣. تاريخ ابن خلدون ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة ، ١٣٩٩هـ .

١٩٤. تاريخ الإسلام ، د. حسن إبراهيم حسن ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م .

١٩٥. تاريخ الإسلام ، محمد أحمد الذهبي ، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمري ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٥هـ .

١٩٦. تاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم حسن ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧هـ .

١٩٧. تاريخ الأمم الإسلامية ، محمد الخضري بك ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٧٠م .

١٩٨. تاريخ التصوف الإسلامي ، د. عبدالرحمن بدوي ، الطبعة الأولى ، الكويت وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨م .

١٩٩. تاريخ الحروب الصليبية ، ستيفن رينسيمان ، نقل إلى العربية د. السيد الباز العريني ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٢م .

٢٠٠. تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

٢٠١. تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، د. أحمد السعيد سليمان ، مصر ، دار المعارف ، ١٣٩٨هـ .

٢٠٢. تاريخ الدولة الفاطمية ، حسن إبراهيم حسن ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤هـ .

٢٠٣. تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار سويدان .

٢٠٤. تاريخ الفكر العربي، د. عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٢هـ.

٢٠٥. تاريخ الفكر العربي ، عمر فروخ ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٣م .

٢٠٦. تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .

٢٠٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

٢٠٨. تاريخ دولة آل سلجوق ، عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني ، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة .

٢٠٩. تاريخ مختصر الدول ، غريغوري الملطي المعروف بابن العبري ، بيروت، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨م .

٢١٠. تاريخ مختصر الدول ، غريغوري الملطي المعروف بابن العبري، بيروت، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠م .

٢١١. تحرير المقالة من شرح الرسالة ، أحمد بن محمد القلشاني ، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٦٠٤ .

٢١٢. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، أبوالريحان محمد بن أحمد البيروني ، الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٧هـ .

٢١٣. ترتيب الإعلام على الأعوام، زهير ظاظا ، بيروت ، دار الأرقم ، ١٩٩٠م.

٢١٤. ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر أحمد الزاوي ، الطبعة الثانية ، عيسى الحلبي .

٢١٥. ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ، تحقيق عبدالقادر الصحراوي، الطبعة الثانية ، المغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠٣هـ .

٢١٦. تفسير ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، الرياض مكتبة الرياض الحديثة.

٢١٧. تفسير البغوي "معالم التنزيل" أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تخريج وتحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش ، الطبعة الثانية، الرياض ، دار طيبة ، ١٤١٤هـ .

٢١٨. تفسير الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر ، وتخريج أحاديث أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٧٤هـ .

٢١٩. تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ .

٢٢٠. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، شمس الدين السلفي الأفغاني ، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار التصميم للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ .

٢٢١. تقــريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تقديم محمد عوامة ، الطبعة الرابعة ، سوريا ، دار الرشيد ، ١٤١٢هـ .

٢٢٢. تلبيس إبليس ، عبدالرحمن بن الجوزي ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

٢٢٣. تلبيس إبليس ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق د. السيد الجميلي، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٣هـ .

٢٢٤. تلــبيس إبــليس ، عبدالرحمن بن الجوزي ، دراسة وتحقيق رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بالرياض-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إعداد : أحمد بن عثمان المزيد .

٢٢٥. تــنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، محمد أمين الكردي ، تحقيق محمد علي إدلبي ، بيروت ودمشق ، دار الإيمان ، ١٤١٣هـ .

٢٢٦.تهذيــب اللغة لأبي منصور بن محمد الأزهري ، تحقيق د. عبدالحليم النجار، مراجعة محمد علي النجار ، القاهرة ، دار المصرية والترجمة .

٢٢٧. تهذيــب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، تهذيب وترتيب عبدالقادر بدران، الطعبة الثالثة ، بيروت ، دار إحيــاء التراث العــربي ، ١٤٠٧هـ .

٢٢٨. تيســير العزيــز الحميد ، سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب ، خرج أحاديثه ووضــع حواشيه مجدي بن منصور الشوري ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٦هـ .

(ج)

٢٢٩. جامع الأصول من أحاديث الرسول ، المبارك بن محمد بن الأثير ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ، ١٣٩٢هـ .

٢٣٠. جامع الأصول في الأولياء ، أحمد الكمشخانوي النقشبندي ، مصر ، دار الكتب العربية الكبرى ، ١٣٣١هـ .

٢٣١. جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ ، أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، أشرف على طبعه عبدالمجيد سليم ، حققه محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١هـ .

٢٣٢. جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ ، لابن الأثير ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالقادر الأرناؤوط ، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ، ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، ١٣٨٩هـ .

٢٣٣. جامع العلوم في اصطلاحات العلوم والفنون ، عبدالغني بن عبدالرسول الأحمدنكري ، هذبه وصححه محمود بن علي الحيدر آبادي ، ١٣٢٩هـ .

٢٣٤. جامع العلوم والحكم ، عبدالرحمن بن رجب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٠هـ .

٢٣٥. جامع كرامات الأولياء ، يوسف النبهاني ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتبة الشعبية ، ١٣٩٨هـ .

٢٣٦. جامع كرامات الأولياء للنبهاني ، تحقيق إبراهيم عوض ، بيروت ، المكتبة الثقافية ، ١٤٠٨هـ .

٢٣٧. جمهــرة الأولياء وأعلام أهل التصوف ، محمود أبوالفيض المنوفي الحسيني، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، ١٣٨٧هـ .

٢٣٨. جواهر القرآن للغزالي ، تحقيق د. محمد رشيد رضا قباني ، الطبعة الثالثة، بيروت ، دار إحياء العلوم ، ١٤١١هـ .

(ح)

٢٣٩. حاشيـــة الروض المربع شرح زاد المستقنع ، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .

٢٤٠. حالة أهل الحقيقة، أحمد الرفاعي، جمع أبي شجاع بن منجح الواسطي، تقديم وتعليق محمد بخيت خياطه، نشر وتوزيع مكتبة ربيع، حلب، ١٣٨٢هـ

٢٤١. حقـــائق التفسير للسلمي ، مخطوط بالمكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم ٣٧٨٧/ف و٩٩٠٢ .

٢٤٢. حكمـــة الإشراق ، شهاب الدين يحيى سهروردي ، نشر المعهد الفرنسي في إيران بعناية المستشرق هنري كربيل ، طهران ، ١٩٥٣م .

٢٤٣. حـــلية الأولياء وطبقات الأصفيـــاء ، أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٦هـ .

٢٤٤. حيـــاة القـــلوب فـــي معاملة المحبوب لأبي طالب محمد بن أبي الحسن على الســبكي بهـــامش قـــوت القلوب لأبي طالب المكي، القاهرة ، مطبعة الأنوار المحمدية ، ١٤٠٥هـ .

(خ)

٢٤٥. ختم الأولياء ، محمد بن علي الترمذي ، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٥م .

(د)

٢٤٦. دائرة المعارف الإسلامية ، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي ود. عبدالحميد يونس ، القاهرة ، الشعب .

٢٤٧. دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، الطبعة الثالثة ، بيروت، دار المعرفة ١٩٧١م .

٢٤٨. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١م .

٢٤٩. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١هـ .

٢٥٠. دراسات في الفرق ، د. صابر طعيمة ، الطبعة الثانية ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ .

٢٥١. دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، د. محمد أحمد جلي ، الطبعة الثانية، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨هـ .

٢٥٢. دول الإسلام في الأندلس ، محمد عبدالله عنان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مؤسسة الخانجي ، ١٣٨٠هـ .

٢٥٣. دول الطوائف ، محمد عبدالله عنان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٣٨٩هـ .

٢٥٤. ديوان الحلاج ، صنفه وأصلحه د. كامل مصطفى الشيبي ، الطبعة الأولى، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٣٩٤هـ .

(ذ)

٢٥٥. ذم التأويل ، موفق الدين ابن قدامه ، تحقيق وتخريج بدر عبدالله البدر، الطبعة الأولى ، الكويت ، الدار السلفية ، ١٤٠٦هـ .

٢٥٦. ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة، موفق الدين ابن قدامة، الطبعة الأولى، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠١هـ .

٢٥٧. ذم ما عليه مدّعو التصوف، موفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي ، تحقيق زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٤هـ .

٢٥٨. ذيل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين بلبنان، ١٩٠٨م.

(ر)

٢٥٩. رحلة ابن جبير لأبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير ، الطبعة الثانية، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨٦م .

٢٦٠. رسالة الإمام أبي الحسن الكرخي في الأصول ، ملحق في تأسيس النظر ، لأبي زيد عبدالله الدبوسي ، مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٦١. رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع ، أبوبكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، تحقيق وتقديم ووضع فهارس عبدالمجيد تركي ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧م .

٢٦٢. روضة الطالبين ، للغزالي ، تصحيح محمد نجيب ، بيروت ، دار النهضة الحديثة .

٢٦٣. روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، أحمد الوتري ، ترتيب وتبويب وتحقيق وتعليق د. منير محمود الوتري ، الطبعة الأولى ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٦م .

(ز)

٢٦٤. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، الطبعة الرابعة، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ .

٢٦٥. زوائد تاريخ بغداد ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار القلم ، ١٤١٧هـ .

(س)

٢٦٦. سلاح المؤمن لأبي الفتح محمد بن محمد بن همام المعروف بابن الإمام حقق نصوصه وخرج أحاديثه وقدم له محي الدين مستو ، الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، ١٤١٤هـ .

٢٦٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصرالدين الألباني ، الطبعة الرابعة ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤١٢هـ .

٢٦٨. سـنن ابـن ماجه ، أبي عبدالله بن يزيد القزويني ابن ماجه ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي .

٢٦٩. سنن الترمذي للحافظ ابن عيسى الترمذي ، ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ، نشر محمد عبدالمحسن الكتبي .

٢٧٠. سـير أعـلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، الطبعة التاسعة ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ .

(ش)

٢٧١. شأن الدعاء ، أبوسليمان الخطابي ، الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٤هـ .

٢٧٢. شخصـية الدولـة الفاطمـية ، سـعيد عاشور ، بحث في المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، مطبعة عين شمس ، ١٩٦٩م .

٢٧٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٩٩هـ .

٢٧٤. شرح أصول اعتقادات أهل السنة والجماعة ، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي ، الطبعة الثالثة، الرياض ، دار طيبة ١٤١٥هـ.

٢٧٥. شرح السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق وتعليق وتخريج أحاديـث شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ .

٢٧٦. شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن أبي العز ، تحقيق د. عبدالله التركي ، وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .

٢٧٧. شرح المواهب اللدنية ، محمد عبدالباقي الزرقاني ، الطبعة الأولى ، مصر ، المطبعة الأزهرية ، ١٣٢٥هـ .

٢٧٨. شطحات الصوفية ، د. عبدالرحمن بدوي ، الطبعة الثالثة ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨م .

٢٧٩. شفاء السائل لتهذيب المسائل ، عبدالرحمن بن أبي بكر بن خلدون ، تعليق وتقديم محمد بن تاويت الطبخي .

(ص)

٢٨٠. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، استانبول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٨١. صحيح مسلم ، أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ، استنابول ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٨٢. صفة الصفوة ، لأبي الفرج بن الجوزي ، تحقيق محمود فاخوري ، تخريج أحاديث د. محمد رواس قلعجي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٩هـ .

٢٨٣. صفوة التصوف ، محمد طاهر المقدسي ، مراجعة وتدقيق أحمد الشرباصي، مصر ، مطبعة دار التأليف .

٢٨٤. صيد الخاطر لابن الجوزي ، بيروت ، المكتبة العلمية .

(ط)

٢٨٥. طائفة الختمية ، أصولها التاريخية وأهم تعاليمها ، د. أحمد محمد جلي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار خضر للطباعة والنشر ، ١٤١٢هـ .
٢٨٦. طبقات الأولياء لابن الملقن ، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد، حققه وخرجه نور الدين شريبة، الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.
٢٨٧. طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، أبوحازم أسامة بن حسن وأبوالزهراء حازم علي بهجت، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
٢٨٨. طبقات الشافعية للسبكي ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، الطبعة الأولى، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٨هـ.
٢٨٩. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، عناية وتعليق د. عبدالعليم خان، ترتيب فهارس د. عبدالله الطباع، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٧هـ.
٢٩٠. طبقات الصوفية أبي عبدالرحمن السلمي ، ترتيب أحمد الشرباصي ، مطابع الشعب ، ١٣٨٠هـ .
٢٩١. طبقات المفسرين ، شمس الدين محمد بن علي الداوودي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ .
٢٩٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه وخرجه يوسف علي بديوي، الطبعة الأولى، دمشق وبيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.
٢٩٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧٥هـ.
٢٩٤. طواسين الحلاج ، اعتناء ماسينون .

(ظ)

٢٩٥. ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، الكتاب العربي .

٢٩٦. ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٣٧٣هـ .

(ع)

٢٩٧. عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي لابن العربي المالكي ، وضع حواشيه جمال مرغشلي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ .

٢٩٨. عصر المرابطين والموحدين ، محمد عبدالله عنان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٣هـ .

٢٩٩. عقائد الثلاث والسبعين فرقة، أبو محمد اليمني ، تحقيق ودراسة محمد بن عبدالله الغامدي ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤١٤هـ.

٣٠٠. العقيدة والشريعة في الإسلام، أجناس جولد تسيهر، نقله للعربية وعلق عليه محمد يوسف موسى، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٤٦م.

٣٠١. العقيدة أولاً لو كنتم تعلمون، د. عبدالعزيز القاريء، القاهرة: مطبعة المدني.

٣٠٢. عوارف المعارف ، عمر بن محمد السهروردي ، القاهرة ، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ .

٣٠٣. عيون التواريخ محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داود ، العراق ، وزارة الإعلام ، ١٣٩٧هـ .

(غ)

٣٠٤. غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الألوسي ، الطبعة الثانية، الرياض ، مطبعة الرياض ، ١٣٩١هـ .

٣٠٥. غيث المواهب شرح الحكم العطائية ، لأبي عبدالله النفزي الرندي ، تحقيق عبدالحليم محمود، ومحمود الشريف، الطبعة الأولى ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٠هـ .

(ف)

٣٠٦. فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الرياض للتراث ، ١٤٠٧هـ .

٣٠٧. فتوح الغيب ، عبدالقادر الجيلاني ، خطه ووثقه محمد سالم بواب ، الطبعة الثانية ، دمشق وبيروت ، دار الألباب ، ١٤١٣هـ .

٣٠٨. فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف، أبوالعلاء الهمذاني، تحقيق عبدالله الجديع، الطبعة الأولى، الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٩هـ.

٣٠٩. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، محمد بن أحمد بن رشد، ضمن كتاب فلسفة ابن رشد، تصحيح ومراجعة وضبط أصول مصطفى عبدالجواد عمران، الطبعة الثالثة، مصر، المكتبة المحمودية التجارية، ١٣٨٨هـ.

٣١٠. فصوص الحكم لابن عربي ، تعليق أبوالعلاء عفيفي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٥هـ .

٣١١. فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، د. طه ندا ، الأسكندرية ، دار الجامعات المصرية .

٣١٢. فضل علم السلف على علم الخلف ، عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب ، تحقيق يحيى مختار غزاوي ، الطبعة الأولى ، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٣هـ .

٣١٣. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، د. إبراهيم مدكور ، القاهرة ، دار المعارف .

٣١٤. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، أبوحامد الغزالي ، اعتنى بطبعه وتصحيحه وبعض التعليقات عليه مصطفى القباني الدمشقي ، الطبعة الأولى، مطبعة الترقي ، ١٣١٩هـ .

(ق)

٣١٥. قانون التأويل ، أبي محمد بن العربي ، دراسة وتحقيق محمد السليماني ، الطبعة الأولى ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علوم القرآن .

٣١٦. قراءة في مؤلفات ابن الجوزي، د. ناجية عبدالله إبراهيم، بغداد، منشورات وتوزيع المكتبة العالمية، ١٩٨٧م.

٣١٧. قصة الحضارة ، ول ديورانت ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، ١٩٦٤م .

٣١٨. قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي ، د. عبدالحليم عويس ، الطبعة الأولى ، البحرين ، مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠٦هـ .

٣١٩.قطـــر الولـــي على حديث الولي للشوكاني تحقيق د. إبراهيم هلال ، مصر ، دار الكتب العلمية .

٣٢٠. قـــوت القلـــوب لأبي طالب محمد بن علي المكي ، القاهرة ، مطبعة الأنوار المحمدية ، ١٤٠٥هـــ .

(ك)

٣٢١. كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية ، أحمد بن محمد الماليني ، تقديم وتحقيق وتعلـــيق د. عامـــر حســـن صـــبري ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـــ .

٣٢٢. كـــتاب الســـلوك فـــي معرفة الملوك ، أحمد بن علي المقريزي ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤م .

٣٢٣.كـــتاب السمـــــاع ، محمد بن طاهر المقدسي ، تحقيق أبوالوفاء المراغي ، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٥هـــ .

٣٢٤.كـــتاب الصلة لأبي القاسم خلف بن بشكوال ، نشر وتصحيح ومراجعة عزت العطار الحسيني ١٣٧٤هـــ .

٣٢٥.كـــتاب اللمحـــات للســـهروردي ، تحقيق وتقديم أميل المعلوف ، بيروت دار النهار للنشر ، ١٩٦٩م .

٣٢٦.كـــرامات الأولـــياء ، رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة الملك سعود ، إعداد عبدالله العنقري .

٣٢٧. كشف أسرار الباطنية ، محمد بن مالك الحمادي ، تحقيق محمد عثمان الخشب ، القاهرة ، مكتبة ابن سيناء .

٣٢٨. كشف الظنون ، حاجي خليفة ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية .

٣٢٩. كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د. عبدالله الطريقي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

٣٣٠. كشف المحجوب ، علي بن عثمان الهجويري ، دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديل ، مراجعة د. أمين عبدالمجيد بدوي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠م .

٣٣١. كشف المحجوب للهجويري، ترجمة محمود أبوالعزائم ، دار التراث العربي.

٣٣٢. كشف النور عن أصحاب القبور، عبدالغني النابلسي، لاهور ، الرضوية.

٣٣٣. كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، أحمد محمد الهيثمي ، تحقيق محمد بن عبدالقادر عطا ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ .

(ل)

٣٣٤. لسان العرب ، محمد بن منظور ، بيروت ، دار صادر .

٣٣٥. لسان العرب لابن منظور ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٨هـ .

٣٣٦. لسان الميزان لابن حجر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٠هـ .

٣٣٧. لطائف الإشارات القشيري، قدم له وحققه وعلق عليه د. إبراهيم بسيوني، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

٣٣٨. لطائف المعارف ، عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب ، تحقيق ياسين محمد السواس ، الطبعة الأولى ، دمشق وبيروت ، دار ابن كثير ، ١٤١٣هـ .

٣٣٩. لطائف المنن ، لابن عطاء الله السكندري ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة عالم الفكر ، ١٤١٣هـ .

٣٤٠. لطائف المنن والأخلاق ، عبدالوهاب الشعراني ، تقديم عبدالحليم محمود، الطبعة الثانية ، القاهرة ، عالم الفكر ، ١٣٩٦هـ .

٣٤١. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد ، لابن الجوزي ، تحقيق د. عبدالغفار البنداري، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ .

٣٤٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة الناجية ، محمد أحمد السفاريني ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الرياض : دار الخاني ، ١٤١١هـ .

(م)

٣٤٣. مآثر الأنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، الطبعة الأولى ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٦٤هـ .



٣٤٤. مباحــث في عقيدة أهل السنة والجماعة ، د. ناصر العقل ، الطبعة الأولى ، دار الوطن ، الرياض .

٣٤٥. متصــوفة بغــداد ، عزيــز السيد جاسم ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٧م .

٣٤٦. مجــالس ابــن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية ، مخطوط بالمكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٨٩١ف .

٣٤٧. المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، أحمد رمضان أحمد محمد، ١٣٩٧هـ.

٣٤٨. مجلة الهلال ، يونيه ١٩٨٥م ، ١٢رمضان ١٤٠٥هـ .

٣٤٩. مجموع رسائل حسن البنا ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٣٩٤هـ .

٣٥٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بــن قاســم ، طــبعة خادم الحرمين الشريفين ، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين .

٣٥١. مجموعــة الرســائل والمسائل لابن تيمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ .

٣٥٢. مختار الصحاح للرازي ، ترتيب محمود خاطر ، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ .

٣٥٣. مختصر منهاج القاصدين ، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي ، تحقيق كمال علي الجمل ، المنصورة ، مكتبة الإيمان .

٣٥٤. مختصـــر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، تعليق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، القاهرة، دار التراث ١٣٩٨هـ .

٣٥٥. مدارج السالكين لابن القيم ، تحقيق محمد حامد فقي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٢هـ .

٣٥٦. مدخـل إلى التصوف الإسلامي ، أبوالوفاء التفتازاني ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٤م .

٣٥٧. مـرآة الـزمان فـي تاريخ الأعيان ، أبي المظفر يوسف بن الجوزي ، تحقيق ودراسة د. مسفر بن سالم الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.

٣٥٨. مشارق الأنوار على أصحاب الآثار، للقاضي عياض، تونس، المكتبة العتيقة، القاهرة، دار التراث.

٣٥٩. مشـكاة الأنـوار ، أبي حامد الغزالي ، تحقيق أبوالعلاء عفيفي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٣٦م .

٣٦٠. مشكاة الأنوار للغزالي شرح ودراسة وتحقيق عبدالعزيز عزالدين السيروان، الطبعة الأولى ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ .

٣٦١. مشيخة ابن الجوزي، لابن الجوزي، تحقيق محمد محفوظ ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ .

٣٦٢. مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٥هـ .

٣٦٣. مطمع الأنفس ومسرح التأنس ، للفتح بن خاقان ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ .

٣٦٤. مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، إدريس محمود إدريس، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

٣٦٥. معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي ، الطبعة الرابعة ، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٠م .

٣٦٦. معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، محمد إسماعيل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي.

٣٦٧. معجم ألفاظ الصوفية د. حسن الشرقاوي، الطبعة الثانية، القاهرة، مؤسسة مختار، ١٩٩٢م.

٣٦٨. معجم البلدان ، أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ .

٣٦٩. معجم لغة الفقهاء، وضعه د. محمد رواس قلعة جي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس، ١٤١٦هـ.

٣٧٠. معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ .

٣٧١. معجم المقاييس في اللغة لابن فارس تحقيق شهاب الدين أبوعمر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ .

٣٧٢. معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، مصر ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٠هـ .

٣٧٣. مفتاح السعادة تأليف أبوالعباس بن العريف ، جمع أبوبكر عتيق بن موفق دراسة وتحقيق عصمت عبداللطيف دندش ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م .

٣٧٤. مقالات الإسلاميين ، أبي الحسن علي الأشعري ، تصحيح هلمون ريتر الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٣٧٥. مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د. ناصر عبدالكريم العقل ، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار الوطن ، ١٤١٧هـ .

٣٧٦. مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن خلدون ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٦هـ .

٣٧٧. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبدالقادر بدران، إشراف محمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

٣٧٨. من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة ، د. محمد الجليند ، الطبعة الثالثة ، الرياض ، دار اللواء ، ١٤١٠هـ .

٣٧٩. مناهج الأدلة لابن رشد، نشر وتحقيق د. عبدالحليم محمود، الطبعة الخامسة.

٣٨٠. مناهج البحث العلمي ، د. عبدالرحمن بدوي ، ١٩٧٧م .

٣٨١. مناهج البحث العلمي أسس وأساليب، د. عمار الوحوش ود. محمد الذنيبات، الطبعة الأولى ، الأردن ، مكتبة النجار ، ١٤١٠هـ .

٣٨٢. مناهج البحث العلمي عند العرب ، جلال محمد عبدالحميد موسى ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٢م .

٣٨٣. منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محي الدين عبدالحميد ، الطبعة الرابعة عشر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٨٤هـ .

٣٨٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٤٠٦هـ .

٣٨٥. منهج ابن العربي وآراؤه في الإلهيات في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود بالرياض ، إعداد سعد بن فلاح العريفي.

٣٨٦. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، الطبعة الرابعة، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ.

٣٨٧. مؤلفات ابن الجوزي، عبدالحميد العلوجي، الكويت، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٨٨. موسوعة التاريخ الإسلامي ، د. أحمد شلبي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٩م .

٣٨٩. موسوعة التاريخ الإسلامي ، د. أحمد شلبي ، الطبعة الرابعة ، مصر ، مكتبة النهضة ، ١٩٧٥هـ .

٣٩٠. موطأ الإمام مالك ، إعداد أحمد راتب عرموش ، الطبعة السادسة ، بيروت، دار النفائس ، ١٤٠٢هـ .

٣٩١. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ .

٣٩٢. موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ، د. أحمد محمد بناني ، الطبعة الثانية ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، ١٤١٣هـ .

٣٩٣. موقف الإمام ابن الجوزي من الصوفية ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين ، إعداد علي المقوشي .

٣٩٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر.

٣٩٥. ميزان العمل للغزالي ، كتب هوامشه أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ .

(ن)

٣٩٦. ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، البحرين ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هـ .

٣٩٧. نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، المعروف برحلة الورثيلاني للحسين بن محمد الورثيلاني ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٤هـ .

٣٩٨. نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبدالحميد فتاح، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الجيل ، ١٤١٣هـ .

٣٩٩. نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية لليافعي ، تحقيق وتصحيح إبراهيم عطوه ، الطبعة الأولى ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨١هـ .

٤٠٠. نظرية الاتصال عند الصوفية ، د. سارة آل جلوي ، الطبعة الأولى ، جدة، دار المنارة ، ١٤١١هـ .

٤٠١. نقض المنطق لابن تيمية ، تصحيح محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية .

٤٠٢. نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، محمد بن علي الترمذي ، حقق أصوله وخرج أحاديثه د. عبدالرحمن عميرة ، الطبعة الأولى ، بيروت، دار الجيل ، ١٤١٢هـ .

٤٠٣. نور التحقيق ، حامد صقر ، مصر ، مطبعة دار التأليف ، ١٣٦٩هـ .

٤٠٤. النور من كلمات أبي طيفور البسطامي للسهلجي، ضمن كتاب شطحات الصوفية.

٤٠٥. هدية العارفين، إسماعيل البغدادي، الطبعة الثالثة، استانبول ، ١٣٨٧هـ.

٤٠٦. هدية العارفين، إسماعيل البغدادي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

٤٠٧. وحدة الوجود في ضوء العقيدة الإسلامية ، رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، إعداد خضر عبداللطيف سوندك .

٤٠٨. وحـــدة الوجـــود عـــند الصوفية ، حقيقتها وآثارها ، عرض ونقد . رسالة دكـــتوراة مخطوطة بكلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إعداد أحمد بن عبدالعزيز القصير .

٤٠٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٩م .

٩- فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة
التمهيد	٢١٨
تعريف الاستدلال لغة	٢١٨
تعريف الاستدلال اصطلاحاً	٢١٨
المبحث الأول : موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن الكريم	٢١٩
المطلب الأول : منهج الصوفية بالاستدلال بالقرآن	٢٢٠
الحقيقة والشريعة عند الصوفية	٢٢١
المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن السادس الهجري من منهج الصوفية في الاستدلال بالقرآن	٢٣٢
المبحث الثاني : موقف علماء السلف في القرن السادس الهجري من منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة	٢٣٩
المطلب الأول : منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة	٢٤٠
المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بالسنة	٢٤٦
المبحث الثالث : موقف علماء السلف في القرن السادس من منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال الشيوخ ومصنفاتهم	٢٥٢
المطلب الأول : منهج الصوفية في الاستدلال بأقوال وأفعال مشايخهم ومصنفاتهم	٢٥٣

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة
المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية	٣٦٠
التمهيد : تعريف الدعاء والذكر لغة واصطلاحاً	٣٦١
أولاً : تعريف الدعاء لغة واصطلاحاً	٣٦١
الدعاء لغة	٣٦١
الدعاء اصطلاحاً	٣٦٣
ثانياً : تعريف الذكر لغة واصطلاحاً	٣٦٣
الذكر لغة	٣٦٣
الذكر اصطلاحاً	٣٦٤
المطلب الأول : البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية	٣٦٦
المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه البدع في الدعاء والذكر عند الصوفية	٣٧٢
المـــبحث الخامس : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه دعوى إسقاط التكاليف عند الصوفية	٣٨٩
المطلب الأول : دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية	٣٩٠
المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري تجاه دعوى إسقاط التكاليف الشرعية عند الصوفية	٣٩٩
الفصل الرابع : جهود علماء السلف في القرن السادس تجاه الغلو في الأولياء عند الصوفية	٤٠٧
التمهيد : تعريف الغلو والولاية لغة واصطلاحاً	٤٠٨

الموضـــــــوع الصفحة

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة